بسم الله الرحمن الرحيم

الوضع في الحديث النبوي الشريف وفتنته في العهد الأموي والعباسي / محركاته وأثره

رسالة مقدمة للحصول على درجة "الدكتوراه" في الحديث الشريف

من قسم الدراسات الإسلاميه : جامعة البنجاب / لاهور

إعداد

سعود مراد الراوي

اشراف الأستاذ الدكتور

بشير أحمد صديق

١٩٧٨م

بسم الله الرحمن الرحيـــــم

خطة البحث :

العنـــوان

الوضع في الحديث النبوي الشريف
وفتنته في العهد الأموي والعباسي ، ومحركاته وأثره

مقدمة البحث :

نبذة مختصرة عن البحث : << خطر الوضع ، ومبرراته ، وأهميته >>

الباب الأول : حجية السنـــــة

الفصل الأول : ويشمل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف السنة ·

المبحث الثاني : معنى الحديث ·

المبحث الثالث : الأدلة النقلية على حجية السنة من القرآن الكريم ·

الفصل الثاني : (الأدلة النقلية على حجية السنة من الأحاديث النبوية) :

وتشتمل على المباحث الآتية :

المبحث الأول : اثبات حجيـة السنة بنصوص الأحاديث النبوية بأساليب متنوعة ·

المبحث الثاني : شمول السنة لجميع نواحي الدين والدنيا ،

وفيه أربعة اقسام :

أ - القسم الأول : حاجة الحكم الشرعي اليها ·

ب - القسم الثاني : الجانب الاجتماعي ·

ج - القسم الثالث : الجانب الطبي ·

د - القسم الرابع : الجانب السياسي ·

المبحث الثالث : قيادة السنة دليل على حجيتها ·

المبحث الرابع : العقاب والثواب ·

الفصل الثالث : < الأدلة العملية والأخلاقية والعقلية والعلمية على حجيــة السنـــــة >

او (الأدلة غير النقليـــة) ·

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تعريف الحديث الموضوع ·· وكيفية معرفة الأحاديث الموضوعة ·· متى بدا الوضع ·

الفصل الثاني : طرق القضاء على الوضع ·

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : طريقة الوقاية من الوضع ، وهي : الاعتصام بالكتاب والسنة ·

المبحث الثاني : طريقة مقاومة الوضع ·· وهي :

أ - جهود العلماء لمقاومة الوضع ·

ب - الطرق التأديبية : (١) المنع (٢) العقوبة

الفصل الثالث : أهم أنواع الوضع في العهد الأموي والعباسي ·

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تنزيه سيد الأنام مما علق في سنته من الكذب في الصلاة ·

المبحث الثاني : المناقب والمثالب << لغمان >> للافتراء ·

المبحث الثالث : الوضع في مدح العقل ·

الباب الرابع : اشهر الوضاعين في العهدين : « الأموي » و « العباسي » ·

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الزنادقة ووضع الحديث ·

الفصل الثاني : الفرق المتطرفة وأثرها على نشر الموضوعات ·

الفصل الثالث : القصاص وخطرهم ·

وأخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالميــن ··

المقدمـــــــــــة

نبذة مختصرة عن البحـــــــــــث

أ- خطر الوضع :

ب - مبرراتـــــــــه .

ج - أهميتـــــــــه .

تمهيـد :

لقـد أمطر الأعـداء السُنَّة بـوابل من الافـتـراءات ظلمـا وزورا ، وصبوا حمم شرهم ، بالكذب على صاحب الرسالة – عليه الصلاة والسلام – ، لاطفاء نور الحق من الانتشار ليبدد ظلام الكفر ، وكذلك وجهوا قواهم ، ومكاندهم على المحدثين للنيل من قدرهم ، والحط من مستوى علمهم ، فـشوهوا الحقائق وأدخلوا الشكوك ، في النفوس ، فابتـعد الناس عن السُنَّة والعمل بها، لا بل وجه الأعداء سهام الطعن على السُنَّة النبوية الشريفة ، فاستهان الناس العمل بها والاعتقاد بحجيتها ، تريد عزلها عن ميدان الشريعة و لتشوه جمال الاسلام وتنقص كماله ، وعند ذلك يتوقف النظام الاسلامي ، وهذه الحرب الضروس العاتية ، التي ازداد هبوبها بعد عصر الخلفاء الراشدين ، لهي دليل على حجيـة السُنَّة وانها منهج حياة للامة الاسلامية ..

ويمكن حصر هذا الملخص بثلاثة نقاط أساسية هي :

أ – خطر الوضـع . ب – مبرراته . ج – أهميتـه .

أ – خطر الوضـــع :

أمـا خطر هذا الموضـوع لا يمكن أن تقدر قـيـمـتـه ، ويكاد أن يكون كالنار في الهشيم أو كالسيل الذي لا يبقي ولا يذر ، ومن مخاطر الوضع :

١) **تفرق كلمة المسلمين وضعفهم :**

فإن الوضع في الحديث النبوي يؤدي الى الابتعاد عن سبيل الرشاد الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده ، المقتفين لشريعته ، والله سبحانه وتعالى يقول : « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »[١] .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختـلاف والتـفـرق ، وأخبـرهم أنه إنما أهلك من كان قـبلهم بالمراء والخصومات في الدين[٢] .

---

١ الانعام : ١٥٣

٢ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٦٣٣

٥) **القضاء على الأسس الاخلاقية :**

إن الأحاديث الموضوعة شجعت النفوس الضعيفة والجاهلة على الانحراف الاخلاقي الذي جاء الاسلام ليقضي عليه والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : (جئت لاتمم مكارم الاخلاق) ، ولقد سئلت عائشة - رضي الله عنها - عن أخلاقه - صلى الله عليه سلم - فقالت : ‹ كان خلقه القرآن › ، ولقد شهد الله له بالاخلاق العظيمة فقال تعالى : « وإنك لعلى خـــــلق عظيم »[٢] .

فلم يرق لأصحاب النفوس المريضة أن ترى هذا البناء الشامخ في الأخلاق المبني على العفة والحياء ، وحب الخير والاحسان والمودة . فوضعت الفرق الضالة أحاديث تقطر سماً للنيل من عظمة الاسلام وأخلاق الاسلام ، فمما وضعت : (النظر الى الوجه الجميل عبادة) . وهذا تقويض للاخلاق الاسلامية ، ونبذ جميع الأحاديث النبوية الصحيحة التي تحث على الحياء والالتزام به ، وانه لا يأتي الا بخير ، وأنه شعبة من الايمان .

ب - المبررات الداعية لكتابة هذا الموضوع :

فالأسباب الداعية لذلك لغرضين اثنيــن :

أ - **الغرض الأول :**

هو كشف اصحاب الزيغ والضلال ، الذين يقومون بتصدع المجتمع وتهديم أركانه باثارة العداوة والبغضاء بين أفراده الذين قاموا بتشويه نصاعة السُنَّة ورونقها وروعتها مما يجعل الطريق للوصول الى السُنَّة تحيطه الظنون وتخالجه الشكوك و ولذلك علينا أن نزيل هذه العقبات لتمهيد السبيل للوصول الى طريق الحق يجب علينا الآتي :

(١) أن نكشف اصحاب الزيغ والضلال من الكذابين لنحذر الناس من أخطارهم وفتنهم ، وكذلك ننبه الأمة الى من هم ليسوا من أهل اصحاب الحديث وذلك لكثرة غفلتهم أو جهلهم ، وكذلك التنبيه الى من في قلبه مرض ، أو من أصحاب التعصب ، أو التكسب ممن غلب عليه حب الدنيا ونسيان الآخرة ، وأصحاب الأهواء الضالة من الزنادقة والفرق المتطرفة.

(٢) بيان درجة الحديث : فالأحاديث الصحيحة درجات منها الصحيح لذاته ، والصحيح لغيره ، والحسن لذاته ، والحسن لغيره ، وكذلك الضعيف درجات ، ثم الموضوع ويوضع للتنبيه على وضعه وليس هو من

---

٣ ن : ٤

الحديث في شيء .. وقد وضع موازين تعرف بها درجة الحديث مع الحذر الشديد من قبل من وفقه الله لخدمة سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلها تحمي الحديث النبوي الشريف من التبديل والتغيير والوضع منها :

أ - التثبت قبل أخذ الحديث .

ب - وضع شروط معينة لأخذ بالحديث ، ومن هذه الشروط المعاصرة بين الراوي وشيخه بعد كونهما ثقتين كما هو عند مسلم أو اشتراط ثبوت اللقى بينهما مع ذلك ، كما هو عند البخاري[٤] .

ج - وضع الاسناد : فالاسناد يمكن أن نتعرف به على قوة الحديث ودرجته ، والاسناد بمثابة السلم أو الدرج الذي يتوصل به الى الارتقاء والوصول الى المتن ، وبقدر قوة ذلك الاسناد يؤخذ بالحديث عندما يختبر المتن[٥] وتثبت صحته . ولذلك حث العلماء من أصحاب هذا الفن الاهتمام بالاسناد قال الامام الشافعي : < مثل الذي يطلب الحديث بلا اسناد مثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب فيها أفعى تلدغه > .

د - وضع درجات ومستويات لرجال السند : فقد وضع العلماء مصطلحات فيها الدقة والضبط لمستوى الراوي ودرجته في العدالة . وكذلك وضعوا في الجرح درجات للضعفاء والمتهمين والكذابين .

هـ - وضع مصنفات : منها للأحاديث الصحيحة وأخرى للضعيفة ، وثالثة للموضوعات .. وكذلك مصنفات في علم الرجال ومصنفات في الوفيات والبلدان والتواريخ والرحلات ... إلخ .

هذه الموازين والأقيسة تحمي السُنَّة من أهل الكيد والافتراء والجهلة وأصحاب الإغراض الشخصية .

ب - الغرض الثاني من المبررات :

حماية السُنَّة والدفاع عن حجيتها .. إن أهل الباطل يهدفون لابطال حجّية السُنَّة وطمس معالمها للقضاء على كل القيم الاسلامية في القوة والمودة والرحمة والعزة والثقة والوحدة والايثار .

ففي هذا المختصر أو الكتابة عن حماية السُنَّة والدفاع عن حجيتها وبيان مرتبتها وانها حجة بعد كتاب الله العزيز ، ومصدر نستنبط منه

---

٤ شروط الأئمة الخمسة مع شروط الأئمة الستة ، ص ٢٠

٥ والمتن في الاصطلاح : هو الفاظ الحديث التي تقوم بها معانيه .

الأحكام الشرعية .

ففي هذه النبذة تذكير المسلمين بأهمية السُنَّة ومقامها في الاسلام ولو لم تكن حُجَّة وواجب على المسلمين اتباعها ، لما سخر أهل الفسق والفجور أقلامهم المسمومة ، وحقدهم الدفين على الحديث النبوي الذي ثبتت حجيته بأدلة كثيرة منها النقل :

أ - من الكتاب العزيز .

ب - من السُنَّة المطهرة .

أ - من الكتاب العزيز :

ومما ورد في كتاب الله سبحانه :

١) طاعة الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – دليل على محبة الله تعالى . قال الله تعالي : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم »[٦] .

٢) طاعة الله ورسوله طريق السعادة والرحمة :

أ - قال الله تعالى:« وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون »[٧]

ب - وقال الله تعالى : « ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما »[٨]

ج - وقال تعالى : « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون »[٩] .

٣) طاعة الله ورسوله سبيل الى دخول الجنة . قال الله تعالى : « تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم »[١٠] .

٤) طاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – دليل على طاعة الله ، وعصيانه عصيان لله . قال الله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا »[١١] .

في هذه الآيات حجية السُنَّة واضحة وضوحا لا يحتاج الى بيان ، ومما يزيد ذلك الوضوح شدة وتألقاً الأخيرة ، حيث أن الله سبحانه وتعالى سد جميع

---

٦ آل عمران : ٣١

٧ آل عمران : ١٣٢

٨ الأحزاب : ٧١

٩ النور : ٥٢

١٠ النساء : ١٣

١١ النساء : ٨٠

الأبواب والطرق للوصول الى الشريعة الاسلامية الا عن طريق طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وأن أي عمل صالح من غير طريقه لا يقبل .ومما يؤكد ما قلته بتأكيد قوي من ناحية اللغة حيث أن طاعة الله جاءت جواب شرط ، وأن هذا الجواب لا يمكن تحقيقه الا اذا تحقق فعل الشرط وهو طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

٥) دليل الايمان بالله واليوم الآخر رد التنازع الى الله ورسوله. قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا »[١٢].

وقال مجاهد في قوله تعالى : « فإن تنازعتم في شيء » أي الى كتاب الله وسنة رسوله . وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه ، أن يرد التنازع في ذلك الى الكتاب والسُنَّة [١٣] .

٦) علامة النفاق الاعراض عن الكتاب والسُنَّة . قال تعالى : «واذا قيل لهم تعالوا الي ما أنزل الله والى الرسول ، رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا »[١٤] .

٧) الرضا بحكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دليل الايمان . قال الله تعالى ك « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »[١٥] .

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله -: ‹ أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكدا بالنفي قبله على عدم ايمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم في الأصول ، والفروع ، وأحكام الشرع ، ولم يثبت لهم الايمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح وتنفسح له كل الانفساح . وتقبله كل القبول . ولم يثبت له الايمان بذلك أيضا حتى ينضاف مقابلة حكمه بالرضا والتسليم ، وعدم المنازعة ›[١٦] .

٨) الكمال واليسر والفلاح في اتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال الله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه

---

١٢ النجم : ٣ ، ٤ .

١٣ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤٠٨

١٤ النساء : ٦١

١٥ النساء : ٦٥

١٦ التبيان في أقسام القرآن ، لابن قيم الجوزية ، ص ٤٣٠

مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل له أولئك هم المفلحون » .

٩) العقاب لمن خالف طاعة الله ورسوله . قال الله تعالى : « ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب »[١٧] .

١٠) عدم طاعة الله ورسوله دليل الكفر . قال تعالى : « قل أطيعوا الله والرسول ، فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين »[١٨] .

وقالوا في قوله تعالى : « فإن الله لا يحب الكافرين »

< فدل على أن مخالفته في الطريق كفر ، والله لا يحب من اتصف بذلك ، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب الى الله ، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله الي جميع الثقلين الجن والانس ، الذي لو كان الإنبياء بل المرسلون ، بل أولو العزم منهم في زمانه ما وسعهم الا اتباعه ، والدخول في طاعته ، واتباع شريعته >[١٩] .

هذه بعض الأسباب التي دعتني للبحث عن الموضوع لتوضيح حجّية السنَّة والدفاع عنها .

ومن الأدلة الأخرى على حجية السنَّة :

ب - **الأحاديث النبوية الشريفة** :

لقد وردت أحاديث كثيرة تدل على حجية السنة منها :

١) قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسُنَّتي)[٢٠] .

٢) وقال رسول الله – صلى الله عليه سلم – : (ألا اني أتيت الكتاب

---

١٧ الأنفال : ١٣

١٨ آل عمران : ٣٢

١٩ تفسير مختصر ابن كثير ، ج ١ ص ٢٧٧

٢٠ الموطأ للامام مالك ، ج ٢ ص ٨٩٩ كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر ، رقم ٣

ومثله معه ، ألا يوشك [٢١] رجل شبعان على اريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . وأن ما حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما حرم الله) .

٣) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) قالوا يا رسول الله ، ومن يأبى ؟ قال : (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) [٢٢] .

ففي هذه الأحاديث الشريفة دليل حجية السُنَّة . فالحديث الأول يدل على من تمسك بالسُنَّة تحميه من الوقوع في الضلال والانحراف . والحديث الثاني فيه بيان بعدم الفرق بين الكتاب والسُنَّة في ناحية الحرام والحلال ..

وللسُنَّة أهمية عظيمة لشمولها جميع نواحي الدين والدنيامن الأحكام الشرعية والعلاقات الاجتماعية ، والجوانب الخلقية والاقتصادية ، وقد أجمع العلماء المحققون على حجية السُنَّة . وقيل : انتهى العلماء المحققون الى أن الحديث الصحيح حجة على جميع الأمة ، وأيدوا رأيهم بما ورد في الآيات القرآنية .

وقال الامام الشافعي : ‹ اذا ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الشيء فهو اللازم لجميع من عرفه ، لا يقويه ولا يوهنه غيره ، بل الفرض الذي على الناس اتباعه ، ولم يجعل الله لأحد معه أمرا يخالف أمره › .

هذه المبررات التي دعتني لاكتب في هذا الموضوع للدفاع عن حجية السنة ، ولاثباتها بالأدلة والبراهين لرد كيد الاعداء عن أن يشوهوا حديث رسول الله أو ينقصوا من شأنه ، مما يجعلوا المسلمين يبتعدوا عن تطبيقه ، والأخذ بأحكامه ، فعند ذلك يتقاعسوا عن دراسته ، وبذل الجهد لتعلمه ، فتنطمر أثاره على مر الأيام والعصور فيتخلف المسلمون عن الركب في الدنيا ، والويل والثبور في الآخرة ، لضياع أعمالهم أدراج الرياح .

وكذلك من المبررات المهمة هو الكشف عن أهل الضلال والانحراف ،

---

٢١ سنن ابن ماجه ، ج ١ ص ٦ ، باب تعظيم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .
سنن أبي داود ، ج ٤ ص $ ص ٢٠٠ ، باب في لزوم السنة ، رقم ٤٦٠٤

٢٢ صحيح البخاري ، ج ٦ ص ٢٦٥٥ ، باب الاعتصام بالكتاب والسنة رقم ٦٨٥١

فخلاصة الأمــــر :

أن العيش بهجر السُنَّة النبوية هو انتحار وموت قبل موت الأبدان حيث يقضي المسلم عمره بدون بركة ، ولا توفيق من عند الله والخطر لم يقف بحدود الفرد وانما يتجاوز ذلك الى جميع الأمة ، فيشملها التأخر ، وقسوة القلب ، والتقاطع ، والتدابر .. لأن الله سبحانه وتعالى لم ينصر الا من نصر دينه المتمثل بكتابــه وسُنَّة نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالميــــن ..

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

حجية السنـــــــة

الفصل الأول : ويشمل ثلاثة مباحث < تعريف السنة ، معنى الحديث ، الأدلة النقلية على حجية السنة من القرآن الكريم > .

الفصل الثاني : الأدلة النقلية على حجية السنة من الأحاديث النبوية . وتشتمل على ثلاثة مباحث .

الفصل الثالث : الأدلة العملية والأخلاقية والعقلية والعملية على حجية السنة . وتشتمل على خمسة مباحث .

الفصل الرابع : المعاول الهدامة لإنكار السنة . وتشتمل على ثلاثة مباحث.

الفصل الأول :

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول

تعريف السنــــــة

١ - السُنَّة في اللغة :

١) هي السيرة أو الطريقة حسنة كانت أو قبيحة . قال خالد بن عتبة الهذلي :

فلا تجزعن في سيرة أنت سرتهـا

فأول راض سنة من يسيرهـــــا[٢٤]

ومنه قوله – صلى الله عليه وسلم – : (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة)[٢٥] .

وفي حديث : (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع)[٢٦]

وعلى ذلك يقال ابتدأ عمل أو أمر بعمل اتبعه غيره يقال أنه هو الذي سنه . ومثال ذلك قول نصيب :

كأني سننت الحب أول عاشـــــق

من الناس إذ أحببت من بينهم وجـــــدي[٢٧]

والمعنى كأنه أول من ابتدأ الحب واحدثه ..

وعرفها بعضهم : الطريقة المسلوكة من سننت الشيء بالمسن إذا امررته عليه حتى يؤثر فيه سنا أي طريقا[٢٨] .

وعرفها آخرون : بأنها عبارة عن الطريقة المعتادة المحافظة عليها

---

٢٤ انظر لسان العرب ٢/٢٢٢ . التعريفات ، للجرجاني ، ص ٦٥ . المصباح ، ١/٢٩٢

٢٥ اخرجه مسلم عن جرير بن عبدالله البجلي

٢٦ اخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري .

٢٧ لسان العرب ، ٢/٢٢٢

٢٨ مفتاح السنة ، أو تاريخ فنون الحديث ، محمد عبدالعزيز الخولي ، ص ٥

التي يتكرر الفعل بموجبها[٢٩] . ومنه قوله : « سنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا »[٣٠] .

وسنة الانسان طريقته التي يلتزم بها فيما يصدر عنه ويحافظ عليها سواء كانت تلك الطريقة محمودة أو مذمومة .

وخص بعضهم (السنة) بالطريقة الحسنة دون السيئة . قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (فمن رغب عن سنتي فليس مني)[٣١]

ولذا قيل : فلان من أهل السنة ، معناه : من أهل الطريقة المستقيمة[٣٢] .

قال الأزهري : والسنة الطريقة المستقيمة المحمودة ، ولذلك قيل : فلان من أهل السنة[٣٣] .

٢) تأتي السنة في اللغة بمعنى الوجه ، قال الأعشى :

كريما شمائله في بني معاوية الأكرمين السنن[٣٤]

ويراد بالبيت المدح برفعة النسب والشمائل الكريمة ، ولذلك ذكر الوجه لانه العلامة على ذلك بالنضارة والبشاشة ..

السنن : جمع سنة[٣٥] .

٣) وتأتي بمعنى (دائرة الوجه) ، قال ذو الرمه :

تريك سنة وجهه غير مقرفة

ملساء ليس بها خال ولا ندب[٣٦]

٤) وتأتي بمعنى الشكل أو الصورة ، وانشد ثعلب :

بيضاء في المرآة سنتها

في البيت تحت مواضع اللمس

---

٢٩ الوجيز في أصول الفقه (عبدالكريم زيدان) ، ص ١٤٦

٣٠. الأحزاب : ٦٢

٣١ الحديث اخرجه البخاري في حديث ،وذا أخره في أول النكاح ، ١٢٦/٦ ، وسلم في أول النكاح ١٢٩/٤ ،والنسائي في النكاح ، باب النهي عن التبتل ٥٩/٦ – ٦٠ . والدارمي في النكاح ، باب النهي عن التبتل ، واحمد في مسنده ١٥٨/٢ ، وأبن الجوزي في تلبيس ابليس ، باب ذم البدع ص ١٠ ، كلهم من حديث عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – .

٣٢ لسان العرب : ٢٢٢/٢

٣٣ تهذيب اللغة ، ٢٩٨/٤

٣٤ لسان العرب ، ٢٢٢/٢

٣٥ المصباح المنير ، ٢٩٢/١

٣٦ لسان العرب : ٢٢٢/٢

ويريد بالسنة الصورة[٣٧] .

٥) ويمكن ان تقع (لفظ سنة) من سننت الابل إذا احسنت رعيتها والقيام عليها[٣٨] .

٦) تأتي بمعنى تتابع الشيء وتواليه والسير في الطريق[٣٩] . يقال سن الماء : إذا صبه ووالى في ذلك وتابعه . في باب تشبيه السنة الحسنة لاضطراد العمل بها بالماء المصبوب لتواليه على مكان واحد[٤٠]

٧) وتأتي بمعنى : النهج والجهة .

قال الفيروز أبادي : وسنن الطريق : نهجه وجهته[٤١] .

٨) وكذلك بمعنى (الاثر) .

قال ابن منظور : وسنن النبي - صلى الله عليه وسلم - آثاره[٤٢] .
وذكر السيوطي هذا التفسير في الامام احمد[٤٣] .

٩) وقد يقصد بالسنة نقيض البدعة[٤٤] ، وفي ذلك حديث العرباض بن سارية السلمي[٤٥] : (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين .... واياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة)[٤٦] .

١٠) وتأتي بمعنى (السوق) ، يقال سن الابل سنا : أي ساقها سوقاً سريعا[٤٧] .

وقيل : السير الشديد[٤٨] .

---

٣٧ لسان العرب ، ٢/٢٢٢ ، القاموس المحيط ، ٢٣٧/٤

٣٨ لسان العرب في مادة (سنن) ، ٢٢٢/٢

٣٩ القاموس المحيط ، ٢٣٧/٤

٤٠ البدعة ، ١١٧

٤١ القاموس المحيط ، ٣٧/٤ ، لسان العرب ٢٢٢/٢

٤٢ لسان العرب ، ١٩/١

٤٣ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، ص ٤٦

٤٤ ارشاد الفحول ، الشوكاني ، ص ٣٣

٤٥ هو العرباض - بكسر أوله وسكون الراء المهملة - ابن سارية المسلمي ابو نجيح ، صحابي مشهور من أهل الصفة ، وكان شيخا كبيرا ، المتوفي بعد السبعين .. كذا في التقريب ١٧/٢ وله ترجمة في الاصابة .

٤٧ لسان العرب ، ٢٢٣/٢

٤٨ المصدر السابق

١١) وتطلق في العرف الاسلامي على طريقة الاسلام ، ومنها قولهم فلان على السنة ، وقولهم : سنة وبدعة[٤٩] .

عندما ننظر على هذه التعريفات في كتب متنوعة تدور أكثرها على أن السنة هي الطريقة حسنة كانت أو قبيحة اذا جاءت مطلقة ، أما اذا قيدت تعريفه ، فالقرينة هي التي تحدد نوعها بالحسن او القبح ، فلا بد من التنبيه في هذه العجالة على نقطتين تحتاج الى التوضيح والبيان :
ذكر بعض الكتاب وأوعز قسم منهم المصدر الى لسان العرب ، بأن السنة الطريقة الحسنة دون القبيحة[٥٠] ، واستشهد بالحديث النبوي الشريف (فمن رغب عن سنتي فليس مني) .
فأقول الاستشهاد لم يكن بموضعه ، وأن القواعد والاصول العربية لم تحتمله .. وذلك في وجوه :

١) ان كلمة السُنَّة غير سُنَّتي ، حيث ان السنة مطلقة ، واما سنتي فهي مقيدة بسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وذلك أن ياء المتكلم الذي أضيفت اليه السنة تعود على شخصية الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وهو الكامل الأمين وان طريقته حق من أمر ونهي وتقرير وهي سنته ، ولذلك خصص السنة باضافتها الى شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، والله سبحانه وتعالى قد أعده اعدادا خاصا ونزهه وعصمه من جميع النقائص بقدرته سبحانه وتعالى وأمر بطاعته ، قال الله تعالى : « قل اطيعوا الله والرسول ، فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين » .وأن طاعة الرسول هي طاعة الله ، قال تعالى : « من يطع الرسول فقد اطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا »[٥١] .
فالرسول - صلى الله عليه وسلم - معصوم وكل قوله وفعله وتقريراته حق والله يشهد له حيث يقول جل قدرته : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى »[٥٢] .ويقول الله سبحانه مادحا حبيبه ، سيد ولد أدم ، الصادق الأمين ، خاتم الأنبياء والمرسلين : « وإنك لعلى خلق عظيم »[٥٣] .

---

٤٩ منهج النقد في علوم الحديث ، د . نور الدين عتر ، ص ٢٧

٥٠ الوضع في الحديث النبوي ، ص ١٢

٥١ النساء : ٨٠

٥٢ النجم : ٣ ، ٤

٥٣ ن : ٤

٢) التنبيه الثاني وهو الاستشهاد بـ (فلان من أهل السنة) على أن السنة هي الطريقة الحسنة دون القبيحة .. وهذا الاستشهاد فيه ضعف لان هذه الحجة لم تكن عامة في مفهوم اصحاب العقائد الاخرى من غير المسلمين وانما هو مصطلح خاص بالامة الاسلامية ومفهومه العام عند المسلمين السنة المحمدية أو الدين الاسلامي وهو الدين الكامل ولا يمكن ان يفسر بنقص أو بقبح والله سبحانه وتعالى يقول : « اليوم اكملت لكم... »[٥٤] .

٢ - السنة في الشرع :

إذا أطلق لفظ السنة في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونهى عنه ، وندب اليه قولا وفعلا ، ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة ، أي القرآن والحديث[٥٥] .

أ - تعريف السنة في اصطلاح المحدثين :

ما أثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة ، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[٥٦] ، وهي ترادف الحديث عند بعضهم .

ب - تعريف السنة في اصطلاح الأصوليين :

ما صدر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، غير القرآن ، من قول أو فعل أو تقرير ، على وجه يراد به التشريع[٥٧] ، فهي بهذا الاعتبار دليل من أدلة الأحكام ، ومصدر من مصادر التشريع .

ج - وعلماء الفقه :

انما بحثوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي تدل أفعاله

---

٥٤ المائدة : ٣

٥٥ أصول الحديث وعلومه ومصطلحه ، د . محمد عجاج ، ص ١٨

٥٦ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، ص ٤٧

٥٧ حاشية الأميري ، ج ٢ ص ١٩٦ ، والآمدي ، ج ١ ص ٢٤١ . والوجيز ، ص ١٤٧

على حكم شرعي ، وهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد وجوبا ، أو حرمة ، أو اباحة ، أو غير ذلك[٥٨] .

عندما ننظر الى هذه التعاريف نجد مرد هذا الاختلاف في الاصطلاح ، يرجع الى الاغراض التي تحتاجها كل فئة منهم .. فعلماء الحديث بحثوا عن الأمين وهو القدوة والأسوة في كل تصرفاته ، ونقلوا كل ما يتصل به من اخبار وأقوال وأفعال ، وسيرة وخلق ، بغض النظر على انه اثبت حكما شرعيا أو لم يثبت .

وعلماء الأصول ينظرون من جهة وضع القواعد والمناهج الموصلة اليه ، ولذلك بحثوا في السنة على قدر تخصصهم .

والحكم عند الأصوليين : هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع[٥٩] .

وعلى هذا الاساس عنى الأصوليون بأقوال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وافعاله وتقريراته التي تثبت الاحكام وتقررها .. أما علماء الفقه فقد اغترف من منهل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يتعلق باختصاصهم .

وعلم الفقه : هو فعل المكلف من حيث ما يثبت له من الاحكام الشرعية[٦٠] ، ولذلك بحثوا عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوبا أو حرمة أو إباحة أو غير ذلك .

وفي هذه المقدمة عن حجية السُنَّة يعنينا الأخذ الى ما ذهب اليه الأصوليون : وهو ما صدر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، غير القرآن ، من قول أو فعل أو تقرير ، على وجه يراد به التشريع .

- أما القول فهي أحاديثه - صلى الله عليه وسلم - التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات ، فترتب على ذلك حكم شرعي .. كقوله -

---

٥٨ انظر فتح الغفار بشرح المنار ، ج ٢ ص ٧٥ . والمدخل الى السنة وعلومها ، ص ٧ . والسنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، ص ٤٩ .

٥٩ مسلم الثبوت وشرحه ، ج ١ ص ٥٤ . ارشاد الفحول للشوكاني ، الوجيز ، ص ١٨

٦٠ علم اصول الفقه (عبدالوهاب خلاف) ، ص ١٢

صلى الله عليه وسلم - (إنما الأعمال بالنيات)[61] ، وقوله : (لا وصية لوارث)[62] ، وقوله : (لا ضرر ولا ضرار)[63] .

- وأما أفعاله - صلى الله عليه وسلم - فهي التي نقلها الينا الصحابة مثل : أدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها[64] .
ومثل : قول عائشة - رضى الله عنها - في صيام النبي - صلى الله عليه وسلم - : ‹ كان يصوم حتى نقول : لا يفطر، ويفطرحتى نقول : لا يصوم ›[65] .

- أما التقريرية : وهي سكوت النبي - صلى الله عليه وسلم - عن انكار قول أو فعل صدر في حضرته أو في غيبته وعلم بها .فهذا السكوت يدل على جواز الفعل واباحته ، لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يسكت على باطل أو منكر ، ومن الأمثلة على ذلك حديث ابن عمر قال : قال النبي لنا لما رجع من الأحزاب : (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) ، فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيها ، وقال بعضهم بل نصلي ، لم يرد منا ذلك ، فذكر للنبي - صلى الله عليه وسلم - فلم يعنف واحدا منهم[66] .

---

٦١ اخرجه البخاري ، في بدء الوحي ، ج ١ ص ٣ . ومسلم ، في انما الأعمال بالنيات ، ج ٣ ص ١٥١٥ رقم ١٩٠٧ ، في باب الامارة .

٦٢ سبل السلام ، ج ٣ ص ٩٦٧

٦٣ سبل السلام ، ج ٣ ص ٩٢٨

٦٤ سبل السلام ، ج ٤ ص ١٣١ ، السنة قبل التدوين ، ص ١٧

٦٥ البخاري ، صوم شعبان ، ج ٣٨/٣ . مسلم ، صيام النبي - صلى الله عليه وسلم - ٣/ ١٦٠ - ١٦١

٦٦ البخاري بلفظه في صلاة الخوف ، ١٥/٢ . ومسلم في المغازي ١٦٢/٥

المبحث الثاني

معني الحديـــــث

* معنى الحديث لغـةً :

الحديث : الجديـــد[٦٧]
الحديث : نقيض القديم[٦٨]
والجمع أحاديث ، كقطيع وأقاطيع ، وهو شاذ على غير قياس[٦٩].
وقال ابو البقاء[٧٠] : الحديث هو اسم من التحدث ، وهو الاخبار[٧١]
والحديث : الخبر يأتي على القليل والكثير[٧٢] .
يقال هو حديث عهد بكذا : أي قريب عهـد [٧٣] .
الحديث : كل ما يتحدث به من كلام وخبر،ويقال الحديث ذو شجون[٧٤]
والحادث : ما يجد ويحدث ، وضد القديم[٧٥] .
والاحدوثة : ما يتحدث به ، ويقال صار فلان أحدوثة ، كثر فيه الحديث[٧٦] .

وقوله تعالى : « إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا »[٧٧] عنى بالحديث القرآن الكريم .

---

٦٧ الرائد ، ٥٥٦/١

٦٨ لسان العرب ، ٥٨١/١

٦٩ السنة قبل التدوين ، د. عجاج ، ص ٢٠

٧٠ ابو البقاء ، هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي ، كان من قضاة الاحناف ، توفى سنة ١٠٩٣ هـوهو قاض بالقدس ، انظر هدية العارفين ، ٢٢٩/١ ، ايضاح المكنون ٢٥١/١ ، ٣٨٠ .

٧١ قواعد التحديث ، للقاسمي ، ص ٦١

٧٢ الوافي (معجم لغوي) ، ص ١٢٠

٧٣ المعجم الوسيط ، ١٦٠/١

٧٤ المصدر السابق

٧٥ المصدر السابق .

٧٦ المصدر السابق

٧٧ الكهف : ٦

وقوله تعالى : « واما بنعمة ربك فحدث »[٧٨] أي بلغ ما ارسلت به .
وقوله تعالى : « وعلمتني من تأويل الأحاديث »[٧٩] .أي ما يحدث به الانسان في نومه[٨٠] .
وفيه قال الشاعر[٨١] :

ونص الحديث الى اهلـه فان الامانة في نصـــه

وعند القاء نظرة علي المعاني التي وردت للحديث في اللغة : هو نقيض القديم وهو ما يجد ويحدث ، وكل ما يتحدث به الانسان من خبر .

الحديث في اصطلاح علماء الإسلام :

الحديث في اصطلاح العلماء : < ما أضيفت الى النبي – صلى الله عليه وسلم – من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي >[٨٢] .
وعلي هذا التعريف لا يدخل في التعريف الحديث الموقوف ، وهو ما أضيف الي الصحابي ، ولا المقطوع ، أي ما أضيف للتابعي ..
وهو مذهب الكرماني والطيبي ومن وافقهما[٨٣] .
ولكن الجمهور ذهبوا الى انهما من الحديث ، وسووا في الدلالة بين الحديث والخبر ، قال الحافظ أحمد بن علي بن حجر في نزهة النظر : < الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث > . فلا فرق إذن عند الجمهور وبين الحديث والخبر[٨٤] .
ويشمل عند الجمهور : < ما اضيف الى النبي – صلى الله عليه وسلم – أو الصحابي أو التابعي >[٨٥] .
وخص بعضهم الحديث : الى انه ما أضيف الي النبي – صلى الله

---

٧٨ الضحى : ١١

٧٩ يوسف ، ١٠١

٨٠ لمحات في أصول الحديث والبلاغة ، ص ٢٦

٨١ البيت للشاعر طرفة بن العبد ، شاعر جاهلي ، صاحب المعلقة المشهورة التي ابتدأها بذكرالاطلال < لخولة > ، وتقل وعمره ست وعشرون سنة . انظر تاريخ حيات، الأدب العربي للزيات ص ٦١ ، وحياته ومعلقته ، ص ١٣٠ ، ١٧١ . وشرح معلقات السبع للزوزني .

٨٢ منهج النقد في علوم الحديث ، د . نور الدين عتر ، ص ٢٦

٨٣ انظر الكواكب الدراري ، للكرماني ، ١٢/١ . <منهج النقد ، ص ٢٦ >

٨٤ أما الأولون فقد خصوا الخبر بغير النبي – صلى الله عليه وسلم – للتمييز بينه وبين الحديث ، وكذلك قيل لمن يشتغل بالتواريخ وما شاكلها الخباري . ولمن يشتغل بالسنة النبوية المحدث < منهج النقد . ص ٢٧ >

٨٥ لمحات في أصول الحديث ، ص ٢٦

عليه وسلم - من قول فقط ، قال الجزائري : واما السنة فتطلق في الأكثر على ما أضيف الى النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير ، فهي مرادفة للحديث عند علماء الأصول ، وهي أعم منه عند من خص الحديث بما أضيف الى النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول فقط[٨٦] .

وعرف السيد سليمان الندوي الحديث : كل واقعة نسبت الي النبي - صلى الله عليه وسلم - ولو كان فعلها مرة واحدة في حياته الشريفة[٨٧] .

عند الامعان في هذه التعاريف عن الحديث النبوي الشريف نخرج بنتيجة متصلة ، وقاعدة عامة عند جميع المسلمين ان الحديث النبوي الشريف يطلق على أقوال النبي - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله فتكون السنة مرادفة للحديث .

---

٨٦ توجيه النظر ، ص ٣

٨٧ تحقيق معنى السنة ، وبيان الحاجة اليها ، ص ٢٠

حجيـة السنـــــــــــة

مقدمـة المبحث الثالث :

نحمده تعالى ونصلي ونسلم على أفضل خلقه محمد - صلى الله عليه وسلم - الصادق الأمين أرسله الله رحمة للعالمين ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة .. فانه لا سبيل الى النجاح والفلاح الا على سلوك طريقه ، ومعرفة الطيب من الخبيث الا من جهته ، ويجب على كل من احب نجاة نفسه ان يعرف هديه وسيرته .

إن الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - اليتيم الامي .. حدث كبير عظيم ، انه كالشمس تأثيرا في الكائنات ، وأعظم من القمر ، وأقوى من الرياح والأعاصير ، لأنه يحمل مشكاة الله تشع بالنور والعلم والهدى ، وتضيء الطريق للخاطئين الضالين الى الحق ، وتقود المظلومين والمحرومين الى نور الله الأعظم ، الشريعة الاسلامية السمحاء الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان ، والقادرة علي جميع احتياجات البشرية والمتمثلة في شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث يشهد له رب العالمين فيقول : « وانك لعلى خلق عظيم »[٨٨] ، وتقول عائشة - رضى الله عنها - : ‹ كان خلقه القرآن ›[٨٩] .

وعلى هذا الأساس أقام رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - صرحا شامخا ، للمودة والرحمة والقوة والعزة والثقة والوحدة والتضحية والايثار ، لا تقوي على هدمها أو زعزعتها قوى الجبارين والمنافقين والظالمين .. ولقد اعتبر العلمـــاء ((السنة النبوية)) حجة بعد كتاب الله العزيز ومصدر تستنبط منه الأحكام التشريعية ، وواجب على جميع المسلمين الالتزام بها .

---

٨٨ ن : ٤

٨٩ رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، ج ١ ص ٥١٣ رقم ٧٤٦

المبحث الثالث

الأدلة النقلية على حجية السنة

من : القرآن الكريـــم

لقد أثبت القرآن الكريم حجية السنة ، بأدلة كثيرة وبأنواع مختلفة بطريقة الأمر ، والنهي ، والترغيب والترهيب ، والوعيد الشديد ، وباقامة الحجة ، وبيان كمال السنة ، باسلوب جزل رفيع ، وبيان يقيني بعجز الجن والإنس على ان يأتوا بمثله[٩٠] ، لقد سد القرآن الكريم جميع المنافذ والأبواب أمام النفوس الضعيفة والمغرضة والمريضة ، التي تعيش في متاهات الخيال ، وسراب الجهل[٩١] ، ونار الفتنة[٩٢] ، وظلام الكفر[٩٣] ، وفتح امامها مصباح الايمان ، الذي ينبع من نور الكتاب[٩٤] ، وضياء السنة ، فيهديان الى واحة غناء فيها السعادة والاطمئنان[٩٥] .

* **والأدلة في القرآن الكريم على حجية السنة هي :**

١- <u>طاعة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - دليل على محبة الله تعالى :</u>

قال الله تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم »[٩٦] .

---

٩٠ « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » سورة الإسراء : ٨٨

٩١ « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب » سورة النور : ٣٩

٩٢ « قل موتوا بغيظكم ، ان الله عليم بذات الصدور » آل عمران : ١١٩

٩٣ « أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » سورة النور: ٤٠

٩٤ « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ... » النور : ٣٥

٩٥ « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » سورة الرعد : ٢٨

٩٦ آل عمران : ٣١

في هذه الآية الكريمة ذكر البيضاوي الاحكام التي فيها :

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني » المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه ، والعبد اذا علم أن الكمال الحقيقي ليس الا لله ، وان كل ما يراه كمالا في نفسه ، أو غيره فهو من الله وبالله والى الله ، لم يكن حبه الا لله وفي الله ... فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - في عبادته والحرص على مطاوعته[٩٧] .

« يحببكم الله ويغفر ذنوبكم » جواب للأمر ، أي يرض عنكم[٩٨] ..

« والله غفور رحيم » لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه - صلى الله عليه وسلم -[٩٩] .

وذكر في مختصر تفسير ابن كثير ان هذه الآية تكشف عن حقيقة صدق الادعاء أو كذبه ، فالمسلم بقدر تطبيقه واتباعه للشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله .. فيقول في بيان هذه الآية :

« قل ان كنتم تحبون الله .... إلخ » .

‹ هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله ، وليس هو على الطريقة المحمدية ، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر ، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وافعاله ›[١٠٠] .

كما ثبت في الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انه قال : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[١٠١] .

وقال الحسن البصري : زعم قوم انهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » .

ثم قال تعالي : « يغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم » أي باتباعكم الرسول - صلى الله عليه وسلم - يحصل لكم هذا[١٠٢] .

نستبط من هذه التفسيرات للآية الكريمة الاحكام الآتية :

أ - ان علامة محبة الله هو اتباع سنة سيد المرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم - .

---

٩٧ تفسير البيضاوي ، ج ٢ ص ١٣

٩٨ المصدر السابق .

٩٩ المصدر السابق .

١٠٠ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٢٧٧

١٠١ اخرجه مسلم ، ج ٣ ص ١٣٤٣

١٠٢ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٢٧٧

ب - ان المسلم الذي يتبع هدي محمد- صلى الله عليه وسلم - يحبه الله ويغفر ذنوبه ، ومحبة الله للعبد هو ان يوفقه للعمل الصالح ، ويكره اليه الفسوق والعصيان ، فقد ورد في الحديث النبوي : (احفظ الله يحفظك)[١٠٣]

وليس مخالفة من ادعى انه يحبه وهو مخالف للسنة بالأمر اليسير وانما هو في أسس العقيدة الإسلامية وهو في الذين يقولون ما لا يفعلون ، فينطبق عليه النفاق لانه كذاب ، وكذلك قوله يخالف عمله . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ..)[١٠٤].

وكان يقال : ‹ أس النفاق الذي يبنى عليه النفاق .. الكذب .. ›[١٠٥]

عن الحسن قال : ‹ كان يقال : النفاق اختلاف السر والعلانية ، والقول والعمل ، والمدخل والمخرج ›[١٠٦] .

٢ - طاعة الله ورسوله طريق السعادة والرحمة :

أ - قال الله تعالى : « وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون »[١٠٧]

ب - وقال الله تعالى : « ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما »[١٠٨]

ج - وقال الله تعالى : « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون »[١٠٩] .

في هذه الآيات الكريمة فيها الدلالة على اقتران الأمر بطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالأمر بطاعة الله[١١٠] .

وكذلك في هذه الآيات اثبات وجوب طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذا الوجه وهو مطلق الاشتراك في الطاعة ،
المستفاد من العطف ، غير ان الله تبارك وتعالى أكد لنا عموم طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الآيات التي كرر فيها العامل « أطيعوا » .

---

١٠٣ رواه الترمذي في كتاب صفة يوم القيامة ، ج٤ ص٦٦٧ رقم٢٥١٦

١٠٤ صحيح مسلم ، ج ١ ص ٧٨ باب بيان خصال المنافق رقم ٥٩ .
صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢١ رقم ٣٣

١٠٥ صفة النفاق وذم المنافقين ، ص ٢٢

١٠٦ المصدر السابق .

١٠٧ آل عمران : ١٣٢

١٠٨ الأحزاب : ٧١

١٠٩ النور : ٥٢

١١٠ السنة ، عباس حمادة ، ص ٥٣

... إن تكرار العامل وهو أطيعوا يدل على تأكيد عموم طاعته في جميع ما يصدر عنه[111] .

ولقد ذكر في مختصر تفسير ابن كثير ما يراد بطاعة الله ورسوله ، فقال :

« ومن يطع الله ورسوله » قال قتادة : فيما أمراه به وترك ما نهياه عنه ، « ويخش الله » - في القسم الثالث جـ - فيما مضى من ذنوبه « ويتقه » فيما يستقبل ، وقوله « فأولئك هم الفائزون » يعني الذين فازوا بكل خير وأمنوا في كل شر في الدنيا والآخرة[112] .

في هذه الآية الكريمة عرض القرآن الكريم الاحكام بأساليب جزلة متنوعة مغرية ، ولكنها ثمار أغصان باسقة ، تحتاج الى بذل الجهد والعمل . حيث جعل في الآية الأولى - أ -وجوب الطاعة ثمرتها الرحمة ، وجعل في الآية الثانية - ب -والثالثة - جـ - الفوز والسعادة وهو جواب الشرط لا يتحقق الا بوجود فعل الشرط وهما طاعة الله وطاعة الرسول .

وعلى أساس هذه القواعد يرجع المرء خائباً حسيراً ، مهما بذل من جهد ما لم يدخل البيوت من أبوابها ، وهي : طاعة الله وطاعة رسوله ، قولا وعملا .

٣ - طاعة الله ورسوله سبيل الي دخول الجنة :

قال الله تعالى : « تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم »[113] .

١) في هذه الآية الكريمة اسند الحكم للشريعة الاسلامية حتى لا يقع الظلم بين الورثة .

فقد ذكر في مختصر ابن كثير عن معنى « تلك حدود الله .. » ‹ أي هذه الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة بحسب قربهم من الميت واحتياجهم اليه وفقدهم له عند عدمه ›[114] .

٢) يجب على الورثة أن يذعنوا لحكم الله ورسوله في القسمة ولهذا قال : « ومن يطع الله ورسوله » ‹ أي فيها فلم يزد بعض الورثة ، ولم

---

١١١ المصدر السابق ، ص ٥٧

١١٢ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٦١٤

١١٣ النساء : ١٣

١١٤ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٣٦٥

ينقص بعضهم بحيلة ووسيلة بل تركهم على حكم الله وفريضته ›[115] .

٣) فتكون النتيجة « يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم »

فقد قال صاحب كتاب دعوة الرسل : ‹ وعد من يطيع الله ورسوله بوقوفه عند هذه الحدود التي رسمها القرآن الكريم بجنات تجري من تحتها الأنهار ›[116] .

٤) وان مخالفة الشريعة متجاوز الحدود أي عدم طاعة الله ورسوله في هذه المواريث يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين .

فقد ذكر في مختصر تفسير ابن كثير عن هذه المسألة ، فقال : ‹ أي لكونه غيَّرَ ما حكم الله به وضاد الله في حكمه ، وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بماقسم الله وحكم به ، ولهذا يجازيه بالاهانة في العذاب الاليم المقيم›[117] .

٥) ان مخالفة هذا الأمر بعدم الطاعة لله ورسوله يحبط العمل الصالح ويذوق صاحبه العذاب .

قال ابو داود في باب الاضرار في الوصية عن شهر بن حوشب أن أبا هريرة حدثه ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضران في الوصية فتجب لهما النار)[118] .

٦) الحقوق التي ذكرت في الآية الكريمة في التوريث يأخذها أصحابها اذا لم يكن مانع يحول بينه وبين حقه وهذه الموانع خصت بالسنة النبوية ولا يمكن معرفتها إلا بالأخذ بسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - . . وورد ذلك في تفسير الجلالين قوله : ‹ وخصت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رق ›[119] .

بعد كل هذه التحليلات والاستنتاجات واستنادا الى أقوال العلماء والمفسرين يتبين لنا ان السنة حجة يجب اتباعها لانه يثاب بجنات في الطاعة ويعاقب بخلود النار في المعصية[120] .

---

١١٥ المصدر السابق

١١٦ كتاب : دعوة الرسل ، ص ٥١٧

١١٧ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٣٦٦

١١٨ سنن ابي داود ، ج ٣ ص ١١٣

١١٩ تفسير الجلالين ، ص ٦٦

١٢٠ الواجب شرعا : هو ما طالب الشارع فعله على وجه اللزوم ، يذم تاركه ، ومع الذم العقاب ، ويمدح فاعله ، ومع المدح الثواب ‹ الوجيز في أصول الفقه ، ص ٢٤ › .

٤ - طاعة الله ورسوله ترفع درجة المسلم في الجنة :

قال الله تعالى : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا »[١٢١] .

١) في الآية الكريمة يخاطب الله سبحانه وتعالي عباده باسلوب الترغيب والتشويق ، واحيطت الآية بأنوار الترغيب ، ووضعت المراتب العالية ، لاثارة كوامن النفوس للتطلع الى المستقبل الزاهر والمجد في دار الخلود مع النبيين والصديقين والشهداء .

٢) ان المخالفة للطاعة تكون هَوُتها سحيقة في الهوان والعذاب ، وان لم تذكر في الآية ، فقد ذكرت في آيات أخرى كثيرة ، وبأساليب متنوعة ، وأن القرآن الكريم لا يناقض بعضه بعضاً .

وأما تفسير هذه الآية في مختصر تفسير ابن كثير هي :

« ومن يطع ...إلخ » ‹ أي من عمل بما أمره الله به ورسوله وترك ما نهاه الله عنه ورسوله ، فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته ، ويجعله مرافقاً للأنبياء ثم لمن بعدهم في المرتبة ، وهم الصالحون .. ›

فطلب الطاعة مع الثواب يكون شرعا ويكون حجة على جميع المسلمين .

٥ - الهداية مرتبطة بالطاعة :

قال الله تعالى : « قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فإن تولوا فإنما عليه ما حُمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا ، وما على الرسول الا البلاغ المبين »[١٢٢] .

١) في الآية الكريمة طلب الأمر مع الالزام والشدة بطاعة الله وطاعة الرسول .

٢) مخالفة الأمر بعدم الطاعة بعد التبليغ لا عذر بقبل لصاحبها وانما يعرض المخالف نفسه لسخط الله وغضبه وعذابه ، ويفهم من قوله « فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم » .

٣) ان طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - تؤدي الى الاستقامة والنجاح ، وذلك في قوله تعالى ك « وان تطيعوه تهتدوا » .

ولقد بين المفسرون مقاصد هذه الآية الكريمة ومعانيها بايجاز تلتقي

---

١٢١ النساء : ٦٩

١٢٢ النور : ٥٤

معانيهم في أصل واحد وهو وجوب طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - « قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة على تبكيتهم[١٢٣] .

وقيل : ‹ أي اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله ›[١٢٤] .

« فإن تولوا ، فإنما عليه » أي على محمد - صلى الله عليه وسلم[١٢٥] - « ما حمل » من التبليغ ، « وعليكم ما حملتم » من الامتثال . « وان تطيعوه » في حكمه ، « تهتدوا » الى الحق « وما على الرسول الا البلاغ المبين » التبليغ الموضح لما كلفتم به ، وقد أدى وإنما بقى ما حملتم فإن اديتم فلكم وان توليتم فعليكم[١٢٦] .

علاوة على ما ذكرنا من الأسباب التي توجب طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فتوجد دلالات أخرى ، فهذه الآية جمع الله فيها وجهين من وجوه الدلالة على وجوب طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والانقياد له :

أ - اقتران الأمر بطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع الأمر بطاعة الله تعالي ، والتشريك بواو العطف مع تكرار الأمر وهو أطيعوا ، الذي يشعر بأنها طاعة عامة[١٢٧] .

ب - الأمر بطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، واستفيد الأمر من أسلوب الشرط ، « وإن تطيعوه تهتدوا »[١٢٨] .

٦ - طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - واجبة بعد سماع التبليغ :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين أمنوا اطيعوا الله ورسوله ، ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون »[١٢٩] .

فقوله تعالى : « يا أيها الذين أمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه » أي ولا تتولوا عن الرسول ، فإن المراد في الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه[١٣٠] .

---

١٢٣ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ٨٥

١٢٤ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٦١٤

١٢٥ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ٨٥

١٢٦ المصدر السابق .

١٢٧ السنة ، حماده ، ص ٧٣ ، ٧٤

١٢٨ المصدر السابق .

١٢٩ الأنفال : ٢٠

١٣٠ تفسير البيضاوي ، ج ٣ ص ٤٥

وقيل فيها : يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به ، المعاندين له ، ولهذا قال : « ولا تولوا عنه » أي تتركوا طاعته وامتثال اوامره وترك زواجره[١٣١] .

وقيل « ولا تولوا عنه » : لا تدبروا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مخالفين أمره ، ونهيه[١٣٢] .

« وانتم تسمعون » أي بعد ما علمتم ما دعاكم اليه[١٣٣] .

وقيل : القرآن والمواعظ [١٣٤] .

وقيل : أي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفر[١٣٥]

بعد هذه النظرة الخاطفة والمرور السريع في رياض القرآن وتتبع آراء الأصوليين وعلماء الاسلام ، وما تحتمله اللغة العربية بدون تعسف ولا تكلف ، نخرج بالنتيجة التالية:

١) ان طاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – واجبة ، وذلك أن الأمر يفيد الوجوب ، ما لم تكن قرينة تصرفه عن ذلك ، والأمر هو اطيعوا[١٣٦] .

٢) توبيخ وتبكيت من يخالف اوامر الرسول – صلى الله عليه وسلم – وذلك بقوله « وانتم تسمعون » .

٣) التأكيد الشديد بالطاعة وعدم المخالفة وذلك بوجوب النهي عن مخالفته وهي صيغة « ولا تولوا عنه ... » حيث أن « لا »أداة نهي ، « تولو » منهي عنه .

وقيل : النهي في اللغة : المنع ، وسمي العقل نهية لأنه ينهى صاحبه من الوقوع فيما يخالف الحق والصواب .

وفي الاصطلاح : طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء ، بالصيغة الدالة عليه . ومن صيغ النهي ، الصيغة المشهورة :

‹ لا تفعل ... إلخ ›[١٣٧] .

وذهب معظم الاصوليين الي ان النهي ، في اصله ، يفيد القدر

---

١٣١ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٩٤

١٣٢ مختصر تفسير الطبري ، ج ١ ص ٢٣٠

١٣٣ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٩٤

١٣٤ تفسير البيضاوي ، ج ٣ ص ٤٥

١٣٥ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج ٢ ص ١٨١

١٣٦ الايجاب : هو طلب الشارع فعله على وجه الزوم ، بحيث يذم تاركه ، مع الذم العقاب ، ويمدح فاعله ، ومع المدح الثواب .. ‹ الوجيز ، ص ٢٣ › .

١٣٧ الوجيز ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢

والتكرار ، - تكرار الكف - واستدامته في جميع الأزمنة ، كما يقتضي ترك الفعل فورا أي في الحال[١٣٨] .

بعد ذكر هذه الحصون المانعة ، والأسيجة المتينة التي لم تدع لأصحاب النفوس الضعيفة أي تسلل ، فلا بد من الخضوع لحجية السنة المطهرة .

٧ - حياة القلوب بالطاعة والامتثال لله ورسوله :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنكم اليه تحشرون »[١٣٩] .

عند مناقشة الآية الكريمة مع الاستدلال بأراء المفسرين والعلماء والمحدثين نخرج بالنقاط التالية :

١) وجوب طاعة الله ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم ، وذلك من قوله تعالى : « ... استجيبوا لله وللرسول ... »

وقيل المراد < بالاستجابة > : الطاعة والامتثال[١٤٠] .

قال البخاري : « استجيبوا » : أي اجيبوا[١٤١] .

٢) ان طاعة الرسول هي طاعة لله ، لأن دعوة الله تسمع من الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ويُعرف ذلك من توحيد الضمير في قوله تعالى « دعاكم » .

٣) ان اتباع الاسلام وذلك بطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - هي حياة للمسلم ، لأن الايمان نور وسعادة ، واعتماد على قوي عزيز بيده كل شيء .

وقالوا في قوله تعالى : « لما يحييكم » في العلوم الدينية فإنها حياة القلب[١٤٢] .

وقال مجاهد : « لما يحييكم » قال : للحق[١٤٣] .

وقال قتادة : هو هذا القرآن فيه النجاة والبقاء والحياة[١٤٤] .

---

١٣٨ المصدر السابق .

١٣٩ الأنفال : ٢٤

١٤٠ تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ص ١٨١

١٤١ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٩٥

١٤٢ تفسير البيضاوي ، ج ٣ ص ٤٦

١٤٣ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٩٥

١٤٤ المصدر السابق .

وقال السدي : « لما يحييكم » : في الاسلام احياؤهم بعد موتهم بالكفر[١٤٥] .

٤) ترك طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - معناه تخلي العون الرباني عن العبد واتكال المرء على نفسه وهو اعتماد على ضعف وجهل لا بل ان بعد الله تعالي عن العبد هو حرمانه من كل خير واكبر نعمة يحرم منها العبد عند تخلي الرب عنه هي نعمة الايمان .

ومما قال أصحاب التفسير في ذلك :

قيل في قوله تعالى : « واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه » : تمثيل لغاية قربه من العبد[١٤٦] كقوله تعالى : « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد »

وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها ، أو حث على المبادرة الي اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أو غيره[١٤٧] .

وقال ابن عباس في قوله تعالى : « واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه » : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الايمان[١٤٨] .

وقال السدي : لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا باذنه[١٤٩] .

وقد وردت الأحاديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم بما يناسب هذه الآية .. قال الامام احمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي - صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول : (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)[١٥٠] .

وقيل في قوله تعالى : « يحول بين المرء وقلبه » بين المؤمن ان يكفر ، وبين الكافر أن يؤمن إلا بإذنه . وقيل : بين المرء وعقله ، فلا يعرف ما يعمل ، ثم قال الطبري : ‹ غير انه ينبغي ان يقال : ان الله عمَّ بقوله : الخبر عن انه يحول بين العبد وقلبه ولم يخص في المعاني التي ذكرنا شيئا[١٥١] .

فهذه الآية الكريمة من بعد ما تبين فيها من الأحكام توجب حجية

---

١٤٥ المصدر السابق .

١٤٦ تفسير البيضاوي ، ج ٣ ص ٤٦

١٤٧ المصدر السابق .

١٤٨ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٩٥

١٤٩ المصدر السابق .

١٥٠ رواه الترمذي في كتاب الدعوات ، ج ٥ ص ٥٣٨ رقم ٣٥٢٢

١٥١ تفسير مختصر الطبري ، ج ١ ص ٢٣١

السنة لما تحمل من الامر بالطاعة وثمرتها ، وبيان خطر تركها .

٨ - طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - دليل على طاعة الله وعصيانه عصيان لله :

قال الله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا »[١٥٢] .

١) في هذه الآية الكريمة حجية السنة واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار حيث ان الله سبحانه وتعالى سد جميع الطرق والابواب للوصول الى الشريعة الاسلامية الا عن طريق طاعة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وأن أي عمل صالح عن غير طريقه لا يقبل .

٢) ان الشخص الذي يشذ عن هذا الطريق فلا يلوم الا نفسه ويفهم من قوله تعالى : « ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » .

٣) هذه المفاهيم التي ذكرتها في الفقرتين الأولى والثانية تتوج بتأكيد قوي من ناحية اللغة حيث أن (طاعة الله) جاءت جواب شرط ، وان هذه الجواب لا يمكن تحقيقه الا اذا تحقق فعل الشرط وهو طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

ومما جاء في تفسير هذه الآية الكريمة مما يقارب المبنى مما ذكرنا فقيل في قوله تعالى : « من يطع ... » يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - بأن من أطاعه فقد اطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله ، وما ذاك الا لأنه « ما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحى »[١٥٣] .

ومجمل القول أن حجية السنة واضحة وقوية في هذه الآية الكريمة.

٩ - دليل الايمان بالله واليوم الآخر رد التنازع الى الله ورسوله :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا »[١٥٤] .

في هذه الآية الكريمة يمكن استنباط الاحكام التالية :

١) يأمر الله سبحانه وتعالى طاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر من المسلمين .. قيل في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ...

---

١٥٢ النساء : ٨٠

١٥٣ النجم : ٣ . ٤

١٥٤ النساء : ٥٩

إلخ » أي اطيعوا الله فيما جاء في القرآن صريحا وأطيعوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما جاء في الحديث صريحا[١٥٥] .

٢) أمر الله سبحانه وتعالى برد التنازع الى الله ورسوله وهو جزء من الطاعة وتكون ضمن الفقرة رقم (١) والله أعلم ان تكرار ذلك للتذكير ولأهمية الحكم ، ولبح جماح النفس التي تحب أن تعيش في نزوات هواها في كثير من التنازع .. ولقد ذكر العلماء معاني (التنازع) في الآية الكريمة :

فقيل « فان تنازعتم » أمروا برد ما يختلفون فيه من أمور الدين الى كتاب الله تعالى ، والى الرسول - صلى الله عليه وسلم في حياته وسنته من بعده ، لينزلوا على حكمها[١٥٦] .

وقال مجاهد في قوله تعالى : « فإن تنازعتم في شيء ... » أي الى كتاب الله وسنة رسوله . وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه ، ان يرد التنازع في ذلك الى الكتاب والسنة[١٥٧] .

٣) أن من لم يتحاكم في النزاع الى الكتاب والسنة ويرضى بحكمهما فليس بمؤمن بالله واليوم الآخر .

فقد قيل في تفسير ابن كثير : ‹ ان من لم يتحاكم في محل النزاع الى الكتاب والسنة ولا يرجع اليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر ›[١٥٨] .

في هذه الآية الكريمة يتبين لنا من استنباطات الاحكام التي فيها من لم يتحاكم في النزاع الى الله ورسوله فإنه يخرج من الملة الاسلامية ويكفر لان عدم رضاه بذلك هو عدم ايمانه بالله واليوم الآخر .

والايمان بالله واليوم الآخر من روح العقيدة الاسلامية ويكفر من لم يؤمن بهما .

ولقد ورد الحديث الشريف بذلك عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم ، إذ طلع[١٥٩] علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبي - صلى

---

١٥٥ المصحف الميسر ، ص ١١٠

١٥٦ صفوة البيان لمعاني القرآن ، ص ٦٥

١٥٧ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤٠٨

١٥٨ المصدر السابق .

١٥٩ ‹ إذ طلع › إذ : حرف مفاجأة ، أي خرج علينا الرجل فجأة ‹ هامش كتاب الأربعين النووية ، ص ٢٠ ›

الله عليه وسلم - فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه الى فخذيه ووقال : يا محمد ، أخبرني عن الايمان ، فقال : (أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ...)[١٦٠] الى اخر الحديث .

فالسنة النبوية حجة على كل مسلم بالالتزام بها ووضوح الادلة ظاهرة لكل انسان .

١٠ - علامة النفاق الاعراض عن الكتاب والسنة :

قال الله تعالى : « واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ، رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا »[١٦١] .

فالآية واضحة البيان وقد ذكر في مختصر ابن كثير فقال : < فإنها [أي الآية] لمن عدل عن الكتاب والسنة ، وتحاكموا الى ما سواهما من الباطل .. « ويصدون عنك صدودا » أي يعرضوا عنك اعراضا كالمستكبرين عن ذلك >[١٦٢] .

وهذا الحكم في الآية دليل على حجية السنـــة .

١١ - الرضا بحكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دليل الايمان :

قال الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »[١٦٣] .

في هذه الآية الكريمـــة :

١) أقسم الله سبحانه بذاته العلية والقسم بذاته له شأن عظيم ومنزلة لا تدانيها منزلة وقسمه جل حلاله انه ينفي الايمان على من لم يحكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جميع شئون حياته .
٢) ان التحكيم وحده لا يكفي لاثبات الايمان ما لم ينتفي الحرج .
٣) ولم يثبت الايمان بالاتيان بالفقرتين السابقتين ما لم يقبل الحكم بالرضى والتسليم .

يقول صاحب صفوة البيان في قوله تعالى : « ويسلموا تسليما » ينقادوا لقضائك انقياد لا شائبة فيه بظاهرهم وباطنهم ، وهذا الحكم باق الى يوم القيامة ، وليس مخصوص بمن كان في عهده - صلى الله عليه

---

١٦٠ رواه مسلم في كتاب الايمان ، باب : بيان الايمان والاسلام ، ج ١ ص ٣٦ رقم ١

١٦١ النساء : ٦١

١٦٢ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤٠٩

١٦٣ النساء : ٦٥

وسلم -[١٦٤] .

وقيل في قوله تعالى : « ويسلموا تسليما » إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم ، فلا يجدون حرجا مما حكمت به ، وينقادوا له في الظاهر والباطن[١٦٥] .

كما ورد في الحديث : (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) .

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : < اقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسما مؤكدا بالنفي قبله على عدم ايمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم في الأصول والفروع واحكام الشرع .. ولم يثبت لهم الايمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينفي عنهم الحرة ، وهو ضيق الصدر ، وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح وتنفسح له كل الانفساح ، وتقبله كل القبول ، ولم يثبت له الايمان بذلك ايضا حتى ينضاف مقابلة حكمه بالرضا والتسليم ، وعدم المنازعة ... >[١٦٦] .

بعد عرض هذه الأحكام في الآية الكريمة يتبين وجوب تحكيم الرسول - صلى الله عليه وسلم - في جميع نواحي الحياة - أي شمول السنة - ومن لم يقبل بذلك فإنه لا حظ له في الاسلام وهو انتفاء الايمان عنه .

١٢ - الكمال واليسر والفلاح في اتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

قال الله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ، الدين آمنوا به ، وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون »[١٦٧] .

المعني الاجمالي للآيتين الكريميتن :

« الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل » وهذه صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - في كتب الانبياء ، بشروا أممهم ببعثته وامروهم بمتابعته[١٦٨] ...

وقوله تعالى : « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » هذه صفة

---

١٦٤ صفوة البيان ، ص ١٢١

١٦٥ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤١٠

١٦٦ التبيان في اقسام القرآن ، ابن قيم الجوزية ، ص ٤٣٠

١٦٧ الاعراف : ١٧٥

١٦٨ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ص٥٦

الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الكتب ، وهكذا كانت حاله - عليه الصلاة والسلام - لا يأمر الا بخير ولا ينهى الا عن شر[١٦٩] .

وقوله : « يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث »

قال بعض العلماء : ‹ فكل ما أحل الله تعالى من المأكل فهو طيب ونافع في البدن والدين ، وكل ما حرمه فهو خبيث ضار في البدن والدين ›[١٧٠] .

وقوله : « ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم »

: ‹ أي انه جاء بالتيسير والسماحة ›[١٧١] كما ورد في الحديث : (بعثت بالحنيفية السمحة) .

وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : (إن الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به ، إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلم به) .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) .

* عند التعليق على ما ذكرنا من آراء العلماء والأحاديث ، وما في النص القرآني الكريم وضوح .. **نستنبط الأحكام التالية :**

ان النص القرآني بأجمعه جاء ليثبت معجزة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وان كل ما ينطق به هو من عند الله وهو واجب الاتباع والسنة النبوية حجة على جميع المسلمين :

١) ذكر لفظه « النبي الأمي » وهذه من الدلالات على معجزة الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث ان الأمي لا يستطيع ان يطلع على العلوم والأخبار .

٢) إن الكتب السماوية السابقة اخبرت عن بعثته - قبل أن يبعث - وهذا غيب من عند الله . قال الله تعالى : « قل ما كنت بدعا من الرسل ... »[١٧٢] .

٣) أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاجان الى معرفة علم الأخلاق وعلم الاجتماع وهو أمي - عليه الصلاة والسلام - فكيف يستطيع ان

---

١٦٩ المصدر السابق .

١٧٠ المصدر السابق .

١٧١ المصدر السابق .

١٧٢ الأحقاف : ٩

يعرف هذه العلوم ما لم يكن علمه من عند الله « علمه شديد القوى .. »[١٧٣]

٤) ووضع الاصر والاغلال والاتيان بالتيسير والسماحة يحتاج كذلك الى علم النفس ومعرفة صبائعها وبلاتها وهذا علم صعب لا يستطيع ان يطلع عليه أمي عاش في الجزيرة العربية بين مكة والمدينة اكثر حياته .

٥) واحلال الطيبات وتحريم الخبائث يحتاجان الي علم الطب البدني وعلم الطب النفسي ، وكل علم منهما يأخذ العمر كله ولا يستطيع ان يتقنه . فكيف بالأمي ؟ .

هذه الحجج الساطعة والدرر اللامعة في هاتين الآيتين لو وزعت في سماء الدنيا لأنارت الأرض جميعا ولسجد الناس شكرا لله وأقر العالم تعاليمه وحجية سنته .. قال الله تعالى : « هو الذي ارسل رسوله .. »[١٧٤] .

١٣ – العقاب لمن خالف طاعة الله ورسوله :

قال الله تعالى : « ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب »[١٧٥] .

في الآية القرآنية الكريمة حكمان :

١) مخالفة الله ورسوله لات تجوز لأن شق الشيء الواحد الى قسمين .. فقالوا في قوله تعالي : « شاقوا الله ورسوله » : ‹ خالفوا أمرهما ، والمشاقة : المخالفة ، وأصلها المجانبة ، لأنهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم ›[١٧٦] .

وقيل في قوله تعالى : « ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله » ‹ أي خالفوهما ، فساروا في شق ، وتركوا الشرع والايمان به واتباعه في شق ›[١٧٧] .

٢) أن هذه المخالفة تترتب عليها عقوبة شديدة ، لأنها خروج على شرع الله ..

قالوا في قوله تعالى : « ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب » : ‹ أي هو الطالب الغالب لمن خالفه وناوأه ، لا يفوته شيء ، ولا

---

١٧٣ النجم : ٥

١٧٤ التوبة : ٣٣

١٧٥ الأنفال : ١٣

١٧٦ صفوة التفاسير لمعاني القرآن ، ص ٢٣٥

١٧٧ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٩١

يقوم لغضبه شيء تبارك وتعالى ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ›[١٧٨] .
نستنبط من الحكمين حجية السنة لأنه حكم شرعي فيه مخالفة لأمر الله ورسوله مع ترتيب العقوبة الشديدة على المخالفة[١٧٩] .

١٤ - مخالفة أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - فتنة وعذاب :

قال الله تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »[١٨٠] .

في هذه الآية الكريمة يشاهد المتمعن فيها يجد انها تحمل بين طيات بلاغتها الأحكام الآتية :

١) لا تجوز معاملة الرسول - صلى الله عليه وسلم - كمعاملة بعضنا بعضا ، وانما يجب ان نكن له الاحترام والتعظيم في كل تصرفاتنا معه ..
قالوا في قوله تعالي : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » : ‹ لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواد الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير إذن ، فإن المبادرة لاجابته - عليه السلام - والمراجعة بغير اذنه محرمة ›[١٨١] .
وقال قتادة : ‹ أمر الله ان يهاب نبيه - صلى الله عليه وسلم . وأن يبحل ، وأن يعظم ، وأن يسود ›[١٨٢] .
وقال مقاتل في قوله تعالي : « لا تجعلوا دعاء الرسول ... » ، يقول : ‹ لا تسموه اذا دعوتموه يا محمد ، ولا تقولوا يا ابن عبدالله ، ولكن شرفوه فقولوا : يا نبي الله ، يا رسول الله ، وهكذا ›[١٨٣] .
٢) ان الذي يخالف أمر رسول الله ومنهجه يعرض نفسه لغضب الله وسخطه ، فينزل الله به البلاء والعذاب الشديد .

---

١٧٨ المصدر السابق .

١٧٩ المجرم : هو ما طلب الشارع الكف عن فعله حتما ، بان تكون صيغة طلب الكف نفسها دالة انه حتم ‹ علم اصول الفقه ، عبدالله خلاف › .

١٨٠ النور : ٦٣

١٨١ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ٨٨

١٨٢ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٦٢١

١٨٣ المصدر السابق .

قالوا في قوله تعالى : « أن تصيبهم فتنة » : ‹ محنة في الدنيا أو يصبهم عذاب أليم في الآخرة ›[١٨٤] .
واستدل أن الأمر للوجـــــــوب .

١٥ - اللعنة والعذاب تقع على من يخالف أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

قـال الله تعـالى : « ان الذين يؤذون الله ورسـوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ، وأعد لهم عذابا مهينا »[١٨٥] .

١) الآية الكريمة يشعر المرء ان الشرر يتطاير منها من شدة الغضب على من يؤذي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مخالفة أمره أو ايذاء رسول الله بلفظة نابية ، والعياذ بالله من ذلك .

٢) ان اللعنة والعذاب الشديد يصيب من قام بذلك الأذى .

وقال ابن عباس في قوله تعالى : « إن الذين يؤذون الله ورسوله » : ‹ نزلت في الذين طعنوا على النبي - صلى الله عليـــه وسلم - في تزويجه صفية بنت حيي بن أخطب ، والظاهر ان الآية عامر في كل من أذاه بشيء ، أذى الله ، كما أن من أطاعه فقد أطاع الله ›[١٨٦] .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فبغضبي أبغضهم ، ومن أذاهم فقد أذاني ، ومن أذاني فقد أذى الله ، يوشك أن يأخذه)[١٨٧] .

ومـا نزول اللعنة والغضب والعذاب الشديد الا ان الامر يفيد الوجوب .

١٦ - مخالفة أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - ضلال وعذاب :

قال الله تعالي : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »[١٨٨]

استخدم القرآن الكريم اسلوب الوعد والوعيد والعذاب الشديد لمن خالف أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم . في هذه الآية الكريمة :

---

١٨٤ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ٨٨

١٨٥ الأحزاب : ٥٧

١٨٦ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١١٤

١٨٧ اخرجه احمد والترمذي . .

١٨٨ النساء : ١١٥

الوعيد الأول : ان يرفع عنه العون ويكله على نفسه ، فيتكل المرء على ضعف وهوان ، ويجعله فريسة للشيطان .

الوعيد الثاني : يدخله العذاب الشديد في نار جهنم ، وهو دليل على تمرده على أحكام الشريعة .

وقالوا في قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى » : < أي من سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، فصار في شق ، والشرع في شق ، وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين >[١٨٩] .

« ويتبع غير سبيل المؤمنين » هذا ملازم للصفة الأولى ، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية ، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقا ، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفا لهم وتعظيما لنبيهم[١٩٠] .

وقوله تعالى : « نوله ما تولى » نخل بينه وبين ما اختار ، لنفسه من الضلال في الدنيا . « ونصله جهنم » ندخله فيها في النار ، في الآخرة[١٩١] .

وقيل كذلك في قوله تعالى : « نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » : < أي إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجا له >[١٩٢] .

كما قال تعالى : « فذرني ومن يكذب بهذا الحديث ، سنستدرجهم من حيث لا يعلمون »[١٩٣] .

وقوله تعالى : « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » .

وقوله : « ونذرهم في طغيانهم يعمهون » .

فهذه الطامة الكبرى التي تحيط بمن يخالف أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – دليل على حجية السنة .

---

١٨٩ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤٣٧

١٩٠ المصدر السابق .

١٩١ صفوة البيان لمعاني القرآن ، ص ١٣١

١٩٢ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤٣٧

١٩٣ ن : ٤٤

١٧ - عدم طاعة الله ورسوله دليل الكفر :

قال الله تعالى : « قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين »[١٩٤] .

١) لقد صرح سبحانه وتعالي في هذه الآية الكريمة بكفر من لم يتبع أمر الله ورسوله .

٢) نفي المحبة من الكافرين ، وهو معناه نفي كل خير عنهم ، وتهديد قلقه ورعيه لا ينقطع .

٣) ان الحكم عام لكل من يسلك هذا المسلك يكون مصيره هذا المصير .

٤) قطع الإدعاء بالقول الذي لم يستند قواعده على العمل .

هذه التعليقات التي استنبطناها من الآية الكريمة تجدها بين ثنايا أقوال المفسرين ..

فقد قيل في قوله تعالى : « قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا » يحتمل المضي والمضارعة بمعنى : فإن تتلوا[١٩٥] .

وقوله تعالى : « فإن الله لا يحب الكافرين » : ‹ لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم ، وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على أن التولي كفر ، وانه في هذه الحيثية ينفي محبة الله ، وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ›[١٩٦] .

وقالوا في قوله تعالى : « فإن الله لا يحب الكافرين » فدل على ان مخالفته في الطريقة كفر ، والله لا يحب من اتصف بذلك ، وان ادعى وزعم في نفسه انه محب لله ويتقرب اليه ، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ، ورسول الله الى جميع الثقلين ، الجن والإنس ، الذي لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولو العزم منهم في زمانه ما وسعهم الا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته[١٩٧] .

---

١٩٤ آل عمران : ٣٢

١٩٥ ذكر الزجاج في اعتراب القرآن باب ما جاء في التنزيل في حذف احدى التاءين في أول المضارع ، فمن ذلك قوله تعالى : « ولا تولوا » في الاعراف وطه والشعراء ، « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » في الأنفال : ٢٠ اعراب القرآن ، للزجاج ، ج ٣ ص ٨٤٩ - ٨٥٠ ، « وقل هل تربصون (٠ » في التوبة : ٥٢ ، « فان تولوا فقد ٠٠» هود : ٥٧

١٩٦ تفسير البيضاوي ، ج ٢ ص ١٣ ، ١٤

١٩٧ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٢٧٧

١٨ - الايمان المقبول ايمان بالله ورسوله والتفريق بينهما كفر:

قال الله تعالى : « ومن لم يؤمن بالله ورسوله ، فإنا اعتدنا للكافرين سعيرا »[١٩٨] .

في هذه الآية : لا يسمح رب العزة لأي فرد ان الايمان بالله دون الايمان برسوله - صلى الله عليه وسلم - واعتبر ذلك كفر.

فمعنى قوله تعالى : « ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا اعتدنا للكافرين سعيرا » : ‹ وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بأن من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره ›[١٩٩] .

١٩ - القيادة والسيادة في جميع الأحكام لله ولرسوله :

قال الله تعالي : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، واتقوا الله ، ان الله سميع عليم »[٢٠٠] .

في هذه الآية الكريمة يذكر الله سبحانه وتعالي عباده طريقة الأدب مع رسول الله - صلى الله عليهي وسلم - في الحكم ، وطريقة التحاكم في كل شئون الحياة ، يجب ان تنضبط وتوزن بميزان الشريعة الاسلامية . فأهداف هذه الآية هي :

١) لا يجوز التحاكم في أي أمر الا ان يكون الحكم لله ولرسوله ، وقد اتي المنع بصيغة النهي وهو يفيد الوجوب[٢٠١] .

ومعنى « لا تقدموا بين يدي الله ورسوله » : ‹ لا تقطعوا أمر وتجترئوا على ارتكابه قبل ان يحكم الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ويأذن فيه . وهو ارشاد عام في كل شيء ›[٢٠٢] .

وحذف مفعوله - [أي مفعول تقدموا] - قصدا الى التعميم .

وقالوا في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا » : ‹ أي لا تقدموا أمرا ، فحذف المفعول ليذهب الوهم الي كل ما يملي ›[٢٠٣] .

---

١٩٨ الفتح : ١٣

١٩٩ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج ٥ ص ٥٢ . تفسير البيضاوي ، ج ٥ ص ٨٢

٢٠٠ الحجرات : ١

٢٠١ ذهب معظم الأصوليين الى النهي في اصله ، يفيد التكرار ، تكرار الكف ، واستدامته في جميع الأزمنة ‹ الوجيز في أصول الفقه ، ص ٢٨٢ ›

٢٠٢ صفوة البيان لمعاني القرآن ، ص٦٥٦ . المصحف الميسر ، ص ٦٨٤

٢٠٣ تفسير البيضاوي ، ج ٥ ص ٨٦

٢) التحذير من المخالفة والاقدام على حكم لم يكن فيه التحكيم لله ورسوله ، وذلك في قوله تعالى : « واتقوا الله ».

٣) ان الله مطلع وسيحصي كل شيء وهو زيادة التأكيد في التحذير والله أعلم ..

قالوا في معنى : « واتقوا الله » في التقديم أو مخالفة الحكم .
« إن الله سميع » لأقوالكم . « عليم » بأفعالكم[٢٠٤] .
فالأمر واضح على حجية السنة في هذه الآيـــة .

٢٠ - الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - مبشر ونذير وسراج منير :

قال الله تعالى : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا »[٢٠٥] .

في الآيتين الكريمتين حجج دونها السبل أمام المرء المسلم ما لم يجعل تعاليم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهاج حياة وزاد للآخرة .. وذلك من وجوه :

١) ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - شاهدا على أمته بتصديقهم وتكذيبهم ..

قال العلماء في معنى قوله تعالى : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا » : ‹ على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ›[٢٠٦] .

وعن ابن عباس قال : ‹ لما نزلت « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » وقد أمر عليا ومعاذا - رضي الله عنهما - ان يسيرا الى اليمن ، فقال : (انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، انه قد أنزل عليّ : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » .. ›[٢٠٧] .

٢) ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الذي يبشر المؤمنين بجزيل الثواب ، وينذر الكافرين بشدة العقاب ، « وما على الرسول إلا البلاغ المبين »[٢٠٨] الى الاقرار بتوحيده ، وما يجب الايمان به من صفاته[٢٠٩] .

---

٢٠٤ المصدر السابق .

٢٠٥ الأحزاب : ٤٥ - ٤٦

٢٠٦ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ١٦٥

٢٠٧ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١٠٣

٢٠٨ النور : ٥٤

٢٠٩ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ١٦٥

٣) ان مسألة الهداية لا تتأتى الا بتوفيق الله وتيسيره ، فالهداية والضلال بإذنه ، والله سبحانه وتعالى يقول : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

فقوله عز وجل : « بإذنه » بتيسيره ، واطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بأنه أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جناب قدسه[٢١٠] .

٤) أن التعاليم التي جاء بها الرسول . صلى الله عليه وسلم - هي من عند الله وكلها حق وبلسما شافيا للنفوس ، وفيها الحجج القانعة والبيان السهل والوضوح ..

قال العلماء : « سراجا منيرا » : ‹ يشبه الشمس في ازالة ظلمة الكفر والضلال ›[٢١١] .

وقالوا : « سراجا منيرا » : ‹ يستضاء به عن ظلمات الجهالات ويقتبس من نوره أنوار البصائر ›[٢١٢] .

وقيل : « سراجا منيرا » : ‹ أي أمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في اشراقها واضاءتها لا يجحدها الا معاند ›[٢١٣].

٢١ - الرسول - صلى الله عليه وسلم - أرسله الله للناس كافـــة :

قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[٢١٤] .

لقد ختم الله سبحانه وتعالى الرسالات بخاتم الانبياء ، وجعل تبليغه للناس جميعا ، ورسالته ناسخة للرسائل المساوية الأخرى ، ولذلك يكون فيها الكمال والوضوح والتيسير ، وتكون حجة على الناس أجمع .

ولزيادة البيان نذكر ما قيل في هذه الآية الكريمة :

« وما أرسلناك الا كافة للناس » : أي الى جميع الخلائق مـــن المكلفين[٢١٥] . كقوله : « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا »[٢١٦] .

---

٢١٠ المصدر السابق .

٢١١ المصحف الميسر ، ص ٥٥٦

٢١٢ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ١٦٥

٢١٣ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١٠٣

٢١٤ سبأ : ٢٨

٢١٥ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١٣١

٢١٦ الأعراف : ١٥٨

« بشيرا ونذيرا » :بشيرا بالفضل لمن أقر ، « نذيرا » بالعدل لمن أصر[٢١٧] .

وقيل : « بشيرا ونذيرا » : أي تبشر من أطاعك بالجنة ، وتنذر من عصاك بالنار[٢١٨] .

قال محم بن كعب : ‹ يعني الى الناس عامة › .

وقال قتادة : ‹ أرسل الله تعالى محمدا - صلى الله عليه وسلم - الى العرب والعجم ، فأكرمهم لله تبارك وتعالى أطوعهم لله عز وجل ›[٢١٩] .

وقال ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : سمعت ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول : ‹ ان الله تعالى فضل محمدا - صلى الله عليه وسلم - على أهل السماء وعلى الأنبياء . قالوا : يا ابن عباس فيم فضله على الأنبياء ؟ قال - رضي الله عنه - : ان الله تعالى قال : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » وقال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : « وما أرسلناك إلا كافة للناس »[٢٢٠] فأرسله الله تعالى الى الجن والإنس ›[٢٢١] .

كما ثبت في الصحيحين ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، واحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة) .

---

٢١٧ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج ٤ ص ٢٠١

٢١٨ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١٣١

٢١٩ المصدر السابق .

٢٢٠ سبأ : ٢٨

٢٢١ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١٣١

٢٢ - الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - أرسله الله تعالى رحمة للعالمين :

قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »[٢٢٢] .

فكلمة الرحمة لا حدود لمعانيها ، ولا حصر لخيراتها ، ولا يستغنى عنها مخلوق في الدنيا والآخرة ، والله سبحانه وتعالي يكتبها ويمنحها لمن التزم بطاعة من أرسله الله رحمة للعالمين .

وللرحمة معاني منها :

١) « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »

لأن ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم ، وقيل رحمة للكفار ، أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال[٢٢٣] .

٢) يخبر الله تعالى أن الله جعل محمدا - صلى الله عليه وسلم - رحمة للعالمين ، أي أرسله رحمة لهم كلهم ، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ، ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة[٢٢٤]

٣) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (أنا أمان لأصحابي) ، قيل : من البدع ، وقيل : من الاختلاف والفتن ، قال بعضهم : الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الأمان الأعظم ما عاش ، ومادامت سنته باقية فهو باق ، فإذا أميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن[٢٢٥] .

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - رحمة في كل شيء لمن التزم بطاعة الله سبحانه وتعالى .

٢٣ - الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا ينطق عن الهوى :

قال الله تعالى : « وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى »[٢٢٦]

في الآيتين الكريمتين نستنبط ما يأتي :

١) أن كلامه - صلى الله عليه وسلم - هو من عند الله سبحانه وتعالى .

٢) الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - معصوم من الخطأ .

---

٢٢٢ الأنبياء : ١٠٧

٢٢٣ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ٤٨

٢٢٤ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٥٢٥

٢٢٥ الشفاء ، للقاضي عياض ، ج ١ ص ٣٠

٢٢٦ النجم : ٣ ، ٤

٣) ان الاحكام تؤخذ من الكتاب والسنة ، لأن كلا منهما وحي من عند الله .

ونستنبط من أقوال العلماء في الآيتين ، فنرى حجية السنة في جميع شئون الحياة ، وما خرج من فيه - عليه الصلاة والسلام - إلا الحق .

« وما ينطق عن الهوى » : أي ما يقول قولا عن هوى وغرَض[٢٢٧] .

« إن هو إلا وحي يوحى » : أي إنما يقول ما أمر به ، يبلغه الي الناس كاملا موفورا ، من غير زيادة ولا نقصان[٢٢٨] .

كما روى الامام احمد عن عبدالله بن عمرو قال : كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أريد حفظه ، فنهتني قريش ، فقالوا : انك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : (اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني الا الحق) .

٢٤ - أخلاقه العظيمة حجة على جميع الأمة الاسلامية :

قال الله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم »[٢٢٩] .

ان صاحب الرسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - كما يصفه رب العالمين : انه على خلق عظيم ((ولقد سئلت عائشة - رضي الله عنها - عن أخلاقه ؟ فقالت : ‹ كان خلقه القرآن › .

وقبل التحدث عن أخلاقه - صلى الله عليه وسلم - ، نذكر شيئا عن الأخلاق في القرآن الكريم بعض المقتطفات والاقتباسات من الدكتور عبدالله دراز ‹ دستور الأخلاق في القرآن › لقد عالج الاسلام الاخلاق علاجا عمليا بحدود الملكات التي يحملها والقدرة التي يمكن ان يقوم بها ، وجعل للحب والبغض والكراهية ...إلخ ضوابط عملية يُقيِّم الانسان على حسب أدائها .

---

٢٢٧ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٣٩٦

٢٢٨ المصدر السابق .

٢٢٩ ن : ٤

- الاحساس بالخير والشر :

يقول الدكتور عبدالله دراز : < ان النفس الانسانية قد تلقت في تكوينها الأولي الاحساس بالخير والشر[٢٣٠] : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها »[٢٣١] . وكما وهب الانسان ملكة اللغة ، والحواس الظاهرة ، فإنه زود ه أيضا ببصيرة أخلاقية : « بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره »[٢٣٢] .

- مكان العمل :

فالعمل يجب ان يكون بمقدور الانسان عند التكليف ، اما اذا خرج عن القدرة النفسية والبدنية فلا يكلف المرء به ، مثل قوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها »[٢٣٣] . وقوله : « لا نكلف نفسا الا وسعها »[٢٣٤] . وقوله : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها »[٢٣٥] .

ولذا ، فان جميع الأوامر ذات الاتصال بالحب والبغض ، وبالخوف او الأمل قد فسرت عقليا لدى الشراح على انها قد جاءت لتحكم عملا سابقا نشأت عنه هذه الحالات ، او عملا مصاحبا أو لاحقا ، ولكنه لا يمكن ان يكون قبيل اللا إرادي[٢٣٦] .

وهكذا نجد أن حب الله ، وهو حالة عاطفية ولا إرادية في ذاتها ، يمكن ان يكتسب بوساطة عمل إرادي ، وهو التأمل في رحمة الله التي لا تنتهي ، وتذكر فضله الذي لا يفتأ يفيضه علينا ، ذلك أن الناس جبلوا على حب من يسدي إليهم معروفا ، وبهذا المعنى غير المباشر أصبح حب الله امرا [٢٣٧] ..

في قوله - صلى الله عليه وسلم - : (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة)[٢٣٨] . وكذلك يمكن ان يكون حب الأقربين أمرا محتوما بفضل طرق

---

٢٣٠ دستور الاخلاف في الميزان ، ص ٢٧

٢٣١ الشمس : ٧ ، ٨

٢٣٢ القيامة : ١٤

٢٣٣ الطلاق : ٧

٢٣٤ الأنعام : ٥٢ ، المؤمنون : ٦٢

٢٣٥ البقرة : ٢٨٦

٢٣٦ دستور الاخلاف في القرآن ، ص ٦٤

٢٣٧ المصدر السابق ، ص ٦٥

٢٣٨ رواه الترمذي ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير .

شبيهة بتلك نسبيا ، او بفضل تصرفات عملية أخرى أكثـــر تقبـلا[٢٣٩] .

وهي ما نجد له مثالا طيبا في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (تصافحوا يذهب الغل ، وتهادوا تحابوا ، وتذهب الشحناء)[٢٤٠] .

بل ان العقيدة نفسها يمكن ان ينظر اليها على انها الزام منبثق عن أمر واقع ، ما دام الانسان - أمام الوضوح الذي لا يقاوم - لا يملك الا ان يذعن ويسلم[٢٤١] .

من هذا المنطلق كان خلق الرسول - صلى الله عليه وسلم - القرآن ، لأنه كله أوامر ونواهي ، وترغيب وترهيب ، وحب وكرم وشجاعة .. فكان المطبق للقرآن وكذلك المطبق للسنة ، أو هو الذي تتمثل في شخصيته الشريعة الاسلامية بأكملها .

ومما ورد في تفسير ذلك عند علماء التفسير والمحدثين :

قيل في قوله تعالى : « وانك لعلى خلق عظيم » هو ما أمر الله به في قوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »[٢٤٢] .

وقالت عائشة - رضي الله عنها - : ‹ كان خلقه القرآن ›[٢٤٣] أي ما فيه من مكارم الأخلاق[٢٤٤] .

وقيل في قوله تعالى : « وانك لعلى ... » دين عظيم ، لا دين أحب الي ولا أرضى عندي منه ، وهو دين الاسلام[٢٤٥] . وقيل أداب القرآن .

وعن عائشة - رضى الله عنها - : ‹ كان خلقه القرآن ، يرضى لرضاه ، ويسخط لسخطه ›[٢٤٦] .

وقالوا : إذا تتحمل من قومك ما لا يتحمل أمثالك[٢٤٧] .

وقيل معناه : ‹ انه - عليه الصلاة والسلام - صار امتثال القرآن بحبه له وخلقا ، وترك طبعه الجبلي ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم ، من الحياء

---

٢٣٩ دستور الأخلاق ، ص ٦٥

٢٤٠ رواه مالك في الموطأ ، ٣/١٠٠

٢٤١ دستور الاخلاق في القرآن ، ص ٦٥ - ٦٦

٢٤٢ الأعراف : ١٩٩

٢٤٣ رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، ج ١ ص ٥١٣ رقم ٧٤٦

٢٤٤ مدارك التنزيل لمعاني القرآن ، ص ٧٣٨

٢٤٥ صفوة البيان لمعاني القرآن ، ص ٧٣٨

٢٤٦ المصدر السابق .

٢٤٧ تفسير البيضاوي ، ج ٥ ص ١٤٤

والكرم والشجاعة والصفح والحلم ، وكل خلق جميل ›[٢٤٨] .

ولقد شرف الله نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - بذكره في كتابه العزيز خصه الله بها دون الأنبياء والرسل مما يدل على انه أفضل المرسلين .

ومن هذه التشريفات :

أ - القسم بحياة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - قال الله تعالى : « لعمرك انهم » أي قوم لوط أو قريشا « لفي سكرتهم يعمهون » يترددون .

« لعمرك » كلمة قسم - أي حياتك - ، أقسم الله بحياة نبيه - عليه الصلاة والسلام - ولم يقسم بحياة نبي غيره ولا رسول ولا ملك ، وهذا تشريف كبير .

ب - اضافة اسم الله تعالي الى اسم رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - ، قال الله تعالى : « فوربك لنحشرنهم » .

قال الزمخشري : ‹ في إقسام الله تعالى باسمه تقدست أسماؤه ، مضافا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه ›.

ج - إيتاؤه سورة الفاتحة ، قال تعالى : « ولقد آتيناك سبعا من المثاني » هي الفاتحة ، « والقرآن العظيم » .وخصت الفاتحة بالذكر - مع انها من القرآن - تنبيها على عظم شأنها .. بحيث يكون إيتاؤها وحدها كافيا في التشريف ، لاشتمالها على معاني القرآن اجمالا .

د - أمر الله نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - بالتخفيف عن نفسه ، قال تعالي [يخاطب نبيه - صلى الله عليه وسلم -] : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » لتتعب بما فعلت بعد نزوله ، من طول قيامك به في صلاة الليل ، بل خفف عن نفسك ، ولهذا كان - عليه الصلاة والسلام - ينام بعض الليل ويقوم بعضه .. وقيل معنى « لتشقى » لتتعب بتأسفك على كفر من كفر ، فأرح نفسك من هذا التعب ، وانما عليك البلاغ .

فالآية على هذين الاحتمالين تفيد أمره - عليه الصلاة والسلام - بالتخفيف عن نفسه ، ولم يطلب الله من نبي قبله ، ان يخفف عن نفسه ، وقيل : ‹ ان الكفار لما رأوا كثرة عبادته - صلى الله عليه وسلم - وكثرة تلاوته للقرآن ، قالوا له : إنك لتشقى بترك ديننا ، وان القرآن نزل عليك

---

٢٤٨ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٥٣٣

لتشقى به . فرد الله ما قالوا ، وهنا أيضا يدل على عناية الله بنبيه - عليه الصلاة والسلام - › .

كيف صاغ القرآن الكريم الأخلاق بصورة عملية :

‹ من أهم مقاصد القرآن نشر الأخلاق والدعوة الى الفضيلة ، وهو يشمل الدعوة الي العمل الصالح ، والنهي عن المنكرات الظاهرة والباطنة ›[٢٤٩] .

ومن الأمثلة الأخلاقية في القرآن الكريم :

١ - قال تعالى « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق »[٢٥٠] .

٢ - قال تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء »[٢٥١] .

٣ - وقال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون »[٢٥٢] .

٤ - وقال تعالى : « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار »[٢٥٣] .

٥ - وقال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »[٢٥٤] .

٦ - قال تعالى : « قد افلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون »[٢٥٥] .

هذه الآيات الكريمة التي أتت بصور مختلفة للأخلاق ، من أمر ونهي ، وعرض يأخذ بالألباب ، ويجعل حقل التجربة فيها الميدان العملي الذي يكشف عن حقائق النفوس وجوهرها فتظهر الأصالة من الزيف ، والصدق من النفاق ..

---

٢٤٩ دعوة الرسل ، ص ٣٩٠.

٢٥٠ الانعام : ١

٢٥١ ابراهيم : ٢٤

٢٥٢ النحل : ٩٠

٢٥٣ الحجر : ٤٢

٢٥٤ النحل : ١٢٥

٢٥٥ المؤمنون ١ - ٥

ومما قيل في أخلاقه - صلى الله عليه وسلم - : « كان فيه الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصفح وسائر الأخلاق الكاملة ما لا يُحدّ ولا يمكن وصفه »[٢٥٦] .

روى البخاري في حديث ، عن البراء بن عازب قال : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها ، وأحسن الناس خُلقاً »[٢٥٧] .

ويقول صاحب كتاب" محمد - صلى الله عليه وسلم - في طفولته وصباه " يصف محمدا فيقول : « فرأى بين ظلمة اليتم ، وهجير الفقر ، نوراً وهاجاً يسطع ، فيملأ الدنيا أمام عينيه جمالاً »[٢٥٨] .

ويقول : « انه شمس قريش تبدأ في البزوغ ، وقمرها الذي سيضيء لها الدنيا وهو بعد هلال »[٢٥٩] .

ويقول في مقام آخر : « فقد كان عزوفا عن اللعب ، أميل الى الجد ، لا يتأثر باجتماع اقرانه ، ولا ينفعل بحماسهم للعب ، ولا تصيبه عدوى عرويتهم »[٢٦٠] .

ثم يقول : « واقام محمد - صلى ألله عليه وسلم - للحب والمودة والرحمة والتضحية والايثار بناءً شامخاً ... »[٢٦١] .

هذا وصف محمد - صلى الله عليه وسلم - في طفولته وصباه ، ومهما قال الواصفون فيه فهي رذاذ من بحر .

إن موضوعية البحث ومنهجية الموضوع لا تستدعي الاطالة ولا الاستطراد الا في أخلاق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -وهو شرف لكل كاتب وقارىء وسامع .. ويحق لنا أن نطيل الوقوف ونسكب العبرات ، في قلوب متقرحة ، وأكباد محترقة ، وعيون ما اكتحلت برؤياه ، ولا سعدت بتطبيق منهجه ، فعاشت كالثكلى على وحيدها ، ولكنها مشلولة في حياتها ، لأنها تربت على مناهج فاسدة ونظم منحرفة ، فأثمرت العداوة والاحقاد والضعف .

يا حسرة على الأمة الإسلامية تحمل هذا الكنز الثمين في الأخلاق

---

٢٥٦ الشمائل « للترمذي » ، ص ٥٨

٢٥٧ رواه البخاري ، في باب الكنية للصبي ، ج ٥ ص ٢٢٩١ ، كتاب الأدب ، رق ٥٨٥٠
واخرجه مسلم في الأدب ، رقم ٢١٥٠

٢٥٨ محمد - صلى الله عليه وسلم - في طفولته وصباه .

٢٥٩ قصة اليتيم الخالد ، ص ٣٣٧

٢٦٠ المصدر السابق ، ص ٣٥٢

٢٦١ المصدر السابق ، ص ٦٢٥

الكاملة ، وتعيش متخلفة في كل شيء ، ولو لا راحة الشكوى لكاد القلب ينفطر .

وتلهب الاحشاء شيَّب مفرقـــي
هذا الشواظ لهيب تلك النــار [٢٦٢]

وقبل أن أختم الموضوع اذكر بعض الاخلاق الأخرى لسيد البشرية محمد - صلى الله عليه وسلم - منها :

١ - حياؤه :

عن أنس - رضي الله عنه - قال : < كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشد حياءً من العذراء في خدرها > [٢٦٣] .

٢ - شجاعته :

عن سليمان بن قيس ، عن جابر بن عبدالله ، قال : < قاتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محارب خصفه [٢٦٤] ، فرأوا من المسلمين غِرَّة ، فجاء رجل [٢٦٥] ، حتى قام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالسيف ، فقال : من يمنعك مني ؟ قال : (الله) ، فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - السيف ، فقال : (من يمنعك مني ؟) ، قال : لا ، غير أني لا أقاتلك ، ولا أكون معك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك . فخلى سبيله ، فجاء أصحابه ، فقال : جئتكم من عند خير الناس [٢٦٦] > [٢٦٧] .

٣ - عفــوه :

أ - عن جابر : < أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جعل يقبض للناس يوم حنين من فضه في ثوب بلال ، فقال له رجل : يا نبي الله أعدل

---

٢٦٢ القصيدة ، لابي الحسن التهامي .

٢٦٣ أخلاق النبي ، ص ٤٠

٢٦٤ خصفه : بفتح الخاء والصاد المهملة ، وخصفه .. هذا هو ابي قيس بن عيلان ابي مضر ، ومحارب هو ابي خصفه ، هذه الغزوة تسمى غزوة محارب خصفه ، وغزوة ذات الرقاع ، وهي مفصلة في الصحيحين وكتب السيرة .

٢٦٥ اسمه : غورث بن الحارث

٢٦٦ لأنه عفا بعد مقدرة .

٢٦٧ كتاب اخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ص ٤٣

؟ ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل ؟ فقد خبت إذن وخسرت إن كنت لا أعدل) ، فقام عمر ، فقال : ألا أضرب عنقه ؟ فإنه منافق . فقال : (معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي)[٢٦٨] .

ب - عن ابن الخطاب - رضي الله عنه - قال : ‹ لما كان يوم الفتح[٢٦٩] ، أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى صفوان ابن أمية بن خلف ، وأبي سفيان بن حرب ، والى الحارث بن هشام ، قال ابن الخطاب - رضي الله عنه - فقلت : قد امكنني الله عز وجل منهم بما صنعوا . حتى قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (مثلي ومثلكم كما قال يوسف لاخوته « لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم » فانتضحت حياءً من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ›[٢٧٠] .

٤ - كرمــــه :

أ - عن ابن عمر قال : ‹ ما رأيت أحدا أجود ولا أنجد ولا أشجع ولا أرضي من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ›[٢٧١] .

ب - عن أنس : ‹ أن رجلا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم . فسأله ، فأعطاه غنما بين جبلين ، فأتى الرجل قومه ، فقال : أسلموا ، فإن محمدا - صلى الله عليه وسلم - يعطي عطاء رجل ما يخاف فاقه ›[٢٧٢] .

ج - عن جابر بن عبدالله ، قال : ‹ ما سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا قط ، قال : لا ›[٢٧٣] .

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - صاحب الخلق الكامل والخلق العظيم ، وخلقه القرآن ، فلا مبالغة فيه وصفناه بأي صفة كاملة وهو المعصوم ، ولا غرابة ما قال ناعته : ‹ كان محمد - صلى الله عليه وسلم - خير الخلق في طفولته ، وأطهر المطهرين في شبابه ، وأنجب البرية في كهولته ، وأزهد الناس في حياته ، وأعدل القضاة في قضائه ، واشجع

---

٢٦٨ المصدر السابق .

٢٦٩ فتح مكة .

٢٧٠ كتاب أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ص ٤٧ - ٤٨

٢٧١ المصدر السابق ، ص ٥٠

٢٧٢ المصدر السابق .

٢٧٣ المصدر السابق ، ص ٥١

قائد في دفاعه عن الحق ، وخير قدوة للمصلحين ، وخير أسوة للمربين ›[٢٧٤]

ولقد وفقت السيدة خديجة - رضي الله عنها - عندما أخبرها عن الوحي بقولها : ‹ أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتطدق الحديث ، وتؤدي الامانة ، وتحمل الكلَّ ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ›[٢٧٥] .

اعتراض وردود :

قد يعترض معترض ، ويقول قائل : قد تكلمت عن شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - كلاما عاما ، وخصصته بأخلاقه ، وهو خروج عن الموضوع ، وتيه في صحراء لا حدود لها .

فأقول وبالله التوفيق : ان ما جئت به عن الأخلاق في موضوع الأخلاق هو من صميمه ، ولم أحد عنه ، وان المقاصد والغايات تحدد بتفسيرها وبيانها .. وقبل الخوض في ساحة الدفاع للذود عن القلاع التي شيدتها ، أمهد للموضوع ببعض الأمثلة المنطقية لأزيل الغموض .. من تلك الأمثلة :

١ - عند ذهاب مجموعة الى حديقة ، لو نظرنا الى الموضوع من وجهة ضيقة مع بساطة التفكير ، لقلنا ان الجميع جاء لأجل النزهة ، ولكن عند الخوض في الموضوع بدقة مع العمق في التفكير مع سعة الأفق ، يتبين لنا أن بعضهم ذهب للنزهة بالفعل ، والبعض الآخر مهندس زراعي جاء لفحص صلاحية التربة ، الأخر جاء لدراسة الآفات الزراعية .. وهكذا نجد كل واحد في الحديقة من وجهته التخصصية ، والنظرة البسيطة توحي أن الجميع قدموا لعمل واحد .

٢ - القرآن الكريم : نجد اللغوي يدرسه في الجانب اللغوي ، وصاحب البلاغة في الجانب البلاغي ، والنحوي في وجهته النحوية ، وصاحب الفقه يدرس الجانب الفقهي ، وصاحب الأصول من وجهته ، والطبيب الجانب الطبي .. الخ .

والأمثلة على ذلك لا حصر لها ..

---

٢٧٤ عظمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ‹ عطية الأبراشي › ص ٩٢

٢٧٥ قول خديجة – رضي الله عنه – : خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر ، ص٣٣

وكـذلك عندمـا أريد أن أدرس الجـانب الخلقي للرسـول في السنة النبوية ، استطيع ان استشهد بجميع الأحاديث النبوية سواءً أحاديث الجانب الاقتصادي ، أو الاجتماعي ، أو السياسي ، أو العلاقات الدولية ، أو جانب الأحكام والعقوبات .. الخ .

وأعني بدراسة هذه الأحاديث هو دراسة جانب التشويق للرغبة في العمل بها ان كانت للأجر ، أو للزهد في تركها ان كانت للنهي ، وكذلك طريقة مخاطبة الكبير ، والصغير ، والمرأة ، والحاكم ، والمحكوم ، والجندي في ساحة المعركة ، ومخاطبة المرء في حالة الرضا والغضب ، والعالم والجاهل .

فأحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم جميعها تحمل الجانب الأخلاقي على أعلى المستويات في المعنى والمبنى والمظهر والجوهر .

وسوف أسرد بعض هذه الخصائص الأخلاقية في السيرة النبوية باختصار منها :

١) **علاقة العمل بالايمـان :**

أ - علاقة الايمان بالحياء :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان)[٢٧٦] .

ب - حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الإيمان :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (فو الذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده)[٢٧٧] .

ج - حلاوة الايمان :

عن أنس ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وان يحب المرء لا يحبه الا لله ، وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف

---

٢٧٦ صحيح البخاري ، ج ١ ص١٢ ، باب أمور الايمان ، اخرجه في باب الايمان ، باب بيان عدد شعب الايمان وأفضلها وأدناها ، رقم ٣٥

٢٧٧ صحيح البخاري ، ج ١ ، باب حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الايمان .

في النار)[٢٧٨] .

د – من الايمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه :

عن أنس ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٢٧٩] .

هـ – علامة الايمان حب الانصار :

عن الني – صلى الله عليه وسلم – قال : (آية الإيمان حب الانصار ، وآية النفاق بغض الانصار)[٢٨٠] .

و – الايمان هو العمل :

عن أبي هريرة ، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سُئل : أي العمل أفضل ؟ فقال : (إيمان بالله ورسوله) ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : (الجهاد في سبيل الله) ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : (حج مبرور)[٢٨١] .

ز – تطوع قيام رمضان من الإيمان :

عن أبي هريرة ، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (من قام رمضان ، ايمانا واحتسابا ، غفر له ، ما تقدم من ذنبه)[٢٨٢] .

وعلي هذا الأساس أن كثيرا من الواجبات الاجتماعية والخدمات العامة تدخل في نطاق الايمان[٢٨٣] .

إذن فالاخلاق ليست من مواد الترف التي يمكن الاستغناء عنها ، بل

٢٧٨ صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٤ رقم ١٦ باب : حلاوة الايمان .

اخرجه مسلم في الايمان ، باب من اتصف بهن وجد حلاوة الايمان ، رقم ٤٣

٢٧٩ أخجه البخاري ، ج ١ ص ١٤ رقم ٣ ، باب الايمان .

اخرجه مسلم في الايمان ، باب الدليل على ان من خصال الايمان ان يحب لاخيه ، رقم ٤٥

٢٨١ أخرجه البخاري ، ج ١ ص ١٨ ، باب من ال ان الايمان هو العمل .

اخرجه مسلم في الايمان ، باب كون الايمان بالله تعالي افضل الاعمال ، رقم ٨٣ .

٢٨٢ اخرجه البخاري ، ج ١ ص ٢٢ ، رقم ٣٧

اخرجه مسلم في صلاة المسافرين ، باب الترغيب في قيام رمضان ، رقم ٧٥٩

٢٨٣ في مكارم الأخلاق ، ص ٣٣

هي أصول الحياة التي يرتضيها الدين . وعلى ذلك وبناء على استعداد الانسان بتمسكه بالفضائل والاخلاق الصالحة فان ايمانه قابل للزيادة والنقصان [٢٨٤] .

٢ - النية الصالحـــة :

أ - عن علقمة بن وقاص ، عن عمر ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (الأعمال بالنيات ، ولكل امريء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الي الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو إمرأة يتزوجها ، فهجرته الى ما هاجر اليه)[٢٨٥] .

ب - عن أبي مسعود ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها ، فهو له صدقة)[٢٨٦] .

ج - عن الزهري قال : حدثني عامر بن سعد ، عن سعد بن أبي وقاص ، انه أخبره : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها ، حتى ما تجعل في فيّ إمرأتك)[٢٨٧] .

الإخـــلاص :

هو حالة من حالات استقامة القلب ، وهو ان يفعل الشخص في السر ما يفعله في العلانية ، وان يكون قوله مطابقا لحاله ، فهو يستدعي اظهار الحقيقة في التفكير والتعبير عنه بالكلام أو العمل[٢٨٨] .

وان الله يحب العمل نقيا من الشوائب وان يكون خالصا لوجهه .. وحرارة الاخلاص تنطفيء في القلب كلما هاجت في النفس توازع الأثرة وحب الثناء .. والتملق والرياء والنفاق هي ضد الاخلاص[٢٨٩] .

---

٢٨٤ المصدر السابق ، ص ٣٤

٢٨٥ أخرجه البخاري ، ج ١ ص ٣٠ ، باب الايمان .

٢٨٦ أخرجه البخاري ، ج ١ ص ٣٠ ، رقم ٥٤ .

أخرجه مسلم ، في الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين ، رقم ١٠٠٢

٢٨٨ في مكارم الأخلاق ، ص ٨٧

٢٨٩ المصدر السابق ، ص ٨٧ - ٨٨

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : < للمرائي ثلاث علامات ، يكسل إذا كان وحده ، وينشط اذا كان في الناس ، ويزيد العمل اذا اثنى عليه ، وينقص اذا ذم به >[٢٩٠] .

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : < ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما >[٢٩١] .

٣- الصدق :

أ - عن أبي وائل ، عن عبدالله - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكون عند الله صديقا . وإن الكذب يهدي الى الفجور ، وإن الفجور يهدي الى النار ، وإن الرجل ليكذب ، حتى يكتب عند الله كذابا)[٢٩٢] .

ب - عن أبي سلمة بن عبدالرحمن ، عن عائشة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (سددوا[٢٩٣] وقاربوا وابشروا ، فإنه لا يدخل أحد الجنة عمله) (قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ . قال : (ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة)[٢٩٤] .

الصدق : < هو مطابقة التعبير للحقيقة أياً كان لون التعبير بالقول أو الحركة أو بالاشارة أو بتأليف الكتب ، وما الي ذلك ، فإذا كان التعبير عن الذات وجب ان يكون مطابقا لما يدور في النفس وإن كان التعبير عن أمر خارجي وجب ان يكون مطابقا له دون زيادة أو نقصان >[٢٩٥] .

وللصدق فيما يرى الغزالي ستة معان : < صدق في القول ، وصدق في النية ، وصدق في العزم ، وصدق في الوفاء بالعزم ، وصدق في تحقيق مقامات الدين .. فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق ، ومن صدق في شيء فهو صادق .. >[٢٩٦] .

---

٢٩٠ كتاب : الكبائر ، للذهبي ، ص ١٥٦

٢٩١ المصدر السابق .

٢٩٢ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٦١ ، رقم ٥٧٤٣

٢٩٣ قال مجاهد : < سديدا > النساء : ٩ : سدادا : صدقا

٢٩٤ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٧٣ رقم ٦١٠٢

٢٩٥ الاتجاه الاخلاقي في الاسلام ، ص ٢٨٠

٢٩٦ الاخلاق عند الغزالي ، ص ١٥١

٤ - العدالـــــة :

أ - عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (سبعة يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل ،.وشاب نشأ في عبادة ربه . ورجل قلبه معلق في المساجد . ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل طلبته إمرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله . ورجل تصدق ، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .ورجل ذكر الله خاليا ، ففاضت عيناه)[٢٩٧] .

ب - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - يتقاضاه بعيرا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (أعطوه) ، فقالوا : ما نجد إلا سناً أفضل من سنّه ، فقال الرجل : أوفيتني أوفاك الله ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (أعطوه ، فان خيار الناس أحسنهم قضاءً)[٢٩٨] .

ج - عن ابن شهاب : أن سالما أخبره : أن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أخبره : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)[٢٩٩] .

لو نظرنا الى هذه الأحاديث النبوية الكريمة ان ظواهرها ومدلولاتها متنوعة ، ولكن جميعها تنبثق وتصدر من اصل واحد وجوهر واحد وهو العدلة .. « إن الإسلام ينظر الى الناس نظرة مساواة من حيث أصل الخلقة ، فليس هناك جنس يفضل على جنس آخر في الخلق ، بل إن الناس يتساوون في الكرامة من حيث انهم جميعا بنو آدم . واذا كان هناك تفاضل فيما بينهم فانما هو يرجع في الأصل الى الأعمال الفاضلة التي يكتسبونها بجهودهم المشرفة .. فلا ينبغي ان يرجح فرد على آخر في التكريم والتقدير وفي الوظائف على أساس الجنس أو اللون بل على

٢٩٧ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٣٤ باب ، من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، رقم ٦٢٩
اخرجه مسلم في الزكاة ، باب ، فضل اخفاء الصدقة ، رقم ١٠٣١

٢٩٨ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٨٤٣ رقم ٢٢٦٢

٢٩٩ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٨٦٢ ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه
اخرجه مسلم في البر والصلة والاداب ، باب تحريم الظلم ، رقم ٢٥٨٠

أساس الاستحقاق بالأعمال الفاضلة والكفاءات المكتسبة »[٣٠٠] .

٥ - الصبــــر :

أ - باب : الصبر عند الصدمة الأولى :

عن ثابت قال : سمعت أنساً - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (الصبر عند الصدمة الأولى)[٣٠١] .

ب - باب : الاستعفاف عند المسألة :

عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (والذي نفسي بيده ، لأن يأخذ أحدكم حبله ، فيحتطب على ظهره ، خير له من أن يأتي رجلا فيسأله ، أعطاه أو منعه)[٣٠٢] .

ج - باب : الحذر من الغضب :

(١) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلي الله عليه وسلم - قال : (ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[٣٠٣] .

(٢) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رجلا[٣٠٤] قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : أوصني ، قال : (لا تغضب) . فردد مرارا ، قال : (لا تغضب)[٣٠٥] .

د - باب : في الحوض :

وقال عبدالله بن زيد : قال النبي - صلى الله غليه وسلم - : (اصبروا حتى تلقوني على الحوض)[٣٠٦] .

فالصبر قاعدة مهمة ترتكز عليها الشريعة الاسلامية ، لذلك نجده يدخل في جميع عظائم الامور ولذلك نجده يتغلغل في الجانب الإخلاقي كانتشار الشرايين في جسم الكائن الحي ، فلا يستطيع الانسان ان يستغني عنه لحظة واحدة سواءً في الشدة أو الرجاء ، وفي السلم أو الحرب .

ويقول الامام الغزالي : « اعلم أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين

---

٣٠٠ الاتجاه الاخلاقي في الاسلام ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣

٣٠١ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٤٣٨ ، باب الصبر عند الصدمة الأولى رقم ١٢٤٠

٣٠٢ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٥٣٥ ، باب الاستغفار عن المسألة ، رقم ١٤٠١

٣٠٣ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٦٧ ، باب الحذر من الغضب ، رقم ٥٧٦٣

٣٠٤ رجلا : هو جارية بن قدامة - رضي الله عنه - .

٣٠٥ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٦٧ ، باب الحذر من الغضب ، رقم ٥٧٦٥

٣٠٦ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٤٠٤ ، باب في الحوض .

في مقابلة باعث الهوي ، وباعث الدين هو ما هدي اليه الانسان في معرفة الله ورسوله ، ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب ، وهي الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قمع الشهوات . وباعث الهوى هو مطالبة الشهوات بمقتضاها ، فمن ثبت حتى قهرها واستمر على مخالفة الشهوة التحق بالصابرين ، وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين ›[٣٠٧] .

والصبر زاد وسلاح جميع الصالحين والمصلحين والناجحين ، وسلاح الانبياء والمرسلين وأولي العزم من المرسلين ، وقد قيل : ‹ الصبر من فروض الاسلام ، وهو نصف الايمان ، وذكره القرآن الكريم في أكثر من ثمانين موضعا آمراً به[٣٠٨] .. « واستعينوا بالصبر والصلاة »[٣٠٩] ، وناهيا عن ضده « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم »[٣١٠] ، ومحبة لأهله « والله يحب الصابرين »[٣١١] ، ومعيته تعالى لهم « إن الله مع الصابرين »[٣١٢] ، وعاقبته خير « وإن تصبروا خير لكم »[٣١٣] ، وجزاؤه عظيم « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب »[٣١٤] ، وأهل الصبر هم المنتفعون بالآيات والعظات « إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور »[٣١٥] ، وهو سبب لدخول الجنان « سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار »[٣١٦] ، وبالصبر واليقين تنال الامامة في الدين « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون »[٣١٧] .. › .

والصبر علي ثلاثة أنواع : صبر على طاعة الله ، وصبر عن معصية

---

٣٠٧ موعظة المؤمنين ، ص ٣٤٣

٣٠٨ أصول الدعوة ، عبدالكريم ، ص ٣١٠

٣٠٩ البقرة : ١٥٣

٣١٠ الأحقاف : ٣٥

٣١١ آل عمران : ١٤٦

٣١٢ الأنفال : ٤٦

٣١٣ النساء : ٢٥

٣١٤ الزمر : ١٠

٣١٥ ابراهيم : ٥

٣١٦ الرعد : ٢٤

٣١٧ السجدة : ٢٤

الله ، وصبر على المصائب والبلاء[٢١٨] ..

وعلى هذا الأساس لا يمكن لأي عمل ان يتم على كماله وتمامه وعلى أية حالة نفسية تكون مرضية الا بالصبر ، ولأي عبادة تكون مستمرة ولوجه الله الا الصبر . ولم نجد دواء الصبر الشافي بعد كتاب الله الا في السنة المطهرة في الأخلاق النبوية التي تكاد تدخل في أحاديث لا حصر لها .

٦ - الجـــزاء :

ويقسم الى قسمين : أ - الثواب ب - العقاب

أ - الثواب :

(١) الحرص على الحديث :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال ، قيل : يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لقد - يا أبا هريرة - أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة ، من قال : لا إله إلا الله ، خالصا من قلبه ، أو نفسه)[٣١٩] .

(٢) ثواب التوحيد الخالص :

أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لمعاذ : (من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة) (قال : ألا أبشر الناس ؟ ، قال : (لا ، إني أخاف أن يتكلوا)[٣٢٠] .

(٣) باب : من بنى مسجدا :

حدثنا يحيى بن سليمان ، حدثني ابن وهب ، أخبرني عمرو ، أن بكرا حدثه ، أن عاصم بن عمر بن قتادة حدثه ، انه سمع عبيد الله الخولاني ، انه سمع عثمان بن عفان يقول ، عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - : < إنكم أكثرتم ، واني سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: (من بنى لله مسجداً) - قال بكير: حسبت أنـــه

---

٣١٨ أصول الدعوة ، عبدالكريم ، ص ٣١١

٣١٩ صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ٤٩ ، باب ، الحرص على الحديث ، رقم ٩٩

٣٢٠ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٦٠ ، باب من خص بالعلم قوما دون قوم ، كراهية ان لا يفهموا ، رقم ١٢٩

قال: (يبتغي به وجه الله ، بنى الله له مثله في الجنة)[٣٢١] .

(٤) باب : الصلوات الخمس كفارة :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، انه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم ، يغتسل فيه كل يوم خمسا ، ما تقول : ذلك يبقى من درنه) ، قالوا : لا يبقى من درنه شيئا ، قال : (وفذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بها الخطايا)[٣٢٢] .

(٥) باب : فضل من يعول يتيما :

عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا)[٣٢٣]. وقال بأصبعيه السَّبابة والوسطى .

(٦) باب : الساعي على الأرملة :

عن صفوان بن سليم ، برفعه الي النبي - صلي الله عليه وسلم - قال : (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل)[٣٢٤] .

عندما ننظر الى السنة النبوية نجد الجزاء اشبه بحصن يحمي الأخلاق من كيد العابثين ، فنجد الجزاء يدخل في كل عمل يقوم به المسلم سواءٌ مع الانسان أو الحيوان أو النبات ، لا بل كل شيء عليه جزاء ، فالثرثرة والتشدق ولباس ثوب الرياء تكشف كلها أمام قلعة الأخلاق الحصينة المنيعة ، فنجد الأخلاق في المسامحة ، فعن جابر - رضي الله عنه - ، ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى)[٣٢٥] .

ونجدها تدخل في الزيارة في الله وعيادة المريض (قال رسول الله -

---

٣٢١ صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ١٧٢ -١٧٣ ، باب من بنى مسجدا ، رقم ٤٣٩

اخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، باب ، فضل المساجد والحث عليها ، رقم ٥٣٣

٣٢٢ صحيح البخاري ، ج١ ص ١٩٧ ، باب الصلوات الخمس كفارة ، رقم ٥٠٥

اخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشي الي الصلاة تمحى به الخطايا ، رقم ٦٦٧

٣٢٣ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٧ ، رقم ٥٦٥٩ ، بابفي فضل من يعول يتيما .

٣٢٤ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٢٢٢٣ رقم ٥٦٦٠ ، باب الساعي علياالأرملة

٣٢٥ رواه البخاري ، ج ٢ ص ٧٣٠ رقم ٧٣٠

صلى الله عليه وسلم - : (من عاد مريضا أو زار أخا له في الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت في الجنة منزلا) [٣٢٦].

ونجد الأحاديث النبوية تشمل أنواع الصدقات ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (تبسمك في وجه أخيك لك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وارشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، واماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة)[٣٢٧] .

ونستطيع على ضوء هذه الأحاديث أن نثبت أن الجانب الأخلاقي في الجزاء هو فريد وأصيل وشامل وتفتقر اليه الدنيا بأجمعها في كل مكان وزمان ولكل جنس من البشرية .

ب - العقـــاب :

هو رحمة للضعفاء ، به يكون الذليل عزيزا ، والمتكبر مرغما لقبول الحق أمام ميزان العدل الاسلامي ..

والأمثلة كثيرة لا يمكن حصرها في هذه المقدمة ، نذكر نموذجا قليلا من الأحاديث الشريفة :

(١) باب : خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر :

أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر)[٣٢٨] .

(٢) باب : في رفع صوته بالعلم :

< عن عبدالله بن عمرو قال : تخلف عنا النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفرة سافرناها ، فأدركنا - وقد أرهقتنا الصلاة - ،نحن نتوضأ ، فجعلنا نمسح على أرجلنا ، فنادى بأعلى صوته : (ويل للأعقاب من النار)[٣٢٩] مرتين أو ثلاثا > .

(٣) باب : إثم من كذب على النبي - صلى الله عليه وسلم :

---

٣٢٦ رواه الترمذي ، وقال حديث حسن

٣٢٧ الترمذي ، ج ٤ ص ٣٣٩ رقم ١٩٥٦ ، باب ما جاء في صنائع المعروف ، صحيح البخاري في الأدب المفرد ص ٨٩١ ، وصححه ابن حبان ، ص ٨٦٤

٣٢٨ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٧ ، باب خوف المؤمن من ان يحبط عمله وهو لا يشعر ، رقم ٤٨

٣٢٩ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٣ ، باب من رفع صوته بالعلم ، رقم ٦٠

اخرجه مسلم في الطهارة ، باب وجوب غسل الرجلين بكاملها ، رقم ٢٤١

عن عامر بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : قلت للزبير : إني لا أسمعك تحدث عن رسو الله - صلى الله عليه وسلم - كما يحدث فلان وفلان ؟ قال : أما إني لم أفارقه ، ولكن سمعته يقول : (من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار) [٣٣٠].

(٤) التحذير من اتخاذ القبور مساجد :

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (لعن الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[٣٣١] .

(٥) اثم المار بين يدي المصلي :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لو يعلم المارُّ بين يدي المصلي ماذا عليه[٣٣٢] ، لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه)[٣٣٣] قال أبو النضر : لا أدري ، أقال أربعين يوما ، أو شهرا ، أو سنة .

(٦) إثم من فاتته العصر :

عن ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (الذي تفوته صلاة العصر ، كأنما وتر[٣٣٤] أهله وماله)[٣٣٥] .

(٧) إثم القاطـــــع :

أن محمدا بن جبير بن مطعم قال : إن جبير بن مطعم أخبره : انه سمع النبي - صلي الله عليه وسلم - يقول : (لا يدخل الجنة قاطع)[٣٣٦] .

---

٣٣٠ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٥٢ ، باب اثم من كذب على النبي - صلى الله عليه وسلم - فلان وفلان ، قال العيني : مسي متهما في رواية ابن ماجه عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - .

٣٣١ صحيح البخاري ، ج ١ص ١٦٥

٣٣٢ ‹ ماذا عليه › : من الاثم والخطيئة .

٣٣٣ صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٩١ باب اثم المار بين يدي المصلي ، رقم ٤٨٨

اخرجه مسلم في الصلاة ، باب منع المار بين يدي المصلي ، رقم ٥٠٧

٣٣٤ ‹ وتر الرجل › : اذا قتلت له قتيلا أو أخذت له مالا . .

٣٣٥ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٠٣ ، باب اثم من فاتته العصر ، رقم ٥٢٧ . .

اخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، باب التغليظ من تفويت صلاة العصر ، رقم ٦٢٦

٣٣٦ أخرجه البخري ، ج ٥ ص ٢٢٣١ ، باب اثم القاطع رقم ٥٦٣٨

اخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، رقم ٢٥٥٦

‹ لا يدخل الجنة قاطع › : أي قاطع الرحم .

فلو نظرنا الى الأحاديث النبوية التي فيها النهي أو الأمر نجدها مصحوبة بالعقوبة في الدنيا أو الآخرة ، ولو لم تكن العقوبة مع الفعل أو الترك لما اعتبر ذلك جريمة ، فقد قال العلماء :

< ان الفعل أو الترك لا يعتبر جريمة إلا إذا تقررت عليه عقوبة ..ويعبر الفقهاء عن العقوبات بلأجزية ، ومفردها جزاء ، فإن لم تكن على الفعل أو الترك عقوبة فليس بجريمة >[٢٣٧] .

والحكمة في تشريع العقوبة هو المحافظة على وحدة وسيادة الأخلاق النبوية الكريمة ، والقضاء على الفوضى والفتن والضرب على أيدي العابثين بمقدرات الأمة .

ولقد وجدت هذه المثل العليا من العلماء وأصحاب القانون أذن صاغية ، وعلي أساسها وضعت القوانين وموازين العدل ، فساد الأمة الاستقرار وسعدت بالرفاهية والقانون .

فقد قال صاحب كتاب التشريع الجنائي : < والأفعال المعتبرة جرائم يؤمر بها أو ينهى عنها ، لأن في اتيانها أو في تركها ضررا بنظام الجماعة أو عقائدها ، أو بغير ذلك في شتى الاعتبادات التي تستوجب حال الجماعة صيانتها وعدم التفريط فيها >[٢٣٨] .

وهذه الأفعال التي تعتبر جرائم لا يمكن دفع سمومها وشرها من المجتمع الاسلامي الا بالعقوبة والردع . وقد قال العلماء في ذلك :
< وقد شرع العقاب على الجريمة لمنع الناس من اقترافها ، لأن النهي عن الفعل أو الأمر باتيانه لا يكفي وحده لحمل الناس على اتيان الفعل أو الانتهاء عنه ، ولولا العقاب لكانت الأوامر والنواهي أمورا ضائعة وضربا من العبث ، فالعقاب هو الذي يجعل للأمر والنهي معنى مفهوما ، ونتيجة مرجوة ، وهو الذي يزجر الناس عن الجرائم ، ويمنع الفساد في الأرض ، ويحمل الناس على الابتعاد عما يضرهم ، أو فعل ما فيه خيرهم وصلاحهم >[٢٣٩] .

---

٢٣٧ التشريع الجنائي الاسلامي ، ج ١ ص ٦٦

٢٣٨ المصدر السابق ، ج ١ ص ٦٨

٢٣٩ المصدر السابق

٧ - التعاون على الخير وعدم التعاون على الشر ‹ أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر › :

فالتعاون على الخير وعدم التعاون على الشر هما القاعدتان لبناء الأمة الإسلامية ، وشد أزرها ، وتماسك بنيانها ، والقضاء على الخلل الذي يتسلل منه أصحاب المكائد للقضاء على الأخلاق الإسلامية ، والأحاديث النبوية خير شاهد على ذلك :

(١) عن أبي موسى ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن المؤمن للمؤمن[٣٤٠] كالبنيان ، يشد بعضه بعضا)[٣٤١] .

(٢) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ترى المؤمنين في تراحمهم ، وتوادهم ، وتعاطفهم ، كمثل الجسد ، إذا اشتكى عضو[٣٤٢] ، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى)[٣٤٣] .

في هذا الحديث الشريف شبه شعور المؤمنين واحساسهم كجسد واحد في افراحهم واتراحهم ، وعلى هذا الأساس فإن وقوع أي أذى أو ظلم أو فقر ... إلخ على أحد منهم فكأنما وقع على الجميع .

(٣) علاقة المسلم بالمسلم :

عن ابن شهاب ، أن سالما أخبره ، أن عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - أخبره : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)[٣٤٤] .

(٤) طريقة نصر المسلم لأخيه :

عن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (أنصر أخالك ظالما أو مظلوما) ، فقال رجل : يا رسول الله ،

---

٣٤٠ ‹ المؤمن للمؤمن › : أي حال المؤمن في تعاونه مع المؤمن .

٣٤١ صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٨٢ ، رقم : ٤٦٧

اخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، رقم ٢٥٨٥

٣٤٢ ‹ اشتكى عضو › بمرض اصابه (حاشية البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٣٨)

٣٤٣ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٣٨ ، باب رحمة الناس والبهائم ، رقم ٥٦٦٥

اخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، رقم ٢٥٨٦

٣٤٤ صحيح البخاري ، ج ٦ ص ٢٥٥٠ ، رقم ٦٥٥١

انصره إذا كان مظلوما ، أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره ؟ . قـــــال : (تحجزه ، أو تمنعه ، من الظلم ، فإن ذلك نصره)[٣٤٥] .

(٥) النصيحة لكل مسلم :

عن جرير عبدالله قال : بايعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على إقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم)[٣٤٦] .

ويحتاج الشخص الذي يقوم بالنصيحة أو الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر من العلم بالمعروف الذي يدعو اليه والمنكر الذي ينهى عنه . وكذلك يحتاج الى الرفق[٣٤٧] ..

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه)[٣٤٨] .

٨ - **التوسط والاعتــــــدال :**

لقد ورد خلق الاعتدال في السنة النبوية في كل شيء سواءً في العمل أو العبادة أو الوعظ أو المحافظة على طهارة الأشياء .. وهذا جانب يثمر خيرا كثيرا لأنه يشجع المسلم على الاستمرار والاتقان والرغبة في العمل الذي يقوم به ، ويجعل المسلم متزن الفكر مطمئن النفس . نذكر قسما من الأحاديث للأستشهاد على ذلك ، منها :

أ - أحب الدين الى الله أدومه :

عن هشام قال ، أخبرني أبي عن عائشة ، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – دخل عليها وعندها إمرأة ، قال : (من هذه ؟) ، قالت : فلانه ، تذكر من صلاتها ، قال : (مه ، عليكم ما تطيقون ، فو الله لا يمل الله حتى تملوا)[٣٤٩] . وكان احب الدين اليه ما داوم عليه صاحبه .

---

٣٤٥ المصدر السابق ، رقم ٦٥٥٢

٣٤٦ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣١ ، باب الدين النصيحة ، رقم ٥٧ و ٥٨
اخرجه مسلم في الايمان ، باب بيان ان الدين النصيحة ، رقم ٥٦

٣٤٧ أصول الدعوة ، ص ٤٥٠ – ٤٥١

٣٤٨ اخرجه مسلم في البر والصلة ، باب فضل الرفق ، ص ٢٠٠٤ ، رقم ٢٥٩٤

٣٤٩ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٤ ، باب أحب الدين الله أدومه ، رقم ٤٣
اخرجه مسلم في صلاة المسافرين ، باب أمر من نعس في صلاته او استعجم عليه القرآن ، رقم ٧٨٥

ب - تخول الموعظة :

عن ابن مسعود قال : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتخولنا الموعظة ، كراهة[٣٥٠] السآمة علينا [٣٥١].

ج - التخفيف في الصلاة :

عن أبي مسعود الانصاري قال : قال رجل[٣٥٢] : يا رسول الله ، لا أكاد أدرك الصلاة مما يُطوُل بنا فلان[٣٥٣] ، فما رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في موعظة أشد غضبا من يومئذ ، فقال : (أيها الناس ، إنكم منفرون ، فمن صلى بالناس فليخفف ، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة)[٣٥٤] .

د - النوم عند النعاس وعدم الارهاق الشديد في العبادة :

عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد ، حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس ، لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه)[٣٥٥] .

هـ- ما يقع من النجاسات في السمن :

عن ابن عباس ، عن ميمونة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سُئل عن فأرة سقطت في سمن ؟ ، فقال : (ألقوها وما حولها فاطرحوه ، وكلوا سمنكم)[٣٥٦] .

و - حمل الطفل في الصلاة رحمة به :

عن أبي قتادة الانصاري : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يصلي ، وهو حامل أمامة بنت زينب ، بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولأبي العاص ابن الربيع بن عبد شمس ، فإذا سجد وضعها ،

---

٣٥٠ ‹ كراهة السآمة › : لا يحب ان يصيبها الملل (حاشية البخاري ، ج ١ ص ٣٨) .

٣٥١ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٨ ، رقم ٦٨

٣٥٢ ‹ رجل › : هو حزم بن أبي كعب ، وقيل غيره (حاشية البخاري ج ١ ص ٤٦)

٣٥٣ ‹ فلان › : هو معاذ بن جبل - رضي الله عنه - (المصدر السابق)

٣٥٤ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٤٦ ، رقم ٩٠

٣٥٥ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٨٧ ، رقم ٢٠٩

اخرجه مسلم في صلاة المسافر وقصرها ، باب أمر من نعس في صلاته . . . ، رقم ٧٨٦

٣٥٦ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٩٣ ، باب ما يقع من النجاسات في في السمن والماء رقم ٢٣٣/٢٣٤

وإذا قام حملها"[٣٥٧] .

هذه الأمثلة المتنوعة في الأحاديث النبوية الشريفة كلها تدل على رفع الحرج عن الأمة والتوسط في حياتها ، وهو الخير لها لدوام العمل ، ورفع المشقة ، وعدم التنفير ومداراة الناس في معاشهم ، ولاجل الشفقة والرحمة .

اضواء على الموضوع :

أود أن أذكر بعض الملاحظات عن الموضوع خشية أن يسيء بعض المسلمين فهم هذه الأخلاق العالية ، فيتخذها مزالق للمحرمات ، أو فرصة للنوم والكسل ، وترك التسابق للمجد والمعالي ..

** والملاحظات هي :

١) يجب ان يكون الاعتدال في الاعمال في غير المحرم ، أما الحرام فيجب الامتناع عنه كليا ، مهما كان نوعه ، وخاصة المحرمات التي تكون في المجالس من : غيبة ، ونميمة ، واستهزاء بالآخرين ، والمزاح الباطل .. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فانتهوا)[٣٥٨] .

٢) الكسل في العمل مخالف للاعتدال . فلا يجوز ان يميل الانسان الى الكسل ويترك الاعمال الصالحة بحجة الاعتدال ، لأن الكسل والاعتدال نقيضان ، لا يمكن الجمع بينهما ، لان الاعتدال هو اشبه بمحطات وقود لتزويد المسلم بطاقة العمل ، والكسل قاتل لكل الهمم .. ولذلك كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يستعيذ من العجز والكسل ، وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (نعمتان مغبون فيهما ابن آدم ، الصحة والفراغ)[٣٥٩] .

٣) المسلم يحاسب على حسب قدرته التي حملها ، وتوجد موازين اسلامية لضبط قدرته التي يملكها ، وعلى أساس ذلك يكون الحساب والعمل والجهد والبذل .. الخ . من تلك الضوابط : الفراغ ، الصحة ، الشباب ، القوة ، العلم .. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

---

٣٥٧ صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٩٣ ، باب اذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة ، رقم ٤٩٤

اخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة ، رقم ٥٤٣

٣٥٨ وهو جزء من حديث رواه مسلم ، ج ٢ ص ٩٧٥ ، رقم ١٣٣٧

٣٥٩ رواه البخاري في كتاب الرقاق ، ج ٥ ص ٢٣٥٧ رقم ٦٠٤٩

(مروهم وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع)[٣٦٠] .

٤) لا يجوز تجاوز الحد الأدنى في الأعمال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فلبسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان)[٣٦١] .

فالحديث النبوي الشريف يبين واجب المسلم أمام أهل المنكر ، ويبين أن أضعف الايمان هو التغيير بالقلب ، ولا ايمان للمرء ان تجاوز الحد الأدنى . وتغيير المنكر في القلب يشمل : مقاطعة أهل المنكر وعدم مجالستهم ومواكلتهم ومشاربتهم والمزاح معهم والشراء منهم إن وجد غيرهم ، وعدم مزاوجتهم ..إلخ .

٩ - الترغيب بالالتزام ببعض الآداب الحسنة والفضائل والاعمال الصالحة :

لقد احتوت السيرة النبوية على انواع في الاخلاق الطيبة ولكل نوع له طعمه الطيب ورائحته العطرة ، والترغيب نور جذاب للعمل الصالح ، ونص الحديث النبوي يغني عن كلّ بيان:

أ - من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين :

عن ابن شهاب قال ، قال حميد بن عبدالرحمن ، سمعت معاوية خطيبا ، يقول : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، وإنما تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله)[٣٦٢] .

ب - تسوية الصفوف عند الاقامة وبعدها :

عن أنس ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (أقيموا الصفوف ، فإني أراكم خلف ظهري)[٣٦٣] .

ج - الترغيب في استخدام السواك :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (لولا أن أشق على أمتي ، أو على الناس ، لأمرتهم بالسواك

---

٣٦٠ رواه ابو داود ، ج ١ ص ١٣٣ ، رقم ٤٩٥ ، في كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة .

٣٦١ رواه مسلم ، ج ١ ص ٦٩ ، رقم ٤٩ ، في كتاب الايمان .

٣٦٢ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٩ ، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، رقم ٧١

اخرجه مسلم في الزكاة ، باب النهي عن المسألة ، رقم ١٠٣٧

مع كل صلاة)[٣٦٤] .

د - القيام للجنازة :

عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قال : مرت بنا جنازة ، فقام النبي - صلي الله عليه وسلم - وقمنا له ، فقلنا يا رسول الله ، إنها جنازة يهودي ؟ قال : (إذا رأيتم الجنازة فقوموا)[٣٦٥] .

هـ - الترغيب في العمل :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره ، خير من أن يسأل أحدا ، فيعطيه أو يمنعه)[٣٦٦] .

هذه أمثلة من الأحاديث النبوية في السنة النبوية التي فيها من هذه الأحاديث عدد لا حصر لها للترغيب لأعمال وعادات كثيرة بأساليب جذابة ومشوقة .

وهذه الأحاديث كل منها قد اشار الى نوع من الأعمال أو العادات صراحة ، وتوجد أحاديث أخرى قد حثت على كل خير وأتت تحرك كوامن النفس وتهز الضمير لكل خير ، وهذا الاسلوب أتى بطريقة وصف الجنة وما أعد الله فيها للمتقين ، ومن رغب في هذا النعيم فعليه ان يعمل كل خير ويزود طيلة عمده من كل نافع .. ومن هذه الأحاديث :

أ - ما أعد الله لأهل الجنة :

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر)[٣٦٧] .

ب - المقارنة بين الجنة والدنيا :

عن سهل قال : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : (موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولغدوة في سبيل الله

---

٣٦٤ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٠٣، باب السواك يوم الجمعة ، رقم ٨٤٧

اخرجه مسلم في الطهارة ، باب السواك ، رقم ٢٥٢

٣٦٥ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٤٤١ ، باب من قام لجنازة يهودي ، رقم ١٢٤٩

اخزجه مسلم في الجنائز ، باب : القيام للجنازة ، رقم ٩٦٠

أو روحة خير من الدنيا وما فيها)[٣٦٨] .

ج - صفة أهل الجنة :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون ، آنيتهم فيها الذهب ، وامشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم من الألوة[٣٦٩] ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيا)[٣٧٠] .قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

‹ ويقال سميت الجنة دار السلام أي دار السلامة من الآفات والعاهات والنكبات يسلمون فيها من الضرر والفقر والهجر ، ويسلمون من الأوجاع والأمراض ، والصدود والإعراض ، يسلمون فيها من طلب القوت ، وضيق البيوت ، وسكرات الموت ، وحسرة القوت ›[٣٧١] .

عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعبدالله بن عمرو بن العاص : ‹ وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده ، وجعلها مقرا لأحبابه ، ملأها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ، وملكها بالملك الكبير ، وأودعها جميع الخير بحذافيرها ، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص ، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران ، وان سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن ، وان سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر ، وان سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر .. الخ ›[٣٧٢] .

هذه الطريقة من وصف الجنة ، وهذا العرض الجذاب والنعيم الدائم المغري يشوف النفس ويفتح قوى العقل وينشط البدن للعمل الصالح بكل أنواعه وفي كل الأوقات .

١٠ - الترهيب والتزهيد بترك العادات السيئة والأعمال الرذيلة :

هذا الأسلوب من الأخلاق التربوية أشبه بالتحذير من الأخطار على طريق محفوف بالمهالك لمن غفل لحظة واحدة ، فكانت هذه الآداب ، توقظ

---

٣٦٨ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٥٨ ، باب مثل الدنيا في الآخرة ، رقم ٦٠٥٢

٣٦٩ ‹ الألوة › : العود الاذي يتبخر به .

٣٧٠ سنن الترمذي ، الجامع الصحيح ، ج ٤ ص ٦٧٨ ، باب في صفة أهل الجنة ، رقم ٢٥٣٧

٣٧١ حادي الأنام الى دار السلام .

٣٧٢ حادي الأرواح الى دار الفلاح ، ص ٢١٨ - ٢١٩

النفس من غفلتها ، تثير الخوف من خطر البيات ، فتدفعه الى العمل الصالح ليكون له زادا في وم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من آتى الله بقلب سليم . وعرض سنة خاتم المرسلين بلسما شافيا لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

أ - ما يكره من الأشياء قبل العشاء وبعده :

عن أبي برزة : ‹ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يكره النوم قبل العشاء ، والحديث بعدها ›[٣٧٣] .

ب - ترهيب من رفع رأسه قبل الامام :

عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (أما يخشى أحدكم ، أو ألا يخشى أحدكم ، إذا رفع رأسه قبل الامام ، أن يجعل الله رأسه رأس حمار ، أو يجعل صورته صورة حمار)[٣٧٤] .

ج - ما كره الله لعباده من الأقوال والإعمال :

كتب معاوية الى المغيرة بن شعبة : ‹ ان اكتب الى شيء سمعته من النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فكتب اليه ، سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إن الله كره لكم ثلاثا : قيل وقال ، وإضاعة الامال ، وكثرة السؤال) .. ›[٣٧٥] .

د - السفر قطعة من العذاب :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه ، فإذا قضى نهمته فليعجل الى أهله)[٣٧٦] .

هـ - ما يحبط أجر الصيام :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[٣٧٧] .

و - ذم ذي الوجهين :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال النبي - صلى الله عليه

---

٣٧٣ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٠٨ ، باب ما يكره من النوم قبل العشاء ، رقم ٥٤٣

٣٧٤ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٤٥ ، باب إثم من رفع رأسه قبل الامام ، رقم ٦٥٩

اخرجه مسلم في الصلاة ، باب تحريم سبق الامام بركوع او سجود ونحوها ، رقم ٤٢٧

٣٧٥ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٥٣٧ ، باب قوله الله تعالى : « لا يسألون الناس الحافا » رقم ١٤٠٧

٣٧٦ اخرجه البخاري ، ج ٢ ص ٦٣٩ ، باب السفر قطعة من العذاب ، رقم ١٧١٠

اخرجه مسلم في الامارة ، باب : السفر قطعة من العذاب ، رقم ١٩٢٧

٣٧٧ صحيح البخاري ج ٢ ص ٦٧٣ ، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم ، رقم ١٨٠٤

وسلم - : (تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين ، الذي يأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه)[٣٧٨] .

لقد وردت الاحاديث النبوية الشريفة في هذه الأن،اع التي ذكرتها بمعالجة الجانب الاخلاقي عن طريق الترهيب والتزهيد في بعض الأعمال لما يترتب على تلك الأعمال من المشقة والتكاسل في الاعمال عند السفر ، أو يحول خلقته حقيقة أو مجازا عند سبق الامام في الركوع والسجود . أو احباط لعمله كقول الزور ، او وصف ذي الوجهين بأقبح الأوصاف لما يثير في المجتمع الفتن والتفرقة والعداوة .

هذه أحاديث فيها ترهيب شامل لكل قبيح ولكل عمل لا ينفع ، وهذه الأحاديث جاءت لوصف النار التي أعدت للمذنبين ، وعندما يقرأ المسلم هذه الأحاديث تكون له سعة أفق من الخوف من كل ذنب ، فيسد كل خلل يتسرب منه الذنب ، ومن هذه الأحاديث التي توضح ما أسلفنا ذكره ما يأتي :

أ - هول الموقف وشدته يوم القيامة :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا ، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم)[٣٧٩] .

ب - ما يفسده الزقوم لو وضعت منه قطرة علي الأرض :

عن ابن عباس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ هذه الآية : « اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون »[٣٨٠] .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم ، فكيف بمن يكون طعامه)[٣٨١] . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

ج - تشويه صورة وجه أهل النار :

عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « وهم فيها كالحون »

---

٣٧٨ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٥١ ، باب ما قيل في ذي الوجهين ، رقم ٥٧١١

اخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ، باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله ، رقم ٢٥٢٦

٣٧٩ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٩٣ ، رقم ٦١٦٧

اخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها ، باب في صفة يوم القيامة ، رقم ٢٨٦٣

٣٨٠ آل عمران : ١٠٢

٣٨١ سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ج ٤ ص ٧٠٦ - ٧٠٧ باب ما جاء في صفة شراب اهل النار ، رقم ٢٥٨٥

قال : (تشويه النار ، فتقلص شفته العليا حتى يبلغ وسط رأسه ، وتستر من شفته السفلى حتى تضرب سرته)[٣٨٢] . قال أبو عيسي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

د - أهون أهل النار عذابا :

عن النعمان بن بشير : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل في إخمص قدميه جمرتان ، يغلي منهما دماغه)[٣٨٣] . قال ابو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

هـ - أهوال لا طاقة للمرء بسماعها ، فكيف الصبر على تحملها :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه تلا هذه الآية : « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ، يصب من فوق رؤسهم الحميم ، يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ، وذوقوا عذاب الحريق » ، فقال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إن الحميم ليصب على رؤسهم ، فينفذ الجمجة حتى يخلص الى جوفه ، فيسلت ما في جوفه ، حتي يمرق من قدميه ، وهو الصهر ، ثم يعاد كما كان) . أخرجه الترمذي والحاكم وصححاه ، وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم .

وقال ابن عباس : (يمشون وأمعاؤهم تتساقط)[٣٨٤] .

هذه الأحاديث أوقدت في نفوس السلف الصالح شدة الحذر ، فصفت قلوبهم ، وجعلوا النار نصب أعينهم كمنبهات خطر للذنوب ، والابتعاد عن كل ما يكدر صفاء النفس للعمل الصالح ، وقال موسىٰ بن عقبة في - مغازيه - : (زعموا أن ابن رواحة بكى حين أراد الخروج الى مؤته ، فبكى أهله حين رأوه يبكي ، فقال : والله ما بكيت جزعا من الموت ولا صبابة لكم ، ولكني بكيت جزعاً من قول الله عز وجل : « وإن منكم إلا واردها »[٣٨٥] . فأيقنت أني واردها ، فلا أدري انجو منها أم لا)[٣٨٦] .

١١ - روعة البيان وسحره :

لقد ذكرنا سابقا الأخلاق الكاملة بأساليب متنوعة التي تتضمنها السنة النبوية ، واضافة على ذلك فان تلك الأساليب تحمل من الروعة

---

٣٨٢ سنن الترمذي ، ج ٤ ص ٧٠٨ ، رقم ٢٥٨٧

٣٨٣ سنن الترمذي ، ج ٤ ص ٧١٦ ، رقم ٢٦٠٤

٣٨٤ يقظة اولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار واصحاب النار ، ص ٤٥

٣٨٥ مريم : ٧١

٣٨٦ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ، ص ١٩٥

والبيان ، ما يجعل الفاظها اشبه بواحة خضراء قطوفها دانية أو شمس مضيئة تشرق على الدنيا بأجمعها .

إن الجمل متناسقة والالفاظ متناسبة والمعاني رقيقة يتقبلها الذوق وتشتاق اليها النفس ، فتفرض قيمتها على المنصفين ، وتدخل ابواب القلوب بدون استئذان ، لأن رنين اجراسها تألفه الطباع ، وهو أحوج للنفس والجسم والعقل من الماء والذاء والهواء .

‹ إن الفصاحة تكون مختصة بخصائص .. منها :

أ – اختصاص بعض الألفاظ برقة ورشاقة ، وأن تكون جارية على العادة المألوقة ، فلا تكون خادجة عن الاستعمال ، أن تكون اللفظة خفيفة على الألسن ، لذيذة على الأسماع ، حلوة في الذوق ›[٣٨٧] .

وأما الرقة فقوله – صلى الله عليه وسلم – : (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وأعدد نفسك في الموتى ... إلخ)[٣٨٨] .

ب – ومن الأركان الأساسية للكلام البليغ :

خلوه من التعقيد اللفظي ، والتعقيد المعنوي ، وهذا ما يتوفر في السنج النبوية بعدد لا حصر لها .

ج – ‹ ومن عناصر الجمال الأدبي في الكلام نقل الأسماء أو الصفات من مواضعها الإصطلاحية أو الطبيعية وإضفاؤها على غيرها لوجود ما يستدعي في التخيل هذا النقل ، وان لم يكن في الواقع كذلك ›[٣٨٩] .

ومن بديع هذا النقل قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : (ومن بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه) .

‹ وفيه اضفاء صفة التباطيء على العمل ، وهي في الأصل صفة الكسل أو التقصير في العمل ، ولكن التخيل اذا رأى العامل المقصر الكسول تصور أن عمله هو الذي بطأ به ، اذ العمل هو الحركة المشهودة ، اما الكسل او التقصير فهما لا يشاهدان نظرا ، وانما يدركان فكرا (وفيه اضفاء صفة الاسراع أو عدمه على النسب ، لان الناس يتخيلون ان من لم ينل السبق بعمله ربما ناله بنسبه ، فيعطي ذو النسب الكريم منزلة السبق لمجرد نسبه ›[٣٩٠] .

د – ومن عناصر الجمال الأدبي في الكلام : تقريب الصورة الغائبة ،

---

٣٨٧ الطراز ، ج ١ ص ١١٣

٣٨٨ وهذا قسم من حديث مطو وزد في صحيح البخاري ، في الرقاق ، ج ٥ ص ٢٣٥٨ ، رقم ٦٠٥٣

٣٨٩ مبادىء في الأدب والدعوة ، ص ١١١

٣٩٠ المصدر السابق ، ص ١١٢

وذلك بوضعها في صورة مشهودة النظير ، أو في صورة متخيلة في أذهان المخاطبين[٣٩١] .

ومن أمثلة ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم – : (ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء) .

هـ- ومن عناصر الجمال الأدبي في الكلام : لفت النظر الى معانٍ دقيقة لا يتنبه لها الذهن العادي في أول وهلة ، لكنه اذا لفت نظره اليها أو انتبه لها بنفسه أعجب بها ، وربما أحس انه امتلك امرا طريفا لم يكن يخطر على باله[٣٩٢] .

ومن أمثلة ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم – : (انصر أخالك ظالما أو مظلوما) ، قيل : كيف أنصره ظالما ؟ قال : (تحجزه من الظلم ، فإن ذلك نصره)[٣٩٣] .

ولا يمكن التفصيل في هذه المقدمة من روعة البيان في السنة النبوية التي كلها في القمة في الروعة البلاغية ، ومن أراد الاطلاع فعليه بالكتب البلاغية للوقف على ذلك .

ومجمل القول :

‹ أن اسلوب الحديث يمتاز باشراق ديباجته ، واتساق عبارته ، وتساوق ألفاظه ، وفقراته لأداء معنى واضح معين ، ومطابقة مدلوله لمقتضى الحال ، وملاءمة لغته للغة المخاطب ، وأشد ما يكون ذلك ظهورا حين يخاطب الوفود ، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – يستعمل الغريب ، ويلتزم السجع ، ،يذكر ألفاظا من مهجور اللغات تبعاً لما جرى لسان الوافدين عليه .. من ذلك حديثه مع طهفة بن أبي زهير الهذي ، ومع لقيط بن عامر بن المنتفق ، وذلك من حسن أدبه وسمو بلاغته وقوة تأثيره ›[٣٩٤] .

---

٣٩١ المصدر السابق ، ص ١١٩

٣٩٢ المصدر السابق ، ص ١٢٥

٣٩٣ رواه البخاري ، ج ٦ ص ٢٥٥٠ ، في الاكراه ، رقم ٦٥٥٢

٣٩٤ العقد الفريد ، ج١ص١٨١ ، يمتاز الحديث النبوي باشراق ديباجته واتساق عبارته ..

الفصل الثانـي

الأدلة النقلية على اثبات حجية السنة :

من

الأحاديث النبوية الشريفة

وتشتمل على المباحث الآتية :

المبحث الأول

اثبات حجية السنة بنصوص الأحاديث النبوية
بأساليب متنوعة

لقد نصت الأحاديث النبوية الصحيحة على اثبات حجية السنة بأساليب متنوعة ، ولم تدع مجالا لأحد من المسلمين بتركها .

ومن النصوص التي وردت :

١ - **هلاك الأمة بعدم طاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :**

عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به ، كمثل رجل أتى قوما فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعيني ، واني انا النذير العريان ، فالنجاء ، فاطاعه طائفة منهم من قومه فأدلجوا ، فانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم ، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق)[٣٩٥] .

---

٣٩٥ صحيح البخاري ، ج ٨ ص ٢٦٥٦ ، باب الاعتصام بالكتاب والسنة ، رقم ٦٨٥٤

٢ - **حفظ الأمة من الضلال هو التمسك بالكتاب والسنة :**

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي)[٣٩٦] .

٣ - **التزام السنة أمان من التفرق والضلال :**

قال العرباض : صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم ، ثم أقبل علينا ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد الينا ؟ فقال : (أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، ولو كان عبدا حبشيا ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة)[٣٩٧] .

٤ - **لا عذر للمسلم بتجاوز حكم السنة ، إن لم يجد ذلك بكتاب الله :**

وروى مسلم عن ابن عباس ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (مهما أوتيتم من كتاب الله ، فالعمل به ، لا عذر لأحد في تركه ، فإن لم يكن في كتاب الله ، فبسنة نبي ماضية)[٣٩٨] .

٥ - **إن ما حرم رسول الله كما حرم الله :**

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ألا إني أتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول ك عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . وان ما حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما حرم الله)[٣٩٩] .

وفي هذا الحديث النبوي الشريف لا فرق بين السنة والكتاب في الحلال والحرام[٤٠٠] .

---

٣٩٦ الموطأ للامام مالة ، ج ٢ ص ٨٩٩ ، كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر ، رقم ٣
الفتح الكبير ، ج ٢ ص ٢٧

٣٩٧ الحديث سبق اخرجناه ، ص

٣٩٨ دفاع عن الحديث ، ص ٤٦

٣٩٩ سنن ابن ماجه ، ج ١ ص ٦ ، باب تعظيم حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ، رقم ١٢
سنن ابي داود ، ج ٤ ص ٢٠٠ ، باب في لزوم السنة ، رقم ٤٦٠٤

٤٠٠ علوم الحديث ومصطلحه ، د . صبحي ، ص ٣٠١

وقد عد الشاطبي هذا الحديث دليلاً على ان في السنة ما ليس في الكتاب[٤٠١] .

٦ - **دخول الجنة مرتبط باتباع السنة :**

عن أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) ، قالوا : يا رسول الله ، ومن يأبى ؟ قال : (من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى)[٤٠٢] .

٧ - **عدم قبول الأعمال ما لم يكن موافقا للسنة :**

أ - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)[٤٠٣] .

ب - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[٤٠٤] .

٨ - **أن طاعة الرسول هي طاعة الله ، ومعصية الرسول معصية الله :**

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع أمري فقد أطاع أمري فقد أطاعني ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن عصا أمري فقد عصاني)[٤٠٥] . اسناده صحيح على شرط الشيخين[٤٠٦] .

ففي هذه الأحاديث النبوية الشريفة المتنوعة نجد الحكم فيها وجوب اتباع السنة ولا مجال لتركها بأي حال من الأحوال ، حيث ان تاركها مهدد بالهلاك والضلال والتفرق وعدم قبول العمل .

---

٤٠١ الموافقات ، للشاطبي ، ٤/١٥

٤٠٢ صحيح البخاري ، ج ٦ ، ص ٢٦٥٥ ، باب الاعتصام بالكتاب والسنة ، رقم ، ٦٨٥١

٤٠٣ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٩٥٩ ، كتاب الصلح ، رقم ٢٥٥٠

صحيح مسلم ، ج ٣ ص ١٣٢ ، باب نقض الاحكام الباطلة

سنن ابي داود ، ج ٤ ص ٢٠٠ ، باب في لزوم السنة

سنن ابن ماجه ، ج ١ ص ٦ ، المقدمة

٤٠٤ مسند الامام احمد ، ج ٦ ص ١٤٦ ، ١٨٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٢٧٠

٤٠٥ صحيح مسلم ، ج ٦ ص ١٣

سنن النسائي ، ج ٤ ، ص ١٥٤ / الجزء السابع

٤٠٦ كتاب السنة ، للشيباني ، ج ٢ ص ٥٠٧

ويقول الامام ابن حجر في كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري في شرح حديث (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد) :

‹ وهذا الحديث معدود في أصول الاسلام وقاعدة من قواعده ، فإن معناه : من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله ، فلا يلتفت اليه .. وقال النووي : هذا الحديث مما ينبغي ان يعتنى بحفظه واستعماله في ابطال المنكرات ، واشاعة الاستدلال به كذلك .. وقال الطرفي : هذا الحديث يصلح ان يسمىٰ نصف أدلة الشرع ، لأن الدليل يتركب في مقدمتين ، والمطلوب بالدليل إما اثبات الحكم أو نفيه ، وهذا الحديث مقدمة كبرى في اثبات كل حكم شرعي ونفيه ›[٤٠٧] .

---

٤٠٧ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣

المبحث الثاني

شمول السنة لجميع نواحي الدين والدنيا

أ -القسم الأول – حاجة الحكم الشرعي اليها بفرض حجيتها :

والأسباب التي جعلت حاجة الحكم الشرعي اليها بفرض حجيتها هي :

١ - السنة أصل مستقل :

إن السنة أصل مستقل في كثير من الأحكام الشرعية مما جعل كثير من الأحكام الشرعية معطلة ومشلولة ما لم ترجع الى السنة .. من هذه الأحكام ما يأتي :

١) عدم جواز لبس المخيط في الحج :

‹ حرم الشرع جواز لبس المخيط في أيام الحج ، ولم يرد ذلك في نص قرآني ، وإنما أوردته السنة .. فقد ورد ان عبدالرحمن بن بريد رأى رجلا في موسم الحج قد ارتدى ثوبا مخيطا ، فيرشده الي نزع ثيابه، والأخذ بسنة النبي – صلي الله عليه وسلم – في لباس الاحرام ، فيقول الرجل لعبد الرحمن : أئتني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي . فلا يرى عبدالرحمن خيراً من أن يقرأ عليه قول الله تعالى : « وما اتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهو »[٤٠٨] فنزع الثوب المخيط .. لم يرد صريحا في كتاب الله وانما ورد في الحديث فقط ›[٤٠٩] .

٢ - توريث الجدة :

فعن قبيصة بن ذؤيب قال : ‹ جاءت الجدة الى أبي بكر فسألته ميراثها ، فقال : مالك في كتاب الله شيء ، وما علمت لك في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شيئا ، فازجعي حتى أسأل الناس ، فسأل الناس ، فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله – صلى الله عليه

٤٠٨ الحشر : ٧

٤٠٩ علوم الحديث ، د . صبحي ، ص ٢٩٢

وسلم - أعطاها السدس ، فقال : هل معك غيرك ؟ فقال : محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة ، فانفذه لها أبو بكر ›[٤١٠] .

٣ - تحريم الجمع في الزواج بين المرأة وعمتها أو خالتها :

فقد حرمت السنة النبوية الجمع في الزواج بين المرأة وعمتها أو خالتها ، ولم يرد ذلك في القرآن الكريم . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها)[٤١١] .

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن أربع نسوة أن يجمع بينهن : المرأة وعمتها ، والمرأة وخالتها[٤١٢] .

٤ - تخصيص من قتل قتيلا بأخذ سلبه :

‹ قال ابن القيم : ان الناس جميعا أخذوا بحديث (من قتل قتيلا فله سلبه) وهو زائد على ما في القرآن من قسمة الغنائم - أي كلها بما فيها من أسلاب القتلى بين المقاتلين جميعا - ›[٤١٣] .

‹ عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : بارزت رجلاً فقتلته فاعطاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سلبه ›[٤١٤] .

في الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقات ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من حديث طويل : (من قتل قتيلا فله ، فله عليه بينة ، فله سلبه)[٤١٥] .

٥ - عدم التوارث بين المسلم والكافر :

لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم ، وهذا زائد على القرآن ، فقد ورد الحديث النبوي الشريف لبيان ذلك عن أسامة بن زيد ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم)[٤١٦] .

---

٤١٠ سنن ابي داود ، ج ٣ ص ١٢٢ ، باب في الجدة ، رقم ٢٨٩٤ . سنن الترمذي ، ج ٤ ص ٤١٩

٤١١ صحيح مسلم ، ج ٢ ص ١٣٥ ، باب تحريم الجمع بين المرأة وخالتها في النكاح .

٤١٢ المصدر السابق .

٤١٣ دفاع عن الحديث النبوي ، ص ٢١

٤١٤ سنن ابن ماجه ، ج ٢ ص ٩٤٦ ، باب المبارزة والسلب ، رقم ٢٨٣٦

٤١٥ سنن ابي داود ، ج ٣ ص ٧٠ ، باب في السلب يعطى القاتل رقم٢٧١٧

٤١٦ صحيح البخاري ، ج ٦ ص ٢٤٨٤ ، كتاب الفرائض ، رقم ٦٣٨٣

٦ - وجوب الكفارة على من جامع في نهار رمضان :

فقد ورد عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال بينما نحن جلوس عند النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ جاءه رجل ، فقال : يا رسول الله هلكت ، قال : (مالك) ؟ . قال : وقعت على إمرأتي وأنا صائم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (هل تجد رقبة تعتقها) فقال : لا ، قال : (فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين) قال : لا ، فقال : (فهل تجد طعام ستين مسكينا) قال : لا ، قال . فمكث النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فبينما نحن على ذلك ، أوى النبي - صلى الله عليه وسلم - بعرق[٤١٧] فيه تمر ، قال : (أين السائل ؟) ؟ فقال : أنا . قال : (خذ هذا فتصدق به) . فقال الرجل : اعلى أفقر مني يا رسول الله . فوالله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر من أهل بيتي . فضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى بدت أنيابه ، ثم قال : (أطعمه أهلك)[٤١٨] .

٧ - ثبت القضاء بالشاهد واليمين :

‹ فقد ثبت في السنة القضاء بالشاهد واليمين ، والقرآن يطالب بالشاهدين ›[٤١٩] .

٨ - حرم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أكل الحمر الأهلية :

عن علي بن أبي طالب : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن متعة النساء يوم خيبر ، وعن أكل لحوم الحمر الأنسية[٤٢٠] .

٩ - نهي عن نكاح المتعة :

عن عمر بن عبدالعزيز قال حدثنا الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن المتعة ، وقال : (ألا انها حرام في يومكم هذا الى يوم القيامة ، ومن كان أعطى شيئا فلا يأخذه)[٤٢١].

---

٤١٧ ‹ بعرق › : المكتل

٤١٨ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٦٨٤ ، وجوب الكفارة ، رقم ١٨٣٤

واخرجه مسلم في الصيام ، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان ، رقم ١١١١

٤١٩ اعلام الموقعين ، ج ٢ ، ذكر الاحكام التي جاءت بها السنة .

٤٢٠ صحيح مسلم ، ج ٢ ص ١٣٤

٤٢١ المصدر السابق .

١٠ - ثبوت المسح على الخفين في السنة :

عن أبي سلمة ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري : أن أباه أخبره : أنه رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – يمسح على الخفين[٤٢٢] .

١١ - قبول خبر المرأة في الشهادة في بعض الوقائع :

أمر القرآن بضرورة الشاهدين حتى يقبل خبر الواقعة ، وجاءت السنة بقبول خبر المرأة الواحدة في بعض الوقائع التي من شأنها أن لا يعرفها إلا النساء ، وذلك كما أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – عقبة بن الحارث أن يفارق زوجته ، عندما أخبرت إمرأة انها أرضعته هو وزوجته[٤٢٣] .

---

٤٢٢ صحيح البخاري ، ج ١ ص٨٤ ، باب المسح على الخفين ، رقم ٢٠١

٤٢٣ دفاع عن الحديث النبوي وتنفيد ....، ص ١٤٧

ب - السنة النبوية هي الشارحة للقرآن الكريم :

لقد جاءت السنة النبوية الشريفة تفصل ما أجمله القرآن الكريم ، أو تقيد ما أطلقه ، أو تخصص منه ألفاظ العموم ، وتعين المقادير والحدود والجائيات .

لقد نظر العلماء الأولون الى أثر السنة العظيم في توضيح الأصول القرآنية ، مما حمل بعضهم على الحكم بأن السنة قاضية على الكتاب ، حتى قال الأوزاعي : ‹ الكتاب أحوج الى السنة ، من السنة الى الكتاب ›[٤٢٤]

والذي أراده الأوزاعي وغيره بهذا التنبيه على أن أعلم الخلق بمعاني القرآن الكريم هو رسول الله الأمين ، الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى . ومن هنا قيل لمطرف ابن عبدالله بن الشخير[٤٢٥] : لا تحدثونا إلا بالقرآن ، فقال للسائلين : والله ما نريد بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن[٤٢٦] .

** والأشياء التي جاءت بها السنة لبيان وشرح ما في القرآن هي:

بيان ما أجمل القرآن من عبادات وأحكام :-

<u>١ - بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - للصلاة :</u>

فقد فرض الله تعالى الصلاة علي المؤمنين ، من غير أن يبين أوقاتها وأركانها وعدد ركعاتها . فبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا بصلاته وتعليمه المسلمين كيفية الصلاة ، وقال : (صلوا كما رأيتموني أصلي)[٤٢٧] .

إن الكتاب مجمل ، والسنة مفصلة له ، فبيانها للصلوات على اختلافها في مواقيتها وركوعها وسجودها وسائر أحكامها بأحاديث صحيح مفصلة كل ذلك ، بعد ان قلده الله وبصره وأمره ببيان ذلك ، حيث يقول

---

٤٢٤ جامع بيان العلم : ٢ /١٩١

٤٢٥ مطرف بن عبدالله بن الشخير : زاهد من كبار التابعين ، ثقة فيما رواه من الاحاديث ، توفي بالبصرة سنة ٨٧هـ ‹ وفيات الأعيان ٢/٩٧ › .

٤٢٦ الموافقات ، ٤/٢٦

٤٢٧ اخرجه البخاري ، ج ١ ص ١٢٥ - ١٢٦ و ج ٤ ص ٥٢
اخرجه الدارمي ، سنن الدارمي ، ١٤٨

الله سبحانه وتعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مـــا نزل إليهم »[٤٢٨] .

ومما ورد في القرآن مجملا وبينه النبي - صلى الله عليه وسلم - منها قوله تعالى : « حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى »[٤٢٩] . وقوله : « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب »[٤٣٠] . وقوله : « وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهودا »[٤٣١] .

فقد جاءت هذه الآيات مع قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة »[٤٣٢] مجملة ، وبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - عددها ، كما بين أوقاتها .. وفي تبيينه - عليه الصلاة والسلام - لعددها ما رواه البخاري بسنده عن طلحة بن عبيد الله ، أن اعرابيا جاء الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثائر الرأس ، فقال : يا رسول الله ، أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصلاة ؟ ، فقال : (الصلوات الخمس ، ال أن تطوع) ، فقال : أخبرني بما فرض الله عليَّ من الصيام ؟ ، فقال : (شهر رمضان ، إال أن تطوع شيئا) ، فقال : أخبرني ما فرض الله عليَّ من الزكاة ؟ .. فأخبره رسول الله - صلي الله عليه وسلم - بشرائع الاسلام .. قال : والذي أكرمك لا أتطوع شيئا ، ولا أنقص مما فرض الله عليَّ شيئا . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (أفلح إن صدق ، أو دخل الجنة إن صدق)[٤٣٣] .

هذا بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - لعددها ، وأما بيانه - عليه الصلاة والسلام - لأوقاتها :

فقد روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وزيد بن ثابت ، لما فرغا من سحورهما ، قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الي الصلاة ، فصليا ، قلت لأنس : كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما في الصلاة ، قال : قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية[٤٣٤] .

- وهذا وقت الظهر : قد صلاه الرسول - صلى الله عليه وسلم - في

---

٤٢٨ النحل : ٤٤

٤٢٩ البقرة : ٢٣٨

٤٣٠ ق : ٣

٤٣١ الاسراء : ٧٨

٤٣٢ سورة البقرة : ٤٣ و ١١٠ ، وسورة النور : ٥٦

٤٣٣ رواه البخاري ، ج ١ ص ٢٥ ، كتاب الايمان ، باب الزكاة من الاسلام ، رقم ٤٦
واخرجه مسلم ، ج ١ ص ٤٠ ، في الايمان ، باب بيان الصلوات التي هي احدى اركان الاسام ، رقم ١١

٤٣٤ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٦٧٨ ، باب قدر كم بين السحور وصلاة الفجر ، رقم ١٨٢١

وقته الأول - وقت الزوال - روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج حين زغت الشمس ، فصلى الظهر . فذكر الساعة ، فذكر ان فيها أمورا عظاما[٤٣٥] ..

كما صلى الظهر في وقته ، أباح الإبراد في شدة الحر . روي البخاري بسنده عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ابردوا بالشهر ، فإن شدة الحر فيـــــح جهنم)[٤٣٦] .

وكذلك صلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - العصر في وقته الأول ، روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي العصر والشمس مرتفعة ، فيذهب الذاهب الي العواني ، فيأتيهم والشمس مرتفعة . والعوالي : في المدينة على أربعة أميال أو نحوه[٤٣٧] .

وكذلك صلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - المغرب في وقته الأول ، روى البخاري بسنده عن عطاء بن صهيب ، قال سمعت رافع بن خديج يقول : كنا نصلي المغرب مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فينصرف أحدنا ، وانه ليبصر مواقع نبله[٤٣٨] .

وصلي - عليه الصلاة والسلام - العشاء في وقتها الأول ، وأخرها ، روى البخاري بسنده عن عروة ، أن عائشة أخبرته ، قالت : اعتم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة بالعشاء ، وذلك قبل ان يفشوا الاسلام ، فلم يخرج ، حتى قال عمر : نام النساء والصبيان ، فخرج فقال لأهل المسجد : (ما ينتظرها أحد من أهل الأرض غيركم)[٤٣٩] .

وكما بين - عليه الصلاة والسلام - عدد الصلوات في اليوم والليلة ، وبين أوقاتها ، بين عدد ركعات كل صلاة في الحضر ، وعددها في السفر ، وبين أن صلاة الظهر والعصر والعشاء تكون في السفر قصرا ، ثنتين ،

---

٤٣٥ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٠٠ ، باب وقت الظهر عند الزوال ، رقم ٥١٥

٤٣٦ صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٩٩ ، باب الابراد بالظهر في شدة الحر ، رقم ٥١٣

٤٣٧ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٠٢ ، باب وقت العصر ، رقم ٥٢٥

اخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التبكير بالعصر ، رقم ٦٢١

٤٣٨ صحصح البخاري ج ١ ص ٢٠٥ ، باب وقت المغرب ، كتاب الصلاة رقم ٥٣٤

٤٣٩ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٠٧ ، باب فضل العشاء ، رقم ٥٤١

وأن صلاة المغرب والصبح عدد ركعاتها لا تتغير في السفر أو الحضر[٤٤٠] .

٢ - بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - للصوم :

جاء في القرآن الكريم في أحكام الصوم مجملا لقوله تعالي : « كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون »[٤٤١] ..

وقوله تعالي : « أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو علي سفر فعدة من أيام أخر »[٤٤٢] .

وقوله تعالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه »[٤٤٣] .

وجاءت السنة موضحة ومبينة لما حاء في تلك الآيات مما هو مذكور في كتب الصحاح .

وعلى سبيل المثال ، فقد جاء في القرآن الكريم ، قولــــه تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر »[٤٤٤] مجملا ..

وبينت السنة النبوية توضيح ذلك ، فقد روى البخاري بسنده عن عدي ابن حاتم ، قال : لما نزلت « حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود » عمدت الى عقال اسود والي عقال ابيض ، فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلت انظر في الليل فلا يستبين لي ، فغدوت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكرت له ذلك ، فقال : (إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار)[٤٤٥] .

٣ - بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - للحج والعمرة :

قال الله تعالى : « ولله علي الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »[٤٤٦] . وقال تعالى : « واتموا الحج والعمرة لله »[٤٤٧] .

---

٤٤٠ السنة ومكانتها ، حمادة ، ص ١٤٨

٤٤١ البقرة : ١٣٨

٤٤٢ البقرة : ١٨٤

٤٤٣ البقرة : ١٨٥

٤٤٤ البقرة : ١٨٧

٤٤٥ صحيح البخاري، ج٢ ص٦٧٧ ، باب قول الله تعالى : « كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموازالصيام الى الليل » رقم ١٨١٧

٤٤٦ آل عمران : ٩٧

٤٤٧ البقرة : ١٩٦

فقد جاءت الأحكام مجملة ، فبينت السنة ذلك تفصيلا ، عن أنس : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله عز وجل : « من استطاع اليه سبيلا » . قال : قيل يا رسول الله ، ما السبيل ؟ . قال : (الزاد والراحلة)[٤٤٨] .

وقد بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - مواقيت الاحرام التي يهل منها من أراد الحج أو العمرة أو مما يحاذيها ، بيانا لقوله تعالى : «وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »[٤٤٩] .

وقد بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما أجملته الآية ، عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (يهل أهل المدينة من ذي الحليفة و وأهل الشام من الجحفة ، وأهل نجد من قرن) .

قال عبدالله : وبلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (ويهل أهل اليمن من يلملم) .

وقد بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - جميع مناسك الحج بأحاديث صحيحة ، سواء من ناحية عدد مرات الطواف بالبيت الحرام ، والسعي بين الصفا والمروة ، واعمال الحج ، والفدية ، وقال كلمته الخالدة وحجته الباقية التي توجب على المسلمين جميعا العمل بها في الحديث النبوي الشريف . عن جابر : ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، رمى الجمرة يوم النحر على راحلته ، وقال : (خذوني عني مناسككم ، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد . . .)[٤٥٠] .

٤ - بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - للمعاملات :

وردت أيات في القرآن الكريم تحرم الزنى ، وأيات أخرى أباحت النكاح ، وسكت القرآن الكريم عن حكم النكاح المخالف للشرع ، كزواج المرأة بغير إذن وليها مثلا ، وأوضحت السنة بطلان ما لم تراع فيه أصول العقد الزوجي ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (أيما إمرأة

---

٤٤٨ رواه الدار قطني ، ج ١ ص ٢١٧ ، رقم ١١
سنن ابن ماجه ج ج ٢ ، ص ٩٦٧ ، باب ما يوجب الحة ، رقم ٢٨٩٧
نيل الإوطار ، ج ٤ ، ص ٢٤٤ -٢٤٥

٤٤٩ الحج : ٢٧

٤٥٠ جامع بيان العلم وفضله ، ١/١١٣

نكحت بغير إذن مواليها ، فنكاحها باطل)[٤٥١] .

ومن هذا القبيل ، ان القرآن الكريم حرم الميتة تحريما قاطعا في مواطن متعددة ، قال تعالى : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ... »[٤٥٢] .وقوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله ... »[٤٥٣] .

وقوله تعالى : « قل لا أجد في ما أوحي إليَّ محرما على طاعم يطعمه ، إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير .. »[٤٥٤] .

فخص الرسول – صلي الله عليه وسلم – ميتة البحر بالحل ، واستثناها من الحكم العام ، وقال – عليه الصلاة والسلام – : (هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته)[٤٥٥] .

وأكد هذا التخصيص بقوله – صلى الله عليه وسلم – في الحديث النبوي : (أحلت لنا ميتتان ودمان ، فأما الميتتان : فالجراد والحوت ، وأما الدمان : فالكبد والطحال)[٤٥٦] .

ومن الأشياء التي بينها الرسول – صلى الله عليه وسلم – في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم »[٤٥٧] .. ظاهر النص اباحة كل العقود التي تقع بين المتبايعين عن تراض . ولكن السنة خصصت هذا العام ، وبينت انه مراد به الخصوص عن نهي بيوع وقعت عن تراض من ذلك :

بيع الخمر .. قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون »[٤٥٨] .

لم تشر الآية الكريمة عن تحريم البيع أو التعرض له ، وانما كان التحريم في التناول ، وعلى ظاهر الآية فهو مباح في البيع اذا وقع عن تراض بين المتبايعين ، ولكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – حرم بيع الخمر ..

---

٤٥١ سنن ابي داود ، ٢/٢٩ ، رقم ٢٠٨٣ ، باب في الولي من رواية السيدة عائشة – رضي الله عنها – .

٤٥٢ البقرة : ١٧٣

٤٥٣ المائدة " ٣

٤٥٤ الأنعام : ١٤٥

٤٥٥ سنن ابي داود ، ١/٢١ ، رقم ٨٣

٤٥٦ سبل السلام ، محمد بن اسماعيل الصنعاني ، ٤/٧٦ < شرح بلوغ المرام ، لابن حجر > .

٤٥٧ النساء : ٢٩

٤٥٨ المائدة : ٩٠

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : لما نزلت آيات سورة البقرة عن آخرها . خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : (حرمت التجارة في الخمر)[٤٥٩] .

ومن البيوع المحرمة بيع المنابذة والملامسة : وان السنة النبوية خصصت العموم بتحريم بيع المنابذة[٤٦٠] والملامسة[٤٦١] .

روى البخاري أن أبا سعيد - رضي الله عنه - أخبره : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهي عن المنابذة [وهي طرح الرجل ثوبه بالبيع الى الرجل قبل أن يقلبه أو ينظر اليه] .

<u>٥ - بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الحدود :</u>

قال الله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما »[٤٦٢]

فكان ظاهر هذا القول بوجب القطع على كل سارق بسرقته كثرت أو قلت ، حتى دلت السنة أن المراد به بعض السراق ، وهو من بلغت سرقته في القيمة ربع دينار فصاعدا ، واما من لم تبلغ قيمة سرقته هذا القرد فلا قطع فيه .

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (تقطع اليد في ربع دينار فصاعدا)[٤٦٣] .

<u>والقول الحق ان السنة هادية ومرشدة الى الطريق المستقيم ، من اتبعها نجا ، ومن حاد عنها ضل وغوى ..</u>

---

٤٥٩ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٧٧٥ ، رقم ٢١١٣

٤٦٠ المنابذة : وهي طرح الرجل ثوبه بالبيع الى رجل قبل ان يقلبه او ينظر اليه .
صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٧٥٤ ، رقم ٢٠٣٩
اخرجه مسلم في البيوع، باب ابطال بيع الملامسة والمنابذة ، رقم ١٥١١

٤٦١ الملامسة : لمس الثوب ، لا ينظر اليه .

٤٦٢ المائدة : ٣٨

٤٦٣ صحيح البخاري ، ج ٦ ص ٢٤٩٢ ، باب الحدود ، رقم ٦٤٠٧
اخرجه مسلم في الحدود ، باب حد السرقة ونصابها ، رقم ١٦٨٤

ج - السنة النبوية هي المفسرة للقرآن الكريم :

لقد كانت السنة النبوية السد المنيع للتيارات الفاسدة التي أرادت أن تعبث بالشريعة عن تفسير القرآن الكريم - التفسير الباطني - وهو التفسير حسب الأهواء الذي يوافق الزنادقة وأهل الضلالات ، فوقفت السنة بحجيتها الدامغة امام العابثين تفسر القرآن ، فكانت صواعق محرقة على أهل الباطل ردت كيدهم في نحورهم ، ونوراً لأهل الحق يسترشدوا بها لمعرفة الشريعة من نور القرآن ومنهله العذب .

عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : ‹ كان جبريل ينزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن ، والسنة تفسر القرآن ›[٤٦٤] .

وعلى سبيل المثال مما جاء في تفسير الرسول - صلى الله عليه وسلم لبعض الآيات القرآنية :

١ - فسر - عليه الصلاة والسلام - قوله تعالى : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » بأنه : الشرك[٤٦٥] .

٢ - (وأن الذي رآه عند نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) هو : جبريل[٤٦٦] .

٣ - وأن (ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة) انها : النخلة[٤٦٧] .

٤ - وكما فسر (اتخاذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) بأن ذلك : باستحلال ما أحلوه لهم من الحرام ، وتحريم ما حرموه من الحلال[٤٦٨] .

وهذا التفسير للقرآن الكريم عن طريق السنة هو الذي يسميه العلماء : التفسير بالمأثور ، وهو تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير القرآن بالسنة النبوية .

وقد ذكر ابن تيمية - رحمة الله - في كتاب ‹ مقدمة في أصول الفقه › ما نصه :

‹ فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب : إن أصح الطرق في ذلك ان يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنه قد

---

٤٦٤ الكفاية في علم الرواية ، ص ١٥

٤٦٥ اعلام الموقعين ، الجزء الثاني ، ص ٢٣

٤٦٦ المصدر السابق .

٤٦٧ المصدر السابق .

٤٦٨ المصدر السابق .

فسّر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر ›[٤٦٩] .

فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة ، فانها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الامام أبو عبدالله محم بن إدريس الشافعي : ‹ كل ما حكم به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهو مما فهمه من القرآن ›[٤٧٠] .

قال الله تعالى : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما »[٤٧١] .. وقال تعالي : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون »[٤٧٢] .

وعلى هذا الأساس فلا بد عند تفسير القرآن من الرجوع الى السنة إن وجد منها شيء يفسر النص القرآني ، وإلا نظرنا في تفسير السلف الصالح ، وإلا اتبعنا مطلق الفهم العربي الصحيح[٤٧٣] .

إن الابتعاد عن التفسير بالمأثور عند وجوده هو الهوة السحيقة بيننا وبين إدراك حقيقة القرآن الكريم ومقاصده ، وهو السكين الذابحة لتمزيق الأمة وتفريقها ، وفح المجال للفرق الضالة ان تنفث سمومها من الخرافات والبدع في الأمة الإسلامية .

ولقد قال الشيخ محمد عبده في كتابه ‹ مشكلات القرآن الكريم › ما يؤيد هذا المعنى الذي ذكرته ، حيث قال :

‹ التفسير عند قومنا اليوم ، ومن قبل اليوم بقرون ، هو عبارة عن الاصلاع على ما قاله بعض العلماء في كتب التفسير على ما في كلامهم من اختلاف يتنزه عنه القرآن « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » وليت أهل العناية بالاطلاع على كتب التفسير يطلبون لأنفسهم معنى تستقر عليه أفهامهم في العلم بمعاني الكتاب ثم يبثونه في الناس ويحملوهم عليه ›[٤٧٤] .

‹ إن الله تعالي لا يسألنا يوم القيامة عن أقوال الناس وما فهموه ، وإنما يسألنا عن كتابه الذي أنزله لإرشادنا وهدايتنا ، وعن سنة نبيه الي بين لنا ما نزل إلينا ، يسألنا هل بلغتكم الرسالة ؟ هل تدبرتم ما بلغتم ؟ هل هقلتم ما عنه نهيتم وما به أمرتم ؟ وهل عملتم بإرشاد القرآن واهتديتم بهدي النبي – صلى الله عليه وسلم – واتبعتم سنته ؟ .. عجباً

---

٤٦٩ مقدمة في أصول التفسير ، ص ٩٣

٤٧٠ المصدر السابق .

٤٧١ النساء : ١٠٥

٤٧٢ النحل : ٤٤

٤٧٣ قصة التفسير ، ص ٢٢

٤٧٤ مشكلات القرآن الكريم ، ص ٢٠

لنا ننتظر هذا السؤال ، ونحن في هذا الاعراض عن القرآن وهديه ، فيا للغفلة والغرور ›[٤٧٥] .

ب -القسم الثاني - الجانب الإجتماعي :

ويمكن تقسم هذا الجانب الى قسمين :

أ - الجانب الايجابي .

ب - الجانب السلبي .

الجانب الايجابي :

وهو جانب مهم في بناء المجتمع الصالح ، واعني بهذا الجانب هو مقاومة الجوانب التي تصدع المجتمع وتهدم بين أفراده .. فكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - خير مصلح لبناء هذا الجانب ووضع السدود المتينة . كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يجاهد كل رذيلة بلسانه وسيفه ، ويعلم أصحابه ما ينفعهم ، ويجنبهم ما يضرهم ، ويؤدبهم ويهذبهم بلأفعال والأقوال ، والاقتداء بسيرته النقية الظاهرة ، وينطق في أحاديثه بالحكم وجوامع الكلم التي لم يسبق اليها أحد من البشر ، ويحكم بين الناس بالعدل ، فكان مربيا وواعظا ومرشدا وبشيرا ونذيرا . فقد جمع بين الدين والدنيا ، وأخذ بالسعادة الى درجة فاقت القوة البشرية ، اجتمعت الفضائل فيه ، وتنزه عن المعايب ، واصطفاه الله من بين خلقه لتبليغ رسالته ، وطهره من الرجس ، وعصمه من الناس ،وحفظه من كل سوء ، وأدبه فأحسن تأديبه .

ومن هذه الجوانب على سبيل المثال لا على سبيل الحصر :

١ -محاربة الكذب :

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (إن الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكون صديقا . وان الكذب يهدي الى الفجور ، ،ان الفجور يهدي الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا)[٤٧٦] .

---

٤٧٥ المصدر السابق ، ص ٢٠ -٢١

٤٧٦ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٦١ ، باب ما ينهى عن الكذب ، رقم ٥٧٤٣

اخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق ، رقم ٢٦٠٧

ففي الحديث النبوي الشريف تهديد الكذاب بالعذاب الشديد ، ومقت الله له ، وبطمس الله على قلبه ، فلا يوفق الى الخير ، بل يعيش في الضلال والحيرة .

٢ - ذم الكبر :

عن حارثة بين وهب الخزاعي ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف ، لو أقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر)[٤٧٧] .

فقد حارب الرسول - صلى الله عليه وسلم - الكبر ، وتوعد صاحبه بالنار ، لأنه يفرق النفوس ، ويولد الاحتقار بين الغني والفقير ، أو القوي والضعيف ، فإنه داء يشل المجتمع .

٣ - النهي عن عقوق الوالدين وشهادة الزور :

سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الكبائر ؟ فقال : (الشرك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين) فقال : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟) قال : (قول الزور) أو قال : (شهادة الزور) .. قال شعبة : وأكثر ظني انه قال : شهادة الزور[٤٧٨] .

٤ - تحريم النميمة :

عن عمام قال : كنا مع حذيفة و فقيل له : إن رجلا يرفع الحديث الى عثمان ، فقال حذيفة : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : (لا يدخل الجنة قتات)[٤٧٩] ، وفي روايـــة : النمام . ‹ القتات : النمام ›

وقيل هو الذي يتسمع على القوم وهم لا يعلمون ذلك ، ثم ينقل ما سمعه منهم[٤٨٠] .

وقال الامام الغزالي : ‹ .. بل حدها كشف ما يكره كشفه ، سواء كرهه المنقول عنه ، أو المنقول اليه . وثالث : وسواء كان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها ، وسواء كان المنقول من الأقوال أو الأعمال .. ›[٤٨١] .

---

٤٧٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٥٥ ، باب الكبر ، رقم ٥٧٢٣

٤٧٨ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٣٠ ، عقوق الوالدين من الكبائر ، رقم ٥٦٣٢

٤٧٩ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٥٠ ، باب ما يكره من النميمة ، رقم ٥٧٠٩

٤٨٠ حاشية صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٥١

٤٨١ الاذكار ‹ للنووي › ، ص ٣٠٩

٥ - النهي عن السب واللعن :

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة)[٤٨٢] .

٦ - بشاعة الغيبة :

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس ، يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم)[٤٨٣] .

‹ شبه المغتاب بأكل لحوم الناس ›[٤٨٤] .

وقد وصفهم بمثل الذين يجرحون وجوههم بأظفار من نحاس ، وذلك لقبح الفعل الذي يقومون به وهو الغيبة ، وان مصير فاعله - إذا لم يتب - الي الذاب الشديد جزاء إيذائه للناس .

٧ - تحريم الظلم والبخل :

وعن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم)[٤٨٥] .

فالحديث الشريف فيه : الحث على اجتناب الظلم والبخل ، وسلوك سبيل العدل والكرم والسخاء .. والظلم من الذنوب الكبيرة التي تجعل فاعلها في كربات شديدة وعقاب أليم يوم القيامة[٤٨٦] .

‹ والتكالب على الدنيا ، والحرص عليها ، والبخل بها ، كثيرا ما يجر

٥ - **النهي عن السب واللعن :**

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة)[٤٨٢] .

٦ - **بشاعة الغيبة :**

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس ، يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم)[٤٨٣] .

‹ شبه المغتاب بآكل لحوم الناس ›[٤٨٤] .

وقد وصفهم بمثل الذين يجرحون وجوههم بأظفار من نحاس ، وذلك لقبح الفعل الذي يقومون به وهو الغيبة ، وان مصير فاعله - إذا لم يتب - الي الذاب الشديد جزاء إيذائه للناس .

٧ - **تحريم الظلم والبخل :**

وعن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم)[٤٨٥] .

فالحديث الشريف فيه : الحث على اجتناب الظلم والبخل ، وسلوك سبيل العدل والكرم والسخاء .. والظلم من الذنوب الكبيرة التي تجعل فاعلها في كربات شديدة وعقاب أليم يوم القيامة[٤٨٦] .

‹ والتكالب على الدنيا ، والحرص عليها ، والبخل بها ، كثيرا ما يجر الناس الي المعاصي والآثام ، ويوقعهم في الفواحش والمنكرات ›[٤٨٧] .

---

٤٨٢ رواه مسلم ، ج ٤ ، ص ٢٤ ، باب لعن الدواب وغيرها ،

٤٨٣ رواه ابو داود ،ج ٤ ص ٢٦٩ ، رقم ٤٨٧٨ ، كتاب الادب ، باب في الغيبة .

٤٨٤ نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، ج ٢ ص ١٠٤٢

٤٨٥ صحيح مسلم ، ج ٤ ، ص ١٨ ، باب تحريم الظلم .

٤٨٦ نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، ج ١ ص ٢٣٠

٤٨٧ المصدر السابق .

٨ - **منع الهجر بين المسلمين :**

عن أبي أيوب الأنصاري : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان ، فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)[٤٨٨] .

فقد حرم الاسلام التقاطع بين المسلمين لما له من أثر سيء على الأمة من التمزق والشتات والضعف .

٩ - **النهي عن التحاسد :**

أ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا . وكونوا عباد الله إخوانا)[٤٨٩] .

ب - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (إياكم والحسد ، فإنه يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب)[٤٩٠] . أو قال : (العشب) .

الحديث يحذر من الحسد ، وهو تمني زوال النعمة عن صاحبها سواءً كانت نعمة دين أو دنيا[٤٩١] .

وقد شبه الحسد بالنار ، والأعمال بالحطب أو العشب ، وهو دليل على سرعة احباط الأعمال وذرها كالرماد في مهب الريح ، فا يقدر صاحبها علي ضيء منها ، فيعود يوم القيامة صفر اليدين ، وهو منتهى الحسرة التي ينفطر منها القلب و يقطر منها دما ، عندما يفاجأ المرء بأن أعماله احبطت بسبب حسده .

ب - الجانب السلبـي :

وهذا الجانب يقوم المجتمع ويقويه ، ويجعل الصلة بين الأفراد متينة ، وكانت هذه الصفات تتمثل في خاتم الأنبياء عمليا ، فكان جامعا لكل صفات الكمال والخير ، والنزاهة ، والتواضع ، والمروءة ، وصلة

---

٤٨٨ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٥٦ ، باب الهجر ، رقم ٥٧٢٧

اخرجه مسلم ، في البر والصلة والاداب ، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي ، رقم ٢٥٦٠

٤٨٩ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٥٣ ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ، كتاب الادب ، رقم ٥٧١٧

٤٩٠ سنن أبي داود ، ج ٤ ص ٢٧٦ ، باب الحسد ، رقم ٤٩٠٣

٤٩١ نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، باب تحريم الحسد ، ص ١٠٧٩

الرحم ، والعدل ، والزهد ، والسخاء ، والشجاعة ، والعلم ، والأدب ، والرحمة بالضعيف ، والعطف على اليتيم ، والمسلمين .. وكل سجايا النقاء والصفاء ، فهو حريص عليها بأشد من حرصها على نفسها .

ومن الأمثلة علي بعض الجوانب هي :

ا - البر والصلة :

أ - صلة الرحم (بر الوالدين) : عن عبدالله قال : سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - أي الأعمال أحب الى الله ؟ قال : (الصلاة علي وقتها). قال : ثم أي ؟ . قال : (ثم بر الوالدين). قال : ثم أي ؟. قال : (الجهاد في سبيل الله)[٤٩٢] .قال : حدثني بهن ، ولو استزدته لزادني .

ب - من وصل الرحم وصله الله : عن أبي هريرة - رضي الله عنه : - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن الرحم شجنه[٤٩٣] من الرحمن ، فقال الله : من وصلك وصلته ، ومن قطعك قطعته)[٤٩٤] .

ج - صلة الرحم ولو كان مشركا : وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - قالت : قدمت على أمي[٤٩٥] وهي مشركة في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -فاستفتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قلت : قدمت على أمي وهي راغبة[٤٩٦] ، أفأصل أمي ؟ . قال : (نعم ، صلي أمك)[٤٩٧] .

ففي الحديث النبوي الشريف يبيح صلة القريب المشرك مادام غير محارب ، وخاصة الوالدين .

---

٤٩٢ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٢٧ ، باب البر والصلة ، رقم ٥٦٢٥

٤٩٣ (شجنـــة) : يجوز في الشين الضم والكسر والفتح ، وهي في الأصل : عروق الشجر المشتبكة .

(من الرحمن) : اشتق اسمها من هذا الاسم الذي هو صفة من صفات الله تعالـــــى .

والمعنى : ان الرحم أثر من آثار رحمته تعالى ، مشتبكة بها ، فمن قطعها كان منقطعا من رحمة الله عز وجل ، ومن وصلها وصلته رحمة الله (حاشية صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٢٢٣٢)

٤٩٤ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٣٢ ، باب من وصل وصله الله رقم٥٦٤٢

٤٩٥ اسم امها : قيلة بنت عبدالعزي (نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، ج ١ ص ٣١٣)

٤٩٦ (وهي راغبة) أي طامعة عندي ، تسألني شيئا (نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، ج ١ ص ٣١٣)

٤٩٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٢٢٣٠ ، باب صلة المرأة أمها ولها زوج ، رقم ٥٦٣٤

٢ - مساعدة المحتاجين :

أ - أجر من يعول يتيما : عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) وقال بأصبعيه السبابة والوسطى[٤٩٨] .

ب - فضل الساعي على الأرملة والمسكين : عن صفوان بن سليم ، يرفعه الى النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله،أو كا الذي يصوم النهار ويقوم الليل)[٤٩٩]

٣ - صلة الجار :

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته) . قال : وما جائزته يا رسول الله ؟ . قال : (يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)[٥٠٠] .

٤ - ثواب طيب الكلام :

قال أبو هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : (الكلمة الطيبة صدقة)[٥٠١] .

٥ - استغلال الصحة والفراغ :

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ)[٥٠٢] .

٦ - النظام الاجتماعي في اللقاء :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه ، فان حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ، ثم لقيه فليسلم عليه)[٥٠٣] .

---

٤٩٨ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٣٧ ، باب فضل من يعول يتيما ، رقم ٥٦٥٩

٤٩٩ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٣٧ ، باب الساعي على الأرملة رقم٥٦٦٠

٥٠٠ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٤٠ - ٢٢٤١ باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يؤذ جاره رقم٥٦٧٢
اخرجه مسلم في الايمان ، باب الحث على اكرام الجار والضيف ، ... ، باب الضيافة ونحوها ، رقم ٤٨

٥٠١ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٥٥٤١ ، باب : طيب الكلام .

٥٠٢ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٥٧ ، باب ما جاء في الرقاق ، وان لا عيش الا عيش الآخرة ، رقم ٦٠٤٩

٥٠٣ رواه ابو داود ، في كتاب الأدب ، ج ٤ ص ٣٥١ رقم ٥٢٠٠

٧ - آداب المجالس :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع فهو أحق به)[٥٠٤] .

٨ - إزالة الأذى عن الطريق :

أ - عقوبة من يؤذي المسلمين في طرقهم : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من آذى المسلمين في طرقهم ، وجبت عليه لعنتهم)[٥٠٥] .

ب - ثواب من أزال الأذى عن الطريق : عن أبي عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة ، في شجرة قطعها من ظهر الطريق ، كانت تؤذي المسلمين)[٥٠٦] .

٩ - كنوز اجتماعية متنوعة :

عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (أطعموا الجائع ، وعودوا المريض ، وفكوا العاني)[٥٠٧] .
حديث صحيح .. قال سفيان : العاني : الأسير .

١٠ - مثل إجتماعية عليا تفوق الخيال :

أ - الشفقة والرحمة في الحرب : عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : ‹ نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قتل النساء والصبيان ›[٥٠٨] .

ب - النهي عن النهب والمثلة : عن النبي - صلى الله عليه وسلم - انه نهي عن النهبة والمثلة .

ج - الرحمة مع الحيوان : عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (بينما رجل يمشي بطريق ، اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها ، فشرب ثم خرج ، فإذا كلب

---

٥٠٤ اخرجه مسلم في السلام ، ج ٤ ص ١٧١٥ رقم ٢١٧٩

٥٠٥ الترغيب والترهيب ‹ للمنذري › ج ١ ص ١١١

٥٠٦ اخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، ج ٤ ص ٢٠٢١ رقم ١٩١٤

ورواه البخاري ، ج ١ ص ٢٣٣ رقم ٦٢٤ ، كتاب الجماعة والامامة مع اختلاف باللفظ .

٥٠٧ شرح السنة ‹ للامام البغوي › ج ٥ ص ٢١٤

٥٠٨ صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١٠٩٨ ، رقم ٢٨٥٢ ، باب الجهاد .واخرجه مسلم في الجهاد ، رقم ١٧٤٤

يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له)[٥٠٩] . قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا في البهائم أجراً ؟ . فقال : (في كلّ ذات كبد رطبة أجر) .

فهذه المثل الاجتماعية ، ليست ألفاظ رنانة ، وعبارات إنشائية ، وانما قواعد شرعية تعيش مع المسلم ، ويتقرب بها المؤمن الي ربه ، ويرجو ثواب ذلك ..

ج -القسم الثالث - الجانب الطبـي :

ويقسم هذا الجانب الي الأقسام الآتية :

أ - الطب الوقائـــــي .

ب - الطب العلاجـــــي .

ج - الطب النفســــي .

أ - الطب الوقائي :

ويشتمل على ما يأتي :

ا - الاعتدال في المأكل والعمل :

لقد اهتم الاسلام في الاعتدال في كل شيء وعدم التفريط والافراط ، ولقد ورد ذلك كثير في السنة النبوية والتزم به السلف الصالح ، وابتعدوا عن الاسراف ، ومما جاء في كراهية كثرة الأكل :

عن مقام بن معدي كرب قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنٍ ، بحسب ابن أدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)[٥١٠] . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

٥٠٩ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٣٨ ، باب رحمة الناس والبهائم ، رقم ٥٦٦٢

٥١٠ سنن الترمذي ، ج ٤ ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل ، رقم ٢٣٨٠

ومما جاء في الاعتدال في العمل أو الطاعة : وعن أنس - رضي الله عنه - قال : (جاء ثلاث رهط الى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، وقالوا : أين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبدا ، وقال الآخر : وانا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر ، وقال الآخر : وانا اعتزل النساء فلا أتزوج ابدا .. فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اليهم فقال : (أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ ، أما والله إني لأخشاكم لله ، واتقاكم له . لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[٥١١] .

فبين الحديث ان من (رغب عن سنتي) مال عن طريقتي وأعرض عنها ، (فليس مني) أي ليس بمسلم ، إن كان ميلة عنها كرها لها أو عن عدم اعتقاد بها . وان كان غير ذلك : فإنه مخالف لطريقتي السهلة السمحة ، التي لا تشدد فيها ولا عنت[٥١٢] .

٢ - النظافة :

وهي جانب مهم في الطب الوقائي ، وهي قاعدة ثابتة ومهمة لا تتغير بتقدم الطب ، وقد اهتم الاسلام بالنظافة بكل شيء ، وهو يدخل في التشريع الاسلامي ويتعبد به ، حيث ان الاسلام أوجب الغسل يوم الجمعة ، والغسل من الجنابة ، والوضوء ، ونظافة البدن والثوب ، والمكان في الصلاة .. وهذه صفة ينفرد بها المسلم ويتميز عن الدنيا بأكملها ، وهي مفخرة وتاج يشع على شعوب العالم لا بل لا يملكها حتى اللبيب المتخصص ، لان الامور التعبدية لا يلتزم بها الا من يعتقدها ، والعلم بالشيء لا يلزم صاحبه التطبيق ، ما لم تكن قوانين جزاء تلزمه بذلك .

ومن بعض الأمثلة على ذلك :

أ - الغسل يوم الجمعة : عن ابي سعيد الخدري - رضي الله عنه ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم) .

---

٥١١ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ١٩٤٩ ، باب ترغيب في النكاح ، رقم ٤٧٧٦

اخرجه مسلم في النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه اليه ، رقم ١٤٠١

٥١٢ حاشية صحيح البخاري ، ج ٥ ص ١٩٤٩

ب - الغسل من الجنابة : عن ابن عباس قال ، قالت ميمونة : وضعت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ماءً يغتسل به ، فأفرغ على يديه ، فغسلهما مرتين أو ثلاثا ، ثم أفرغ بيمينه على شماله ، فغسل مذاكيره ، ثم دلك يده بالأرض ، ثم مضمض واستنشق ، ثم غسل وجهه ويديه ، وغسل رأسه ثلاثا ، ثم أفرغ على جسده ، ثم تنحى من مقامه ، فغسل قدميه"[٥١٣] .

ج - الوضوء : عن همام بن منبه ، انه سمع أبا هريرة يقول ، قال رسول الله - صلي الله عليه وسلم - : (لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ)"[٥١٤] .

والوضوء : طهارة مائية تتعلق بالوجه والرأس والرجلين ، انعقد اجماع المسلمين على مشروعية الوضوء من لدن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى يومنا هذا ، فصار معلوما من الدين بالضرورة"[٥١٥] .

أما الوضوء : هو تنظيف الاعضاء الظاهرة من الجسم .. والنظافة تبعد عن الانسان كثيرا من الأمراض ، إن القذارة تساعد على وجود القمل الذي ينقل الحمى التيفوسية ، وهناك أمراض أخرى تنتقل بالذباب"[٥١٦] .

وان نظافة الفم عدة مرات في اليوم من أهم أسباب الوقاية من مرض الاسنان واللثة ، وكذلك غسل طاقة الأنف بماء بارد من أهم الوقاية من الزكام المتكرر"[٥١٧] .

ولقد حارب الاسلام جميع القاذورات ، ولا تقبل صلاة الا في المكان الطاهر والثوب الطاهر والبدن الطاهر والوضوء بماء طاهر ، وكل ذلك ورد نصوص ثابتة من الكتاب والسنة .

ولقد نظر الاسلام نظرة عميقة الى الاهتمام بالنظافة وسلط انوارا ساطعة ومكبرات كاشفة لكل دنس ، تغيب دقتها علي العاقل اللبيب ، وهي انه حبب للمسلم لبس البياض ، لان الدنس القليل يظهر فيها ، ولقد

---

٥١٣ صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٠٤ ، باب تفريق الغسل والوضوءرقم٢٦٢

٥١٤ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٦٣ ، باب لا تقبل الصلاة بغير وضوء رقم ١٣٥

اخرجه مسلم في الطهارة ، باب وجوب الطهارة للصلاة ، رقم ٢٢٥

سنن ابي داود ، ج ١ ص ١٦ ، باب فرض الوضوء ، رقم ٦

٥١٥ فقه السنة ، ج ١ ص ٣٦

٥١٦ الطب والاطباء في مختلف العهود الاسلامية ، ص ٨٣

٥١٧ المصدر السابق .

وردت أحاديث نبوية صحيحة بذلك منها : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (البسوا البياض ، فانها أطهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم)[٥١٨] .

٣ - الرياضة :

لقد اهتمت الشريعة اهتماما كبيرا بجانب القوة ، ونجد الأحاديث النبوية الكثيرة التي تحث المسلم على الحركة والقوة ، ونجد جانبا آخر من الرياضة يعيش معنا لانه يرافق العبادة ، وخاصة في الصلاة والحج والعمرة .. ومن الأحاديث التي وردت تحث على الرياضة والقوة :

أ - الرمي : عن عقبة بن عامر ، قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه يحتسب في صنعته الخير ، والرامي به ، ومنبله ، وارموا واركبوا ، وان ترموا أحب الى من أن تركبوا ، ليس من اللهو[٥١٩] إلا ثلاث : تأديب الرجل فرسه ، وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ونبله ، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة فانها نعمة تركها)[٥٢٠] . أو قال : (كفرها) .

ومن الأحاديث الأخرى عن الرمي : عن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - قال ، مر النبي - صلى الله عليه وسلم - على نفر من أسلم ينتضلون[٥٢١] ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (ارموا بني اسماعيل ، فان أباكم كان راميا و ارموا وانا مع بني فلان)[٥٢٢]. قال : فامسك احد الفريقين بأيديهم . فقال رسول الله - صلي الله عليه وسلم - : (ما لكم لا ترمون ؟) ، قالوا : كيف نرمي وانت معهم ؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (ارموا فانا معكم كلكم)[٥٢٣] .

ب - السبق بين الخيل : عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : أجرى النبي - صلى الله عليه وسلم - ما ضمر من الخيل في الحفياء الى ثنية الوداع ، وأجرى ما لم يضمر من الثنية الى مسجد بني زريق ، قال

---

٥١٨ رواه النسائي ، ج ٢ ص ٣٤ ، رواه الحاكم في المستدرك ، ١٨٥/٤

٥١٩ قال الخطابي : المعنى ليس المباح من اللهو إلا . ورواية الترمذي (كل شيء يلهو به فهو باطل ، الا رمية بقوسه وتأديبه فرصه وملاعبته اهله) . وسنن ابي داود ، ج ٣ ص ١٣

٥٢٠ سنن ابي داود ، ج ٣ ص ١٣ ، باب في الرمي ، رقم ٢٥١٣

٥٢١ (ينتضلون) : يتسابقون في الرمي (حاشية صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١٠٦٢)

٥٢٢ (فلان) : أبي الأدع ، وقيل اسمه سلمة بن ذكوان (حاشية صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١٠٦٢

٥٢٣ صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١٠٦٢ ، باب التحريض على الرمي ، رقم ٢٧٤٣ .

ابن عمر : وكنت فيمن أجرى[٥٢٤] .

قال عبدالله : حدثنا سفيان قال : حدثني عبيد الله قال سفيان : بين الحفياء الي ثنية الوداع خمسة أميال أو ستة ، وبين ثنية الى مسجد بني زريق ميل .

ج - السبق على الرجل : عن عائشة - رضي الله عنها - انها كانت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر ، قالت : فسابقته فسبقته على رجلي ، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : (هذه بتلك السبقة)[٥٢٥] .

هذه الأحاديث أمثلة من السنة الغنية بالأحاديث الكثيرة التي تربي المسلم علي القوة والعزة والكرامة .. وترافق العبادة كثير من الجوانب الرياضية التي يحصل عليها المسلم بدون تكلف وهي الجوانب التعبدية ، وتمتزج معها كامتزاج العروق والشرايين في جسم الكائن الحي ، فالمشي الى صلاة الجماعة ، والركوع والسجود والقيام هي خير رياضة ، وكذلك الطواف والسعي في الحج والعمرة كلها رياضة .

ويقول ابن القيم : ‹ ولا ريب ان الصلاة نفسها فيها من حفظ البدن ، واذا به اخلاطه وفضلاته ، ما هو من انفع شيء له ، سوى ما فيها : من حفظ صحة الايمان ، وسعادة الدنيا والآخرة .. ›[٥٢٦] .

وكل هذه الأحكام الشرعية وارده بأحاديث صحيحة عن الصادق الأمين محمد - صلى الله عليه وسلم - .

٤ - الابتعاد عن الأماكن الموبوءة بالمرض :

عن اسامة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها ، واذا وقع بأرض وانتم فيها فلا تخرجوا منها)[٥٢٧] .

في هذا الحديث النبوي الشريف ، يتبين لنا منه أن من دعا الى (الحجر الصحي) هي الأمة المحمدية على لسان ررسولها ونبيها محمد -

---

٥٢٤ صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١٠٥٢ - ١٠٥٣ ، رقم ٢٧١٣

اخرجه ابي داود في سننه ج ٣ ص ٢٩ ، رقم ٢٥٧٥ مع بعض الاختلاف في اللفظ .

اخرجه الترمذي ، ج ٤ ص ٢٠٥ ، رقم ١٦٩٩

٥٢٥ سنن ابي داود ، ج ٣ ص ٣٠ ، رقم ٢٥٧٨

٥٢٦ الطب النبوي ‹ ابن قيم الجوزية › ص ٢٣٠

٥٢٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٥٣٩٦ ، كتاب الطب ، واخرجه مسلم في السلام ، ج ٤ ص ١٧٣٧ رقم ٢٢١٨

صلى الله عليه وسلم - .

وقال محقق مختصر الطب النبوي :

﴿ وأول طرق الوقاية (الحجر الصحي) فلا يدخل أحد مدينة أو يخرج منها الا بشهادة التطعيم والحجر الصحي ، ومكافحة الفئران والبراغيث وعزل المصاب ومتابعة علاجه . وقد سبق الاسلام الشرائع في قانون الحجر الصحي ﴾[٥٢٨] .

والحجر الصحي الذي نادى به الاسلام يختلف عن الحجر الصحي الذي تنادي به الدول الاخرى ، حيث ان الاسلام جعل هذه القواعد الصحية من روح الشريعة الاسلامية ، ووضع على ذلك جزاءً بمنحه ثواب الشهادة لمن يموت في الطاعون ، والحديث الوارد عن ذلك هو ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (الطاعون شهادة لكل مسلم)[٥٢٩] .

ب - الطب العلاجي :

في هذا البحث لا يمكن الخوض في التفريعات والاشياء التي تحتمل احتمالات كثيرة ، ويحوم حولها الجدل المضني ، وانما اذكر المواد الثابتة في كل زمان ومكان والتي هي بمثابة قواعد لبناء الهيكل الصحي للطب في جميع الأزمنة والتي لا تقل قيمتها عن التقدم العلمي .. ومن هذه الأدوية على سبيل المثال ما يأتي :

١ - الحبة السوداء :

عن ابن شهاب قال : أخبرني ابو سلمة وسعيد بن المسيب ، ان أبا هريرة أخبرهما : انه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

٥٢٨ هامش مختصر الطب النبوي ، للسيوطي ، ص ٤٠ .

٥٢٩ صحيح البخاري ، ج ٣ ، ص ١٠٤١ ، رقم ٢٦٧٥ . اخرجه مسلم ج ٣ ، الجزء السادس ، ص ٥٢ . اخرجه الامام احمد في مسنده ، ج ٥ ص ٣١٠ ، ج ٣ ص ١٥٠ ، ج ٤ ص ٢١٠ ، ج ٥ ص ٨١ ، ج ٦ ص٤٦٥ .

يقول : (في الحبة السوداء شفاء من كـل داء إلا السـام)[٥٣٠] .

فالحديث النبوي أوردته اكثر كتب الحديث المعتمدة ، وهو صحيح ، وهو قاعدة عظيمة من قواعد الطب ، ويحتاج الى تجارب كثيرة ودقيقة ، ويوكل الأمر الي متخصصين من أصحاب الشمائر الاسلامية ، ولزمن طويل .

وقال الشيخ ابو محمد بن أبي جمرة : < تكلم ناس في هذا الحديث وخصوا عمومه ، وردوه الى قول أهل الطب والتجربة ، ولا خفاء في غلط قائل ذلك ، لإنا إذا صدقنا أهل الطب ومدار علمهم انما هو على التجربة ، التي بناؤها على ظن غالب ، فتصديق من لا ينطق عن الهوى أولى بالقبول من كلامهم .. أ . هـ >[٥٣١] .

ولا يعني ما قاله العلماء ان الدين الاسلامي يخالف العلم أو يناقضه ، وانما يتريث بالأخذ بالقواعد العلمية بعد استقرارها وكمالها ، ولا تصطدم عند ذلك القواعد العلمية بالشريعة الاسلامية .

٢ - العسل :

فالعسل غذاء ودواء ، قديما وحديثا ، وهو مثار اعجاب الجميع ، ولقد عرفه الأقدمون وهم لازالوا في المغاور ، وغنوا به ، وظل العسل آلافا من السنين الحلو الصافي الوحيد بالنسبة للبشر ، وكانت له مكانة مرموقة ، فلقد كانت جميع شعوب الشرق الأوسط على الاطلاق تعمل على تخزين العسل بكميات كبيرة ، لانهم كانوا يعتقدون بالخلود[٥٣٢] .

وأقوال العلماء وتجاربهم عن العسل لا حصر لها ، والاستشفاء به من كثير من المراض ، ونجاحهم بذلك رفع شأن هذه المادة ، وأيد العلم صدق الاسلام بما قاله عن قيمة العسل ، ومن بعض ما قاله العلماء عن العسل :

أ - اثبت البروفيسور غولومب : < ان اضافة العسل الى جدول التغذية الخاص بالأطفال المرضي ، أدى الى اسراع شفائهم بشكل ملحوظ ، علاوة على الزيادة البينة في وزنهم >[٥٣٣] .

---

٥٣٠ صحيح البخاري ، ج ٥ ، باب الحبة السوداء ، رقم ٥٣٦٤ . اخرجه مسلم في باب التداوي بالحبة السوداء ج ٤ ص ٢٥ الجزء السابع ، رقم ٢٢١٥ . اخرجه الامام احمد في مسنده ج ٢ ص ٢٤١ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٣٤٣ ، ٣٨٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٦٨ ، ٤٨٤ . ج ٥ ، ص ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ . ج ٦ ص ١٣٨ ، ١٤٦ . واخرجه ابن ماجه ، ج ٢ ص ١١٤١ رقم ٣٤٤٧ ، اخرجه الترمذي ، ج ٤ ص ٣٨٥ ، رقم ٢٠٤١ .

٥٣١ حاشية الشنواني على مختصر ابن ابيجمرة ، ص ٢١٦

٥٣٢ عن كتاب العسل ، بتصرف ، ص ١١

٥٣٣ العسل ، ص ٩٥

ب – وفي الموضوع الي نشره الطبيب السيني د.ل.يونغ على ان العسل علاج جيد لتقرحات الساق المزمنة[٥٣٤] .

ج – ومن مقالة الدكتور بولمان عن الضمادات العسلية يقول : ‹ عندي كل المعطيات الايجابية كي أفكر بهذه المادة البسيطة التي تجيب على كل الأسئلة حول مشاكل الجروح والقروح المتقيحة ، فهي مادة غير محرشة ، وغير سامة .. ومضادة للجراثيم .. مغذية للجلد .. سهلة التحضير ، سهلة الاستعمال .. وفوق كل ذلك مادة جد فعالة ›[٥٣٥] .

والموضوع عن العسل أوسع من أن يحيط به كتاب أو كتب ، ولكن خبر استدلال على اثبات المنافع الجمة عن العسل هي سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد كتاب الله عز وجل .. قال الله تعالى : « فيه شفاءٌ للناس »[٥٣٦] .

عن أبي سعيد ، أن رجلا أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : أخي يشتكي بطنه ، فقال : (أسقه عسلا) . ثم أتاه الثانية ، فقال : (أسقه عسلا) . ثم أتاه الثالثة ، فقال : (أسقه عسلا) .. ثم أتاه فقال : قد فعلت . فقال : (صدق الله ، وكذب بطن أخيك ، أسقه عسلا) .. فسقاه ، فبرأ[٥٣٧]

فالحديث النبوي الشريف قد ثبتت صحته عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، ولذلك لا يلتفت الى من يخالف معنى الحديث ، كائن من كان ، وفي قوله – صلى الله عليه وسلم – وتكراره (أسقه عسلا) هو تعليم لأمته للثبات على الحق ، والالتزام بصلابة وصراحة بنصوص الشريعة .

٣ - الاثمـــــد :

عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلـــــم – : (البسوا من ثيابكم البياض ، فانها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم ، وان خير أكحالكم الاثمد : يجلو البصر ، وينبت الشعر)[٥٣٨] .

---

٥٣٤ المصدر السابق ، ص ١٢٢

٥٣٥ المصدر السابق ، ص ١٢٥

٥٣٦ النحل : ٦٩

٥٣٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢١٥٢ ، في الطب ، رقم ٥٣٦٠ . اخرجه مسلم ج ٤ الجزء السابع ، ص ٢٦ . اخرجه الترمذي ، ج ٤ ص ٤٠٩ ، رقم ٢٠٨٢ . اخرجه احمد بن حنبل ، ج ٣ ص ١٩ ، ص ٩٢

٥٣٨ ابوداود ، ج ٤ ص ٨ في الطب رقم ٣٨٧٨ . اخرجه الترمذي ، ج ٤ ص ٣٨٨ في الطب رقم ٢٠٤٨ و ج ٤ ص ٢٣٤ في اللباس رقم ١٧٥٧ . واخرجه النسائي ، ج ٤ الجزء الثامن ص ١٤٩ . واخرجه ابن ماجه ، ج ٢ ص ١١٥٧ في الطب ، رقم ٣٤٩٧ . اخرجه احمد ، ج ١ ص ٢٣١ ، ٢٤٧ وج ٣ ص ٤٧٦

قيل ان ‹ الاثمد › : هو حجر الكحل الأسود .. ينفع العين ويقويها ، ويشد أعصابها ، ويحفظ صحتها ، ويذهب اللحم الزائد من القروح .. وينقي أوساخها ويجلوها ، ويذهب الصداع ، اذا اكتحل به مع العسل المائي الرقيق[٥٣٩] ..

٤ - الكمـــــــاة[٥٤٠] :

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين)[٥٤١] .

قد يسيء المرء طريقة العلاج ، فيقع في الخطأ ، فتدخل الظنون التي تضعف المسلم بارتباطه بشريعته ، ولذلك عليه ان يستعين بأهل الخبرة والتجربة وأصحاب العلم .

يقول صاحب كتاب ‹ الطب النبوي › :

‹ فيها جوهر مائي لطيف يدل على خفتها ، والاكتحال بها نافع من ظلمة البصر ، والرمد الحار (وقد اعترف فضلاء الأطباء : بأن ماءها يجلو العين ، وممن ذكره المسحي وصاحب القانون، وغيرها ›[٥٤٢] .

٥ - الســـــواك :

أ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن رسـول الله - صلى الله عليـه وسلم - قـال : (لولا أن أشق على أمـتي أو على الناس ، لأمـرتهم

---

٥٣٩ حاشية مختصر الطب النبوي ، ص ٨٠

٥٤٠ الكمـأة : نبات لا ورق له ولا ساق ، توجد في الأض من غير ان تزرع ‹ حاشية صحيح البخاري ، ج ٥ ص٢١٥٩

٥٤١ اخرجه البخاري ، ج ٥ ص ٢١٥٩ ، رقم ٥٣٨١ ، اخرجه مسلم ، ج ٣ جزء ٦ ص ١٢٤ ، باب فضل الكمأة اخرجه الترمذي ، ج ٤ ص ٤٠١ ص ٢٠٦٧

٥٤٢ الطب النبوي ، ابن قيم الجوزية ، ص ٣٣٥

بالسواك مع كل صلاة)[٥٤٣] .

ب - عن حذيفة قال : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا قام من الليل يشوص فاه[٥٤٤] .

ج - قالت عائشة - رضي الله عنها - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : (مطهرة للفم ، مرضاة للرب)[٥٤٥] .

من هذه الأحاديث النبوية الشريفة يستنبط المسلم أحكاما .. منها :

١ - حث الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمته علي السواك والترغيب الشديد فيه .

٢ - أن الرسول - صلي الله عليه وسلم - كان يستاك كثيرا ، وخاصة عند استيقاظه وعند الوضوء وعند الصلاة .

٣ - ان استخدام السواك يثاب عليه المسلم ، ويكون صحة لجسمه ، وذلك في قوله - صلى الله عليه وسلم - : (مطهرة للفم ، مرضاة للرب) .

وفي السواك عدة منافع : يطيب الفم ، ويشد اللثة ، ويقطع البلغم ، ويجلو البصر ، ويصح المعدة ، ويصفي الصوت ، ويعين على هضم الطعام ،

---

٥٤٣ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٠٣ ، باب سواك يوم الجمعة ، كتاب الجمعة ، رقم ٨٤٧ .
واخرجه مسلم ج ١ الجزء الأول ، باب السواك ، ص ١٥١ .
اخرجه الترمذي ، ج ١ ص ٣٤ ، باب ما جاء في السواك ، رقم ٢٢
واخرجه النسائي ، ج ١ الجزء الأول ص ١٢ ، باب الرخصة في السواك بالعشي للصائم ، كتاب الطهارة .
واخرجه ابن ماجه ، ج ١ ص ١٠٥ ، باب السواك ، كتاب الطهارة .
واخرجه الامام احمد في مسنده ، ج ١ ص ٨٠ ، ١٢٠ و ج ٢ ص ٢٤٥ ، ٢٥٠ و ج٤ ص١١٤ ، ١١٦ و ج٥ ص ١٩٣ ، ٤١٠ و ج ٦ ص ٣٢٥ ، ٤٢٩ .
واخرجه ابو داود ج ١ ص ١٢ ، رقم : ٤٧ ، باب السواك ، كتاب الطهارة .

٥٤٤ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٠٣ ، باب السواك يوم الجمعة ، رقم ٨٤٩
واخرجه مسلم ، ج ١ الجزء الأول ص ١٥٢ ، باب السواك
واخرجه النسائي ،ج ١ الجزء الأول ص ٨ ، باب السواك اذا قام من الليل .
واخرجه ابن ماجه ، ج ١ ص ١٠٥ ، باب السواك رقم ٢٨٦
واخرجه ابو داود ، ج ١ ص ١٥ ، باب السواك ، رقم ٥٥

٥٤٥ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٦٨٢ ، باب السواك الرطب واليابس للصائم
واخرجه النسائي ، ج ١ الجزء الول ص ١٠ ، باب الترغيب في السواك
واخرجه ابن ماجه ، ج ١ ص ١٠٦ ، باب السواك ، كتاب الطهارة ، رقم ٢٨٩
واخرجه احمد في مسنده ، ج ١ ص ٣ ، ١٠ و ج ٦ ص ٤٧ ، ٦٢ ، ١٢٤ ، ٢٣٨

ويسهل مجاري الكلام ، وينشط للقراءة ، والذكر ، والصلاة ، ويطرد النوم ، ويرضي الرب ، ويعجب الملائكة ، ويكثر الحسنات[٥٤٦] .

ويستحب للمفطر والصائم في كل وقت ، لعموم الأحاديث فيه ، ولحاجة الصائم اليه ، ولأنه مرضاة للرب ، و < مرضاته > مطلوبة في الصوم أشد من طلبها في الفطر[٥٤٧] .

إن خير الدنيا والآخرة يكمنان في هذه الأحاديث الشريفة ، وهما الصحة والثواب والسعادة والفوز بالدارين .

٣ - الطب النفســـي :

فالطب النفسي في الاسلام هو طب يتميز عن بقية الطب النفسي في العالم ، لانه يستند على القانون الرباني : الكتاب والسنة ، وهو اعتقاد وقول وعمل وجزاء .. فنجد الطب النفسي في الاسلام يشحن المسلم بنور من الايمان و ينشرح له الصدر[٥٤٨] ويطمئن به القلب[٥٤٩] فيجد السعادة والرضا والقناعة لكل ما قدره الله له .

ويقول ابن قيم الجوزية : < فان القلب متى اتصل برب العالمين ، وخالق الداء والدواء ، ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء : كانت له أدوية أخرى غير الادوية التي يعانيها القلب البعيد منه ، المعرض عنه >[٥٥٠]

إن منشأ الأزمات على الأرض من غياب الضمير ، والنظر الي التقدم العلمي نظرة مادية ، فصار كل ما دري عن الانسان ناقص مشوه ، اهمل فيها الجوانب الروحية لا بل امرضها واقعدها ، فصارت الجوانب المادية تتحكم في جميع مراحـــــل حياتنا .

ويقول أحد العلماء : < فهناك أزمة تأخذ بالخناق ، وتلح وتضغط على العقل البشري المتزن الهادىء — هذه الأزمة هي أزمة الضمير والوجدان البشري الذي لم يذق طعم الراحة والسعادة رغم كل هذه التيسيرات

---

٥٤٦ الطب النبوي ، ابن قيم الجوزية ، ص ٢٩٨

٥٤٧ المصدر السابق .

٥٤٨ قال الله تعالى : فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ، فويل للقاسية قلوبهم ... » .

٥٤٩ قال الله تعالى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » الرعد : ٢٨

٥٥٠ الطب النبوي ، ص ١٦

المادية الهائلة ، انه مريض يعاني من مرض عضال قد استعصى حله ، وكل ما نرى في واقع الحياة البشرية انما هو من نتائج هذه الأزمة ›[٥٥١] .

إن الدراسة الطبية أهملت الدراسة النفسية الروحية ، فالدراسة المادية واسعة جدا وكل فرع له كتاب بل كتبه التي لا تنتهي ، اما الدراسة النفسية فكتاب واحد صغير أو ملخصات بسيطة يقدم فيها الطالب امتحانه[٥٥٢] .

ان التقدم العلمي الهائل البعيد عن رسالة السماء المتمثلة بالكتاب والسنة أشبه بجبل شاهق من الثلج يستقر عليه الانسان الحضاري المتورم ، فتهب عليه عواصف الضجر والتمرد والظلم ، فتهوى به في قعر سحيق من الانتحار[٥٥٣] والخمرة[٥٥٤] فيتمزق ذلك الجسم المتورم أشلاء .

أما الطب النفسي الذي يريده الاسلام ، فهو الطب الناجع ولا سبيل الى حصوله بكثرة العلم والتجربة ، وانما السبيل الوحيد للوصول اليه عن طريق الرسل .

---

٥٥١ الطب في محراب العلم ، ج ١ ص ٦

٥٥٢ المصدر السابق ، ص ٨

٥٥٣ أعلى نسبة انتحار في العالم توجد في بلاد السويد ، وهذا الارتفاع يتوازى تماما مع ارتفاع نسبة الرخاء والدخل الفردي ، وتوفر كافة الضمانات ... ومن يتبين ان سعادة الانسان لا تنبع من الرفاه المادي ، وان كان الرفاه المادي يشكل شرطا في السعادة ، ولكنه شرط غير جامع مانع . هذا وان مزيدا من الاباحية في السويد كالتشريع الذي اباح زواج الاخ بالاخت لن يزيد الوضع الاجتماعي الا سوءً ‹ هامش الطب محراب الايمان ج ٢ ص ٢٩ › .

٥٥٤ ان امريكا أصرت على تحريم الخمر عام ١٩١٩م ، واصرت على التحريم اربعة عشر عاما كاملة ، وحدث خلالها الشيء العجيب ، مليون نشرة تشرح اضرار الخمر ، (٤٠٤) مليون دولار مصادرات ، (١٦) مليون دولار غرامات ، سجون (٥٣٢٣٣٥) شخص ، اعدامات رمي بالرصاص (٣٠٠) شخص ، ومع كل هذا زاد عدد مصانع الخمر الى عشر اضعاف ، ولكن بشكل سري ! واصبحت تجارة الخمر المحظورة تجارة مربحة ، سخرت الأساطيل والامكانيات والقوى لصد الشعب عن هذا العين الآسنة ، ولكنه لم يرتدع ، لان التكاليف لا تبنى الا على الايمان ، وهذكا فعل الاسلام ، بني العقيدة ورسخها ، ثم جاء بالتكاليف فحرمت الخمر ، ونجحت التجربة بآيات قليلة ، وبركة تحريم الخمر سارية في بلاد الشرق حتى اليوم من أثر تلك التربية ، حيث لا يشكل عدد مدمني الخمربالنسبة الى العالم الغربي شيئا يذكر ‹ عن كتاب الطب محراب العلم ، ج ١ ص ٢٦٨ › .

ولذلك يقول ابن قيم الجوزية : < فأما طب القلوب ، فمسلم الى الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - ولا سبيل الى حصوله الا من جهتم وعلى أيديهم . فان صلاح القلوب : أن تكون عارفة بربها وفاطرها ، وبأسمائه وصفاته ، وأفعاله وأحكامه ، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ولمحابه ، متجنبة لمناهيه ومساخطه . ولا صحة لها ولا حياة البتة الا بذلك ، ولا سبيل الى تلقيه الا من جهة الرسل >[٥٥٥] .

فطب القلوب قد أوسدت أبوابه ، وسدت منافذه ، إلا عن طريق الشريعة الاسلامية .. ونذكر بعض تلك الشذرات على سبيل المثال لا الحصر :

أ - الذكـــــــر :

فضل الذكـر :

١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به ، الا رجل عمل أكثر منه)[٥٥٦] .

٢ - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم)[٥٥٧] .

٣ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . غفرت خطاياه ، وان كانت مثل زبد البحر)[٥٥٨] .

---

٥٥٥ الطب النبوي ، ص ١٢

٥٥٦ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٥١ ، كتاب الدعوات ، باب فضل التهليل ، رقم ٦٠٤٠

اخرجه مسلم ، ج ٤ ص ٦٩ باب فضل التهليل والدعاء ، رقم ٨

اخرجه الترمذي ، ج ٥ ص ٥١٢ ، رقم ٣٤٦٨

٥٥٨ رواه مسلم ج ١ الجزء الثاني ص ٩٨ ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة .

٤ - عن أبي هريرة ، وأبي سعيد - رضي الله عنهما - قالا ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : (لا يقعد قوم يذكرون الله ، إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده)[٥٥٩] .

٥ - وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره ، مثل الحي والميت)[٥٦٠] .

** الأحاديث النبوية الشريفة التي ذكرتها على سبيل المثال تحتوي على فوائد جمة ، وقواعد أصولية كثيرة .. من هذه الفوائد والأصول :

(١) الأجر الجزيل الذي يحصل عليه الذاكر لله ، وتكفير السيئات ، والحرز من الشيطان .. وهذه الصفات يجمعها الحديث - أي الأول - اشتمل على هذا الثواب العظيم ، وذلك لاشتمال الحديث على التقديس والتنزيه والثناء بأنواع الجميل[٥٦١] .

(٢) إن الحديث الأول من الناحية الأصولية انه مطلق من ناحية العمل في أي وقت ، وانه مقيد من ناحية العدد لمن يريد ان ينال الثواب المذكور في النص .

(٣) ان الحديث الثاني مطلق من ناحية العدد والزمان ومن جميع الوجوه ، فله ان يذكره بصفته متى شاء ، وكم شاء .

(٤) وان الحديث الثالث مقيد من ناحية العدد ، وبعد الفريضة لمن أراد أن ينال الأجر المذكور .

(٥) وان الحديث الرابع مقيد بمجلس يجتمعون على ذكر الله ، فينال الرحمة وتغشاهم الملائكة .

(٦) الحديث الخامس فيه مقارنة بين الذي يذكر ربه والذي لا يذكره في الدرجة ، وهو فرق شاسع .

(٧) هذا النوع من الذكر هو من أهم مقاصد الشريعة ، وهو التيسير واختيار الحالة التي يرغب بها المسلم .

(٨) ومن فقه المسلم أن يعلم أن هذه الفضائل إنما هي لمن أخلصوا في ذكرهم ، وتجنبوا المعاصي والحرام ، ونأوا عما يغضب الله ، ولا نظن أن من

---

٥٥٩ رواه مسلم ، ج ٤ جزء ٨ ص ٧٢

رواه الترمذي ، ج ٥ ص ٤٥٩ رقم ٣٣٧٨

٥٦٠ رواه البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٥٣ رقم ٦٠٤٤

٥٦١ نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، ص ٩٧١

أدام الذكر ، وأصر على ما شاء من شهوته ، وانتهك حمى الله يلتحق بالطاهرين ، ويبلغ منازلهم بكلمات يجريها على لسانه ، لا يتجاوز أثرها فمه"[٥٦٢] .

(٩) وعلى أية حال ، فإن ذكر الله تعالى يحيي ميت القلوب ، ويزكي فاتر الهمم ، ويحوط المرء بسياج من العصمة ، ويقيه نزعات الشيطان ، ويباعد بينه وبين المعاصي"[٥٦٣] .

ب - الدعــــاء :

١ - الدعاء عند النوم :

عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أوى الى فراشه ، نام على شقه الأيمن ، ثم قال : (اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك و لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت)"[٥٦٤] .

٢ - الدعاء عند نزول المنزل :

عن خولة بنت حكيم - رضي الله عنها - قالت ، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (من نزل منزلا ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك)"[٥٦٥] .

٣ - الدعاء لبقاء النعمة :

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال ، كان من دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (اللهم اني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجأة نقتمك ، وجميع سخطك)"[٥٦٦] .

٤ - الدعاء لتوقي الضرر :

عن عثمان - رضي الله عنه - قال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ما من عبد يقول في صباح كل يوم ، ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم

---

٥٦٢ الأدب النبوي ، ص ٢٠٨

٥٦٣ المصدر السابق ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨

٥٦٤ رواه البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٢٦ ، رقم ٥٩٥٤ ، باب ما يقول اذا نام
رواه مسلم ، ج ٤ جزء ٨ ص ٧٧ ، باب ما يقول عند النوم .

٥٦٥ رواه مسلم ، ج ٤ ص ٢٠٨٠ ، كتاب الذكر والدعاء ، رقم ٢٧٠٨

٥٦٦ رواه مسلم ، ج ٤ جزء ٨ ص ٨٨

، ثلاث مرات ، إلا لم يضره شيء)[٥٦٧] .

٥ - الدعاء على الثبات على الطاعة :

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (اللهم مصرف القلوب ، صرف قلوبنا على طاعتك)[٥٦٨] .

٦ - الدعاء من جهد البلاء ودرك الشقاء :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (تعوذوا بالله من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء)[٥٦٩] .

٧ - التعوذ من شرور شتى :

وعن أنس - رضي الله عنه - قال ، كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والهرم والبخل ، واعوذ بك من عذاب القبر ، واعوذ بك من فتنة المحيا والممات)[٥٧٠] . وفي رواية : (وضلع الدين وغلبة الرجال) .

* ففي هذه الأحاديث النبوية الشريفة تكون هذه الحالات التي ذكرت من أخطر الحالات على النفس البشرية ، فتجعلها مضطربة مهزوزة جزعة ، فجميع الخواطر والأحاسيس والهواجس تأتي على المرء في أوقات النوم ، فيصاب المرء بالقلق ، ولذلك كان الدعاء في وقت النوم من أحسن الأدوية النفسية للمسلم ، وكذلك عند نزول المرء منزلا جديدا ، فيكاد يحمل أفكارا غريبة في التصورات ، علاوة على وجود الجوانب الروحية التي تشد النفس ، تصورات تتعب الانسان ، فيكون الدعاء بلسما يصرف الهموم عن القلب ، ويبعث الطمأنينة وراحة النفس ..

وهكذا في جميع الجوانب المكدرة لصفاء الضمير ، والقاتلة لهممه ، والمبعثرة لفكره من خوف زوال النعمة ، أو التوقي من الضرر ، أو خوفا

---

٥٦٧ رواه ابو داود ، ج ٤ ص ٣٢٣ في الادب ، رقم ٥٠٨٨

رواه الترمذي ، ج ٥ ص ٤٦٥ رقم ٣٣٨٨ ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء

٥٦٨ رواه مسلم ، ج ٤ جزء ٨ ص ٥١ باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء .

٥٦٩ رواه البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٣٦ ، كتاب الدعوات ، باب التعوذ من جهد البلاء ، رقم ٥٩٨٧

رواه مسلم ، ج ٤ جزء ٨ ص ٧٦ ، باب التعوذ من جهد البلاء وسوء القضاء .

من جهد البلاء ، أو الوقوع في الكسل الذي قد يعرض المرء بترك العمل ، والتكاسل في العبادة وعدم أدائها في وقتها ، أو تركها في أوقات البرد أو الحر ، وكذلك مرض البخل الذي قد يؤدي الى ترك أداء الزكاة ، وحرمات أصحاب الحقوق من حقوقهم من الأقرباء والفقراء والمساكين ، والانفاق في الجهاد .. كل هذه الأمراض النفسية التي تصيب المسلم ، فتشل حركته ، وتضعف وعيه ، وتقلق فكره ، ما لها من دون الله كاشفة ، إلا اللجوء اليه بكثرة الدعاء .. وقد قيل : ‹ الدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البلاء ، يدافعه ، ويعالجه ، ويمنع نزوله ، ويرفعه أو يخفف إذا نزل . وهو سلاح المؤمن ›[٥٧١] .

ويجب على المسلم عند الدعاء أن يلتزم بما يأتي :

(١) الالحاح في الدعاء :

ومن أنفع الأدوية الالحاح في الدعاء ، وفي مستدرك الحاكم من حديث أنس عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (لا تجزعوا في الدعاء ، فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد)[٥٧٢] .

وذكر الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة – رضي الله عنها – قالت ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (إن الله يحب الملحين في الدعاء) .

وفي كتاب ‹ الزهد › للامام احمد عن قتادة قال ، قال مورق : ‹ ما وجدت للمؤمن مثلا الا رجلا في البحر على خشبة ، فهو يدعو : يا رب يا رب ، لعل الله أن ينجيه › .

(٢) عدم الاستعجال :

ومن الآفات الخطرة على عدم الاستجابة ، أن يستعجل العبد ويستبطيء الاجابة فيستحسر[٥٧٣] ، ويدع الدعاء ، وهو بمنزلة من بذر بذرا أو غرس غرسا ، فجعل يتعاهده ويسقيه ، فلما استبطأ كماله وادراكه ، تركه واهمله .. وفي البخاري من حديث ابي هريرة ، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول دعوت فلم يستجب لي)[٥٧٤] .

وفي صحيح مسلم عنه : (لا يزال يستجاب للعبد ، ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل) ، قيل يا رسول الله : ما الاستعجال ؟ ، قال

---

٥٧١ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ص ٩

٥٧٢ المصدر السابق ، ص ١٠

٥٧٣ ‹ فيستحسر › : أي انه ينقطع عن الدعاء (حاشية صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٩٦)

٥٧٤ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٣٥ ، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل ، رقم ٥٩٨١

: (يقول قد دعوت ، وقد دعوت ، فلم أر يستجاب لي ، فيستحسر عند ذلك ، ويدع الدعاء)[٥٧٥] .

(٣) ان يكون الدعاء بحضور القلب :

وعلى المسلم الذي يدعو الله سبحانه وتعالى أن يتفرغ من جميع العوائق والمشاغل ، ويستحضر قلبه بالكلية مع الله سبحانه وتعالى .

(٤) أن يتحين أوقات الاجابة ، فيستغلها . .

وهي : الثلث الأخير من الليل . وعند الآذان . وبين الآذانين والاقامة . وادبار الصلوات المكتوبات . وعند صعود الامام يوم الجمعة على المنبر ، حتى تقضى الصلاة . وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم ، وصادف خشوعا في القلب ، وانكسارا بين يدي الرب ، وذلا وتضرعا ورقة . واستقبل الداعي القبلة ، وكان على طهارة ، ورفع يديه الي الله ، وبدأ بحمد الله والثناء عليه ، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – ، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار . . وتوسل اليه بأسمائه وصفاته وتوحيده ، وقم بين يدي دعائه صدقة ، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدا ، ولا سيما ان صادف الأدعية التي أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أنها فطنة الاجابة ، أو انها متضمنة للأسم الأعظم[٥٧٦] .

ج - الاستغفار :

١ – سيد الاستغفار : عن النبي – صلى الله عليه وسلم – : (سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقت وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء لك بذنبى فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . . قال : ومن قالها من النهار موقنا بها ، فمات من يومه قبل أن يمسي ، فهو من أهل الجنة . ومن قالها من الليل وهو موقن بها ، فمات قبل أن يصبح ، فهو من أهل الجنة)[٥٧٧] .

٢ – عدد ما يستغفر الرسول – صي الله عليه وسلم – في اليوم : قال أبوهريرة – رضي الله عنه – ، سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : (والله إني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من

---

٥٧٥ صحيح مسلم ، ج ٤ ص ٢.٩٦ ، كتاب الذكر والدعاء ، رقم ٢٧٣٥

٥٧٦ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ص ١١

٥٧٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٣٢٤ ، باب افضل الاستغفار ، رقم ٥٩٤٧

اخرجه ابو داود ، ج ٤ ص ٣١٧ ، رقم ٥٠٧٠

سبعين مرة)[٥٧٨] .

٣ - لزوم الاستغفار : وعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب) .

فالاستغفار هو سبيل التذلل والاستكانة والخضوع وشعور المرء بالتقصير وارتكاب الآثام أمام العزيز القادر الكريم ، وعن طريق الاستغفار يطلب العبد الذليل المغفرة من الرب العزيز .

* وعند القاء نظرة الى الأحاديث التي ذكرناها يتبين لنا ما يأتي :

أ - انه توجد درجات في الاستغفار ، وأعلى الاستغفار وأفضله ‹ سيد الاستغفار › ، والسيد في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع اليه في الأمور ، وسيد القوم أفضلهم ، ولما كان هذا الدعاء جامعا لمعاني التوبة كلها استعير له هذا الاسم ، لا سيما وقد ذكر الله فيه بأكمل الأوصاف ، وذكر العبد بأضعف الحالات ، وهذا أقصى غاية التضرع ، ونهاية الاستكانة والخضوع لمن لا يستحق ذلك إلا هو سبحانه[٥٧٩] .

ب - على المسلم أن يقتدي برسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالاستغفار أهميته ، وانه كان يستغفر في اليوم اكثر من سبعين مرة ، ،ون الله سبحانه وتعالى قد غفر له وعصمه ، وهذا تعليم لنا ان نستغفر اكثر من سبعين مرة في اليوم .

ج - ان لزوم الاستغفار تزيل الهموم وهي من اكبر الامراض النفسية التي تميت الهمم وتقعد المسلم عن المعالي ، واكثر الحمية مصدرها الهموم ، وكان هذا الدواء الناجع للقضاء على هذا المرض المستعصي هو كثرة الاستغفار

د - **محاربة الروائح الكهريهة :**

وقد حارب الاسلام الرائح الكريهة لما لها من أثر على تقزز النفس ، وتأثير على الطبائع السليمة ، وقد حارب الاسلام تلك الروائح بحكمة بارعة ، ولم يجابه النفوس بمنعها مباشرة ، وانما طوقها اذ يمنعنا من

---

٥٧٨ صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٢٣٢٤ ، باب استغفار النبي - صلي الله عليه وسلم - في اليوم والليلة ، رقم ٥٩٤٨

٥٧٩ هامش : صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٢٤

القدوم الى المساجد عند أكلنا من الأطعمة التي تسبب الروائح الكهريهة كالثوم والبصل ، وبيوت الله هي أقدس البيوت .. ولا يستغني المسلم من دخولها ، مما جعله يترك الرغبة والشهوة من الأكل في سبيل ارضاء خالق السموات والأرض .. وقد ورد الحكم الشرعي في السنة النبوية ما يدل على ذلك :

١ - قيل لأنس ما سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول في الثوم ؟ فقال : (من أكل فلا يقربن مسجدنا)[٥٨٠] .

٢ - أن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - ، زعم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا ، أو ليعتزل مسجدنا)[٥٨١] .

هـ - الحث على استخدام الطيب :

فالصيب له أثر كبير على انشراح النفس وابتهاج القلب ، وهذه لها انعكاسات على صحة البدن ، حيث ان الجسم تزداد صحته وتكتسب قوته بقدر سعادة النفس .

ويقول ابن قيم الجوزية : (لما كانت الرائحة الطيبة غذاء الروح ، والروح مطية القوى ، والقوى تزداد بالطيب - وهو ينفع الدماغ والقلب وسائر الاعضاء الباطنة - ويفرح القلب ويسر النفس ويبسط الروح)[٥٨٢] .

ومن الأحاديث التي تحث على الطيب :

١ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كنت أطيب النبي - صلى الله عليه وسلم - عند احرامه بأطيب ما أجد[٥٨٣] .

٢ - عن أنس رضي الله عنه - أنه كان لا يَرُدُّ الطيب ، وزعم أنه - صلى الله عليه وسلم - كان لا يَرُدُّ الطيب[٥٨٤] .

٣ - وفي الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كنت أطيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأطيب ما أقدر عليه قبل ان يحرم ، ثم يحرم[٥٨٥] .

---

٥٨٠ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٠٧٦ ، باب ما يكره من الثوم والبقول ، رقم ٥١٣٦

٥٨١ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٠٧٧ ، باب ما يكره من الثوم والبقول ، رقم ٥١٣٧

٥٨٢ الطب النبوي ، ص ٢٥٦

٥٨٣ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢١٦ ، باب ما يستحب من الطيب ، رقم ٥٥٨٤

٥٨٤ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢١٦ ، باب ما يستحب من الطيب .

٥٨٥ صحيح مسلم ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، ص ١٠

فالروائح الطيبة التي تدعو الشريعة اليها هي من مقاصد الشريعة السامية التي تكون في النفس الذوق الرفيع والارهافات الحسية ..

و - الابتعاد عن الجوانب المثيرة للنفس :

إن الجوانب المثيرة للنفس من الهم والغضب والمراء وهي أشبه بكيات نار تدلغ القلب ، فيستعر ناره ، فيلتهب الجسد ، فيغلق باب الفكر ، فلا يستطيع السيطرة على ملكة الحكم على جوارحه .

ولذلك كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يستعيذ من الهم ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي طلحة : (التمس لنا غلاما من غلمانكم يخدمني) ، فخرج أبو طلحة يرد فني وراءه ، فكنت أخدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلما نزل ، فكنت أسمعه يكثر أن يقول : (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل ، والجبن ، ضلع الدين ، وغلبة الرجال)[٥٨٦] .

وقد أوصى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعدم الغضب :

١ - ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[٥٨٧] .

٢ - ان رجلا قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - أوصني ، قال : (لا تغضب) فردد مرارا ، قال : (لا تغضب)[٥٨٨] .

وهذه الأشياء تذهب الهيبة وتوقد نار الفتنة .. وقد حذر الرسول - صلى الله عليه وسلم - منها ..

يقول ابن قيم الجوزية : ‹ وأصل المعاصي كلها العجز ، فان العبد يعجز عن أسباب الطاعات ، وعن الأسباب التي تبعده عن المعاصي وحول بينه وبينها ، مجمع في هذا الحديث الشريف - أي حديث : (اللهم اني أعوذ بك من الهم ..) - أصل الشر وفروعه ومبادئه وغاياته ، وموارده ومصادره .. فقال : أعوذ بك من الهم والحزن ، وهما قرينان ، فان المكروه الوارد على القلب اما أن يكون سببه أمرا ماضيا و فهو يحدث الحزن ، واما ان يكون توقع مستقبل ، فهو يورث الهم .. وكلاهما من العجز ، فإن ما مضى لا يدفع بالحزن ، بل بالرضى والحمد ، والصبر والايمان بالقدر ..

---

٥٨٦ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٣٤١ ، باب التعوذ من غلبة الرجال ، رقم ٦٠٠٢

اخرجه النسائي ، ج ٤ الجزء الثامن ، باب الاستعاذة من الحزن ، ص ٢٥٨

٥٨٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٦٧ ، باب الحذر من الغضب ، رقم ٥٧٦٣

٥٨٨ المصدر السابق ، رقم ٥٧٦٥

وقول العبد : قدر الله وما شاء فعل ، وما يستقبل لا يدفع بالهم ، بل إما أن تكون له حيلة في دفعه ، فلا يعجز عنه ، واما ان تكون له حيلة في دفعه ، فلا يجزع ، ويلبس له لباسه من التوحيد والتوكيل والرضى بالله ربا فيما يحب ويكره ، والهم والحزن يضعفان العزم ، ويوهنان القلب ، ويحولان بين العبد وبين الاجتهاد فيما ينفعه ، فهما حمل ثقيل على ظهر السائر »[٥٨٩] .

ومن حكمة العزيز الحكيم تسليط هذين الجنديين على القلوب المعرضة عنه ليردها عن كثير من معاصيها ، ولا تزال هذه القلوب في هذا السجن حتى تخلص الى قضاء التوحيد والاقبال على الله ولا سبيل الى خلاص القلب من ذلك الا بذلك ، ولا بلاغ الا بالله وحده ، فانه لا يوصل اليه الا هو ، ولا يدل عليه الا هو[٥٩٠] .

فهذه الأمراض النفسية لا يمكن القضاء عليها الا بتوفيق الله والرضي بقضائه وقدره والتوكل عليه واللجوء اليه بكثرة الاستغفار والدعاء والذكر والصدقة ورجاء ثواب الدار الآخرة .

ومن عالج الامراض النفسية بغير هذه الأدوية مثله كمثل من به جرح يذر عليه الرماد فلا يزداد الا تلوثا أو كمثل عطشان يوجه الى سراب يحسبه ماءً فلا يزداد الا ظمأً .

د - القسم الرابع - الجانب السياسي :

لقد أعطى التشريع الاسلامي للجانب السياسي اهتماما كثيرا ، ويتمثل ذلك في شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - في سلمه وحربه ، في بيته وبين أمته ، مع أصدقائه وأعدائه .. ونرى نصوصا كثيرة من سنته تدل على ذلك .

ولقد عرف الأعداء والأصدقاء السياسة التي كان عليها سيد البشرية ، واهتم الجميع بالتحليل الدقيق والنظرة الفاحصة لتلك السياسة ، واعاروا لها كل اهتمام ، ومن شذرات ما قال المحللون في ذلك :

---

٥٨٩ مختصر زاد المعاد ، لابن القيم ، ص ١٤٠ - ١٤١

٥٩٠ المصدر السابق ، ص ١٤١

< لقد كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يعرف كيف يجمع المؤيدين والأنصار ، ويداور المنافقين والأشرار .. وكيف يروض الحياة السياسية مع شتى طبقات الناس ، ومختلف عناصرهم >[٥٩١] .

< وتلك الهجرة البارعة ، من عاصمة الشرك العربي وبلد الاضطهاد ، الى المدينة ليحتل منها وبها البلد الذي حاول اغتياله >[٥٩٢] .

< وكذلك من سياسته : فرضه علي اتباعه ليجعل من فتح مكة واجب المسلمين الأول ، وقراره بعد فتح مكة العودة مع الأنصار الي المدينة لتتغلغل في البلدين فكرة المبدأ ، ولتتأصل قواعد الدين >[٥٩٣] .

< واكثاره - صلى الله عليه وسلم - الزواج بينه وبين اصحابه وكبار قومه صلة قوية ورابطة متينة بواسطة المصاهرة ، لأن ذلك مما يساعده ويشد أزره للدفاع عن مبدئه السامي ، ونشر الدعوة الى الاسلام >[٥٩٤] .

** ومن الجوانب السياسية الأخرى :

(ا) التيسير :

لقد جاءت الشريعة الاسلامية بالتيسير ، وهو جانب مهم من الجوانب السياسية الناجحة ، حيث انه يجعل الشعوب متكاتفة ومتعاونة ، والضعيف يلحق بالقوي .. ومن الأحاديث النبوية الواردة في ذلك :

أ - الأمر بالتيسير :

عن أبي التياح قال ، سمعت أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (يسروا[٥٩٥] ولا تعسروا ، وسكنوا[٥٩٦] ولا تنفروا)[٥٩٧] .

ب - أخذ الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأيسر الأمور :

عن عائشة - رضي الله عنها - انها قالت : ما خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله - صلى الله عليه

---

٥٩١ محمد ، عند علماء الغرب ، ص ٤٣

٥٩٢ المصدر السابق .

٥٩٣ المصدر السابق .

٥٩٤ المصدر السابق .

٥٩٥ < يسروا > : أمر بالتيسير ، وهو الأخذ بما هو أسهل ، لينشط الناس في العمل .

٥٩٦ < سكنوا > : من التسكين ، ضد التحريك ، والمراد ادخال الطمأنينة والهدوء على النفس .

٥٩٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٦٩ ، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - يسروا ولا تعسروا رقم٥٧٧٤

وسلم - لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم بها لله[٥٩٨] .

ج - التساهل مع الجاهل :

أن اعرابيا بال في المسجد ، فثار اليه الناس ليقعوا به ، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (دعوه واهريقوا على بوله ذنوبا من ماء ، أو سجلا[٥٩٩] من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)[٦٠٠] .

٢ - **مداراة الناس وعدم مواجهتهم بما يكرهون :**

أ - عند شدة الغضب : عن عدي بن ثابت ، حدثنا سليمان[٦٠١] بن صرد قال : استب رجلان عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ونحن عنده جلوس ، واحدهما يسب صاحبه ، فغضبا قد احمر وجهه ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (إني لأعلم كلمة ، لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)[٦٠٢] . فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال : إني لست بمجنون .

ب - اتقاء الفحش : عن عروة بن الزبير ، أن عائشة أخبرته : أنه استأذن على النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل فقال : (ائذنوا له ، فبئس ابن العشيرة ، أو بئس أخو العشيرة) . فلما دخل ألان له الكلام ، فقلت له : يا رسول الله ، قلت ما قلت ، ثم ألنت له في القول ، فقال : (أي عائشة ، ان شر الناس منزلة عند الله من تركه ، أو ودعه الناس ، اتقاء فحشه)[٦٠٣] .

فعند مقابلة السيء الخلق بما يكره ، فانه يزداد ضراوة ، ويكون حربا على الأمة ، وتحطيما لكل القيم والمثل ، أما عند مقابلته بالبشاشة والانبساط ، فانه يكف عن شره أو يخففه ، ولربما وقع الدواء على الداء فيزول الشر .

---

٥٩٨ المصدر السابق ، رقم ٥٧٧٥

٥٩٩ (سجلا) : دلوا فيه ماء .

٦٠٠ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٧٠ ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ، يسروا ولا تعسروا رقم ٥٧٧٧

٦٠١ (سليمان بن صرد) : صحابي من الزعماء القادة ، شهد الجمل وصفين مع علي - رضي الله عنه - ، سكن الكوفة ، ثم كان ممن كاتب الحسين بن علي ، وتخلف عنه ، وخرج بعد ذلك مطالبا بدمه ، ونشبت معارك بين سليمان وعبدالله بن زياد ، فقتل سليمان بعبرة الورد سنة ٦٥ هـ ، وروى له عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ١٥ حديثا .

٦٠٢ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٦٧ ، رقم : ٥٧٦٤

٦٠٣ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٧١ ، باب المداراة مع الناس ، رقم ٥٧٨٠

٣ - المسامحـــة :

أ - احاطة رحمة الله بمن يكون سمحا : عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (رحم الله رجلا ، سمحا اذا باع ، واذا اشترى ، واذا اقتضى)[٦٠٤] .

وورد الحديث بلفظ آخر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (رحم الله عبدا اذا باع ، سمحا اذا اشترى ، سمحا اذا اقتضى)[٦٠٥] .

ب - الفوز بالجنة لمن انظر معسرا : عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (كان تاجر يداين الناس ، فاذا رأي معسرا قال لفتيانه : تجاوزوا عنه ، لعل الله أن يتجاوز عنا ، فتجاوز الله عنه)[٦٠٦] .

فهذه القواعد التشريعية عن المسامحة تختلف اختلافا كليا عن المسامحة في القوانين الوضعية ، حيث ان الشريعة تضع الجزاء الذي يحول الاعباء الثقيلة والجهود المضنية الى قبول ذلك بنفس مطمئنة راضية ، فتذهب الإحن ، وتنقطع العداوة ، ويعيش المسلمون بتواصل ومودة .

٤ - شدة الحـــذر :

المسلم لبق ألمعي ، قد جعل الله له بصيرة ونور من عند خالقه ، يكشف له حقائق الأمور ، فتكون له موازين معتدلة للأحكام ، فلا تغريه الزخارف الفارغة ، ولا العبارات الرنانة ، ولا الشباك المنصوبة من قبل المخادعين والمنافقين ..

وقد ورد الأثر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يبين صفة المسلم في هذا الباب :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - انه قال : (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)[٦٠٧] .

ومن معاني هذا الحديث النبوي الشريف :

‹ فيه تحذير من التغفيل ، واشارة الى استعمال الفطنة .. وقيل المراد بالمؤمن في هذا الحديث الكامل الذي قد أوقفته معرفته على غوامض

---

٦٠٤ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٧٣٠ ، كتاب البيوع ، باب السهولة في الشراء والبيع ، رقم ١٩٧٠

٦٠٥ ابن ماجه ، ج ٢ ص ٧٤٢ ، كتاب التجارات ، رقم ٢٢٠٣

٦٠٦ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٧٣١ ، باب من انظر معسرا ، رقم ١٩٧٢

٦٠٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٧١ ، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، رقم ٥٧٨٢ .

اخرجه مسلم في الزهد والرقائق ، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، رقم ٢٩٩٨ .

الأمور حتى صار يحذر مما سيقع ، أما المؤمن المغفل فقد يلدغ مرارا . قال ابن بطال : وفيه أدب شريف أدب به النبي - صلى الله عليه وسلم أمته ، ونبههم كيف يحذرون مما يخافون سوء عاقبه ›[٦٠٨] .

فالجانب السياسي في الشريعة الاسلامية ليس بحثه في هذه المقدمة المختصرة ، وانما هذه اشارات للتنبيه على ان الشريعة الاسلامية ان فيها أرقى السياسات في العالم ، ولقد تحلت تلك العظمة السياسية المتمثلة بأقوال الرسول وأفعاله وتقريراته - صلى الله عليه وسلم - ، لقد تجلت بعهد الاخاء بين المهاجرين والأنصار ، وعهد الموادعة بين المسلمين واليهود ، وبرعت في مهادنة المنافقين في المدينة حتى النهاية ، وفي تأليف قلوب أهل مكة بعد فتحها ، وفي تفكيك التضامن بين اليهود والأحزاب في حملة الخندق الحاسمة ، وتفضيل معاهدة مع قريش في الحديبية على قتال غير مكفول ، وفتح غير مأمون[٦٠٩] .

فالسياسة الشرعية هي :

‹ التزام بالحق قولا وعملا ، واستبطان أهل التقوى وذوي الأحساب ، وان يودع السر من يكتمه ، ولا يقود اللسان الخنا والسباب وكثرة المزاح .

وقد قيل : اتق من فوقك ، يتقك من تحتك ، وكما تحب ان يفعل بك فافعل برعيتك ، وانظر كل حسن فالزمه واستكثر من مثله ، وكل قبيح فارفضه ، وبالنصحاء يستبين لك ذلك ، وخيرهم أهل الدين ، وأهل النظر في العواقب ، ولا يستنصح غاشا ولا يستغش ناصحا ›[٦١٠] .

فالسياسة الاسلامية هي الفريدة من نوعها في كل زمان ومكان ، حيث انها لا تقبل المخادعة والكذب والغش والنفاق والغدر والخيانة ، وانما تعتمد على أساس الأمانة والعدل والاخلاص ، ويرجو كل فرد جزاء فعله ممن بيده خزائن السموات والأرض .

---

٦٠٨ فتح الباري ، ج ١٠ ص ٥٣٠

٦٠٩ محمد ، عند علماء الغرب ، ص ٤٣ - ٤٤

٦١٠ لباب الآداب ، ص ٣٦

المبحث الثالـــــث :

قيادة السنة دليل على حجيتهــا

عندما ننظر الى السنة النبوية نظرة شمول وعمق تجد لها القيادة في كل شيء ، وجميع الأنظمة والقوانين والأحكام تنبع منها ، وتستمد منها القوة والأصالة .. وقد قيل :

< إن الشريعة ، هي المحجة الواضحة البيضاء ، محجة السعداء ، من مشى عليها نجا ، ومن تركها هلك >[٦١١] .

< ومقتضى عقد الايمان : ان يسلم زمام حياته الى الله ، ليقودها رسوله الصادق - صلى الله عليه وسلم .. ومقتضى عقد الايمان : ان يقول الرب : أمرت ونهيت ، ويقول العبد : سمعت واطعت >[٦١٢] .

وكان الامام احمد - رضي الله عنه - يقول : < ليس لأحد مع الله ورسوله كلام >[٦١٣] .

قال الامام الشافعي - رحمه الله - : < لم أسمع أحدا نسبه الناس ، أو نسب نفسه الى علم ، يخالف في أن فرض الله عز وجل اتباع أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتسليم لحكمه ، بأن الله عز وجل لم يجعل لمن بعده الا اتباعه ، وانه لا يلزم قول بكل حال الا بكتاب الله وسنة رسوله ، وان ما سواهما تبع لهما ، وان فرض الله علينا وعلى من بعدنا في قبول الخبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - >[٦١٤] .

وقول ابن مسعود - رضي الله عنه - < اتبعو ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم >[٦١٥] .

وقال الجنيد - دحمه الله - : < الطرق كلها مسدودة على ، إلا على من اقتفى أثر الرسول - عليه الصلاة والسلام - >[٦١٦] .

ويقول ذو النون المصري : < من علامات المحب لله عز وجل ، متابعة حبيب الله - صلى الله عليه وسلم - في أخلاقه وأفعاله وأوامـــره

---

٦١١ قواعد التحديث ، ص ٣٣٨

٦١٢ العبادة في الاسلام ، ص ٥٣

٦١٣ حجة الاسلام البالغة ، ج ١ ص ١٥٧

٦١٤ الأم ، ج ٧ ص ٢٥٠ ، كتاب جماع العلم .

٦١٥ مجمع الزوائد ، ج ١ ص ١٨٨

٦١٦ الرسالة ، للقشيري ، ج ١ ص ١٠٦

وسننه ›[٦١٧] .

ويقول صاحب كتاب الروض الباسم :

‹ فإنه علم الصدر الأول والذي عليه بعد القرآن المعول ، وهو لعلوم الاسلام أصل وأساس ، وهو المفسر للقرآن بشهادة ليبين للناس ›[٦١٨] .

عندما ننظر الى أقوال هؤلاء العلماء والفقهاء والزهاد والمؤلفين ، نجد انهم مجمعون على قيادة السنة بألفاظ متنوعة تريد المعنى متانة وروعة ، فالمحجة الواضحة البيضاء ، وترك زمام حياته لقيادة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وانفراد حكم الله ورسوله ، والتسليم لحكمه واتباع امره ، وان ما سواهما تبع لها - أي الكتاب والسنة - .. كلها تدل على قيادة السنة في كل الأعمال والأقوال والتقريرات ، وقد سدت جميع الأبواب والطرق إلا عن طريق قيادته - صلى الله عليه وسلم - .

ومن الأدلة التفصيلية على قيادة السنة .. هي :

أ - **الرجوع الى السنة عند معرفتها :**

انتهى العلماء المحققون الى ان الحديث الصحيح حجة على جميع الأمة ، أيدوا رأيهم هذا بالآيات القرآنية[٦١٩] التي تفرض على المؤمنين اتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتسليم لحكمه[٦٢٠] .

وأراد عمر - رضي الله عنه - رجم مجنونة ، حتى أعلم بقول - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (رفع القلم عن ثلاثة) فأمر أن لا ترجم[٦٢١] .

وعمل عمر - رضي الله عنه - بخبر سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - في المسح على الخفين[٦٢٢] .

وان أبابكر - رضي الله عنه - قضى بقضية بين اثنين ، فأخبره بال أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قضى فيها بخلاف قضائه فرجع[٦٢٣]

---

٦١٧ المصدر السابق ، ص ٥٥

٦١٨ الروض الباسم ، ج ١ ص ٤

٦١٩ لقد مرت الآيات القرآنية في موضوع الأدلة النقلية في الكتاب لاثبات حجية السنة .

٦٢٠ علوم الحديث ومصطلحه ، د . صبحي ، ص ٢٩١

٦٢١ الاحكام ، لابن حزم ، ٢ - ١٣

٦٢٢ فتح الملهم ، ص ٧ .. دفاع عن الحديث النبوي ، ص ٥٧

٦٢٣ الرسالة ، ص ٤٣٤ .. دفاع عن الحديث النبوي ، ص ٥٩

وذكر النووي في شرح المهذب : انه صح عن الشافعي - رضي الله عنه - انه قال : اذا صح الحديث فاعملوا به ودعوا مذهبي[٦٢٤] .

وأخرج عن الربيع بن سليمان قال : سأل رجل الشافعي عن حديث ، فقال : هو صحيح (فقال له رجل : فما تقول ؟ فارتعد وانتفض ، وقال : ‹ أي سماء تظلني ، وأي أرض تقلني ، إذا رويت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وقلت بغيره ›[٦٢٥] .

من هذه الأقوال يتضح لنا أن الأعمال لا تقبل ما لم تكن موافقة للسنة ، وهذا هو الذي جعلهم يتركون كل قول وعمل يخالف السنة ، ويرجعون الى السنة لأن تركها هو الهلاك واحباط الاعمال والضلال الذي يؤدي الى النحراف .

عن ابن وهب قال : ‹ كنا عند مالك بن أنس نتذاكر السنة ، فقال مالك : السنة سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ›[٦٢٦] .

ب - الالتزام الشديد بتطبيق السنة :

لقد كان السلف الصالح شديد التمسك بكل ما يقوم به الرسول - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو حركة سواء عرف حكمتها أو لم يعرف .. وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يأتي شجرة بين مكة والمدينة فيقيل تحتها ، ويخبر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يفعل ذلك[٦٢٧]

وامام الحجر الأسود يقف عمر - رضي الله عنه - ، ثم يقبله ، ويقول : ‹ اني أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقبلك ما قبلتك ›[٦٢٨] .

‹ والذي ندين الله به ، ولا يسعنا غيره ، ان الفرض علينا وعلى الأمة الأخذ بحديثه وترك ما خالفه ، ولا نتركه لخلاف أحد من الناس كائنا من كان .. ›[٦٢٩] .

---

٦٢٤ الروض الباسم ، ج ١ ص ١٠٦

٦٢٥ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، للسيوطي ، ص ٢٦٨

٦٢٦ المصدر السابق ، ص ٢٦٧

٦٢٧ رواه البزار ، ورجاله موثقون . مجمع الزوائد ، ج ١ ص ١٧٦

٦٢٨ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٥٧٩ ، باب الحج .. رواه مسلم ، ج ٢ الجزء الرابع ص ٦٦ ، باب الحج . سنن النسائي ، ج ٥ مجلد ٣ ص ٢٢٧

٦٢٩ قواعد التحديث ، للقاسمي ، ص ٨٧

وقال ابن حزم : جميع الحنفية مجمعون علي ان مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأي[٦٣٠] .

وليس المراد بالضعيف ما كان شديد الضعف ، فإنه لا يعمل به أصلا[٦٣١] ، شرط العمل بالحديث الضعيف : عدم شدة[٦٣٢] ضعفه ، وان يدخل تحت أصل عام ، وان لا يعتقد سنية[٦٣٣] ذلك الحديث . وأما الموضوع فلا يجوز العمل به بحال ولا روايته الا اذا قرن ببيانه[٦٣٤] . أ.هـ .

وهكذا كان جميع الصحابة يتأسون بالرسول الكريم ، ويحافظون علي سنته ، سواء أعرفوا علة ذلك أم لم يعرفوا .. عن مجاهد قال : كنا مع ابن عمر في سفر ، فمر بمكان فحاد عنه ، فسئل : لم فعلت ؟ فقال : رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعل هذا ففعلت[٦٣٥] .

ج - قبول العمل مرتبط بالسنة :

ان جميع الأعمال الصالحة تذهب هباءً منثورا ، ولا ينال صاحبها الا الجهد والارهاق والحسرة ، ما لم تكن موافقة للسنة النبوية .. قال تعالى : « ليبلوكم أيكم أحسن عملا »[٦٣٦] .

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : ‹ أخلصه وأصوبه ، فإن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة ›[٦٣٧] .

وأخرج عن سعيد بن جبير قال : ‹ لا يقبل قول الا بعمل ، ولا يقبل قول وعمل الا بنية ، ولا يقبل قول وعمل ونية الا بموافقة السنة ›[٦٣٨] .

وقل تصل العقوبة لمن يترك حديث رسول الله - صلى الله عليه

---

٦٣٠. كتاب ‹ ملخص ابطال القياس › ص٦٨ . ونقله عنه الحافظ الذهبي في الجزء الذي ألفه في ‹ مناقب الامام أبي حنيفة › ص ٢١ .. وقال ابن حزم في كتابه ‹ الإحكام في أصول الأحكام › ٥٤/٧ ، قال ابوحنيفة الخبر الضعيف عن رسول الله - صلى اله عليه وسلم - أولى من القياس ، ولا يحل القياس مع وجوده .

٦٣١ قواعد في علوم الحديث ‹ التهانوي › سص ٩٧

٦٣٢ شدة الضعيف ، قال ابن عابدين : هو الذي لا يخلو طريق من طرقه عن كذاب أو متهم بالكذب .

٦٣٣ وان لا يعتقد سنية ذلك الحديث : أي سنية العمل به .

٦٣٤ الدر المختار ، ص ٨٧

٦٣٥ اصول الحديث وعلومه ومصطلحه ، د . عجاج ، ص ٨٢

٦٣٦ الملك : ٢

٦٣٧ رسالة الحسبة ، ص ٧٠

٦٣٨ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، للسيوطي ، ص ٢٥١

وسلم - بنفي الايمان عنه فتكون الطامة البكرى وهو الموت على غير ملة الاسلام كما ورد في الحديث النبوي الشريف ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) .
فالنجاح والفلاح يدور مع السنة ، وبقدر ما ننهل منها يكون الأجر .

د - أخذ شدة الحذر من الابتعاد عن ظاهر الحديث أو لفظه :

فقد كان السلف الصالح يأخذ الحديث ظاهره ولظه وعدم الابتعاد خشية من ان يبتعد عن مدلوله ومعناه أو ينتقص من أحكامه شيئا أو يتجاسر المتساهلون بتأويلات تفقد كثيرا من رونقه وهيبته .

قال العارف الشعراني في ميزانه : < كان الامام الشافعي يقول الحديث على ظاهره ، ولكنه اذا احتمل عدة معان ، فأولاها ما وافق الظاهر >[٦٣٩] .وقال قد بن مرة : < وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتعابين يقدرون على القياس ، ولكنهم تركوا ذلك أدبا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم > .

ومن هنا قال سفيان الثوري : < من الأدب اجراء الأحاديث التي خرجت مخرج الزجر والتنفير على ظاهرها من غير تأويل ، فانها إذا أولت خرجت عن مراد الشارع : (من غشنا فليس منا)[٦٤٠] ، وحديث : (ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية)[٦٤١] .. >[٦٤٢]

فإن العالم إذا أولها بأن المراد (ليس منا) في تلك الخصلة فقط ، أي وهو منا في غيرها ، هان على الفاسق الوقوع فيها ، وقال : مثل المخالفة في خصلة واحدة أمر سهل ، فكان أدب السلف بعدم التأويل أولى بالاتباع للشارع ، وان كانت قواعد الشريعة قد تشهد ايضا لذلك التأويل[٦٤٣] .

والحق أن تجويز الرواية بالمعنى قد احيط - عند المجوزين - بشروط لم تتوافر الا في الصحابة والتابعين وكبار أئمة الفقهاء والرواة ، فمن كانت لغتهم سليقة ، وجبلتهم عربية[٦٤٤] ..

هذا على فرض رواية أولئك الاسلاف الصالحين على المعنى ، وعلئيفرض تساهلهم جميعا في الحديث المرفوع كتساهلهم في غيره ، ثم

---

٦٣٩ قواعد التحديث . ص ٣٠٥

٦٤٠ رواه مسلم في الايمان ، ج ١ ص ٩٩ رقم ١٠١ . . رواه ابن ماجه ج ٢ ص ٧٤٩ رقم ٢٢٢٥

٦٤١ رواه البخاري في الجنائز ، ص ٤٣٥ ، رقم ١٢٣٢ . رواه مسلم في الايمان ج ١ ص ٩٩ رقم ١٠٣

٦٤٢ قواعد التحديث ، ص ٣٠٥

٦٤٣ المصدر السابق .

٦٤٤ علوم الحديث ومصطلحه ، ص ٣٢٩

على فرض الاجماع على اباحة الرواية بالمعنى اطلاقا للجميع في عصر الرواية والتدوين ، ولكن الواقع خلاف هذا من كل وجه : فالرعيل الاول من الرواة كانوا يتشددون في الرواية باللفظ والنص ، ولا يتساهلون حتي في الواو والفاء ، وكان احب الي أحدهم - كما قال الاعمش - ان يخر من السماء من أن يزيد في الحديث واو أو فاء أو دالا"[٦٤٥] .

عن معن ابي عيسى قال : كان مالك بن أنس يتقي في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما بين التي والذي ونحوهما"[٦٤٦] .

لم يكن ذلك الخوف والتهيب إلا لأن السنة لها القيادة ، فلذلك يخش أولئك الصالحون من السلف الأول أن يغير حرفا أو كلمة فيبتعد عن القيادة ، فيحبط عمله ويكون من الخاسرين .

هـ - وضع الشروط الشديدة ممن يؤخذ منه الحديث :

لقدأحاط العلماء الحديث النبوي الشريف بأسيجة مانعة تحميه من التبديل والتغيير والوضع ، ولقد كانت تلك الشروط شديدة تضرب على أيدي العابثين من الجهلة والزنادقة واصحاب الضمائر الضعيفة .. ومن هذه الشروط :

١ - التثبت قبل أخذ الحديث :

وقد ثبت أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال لأبي موسى الأشعري حين طلب منه راويا آخر في حديث الاستئذان : < أما إني لا أتهمك ، ولكني خشيت أن تقول الناس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - >"[٦٤٧] .

٢ - وضع شروط معينة"[٦٤٨] للأخذ بالحديث :

من هذه الشروط المعاصرة بين الراوي وشيخه بعد كونهما ثقتين كما هو عند مسلم أو اشتراط ثبوت اللقى بينهما مع ذلك كما هو عند البخاري"[٦٤٩] .

---

٦٤٥ الكفاية ، ص ١٧٨

٦٤٦ المصدر السابق .

٦٤٧ الجرح والتعديل ، ص ٩١ - ٩٢ . الأصل معرفة السنن والآثار ٣٢/١

٦٤٨ من أراد المزيد من ذلك ان يراجع كتاب شروط الأئمة الستة < للمقدسي > ، والكتاب الذي يليه: شروط الأئمة الخمسة < للحازمي > .

٦٤٩ شروط الأئمةالخمسة مع كتاب شروط الأئمة الستة ،ص ٢٠

٣ - وضع الاسناد[٦٥٠] :

فالاسناد هو بمثابة السلم أو الدرة الذي يتوصل به الى الارتقاء أو الوصول الى المتن ، وبقدر قوة ذلك الاسناد يؤخذ بالحديث عندما يختبر المتن[٦٥١] وتثبت صحته كذلك . ولذلك حث العلماء من أصحاب هذا الفن الاهتمام بالاسناد ..

قال سفيان الثوري : أكثروا من الأحاديث فإنها السلاح . وفي رواية : الاسناد سلاح المؤمن ، فاذا لم يكن معه السلاح فبأي شيء يقاتل[٦٥٢] ؟ .

وقال الامام الشافعي : مثل الذي يطلب الحديث بلا اسناد مثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب فيها أفعى تلدغه وهو لا يدري[٦٥٣] .

وقال عبدالله بن المبارك : الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء[٦٥٤] .

وقال أيضا : بيننا وبين القوم القوائم ، يعني الاسناد . وقال يزيد بن زريع : لكل دين فرسان ، وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد[٦٥٥] .

لقد اهتم العلماء بسند الحديث وعدوه الدرع الواقي للسنة ، وان من لم يحتمي به فانه يهلك ، لانه يتعرض لتغيير الشرع فيحبط عمله ، ونسبة ذلك الهلاك بمن يذهب الى الهيجاء بغير سلاح أو بحاطب ليل تلسعه حية فتقضي على حياته .

ولم يكتفي العلماء بهذا التهديد والوعيد لمن أهمل السند أو لم يتحر الدقة فيه ، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك وشهروا السلاح العملي للزجر والتوبيخ لمن لم يلتزم بالسند ..

فقد روى انه كان الزهري عند اسحاق بن أبي فروة ، فجعل ابن أبي فروة يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال له الزهري : قاتلك الله يا أبن أبي فروة ، ما

---

٦٥٠ والسند في اصطلح المحدثين هو سلسلة الرواة الذين ينقلون ما أضيف الى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وسمي سندا إما لأن المسند يعتمد عليه في نسبة ما ينقله الى مصدره ، او لاعتماد الحفاظ على السند في معرفة صحة الحديث وضعفه ‹ المختصر الوجيز في علوم الحديث ، ص ٢٢ ›

٦٥١ المتن : والمتن في الاصطلاح هو ألفاظ الحديث التي تقوم بها معانيه ، ولعله سمي متنا لأنه الظاهر والمطلوب والغاية من الحديث كله ، فهو مأخوذ من معانيه اللغوية السابقة ‹ المختصر الوجيز في علوم الحديث ، ص ٢٢ ›

٦٥٢ جواهر الأصول ، ص ٦

٦٥٣ جواهر الأصول ، ص ٦ .. رسالة التقليد ، ص ٣٨ بل الحديث بلا اسناد العلم بلا حجة .

٦٥٤ معرفة أصول الحديث ، ص ٦

٦٥٥ جواهر الأصول ، ص ٧

أجرأك على الله لا تسند حديثك ؟ تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمه[٦٥٦] .

٤ - وضع درجات ومستويات لرجال السند :

فقد وضع العلماء مصطلحات فيها الدقة والضبط لمستوى الراوي ودرجته في العدالة ، فكان كل راو له ميزانه الدقيقة لمصطلحاته .

فكان على بن المديني يستعمل : ثقة ، ثبت : فقد وصف عبدالله بن الحارث بأنه ثقة ، ووصف خطان بن عبدالله الرقاش بأنه ثبت ، وذلك بعد أن سرد جمعا من أعلام المحدثين الذين رووا عنه كالحسن ويونس بن جبير وأبي مجلز وأبي هارون[٦٥٧] .

أما الامام الشافعي فمن العبارات التي استخدمها : ثقة ، ولا بأس به ، ومن لا أتهم . سأله اسحاق بن ابراهيم : ما حال جعفر بن محمد عندكم ؟ فقال : ثقة ، كتبنا عن ابراهيم عن ابي يحيى عنه أربعمائة[٦٥٨] .

أما الامام احمد فكان يستخدم : ثقة - ثقة خيار - ثقة ثقة - رجل صادق - صالح الحديث - أثبت الناس .. ما أعدل به أحدا[٦٥٩] .

وعلى أساس هذا الفن وتلك الصناعة يكون التفاضل بين حديث وآخر ، وتقديم حديث على آخر ، وترجيح حكم على آخر ، وهذا علم يحتاج الى دقة وسعة أفق ، وان لا تأخذه في الله لومة لائم .

وكما وضعو درجات للعدالة ، كذلك وضعوا في الجرح درجات للضعفاء والمتهمين والكذابين .

و - خوفهم الشديد عند رواية الحديث :

فقد كان السلف الصالح وخاصة الصحابة منهم ، من يرتعد عند رواية الحديث النبوي الشريف خشية ان يقع في الخطأ عند رواية الحديث .. ونرى من الصحابة من تأخذه الرعدة ، وتقشعر جلده ، ويتغير لونه ، حين يروي شيئا عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ورعا واحتراما لحديثه - صلى الله عليه وسلم - .

من هذا ما رواه عمرو بن ميمون قال : ما أخطأني ابن مسعود عشية إلا أتيته فيه قال : فما سمعته يقول شيء قط : ‹ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - › ، فلما كان ذات عشية ، قال : ‹ قال رسول الله - صلى

---

٦٥٦ معرفة علوم الحديث ، ص٦

٦٥٧ كتاب العلل ، العلي بن المديني ص ٧٥ ‹ الجرح والتعديل ص ١٠٠ ›

٦٥٨ مناقب الشافعي ، ٥٢٣/١ ‹ الجرح والتعديل ، ص ١٠٠ › .

٦٥٩ علل احمد بن حنبل : ١٣/١ ، ٦٧ ‹ الجرح والتعديل ، ص ١٠١ › .

الله عليه وسلم - > قال : فنكس[٦٦٠] ، قال : فنظرت اليه ، فهو قائم محللة أزرار قميصه ، قد أغرورقت عيناه ، وانتفخت أوداجه ، قال : أو دون ذلك ، أو فوق ذلك ، أو قريبا من ذلك ، أو شبيها بذلك[٦٦١] .

قال عبدالرحمن بن أبي ليلى : < أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ما منهم من أحد يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه ، ولا يستفتي عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه إياه > ، وفي رواية : < يسأل أحدهم المسألة ، فيردها هذا الى هذا حتى نرجع الى الأول >[٦٦٢] .

ولعل الوهم والخطأ يتبادر الى بعض الناس عند النظر في حال هؤلاء الصحابة الكرام ان بضاعتهم مزجاة في الحديث النبوي الشريف ، أو عندهم زهد من حمل تلك الكنوز التي تنوء بحملها عمالقة الرجال .

لم يكن هذا ولا ذاك ، وانما هم أقمار ونجوم أضاءت على الدنيا بأنوار القرآن والسنة .

< وقد ثبت عن الصحابة جميعا تمسكهم بالحديث الشريف واجلالهم اياه ، وأخذهم به >[٦٦٣] .

وأقول أن شدة الخوف ناتج عن كثرة الاهتمام به ، والشوق لتطبيقه وخشية نسيانه وهيبة سموه .

ز - الزجر الشديد لمن يعرف الحكم من السنة ويطلب دليلا من غيرها :

وقد ورد الزجر الشديد لمن تبين له الحكم الشرعي في السنة النبوية ، وأخذ يسأل عن دليل آخر من غير السنة .

وعن الحارث بن عبدالله بن أوس قال : < أتيت عمر بن الخطاب فسألته عن المرأة تطوف بالبيت ثم تحيض ؟ . قال : ليكن آخر عهدها الطواف بالبيت . فقال الحارث : فقلت : كذلك أفتاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال عمر : تبت يداك ، أو ثكلت أمك ، سألتني عما سألت عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، كيما أخالفه >[٦٦٤] .

حدث الأوزاعي عن أيوب السختياني أنه قال : < إذا حدثت الرجل بالسنة فقال دعنا من هذا ، وحدثنا من القرآن ، فاعلم انه ضال مضل >[٦٦٥]

---

٦٦٠ نكس : أي طأطأ رأسه وخفضه .

٦٦١ سنن ابن ماجه ، ج ١ ص ٨ < اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ٨٥ >

٦٦٢ مختصر كتاب المؤمل .

٦٦٣ اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ٨٥

٦٦٤ جامع بيان العلم ، ج ٢ ص ٢٢٨

٦٦٥ الكفاية في علم الرواية ، ص ١٦

المبحث الرابع :

العقاب والثـــــواب

أ - العاقبة الوخيمة لمن هجر السنــة .

ب - مدح العلماء الذين يطلبون علم الحديث .

هذان القسمان من جوهر الشريعة الاسلامية ، من روح الاسلام ، ولو لم يكن قانون الثواب والعقاب لاختلت الموازين ولتبدلت القيم ، وسادت الرذيلة ، وغابت الفضيلة ، لذلك جعل الله هذا القانون نورا مضيئا لأهل العفاف والاستقامة ، وسيفا قاطعا لأهل الظلم والرذيلة ..

وما أحسن قول القائل فيه - صلي الله عليه وسلم - :

ان الرسول نور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

ويقول المرحوم سيد قطب :

< والاعتقاد بوجود ألوهية عادلة يستتبع حتما جزاء على الخير والشر ، إن لم يتم في الأرض في هذا العالم ، فلا بد ان يتم هناك في عالم آخر >[٦٦٦] .

وهذا الجزاء هو الذي يوقظ ضمير الانسان ، وينبه الاحساس :

< فالعقوبات موانع قبل الفعل ، زواجر بعده . أي ان العلم بشرعيتها يمنع الإقدام على الفعل ، وايقاعها بعده يمنع العودة اليه >[٦٦٧] .

والجزاء هو أساس التعاون والتماسك والتكافل ....

< وعلى هذا الأساس وضعت الحدود في الجرائم الاجتماعية ، وشددت تشديدا ، لأن التعاون لا يقوم الا على أساس صيانة حياة كل فرد في دار الاسلام ، وماله ، وحرماته >[٦٦٨] .

(كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وعرضه ، وماله)[٦٦٩] .

---

٦٦٦ مشاهد القيامة في القرآن ، < سيد > ص ١١

٦٦٧ فتح القدير ، ج ٤ ص ١١٢ . وانظر ابن عابدين ، ج ٣ ص ٢١٦ . الاصل في الفقه الاسلامي ص ١٣

٦٦٨ العدالة الاجتماعية في الاسلام ، ص ٧٣

٦٦٩ رواه مسلم ، ج ٤ جزء٨ ص ١١ ، باب البر .

إن الجزاء الذي ذكرته يعتبره الشرع فرضا لازما على كل فرد من المسلمين ان يلتزم به ، فالأولى ان يكون ذلك الجزاء فرضا بحق من يطبق السنة أو يهجرها ، لأن الاحكام التي ذكرتها هي فروع من السنة التي هي الاصل في ذلك ، وهدم الاصل هو هدم لجميع الفروع من الاحكام ، وان اصل العقاب والثواب لحياة الأمة ولقوتها ولجميع شملها ، والسنة بكليتها هي أجمع للأمة ..

وبعد هذه المقدمة العامة . أتبين حجية السنة في الفرعين المذكورين أعلاه (أ ، ب) ..

أ - <u>العاقبة الوخيمة لمن هجر السنة :</u>

لقد حذر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ترك السنة ، والابتعاد عنها ، وعدم تطبيقها ، لأن المسلم يتعرض لغضب الله وعقابه ، وتشتت الأمة وتفرقها ، ودخول البدع ..

روى أبو داود بسنده عن عبدالرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا : أتينا العرباض بن سارية ، وهو ممن نزل فيه : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد ما أحملكم عليه » .. فسلمنا وقلنا : أتيناك زائرين وعائدين ومقتبين ، فقال العرباض : صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم ، ثم أقبل علينا ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب (فقال قائل : يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : (أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وان كان عبدا حبشيا ، فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة)[٦٧٠] .

في الحديث يوصي التمسك بالسنة وهو أمر يوجب الأخذ به ، وحذرنا من البدع ، وهو جعل ما ليس في الدين دينا ، وبمعنى آخر ان سبب الضلال والوقوع في البدعة هو هجر السنة ويكون هذا جزاءً وفاقاً .

---

٦٧٠ رواه ابو داود ، ج ٤ ص ٢٠٠ عن احمد بن حنبل ، والترمذي ، ج ٤ ص ١٥٠ وقال : حديث حسن صحيح ورواه الحاكم ، ج ١ ص ٩٦ وصححه واقره الذهبي .

وقد يقع الجزاء من نوع آخر وهي عقوبة مادية ، كما ورد في الحديث النبوي الشريف ، عن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - أن رجلا أكل عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشماله ، فقال : (كل بيمينك) ، قال : لا استطيع ، قال : (لا استطعت) ، ما منعه الا الكبر . قال : فما رفعها الى فيه[٦٧١] .

والمقصود : أن يده عجزت عن الحركة ، فهذا الجزاء يدل على حجية السنة وفرضيتها ، ولو كان مندوبا لما حل به هذا العقاب .

- ومن العقوبات التي عجلها الله فمن بلغه حديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يعظمه ..

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - انه قال : قال رسول الله - صلي الله عليه وسلم - (بينما رجل يتبختر في بردين ، خسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة)[٦٧٢] . فقال له فتى وهو في حلة له ، يا أبا هريرة : أهكذا كان يمشي ذلك الفتى الذي خسف به ؟ ثم ضرب بيده ، فعثر عثرة كاد ينكسر منها . فقال أبو هريرة للمتبختر[٦٧٣] : « إنا كفيناك المستهزئين »[٦٧٤] .

ولقد اتخذ بعض السلف عقوبة الهجر لمن خالف السنة ، وقد ورد في الحديث النبوي الشريف ، عن خراث بن جبير قال : رأيت في المسجد فتى يخذف[٦٧٥] ، فقال له شيخ لا تخذف ، فإني سمعت النبي - صلى الله

---

٦٧١ صحيح مسلم ، ج ٣ ص ١٥٩٩ ، كتاب الأشربة ، رقم ٢٠٢١

٦٧٢ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢١٨٢ رقم ٥٤٥٢ . صحيح مسلم ، ج ٣ ص ١٦٥٣ رقم ٢٠٨٨ . والدارمي المجلد الأول ، ص ١١٦

٦٧٣ الأنوار الكاشفة لما في كتاب اضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة ، ص ١٥٢ . والدارمي ج ١ ص ١١٦ .

٦٧٤ الحجر : ٩٥

٦٧٥ الخذق : هو ضرب الحصى أو النواة بين السبابة والابهام او السبابتين بقصد صيد الطير ونحوه < هامش مفتاح الجنة ، للسيوطي ، ص ٢٤٥ > تحقيق .

عليه وسلم < نهى عن الخذف >[٦٧٦] ، فحذف . فقال له الشيخ : احدثك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم تخذف ، والله لا أشهد لك جنازة ، ولا أعودك في مرض ، ولا أكلمك أبدا .

ب - مدح العلماء الذين يطلبون علم الحديث :

فالمدح والثناء هو نوع من الجزاء ، ولذلك نجد الله سبحانه وتعالي يمدح اصحاب الأعمال الصالحة في القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرا ، ومن الأمثلة على ذلك في القرآن الكريم :

قال تعالى : « وبشر المخبتين ، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم . والصابرين علي ما أصابهم ، والمقيمي الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون »[٦٧٧]

وقال تعالى : « قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون ... »[٦٧٨] .

ولقد مدح العلماء طلب علم الحديث ، وقدموه على سائر العلوم ، ومن الأقوال التي قيلت في مدحه :

١ - تفضيل طلب علم الحديث على النافلة : قال الشافعي - رحمه الله - : < طلب العلم أفضل من صلاة النافلة > .. ويعني بالعلم : العلم بالسنة[٦٧٩] ، لأنه نقل عنه انه قال : < كلما رأيت رجلا من أصحاب الحديث ، فكأنما رأيت رجلا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - >[٦٨٠] .

٢ - تفضيل علم الحديث على سائر الأعمال : عن سفيان الثوري قال : < لا أعلم من الأعمال أفضل من طلب الحديث لمن حسنت نيته >[٦٨١] .

---

٦٧٦ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، للسيوطي ، ص ٢٤٥ .. وفي بعض الروايات هذا الحديث علة النهي وهي ان تلك الحصاة تفقأ العين وتكسر السن ولا تصطاد صيدا ولا تنكي عدوا ، وكذلك ورد في سنن الدارمي وهو قول خراش فغفل الفتى فظن ان الشيخ لا يفطن له فخذف ، ج ١ ص ١١٦ - ١١٧ . وروى نحو هذا الحديث في صحيح مسلم ، ج ٣ ص ١٥٤٧ رقم ١٩٥٤ عن عبدالله بن مغفل .. والبخاري ، ج ٥ ص ٢٢٩٧ ، رقم ٥٨٦٦ عن عبدالله بن مغفل .

٦٧٧ الحج : ٣٤ - ٣٥

٦٧٨ الفتح : ٣٩

٦٧٩ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، ص ٢٢٨

٦٨٠ المصدر السابق ، ص ٢٢٩

٦٨١ المصدر السابق ، ص ٢٢٨

وعن ابن مبارك قال : ‹ ما أعلم شيئا أفضل من طلب الحيث لمن أراد به الله عز وجل ›[٦٨٢] .

٣ - علم الحديث تصديق لكتاب الله وقوة وطاعة لله : سُمِعَ عن مالك بن أنس يقول : ‹ سنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وولاة الأمر من بعده سننا ، الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل ، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، من عمل بها مهتدٍ ، ومن استنصر بها منصور ، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولي)[٦٨٣] .

٤ - يحمل علم الحديث من كل جيل خيارهم : عن أسامة بن زيد قال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الجاهلين ، وانتحال المبطلين)[٦٨٤] .

٥ - علم الحديث حصن لحماية الاسلام من الاندراس : حدث عبدالحميد بن حميد قال ، سمعت أبا داود يقول : ‹ لولا هذه العصابة لاندرس الاسلام - يعني اصحاب الحديث الذين يكتبون الآثار .. ›[٦٨٥] .

٦ - علم الحديث عز في الدنيا ورشاد في الآخرة : سمع عبدالله بن داود يقول ، سمعت سفيان الثوري يقول : ‹ سماع الحديث عز لمن أراد به الدنيا ، ورشاد لمن أراد به الآخرة ›[٦٨٦] .

من هذه الأقوال يتبين لنا أن أصحاب الحديث هم صفوة خلق الله ، وعدة الخير في كل زمان ومكان ، وهم السلاح لصد الأعداء ، ومنابع النور لبيان الشريعة الاسلامية وحفظها ولان الحديث يشتمل علي معرفة أصول التوحيد ، وبيان ما جاء من وجوه الوعد والوعيد ، وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين ..

---

٦٨٢ المصدر السابق .

٦٨٣ شرف اصحاب الحديث ، ص ٧

٦٨٤ المصدر السابق ، ص ٢٨

٦٨٥ المصدر السابق ، ص ٥٢

٦٨٦ المصدر السابق ، ص ٦٢

وفي الحديث قصص الأنبياء ، وكلام الفقهاء ، وشرح مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأحكامه وقضاياه ، ومعجزاته ، وأزواجه وأولاده وأصهاره وأصحابه ، وذكر فضائلهم ومآثرهم ، وفيه تفسير القرآن العظيم ، وقد جعل الله تعالي أهله أركان الشريعة ، وهدم بهم كل بدعة[٦٨٧] .

ومن هنا يعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة الي معرفة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به ، فإنه لا سبيل الي الفلاح الا على يديه ، ولا الى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل الا من جهته ، فأي حاجة فرضت وضرورة عرضت ، فضرورة العبد الى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فوقها بكثير[٦٨٨] .

---

٦٨٧ المصدر السابق ، ص ٨

٦٨٨ مختصر زاد المعاد ، لابن قيم الجوزية ، ص ٨

الفصل الثالث

الأدلة العملية والأخلاقية والعقلية والعلمية على حجية السنة

أو (الأدلة غير النقلية على حجية السنة)

وتشتمل على خمسة مباحث :

المبحث الأول

جهود العلماء والمسلمين عامة لتعلم السنة :

إن الجهود المضنية التي بذلها العلماء والصلحاء وكثير من المسلمين التي استغرقت العمر بأكمله ، وهم من صفوة كل جيل ، مع عدم اعتراض الناس لتصرفهم ، هذا دليل واضح لمن له أقل معرفة وبصيرة ، بأن هذه السنة حجة على جميع خلق الله ممن آمن بكتابه واتبع دينه ..

- ومن هذه الجهود التي بذله العلماء :

أ - **الرحلة في طلب الحديث :**

لقد استعذب العلماء الرحلة في طلب العلم ، مع ان السفر هو من اشد الصعاب ، وقد بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - تلك المشقة بالحديث ، فقد ورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه ، فإذا قضى نهمته فليعجل الى أهله) .

فقد هانت عليهم تلك الصعاب ، واعتبروا تلك الرحلة هي رحمة للأمة ، يرفع عنها البلاء ويكشف الضر عنها .. وعن ابراهيم بن أدهم - رضي الله عنه - انه قال : ‹ ان الله تعالى يرفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث ›[٦٨٩] .

وقد رحل بعضهم الى بلاد كثيرة في طلب علم الحديث ، قال احمد بن حنبل - رحمه الله - : ‹ لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه ،

---

٦٨٩ علوم الحديث ، لابن صلاح ، ص ٢٢٣

رحل الى اليمن والى مصر والي الشام والبصرة والكوفة ، وكان من رواة العلم وأهل ذلك ، كتب عن الصغار والكبار ›[٦٩٠] .

ولقد بلغ من شدة اهتمامهم بالحديث ان يرحل أحدهم لأجل الحديث الواحد ..

عن سعيب بن المسيب قال : إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد .

ومما يشد العزم ويقدح زناد الهمة بالاستمرار في هذه الرحلات وعدم السأم ان ‹ قيل من علامات محبته - عليه السلام - الكعوف على ذكره وسماع حديثه في الارتحال والمقام ›[٦٩١] .

كل هذه المغريات في الأجر والثواب جعلت تهون عليها الصعاب ، فتقطع الفيافي والقفار ، ومما يروى عن جرير بن حيان : ‹ أن رجلا[٦٩٢] ، رحل الى مصر في طلب في هذا الحديث[٦٩٣] فلم يحل رحله حتى رجع الى بيته ›.

وكذلك كانوا يرحلون لاجل التأكد من الحديث ولو سمعوا في بلدهم ، وعن أبي العالية الرياحي قال : ‹ كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم نرض حتى ركبنا الى المدينة ، فسمعناها من أفواههم ›[٦٩٤] .

وكان للرحلة أثر في شيوع الأحاديث ، وكثير طرقها ، كما كان لها أثر في معرفة الرجال بصورة دقيقة ، لأن المحدث يذهب الى البلدة فيتعرف على علمائها ويخالطهم ويسألهم ، ولولا الرحلة لتنوع علم الاقاليم المختلفة ، واتسع الخلاف في الأحكام[٦٩٥] .

ولعل هذا الظمأ الى طلب العلم ان يكون السبب في سفر عبدان[٦٩٦] الى البصرة ثماني عشرة مرة ليسمع ما يرويه أهل هذا المصر

---

٦٩٠ الرحلة في طلب الحديث ، للبغدادي ، ص ٩١

٦٩١ الرسالة المستطرفة ، للكتابي ، ص ٣

٦٩٢ هو عقبة بن عامر ، ركب الى مسلمة بن مخلد ، وهو أمير على مصر - الكتاب العلم ، للنسائي ، ص ١٢ - وقيل هو : جابر بن عبدالله ، عن كتاب المحدث الفاصل ، للرامهرزي ، ‹ ذكر ذلك في كتاب حوث في تاريخ السنة المشرفة ،ص ٢٠٨ › .

٦٩٣ الحديث : ‹ من سرّ على أخيه في الدنيا ، سرّ الله عليه في الآخرة ›.

٦٩٤ سنن الدارمي ، ١٢٦/١

٦٩٥ بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، ص ٢١٣

٦٩٦ عبدان : هو احمد بن موسى الجواليقي .. ‹ حاشية علوم الحديث ومصطلحه ، ص ٥٥ › .

من السنن التي تفرد بها أيوب[٦٩٧] .

ولقد أكبر الناس هؤلاء الرحالين والجوالين في جميع العصور مما شجع كبار المحدثين على الرحلة مرارا .. وقد ذكر أن بعض هؤلاء الجوالين قد طوفوا الشرق والغرب مرارا .. وان المستشرق جولد زيهر- على ولوعة بانكار أخبار القوم - لا يفوته ان يعترف بأن : < الرحالين الذين يقولون انهم طافوا الشرق والغرب أربع مرات ، ليسوا - في نظره - مبعدين ولا مغالين >[٦٩٨] .

لقد كانت لتلك الرحلات على ما فيها من المشقات والصعاب ، قد أتت بفوائد جمة ، حيث انهم وثقوا الأواصر بين بلدان العالم الإسلامي ، وهدموا الحواجز ، وأزالوا السدود والحدود ، وجعلوا العالم الإسلامي أشبه بالمدينة الواحدة .

ب - الجهود التي بذلها العلماء في حفظ الحديث :

لقد اهتم المسلمون كثيرا لحفظ حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منذ صدر السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ..

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : < كنا نكون عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فنسمع منه الحديث ، فإذا قمنا تذاكرناه بيننا حتى نحفظه >[٦٩٩] .

وقال مرة عبدالرحمن بن أبي ليلى : < احياء الحديث مذاكرته ، فتذاكروه .. قال ، فقال عبدالله بن شداد : يرحمك الله ، كم من حديث أحييته في صدري ، قد كان مات >[٧٠٠] .

وكذلك كانوا يستعينون على الحفظ بكثرة المجالسة ، وذكروا انه قد تطول المجالسة والمذاكرة في أول الليل حتى نداء الفجر[٧٠١] .

وكانوا يبتعدون عن كثرة الكلام لأجل عدم تبعثر الفكر .. ومما يروى عن شعبة بن الحجاج انه خرج من عند عبدالله بن عون ، وقد عقد بيده جميعا فكلمه بعض اخوانه ، فقال : < لا تكلمني ، فاني حفظت عن ابن

---

٦٩٧ معجم البلدان ٤١٤/١ . وأيوب هو : العالم الفقيه الكبير < أيوب بن كيسان السختيان ابوبكر > ١٣١هـ عن حاشية علوم الحديث ، ص ٥٥ .

٦٩٨ علوم الحديث ومصطلحه ، د . صبحي ، ص ٥٦

٦٩٩ الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ، ص ٤٦

٧٠٠ كتاب العلم ، لزهير بن حرب النسائي ، ص ١٩ - ٢٠

٧٠١ اصول الحديث وعلومه ، د . محمد عجاج ، ص ١١٢

عون عشرة أحاديث ، أخاف أن أنساها ›[٧٠٢] .

ومما كانوا يستعينون به على تثبيت الحفظ كثرة تكرار الحديث بالتحدث مع الناس ، فإذا لم يجد من يحدثه حدث خادمه أو بنيه ، وفي هذا يروى عن الامام الزهري انه كان يبتغي العلم من عروة وغيره ، فيأتي جارية له نائمة فيوقظها ، فيقول لها : حدثني فلان بكذا ، وفلان بكذا ، فتقول : مالي ولهذا ، فيقول : قد علمت انك لا تنتفعي به ، ولكن سمعت الآن ، فأردت ان استذكره[٧٠٣] .

ولا يجد اسماعيل بن رجاء من يذاكر الحديث معه ، فيجمع غلمان المكاتب ويحدثهم كيلا ينسى حديثه[٧٠٤] .

ولقد حدا بهم حادي الشوق لحفظ السنة النبوية ان تركوا حطام الدنيا وجعلوها وراءهم ظهريا لأجل ان يخففوا من أعبائها حتى يتفرغوا لحفظ الحديث النبوي ، قال ابن سيرين : قال أبوهريرة - رضي الله عنه - لقد رأيتني أصرع بين القبر والمنبر من الجوع ، حتى يقولوا : مجنون[٧٠٥] .

وفي رواية أخرى عن هشام ، عن محمد ، قال : كنا عند أبي هريرة ، فتمخط ، فمسح بردائه ، وقال : الحمد لله الذي تمخط أبو هريرة في الكتان ، لقد رأيتني ، وانا لأجر فيما بين منزل عائشة والمنبر مغشيا على من الجوع ، فيمر الرجل ، فيجلس على صدري ، فارفع رأسي ، فأقول : ليس الذي ترى ، إنما هو الجوع [٧٠٦].

لقد ترك أبوهريرة كل عمل في الأسواق ، وجعل عمله مرافقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأجل طلب الحديث ، ولم ينكر أحد عليه ذلك ..ومما روي عن سعيد وأبي سلمة : أن أبا هريرة قال : ‹ إنكم تقولون ، إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وتقولون : ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثله ، أو ان اخواني المهاجرين كان يشغلهم الصفق[٧٠٧] بالأسواق ، وكان اخواني من الانصار

---

٧٠٢ الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ، ص ٤٧ . وعن اصول الحديث ، د (عجاج ، ص ١١٣

٧٠٣ تاريخ الاسلام للذهبي ، ج ٥ ص ١٤٨ ‹ عن كتاب اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ١١٣ › .

٧٠٤ المحدث الفاصل ، نسخة دمشق ، ص ١٥ ، وانظر عيون الاخبار ج ٢ ص ١٣٤ ، وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٩٦ ‹ عن اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ١١٣ › .

٧٠٥ حلية الأولياء ، ٣٧٨/١ ‹ عن سير النبلاء ، ج ٢ ص ٥٩٠ ›

٧٠٦ اخرجه البخاري ، ١٣ / ٢٥٨ في الاعتصام . والترمذي (٢٣٦٧) في الزهد : باب ما جاء في معيشة اصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - .. وابن سعد في الطبقات ، ٣٢٧/٤

يشغلهم عمل أموالهم ، وكنت امرأ مسكينا من مساكين الصُفَّة ، ألزم رسول الله على ملء بطني ، فأحضر حتى يغيبون ، وأعي حين ينسون ، وقد قال رسول الله - صلي الله عليه وسلم - في حديث يحدثه يوما : (إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي جميع مقالتي ، ثم يجمع اليه ثوبه ، إلا وعى ما أقول) فبسطت نمرة عليَّ ، حتى إذا قضى مقالته ، جمعتها الى صدري ، فما نسيت من مقالة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلك من شيء)[٧٠٨] .

ولم يكن أبو هريرة هو الوحيد من الصحابة ممن كان يطلب علم السنة ، بل كان كثير منهم له نهمة شديدة أنسته كل نصب .. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : ‹ لما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنهم اليوم كثير ، فقال : يا عجبا لك يا ابن عباس ، أترى الناس يفتقرون اليك ، وفي الناس من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من فيهم ؟ قال : فترك ذلك ، واقبلت أنا أسأل اصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فان كان ليبلغني الحديث عن الرجل فأتي باباه وهو قائل ، فأتوسد ردائي على بابه ، يسفي الريح عليَّ من التراب ، فيخرج فيراني ، فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلا أرسلت اليَّ فأتيك ؟ فأقول : لا ، أنا أحق ان آتيك ، قال : فأسأله عن الحديث ›[٧٠٩] .

لقد كان الصحابة يتبعون سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في السفر والحضر والمجلس والسوق وفي كل جوانب حياتهم ، ولم يقتصر ذلك علي أفراد قلائل ، وانما يحاول كل فرد منهم ان يعرف أمور دينه . . ‹ حتى كان بعضهم يتناوبون مجلسه يوما بعد يوم ، ينزل هذا يوما وينزل ذلك يوما آخر ، ثم يخبر كل منهم صاحبه بما سمعه من أقوال رسول الله -

---

٧٠٨ اخرجه البخاري ، ٢٤٧/٤ في البيوع ، باب ما جاء في قول الله عز وجل : « فاذا قضيت الصلاة ، فانتشروا في الأرض » عن طريق الزهري ، عن سعيد بن المسيب وابي سلمة عن ابي هريرة .
واخرجه مسلم (٢٤٩٢) في فضائل الصحابة ، باب في فضائ ابي هريرة من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب ، عن ابي هريرة ، وهو في طبقات ابن سعد : ٣٣٠/٤
وابن عساكر ، ١١٤/١٩ ، وحديث ابو هريرة حول تركه السوق عن ‹ النبلاء ، ج ٢ ص ٥٩٥ › .

٧٠٩ البداية والنهاية لابن كثير ، ٢٩٨/٨ ، ترجمة الامام ابن عباس ، ص ٣٦

صلي الله عليه وسلم - وتوجيهاته ، مخافة ان يفوت احدهم منها شيء[٧١٠] ، بعد ان شوقهم - عليه السلام - الى العلم ، وأروى ظمأهم اليه بمثل قوله : (رحم الله إمرأ سمع مقالتي ، فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع)[٧١١] .

لم يكن هذا الطلب الشديد للحديث النبوي الشريف مخصوص بالصحابة الكرام ، وانما تجاوز الي من جاء بعدهم ..

قال عمر بن حفص الأشقر : إنهم فقدوا البخاري أياما من كتابة الحديث بالبصرة ، قال : فطلبناه فوجدناه في بيت وهو عريان ، وقد نفد ما عنده ، ولم يبق معه شيء ، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتي اشترينا له ثوبا وكسوناه ، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث)[٧١٢] .

وقال سفيان بن عيينة : سمعت شعبة بن الحجاج يقول : في طلب الحديث أفلس ، بعت طست أمي بسبعة دنانير[٧١٣] .

وان احمد بن سنان الواسطي يقول : بلغني ان احمد بن حنبل رهن نعليه عند خباز على طعام أخذه منه عند خروجه من اليمن ، وأكرى نفسه من ناس من الجمالين عند خروجه وعرض عليه عبد الرزاق دراهم صالحة فلم يقبلها[٧١٤] .

قال ابو العباس الجرجاني : كان ابو اسحاق الشيرازي لا يملك شيئا من الدنيا ، فبلغ به الفقر مبلغه ، حتى كان لا يجد قوتا ولا ملبسا[٧١٥] .

لقد كان سهرهم سلوتهم ، ونور مصابيحهم حدائقهم ، وخط أقلامهم لذتهم ، لقد نسوا الجوع والتعري ، وطمحوا بطلب أوسع من الدنيا وما فيها ، فطوعوا الصعاب ، فصارت مركوبا لهم ، بدل ان تذلهم .

قال محمد بن يوسف : كنت عند محمد بن اسماعيل - البخاري -

---

٧١٠ يقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : < كنت وانا جار لي من الانصار من بني امية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينزل يوما وانزل يوما ، فاذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم ، واذا نزل فعل مثل ذلك > .. عن كتاب : دفاع عن الحديث النبوي ، ص ٤٧ .

٧١١ جامع بيان العلم ، ٢٩/١ ، رحم الله امرأ .. < عن علوم الحديث للذهبي ، ص ٣٠٤ > .

٧١٢ تاريخ بغداد ١٣/٢ للخطيب البغدادي .

٧١٣ تذكرة الحفاظ ، ١٩٥/١

٧١٤ مناقب الامام احمد بن حنبل ، لابن الجوزي ، ص ٢٢٧ .. طبقات الحنابلة ، ٢٠٩/١

٧١٥ طبقات الشافعية الكبرى ، ٩٠/٣ < عن ابي اسحاق الشيرازي > ومن اراد الاستزادة فعليه بمراجعة : طبقات ابن سعد ٣٧٣/٢ ، التاريخ الكبير ٢/٥ ، التاريخ الصغير ١٥٤/١ - ١٥٥ ، الجرح واالتعديل ١٠٧/٥ ، جمهرة انساب العرب : ١٥٢ ، تاريخ بغداد ١٧١/١ ، طبقات الفقهاء : ٤٩ ، جامع الاصول ٦٤/٩ ، أسد الغابة ٢٢٧/٣ ، تاريخ الاسلام ١٧٧/٣ ، النجوم الزاهرة ١٩٢/١ .

بمنزله ذات ليلة ، فأحصيت عليه انه قام واسرج - ليستذكر أشياء نعلقها في ليلة - ثمان عشرة مرة[٧١٦] .

لقد بارك الله تلك الجهود ، وذلك التحمل لوجه الله في طلب السنة خيرا كثيرا ، وعلما غزيرا ظهرت ثمراته ، في الحفظ والتأليف والتبليغ.

فقد وفق علماء الحديث للحفظ الذي فاق الخيال ، ولم يسبق لعلم من العلوم ان احاط به ذوي اختصاصه بهذا الحفظ من الدقة والتأليف .

ومن الحفاظ على سبيل الذكر ، لا على سبيل الحصر :

١ - الحفاظ من الصحابة - رضي الله عنهم - :

قال الحافظ الذهبي : المثرون من رواية الحديث من الصحابة - رضي الله عنه أجمعين : أبو هريرة ، مروياته خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون . ابن عمر ، الفان وستمائة وثلاثون . أنس الفان ومائتان وستة وسبعون . عائشة ، الفان ومائتان وعشر . ابن عباس ألف وستمائة وسبعون[٧١٧] ..

ولقد كان الصحابي الجليل أبوهريرة أمير الحفاظ من الصحابة الكرام ، فقد روى الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : < كان أبو هريرة من أحفظ الصحابة[٧١٨] ، وان السيدة عائشة[٧١٩] كانت حافظة زمانها من النساء ، وكيف لا تكون كذلك وهي بنت الامام الصديق الأكبر خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهي أم المؤمنين ، زوجة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وهي أفقه نساء الأمة على الاطلاق ، فروت عن النبي - صلي الله عليه وسلم - علما كثيرا طيبا مباركا فيه وعن ابيها ، وعن عمر ، وفاطمة ، وسعد - رضي الله عن الصحابة جميعا[٧٢٠] - .

ومن حفاظ الصحابة : عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - ، أسلم وهو صغير ، ثم هاجر مع أبيه ولم يحتلم ، روى علما كثيرا نافعا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وعن أبيه ، وأبي بكر

---

٧١٦ تهذب الاسماء واللغات للامام النووي ، ١/٧٥ .. طبقات الشافعية ، للتاج السبكي ، ٢/٢٢٠و٢٢٦

٧١٧ شذرات الذهب في اخبار من ذهب < الحنبلي ، ج ١ ص ٦٣ >

٧١٨ تاريخ دمشق ، ٢/١١٦/١٩ < عن سير النبلاء ، ج ٢ ص ٥٩٧ >

٧١٩ من أراد الاستزادة عن حياة السيدة عائشة أم المؤمنين فليراجع ، طبقات ابن سعد : ٨/٥٨ - ٨١ . ١٠ لتاريخ لابن معين ، ٧٣ . جامع الاصول ٩/١٣٢ . اسد الغابة ، ٧/١٨٨ . تهذيب الكمال ١٦٨٨ ، البداية والنهاية ٨/٩١ ، ٩٤ . مجمع الزوائد : ٩/٢٢٥ - ٢٤٤ ، تهذيب التهذيب ، ١٢/ ٤٣٣ - ٤٣٦ ، الاصابة ١٣/٣٨ . كنز العمال ١٣/٦٩٣ . شذرات الذهب ١/٩ ، ٦١ ، ٦٣ .

٧٢٠ سير أعلام النبلاء ، بتصرف ، ج ٢ ص ١٣٥

وعثمان وعلي وبلال وصهيب[٧٢١] .

ولقد نال ابن عمر هذا الحفظ الكثير ، والعلم الغزير ، بتركه لحطام الدنيا واتجاهه الي طلب حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

قال ابن مسعود : إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبدالله بن عمر[٧٢٢] .

وروى سالم بن أبي الجعد ، عن جابر : ما منا أحد ادرك الدنيا إلا وقد مالت به إلا ابن عمر[٧٢٣] .

وامتاز ابن عمر - رضي الله عنهما - بحرصه الشديد علي تتبع آثار الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتطبيقها على نفسه قولا وعملا مما جعله ذا عقل واع وفكر ثاقب .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ما رأيت أحدا ألزم للأمر الأول من ابن عمر[٧٢٤] .

عن نافع : ان ابن عمر كان يتبع آثار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كل مكان صلى فيه ، وحتي ان النبي - صلى الله عليه وسلم - نزل تحت شجرة ، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس[٧٢٥] .

ولقد عاش ابن عمر عمرا طويلا ، فضاه كله بالخير ، ووفق الي كل خير ، وهو حفظه لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

وقال مالك : بلغ ابن عمر سبعا وثمانين سنة[٧٢٦] .

وقال ابو نعيم والهيثم بن عدي وابو مسهر ، وعدة : مات وسنه - يعني عبدالله بن عمر - ثلاث وسبعين[٧٢٧] ..رضي الله عنه وارضاه .

---

٧٢١ سير اعلام النبلاء ، بتصرف ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤

٧٢٢ ابن سعد ، ١٤٤/٤ ‹ عند الله بن عمر وسيطرته علي نفسه ، عن سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢١١ ، الحلية ، ٢٩٤/١ .

٧٢٣ الحلية ، ٢٩٤/١ ، ‹ ابتعاده عن الدنيا ، › سير اعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ٢٠١ .

٧٢٤ سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢١١

٧٢٥ اسد الغابة ، ٣٤١/٣ ‹ التزام ابن عمر بكل ما يعقله › ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢١٣

٧٢٦ سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢٣٢

٧٢٧ المصدر السابق .

ومن أولئك الاعلام ، ابو العباس عبدالله[٧٢٨] ، ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - نحوا من ثلاثين شهرا ، وحدث عنه ، وعن عمر ، وعلي ، ومعاذ[٧٢٩] .

كان ابن عباس - رضي الله عنهما - شديد الخوف من الله ، ملتزما بأوامره ، منتهيا عما نهى الله عنه .

وعن طاووس قال : ما رأيت أحد أشد تعظيما لحرمات الله من ابن عباس[٧٣٠] .

وكانت لابن عباس همة عالية اعانته على الحفظ ، وكان كثير السؤال عن حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان لا يمل ولا يكل .. عن سليمان الأحول ، عن طاووس ، عن ابن عباس قال : ‹ ان كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ›[٧٣١] .

ومما زاد ابن عباس بصيرة وفكرا ثاقبا كان عالما بتفسير القرآن ، ان عبدالله[٧٣٢] قال : ‹ ولنعم ترجمان القرآن ابن عباس ›[٧٣٣] .

ومع كل هذا التبحر والالمام بدقائق الأمور ، كانت له عقلية فقهية واسعة ، ويروى عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : اعلم من بقى بالحج ابن عباس[٧٣٤] .

ولم يمنعه كثرة علمه وهمة طلبه من كثر ة العبادة ومراقبة الله ، وشدة الخوف الذي سيطر علي جميع حياته ، عن ابن أبي مليكة ، صحبت ابن عباس من مكة الي المدينة ، فكان يصلي ركعتين ، فإذا نزل ، قام شطر

---

٧٢٨ ومن اراد الاستزادة ، فعليه ان يراجع : طبقات ابن سعد ٣٦٥/٢ . المحبر : ١٦ ، ٢٤ ، ٩٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ . التاريخ الكبير ، ٣/٥ ، التاريخ الصغير ١٢٦/١ ، ١٢٧ ، ١٣٧ . الجرح والتعديل ، ١١٦/٥ . جمهرة أنساب العرب ١٩ ، ٢٠ . الاستيعاب ٩٣٣ ، تاريخ بغداد ١٧٣/١ ، جامع الاصول ، ٦٣/٩ . اسد الغابة ، ٢٩٠/٣ . تهذيب الكمال ، ص ٦٩٨ ، تذكرة الحفاظ ٣٧/١ ، البداية والنهاية ، ٢٩٥/٨ . الاصابة ٣٣٠/٢ . تهذيب التهذيب ٢٧٦/٥ .

٧٢٩ سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٣١ ، ٣٣٢

٧٣٠ الحلية ، ٣٢٩/١ ‹ عن سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٤٢ ›

٧٣١ سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٤٤

٧٣٢ يعني عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - .

٧٣٣ طبقات ابن سعد ، ٣٦٦/٢ ، وأخرجه الحاكم ، ٥٣٧/٣ . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ‹ عن سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٤٧ › .

٧٣٤ ابن سعد ، ٣٦٩/٢ ‹ عن سيرة اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٤٨ ›

الله ، ويرتل القرآن حرفا حرفا ، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب»[٧٣٥] .

وقد مر عن هذا العالم المتبحر والزاهد العابد عن حفظه ، ومسنده الفا وست مائة وستون حديثا[٧٣٦] .

وقال ابن المديني : < توفى ابن عباس سنة ثمان أو سبع وستين > .. وقال الواقدي ، والهيثم ، وابو نعيم : سنة ثمان . وقيل : عاش احدى وسبعين سنة[٧٣٧] .

ولم يقتصر الحفظ وغزارة العلم بالسنة على الجيل الفريد جيل الصحابة الكرام ، لا بل انتقل الى الأجيال التي أتت وتعاقبت لسنين طويلة ، ولم تجد زمانا يكاد يخلو من أولئك الأفذاذ ، الذين هم أشبه ببحر متلاطم يعجز العالم ان يحي بذكرهم ، ولكن نذكر شذرات منهم على سبيل المثال :

ومن تلك الجهود التي بذلت في الحفظ والتأليف في السنة النبوية ما قام به امام دار الهجرة الامام مالك بن أنس < ت ٧٩ هـ > .

من الجهود في تأليف كتاب < الموطأ > قال الامام مالك : < عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة ، كلهم واطأني عليه ، فسميته الموطأ >[٧٣٨] .

وقد انتقى الامام مالك أحاديث الموطأ من مائة ألف حديث ، كان يرويها ، واستغرق تصنيفه وتنقيحه أربعين عاما[٧٣٩] .

< وجملة ما في الموطأ من الآثار عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وعن الصحابة والتابعين ١٧٢٠ ، المسند منها ٦٠٠ والمرسل ٢٢٢ والموقوف ٦١٣ ومن قول التابعين ٢٨٥ >[٧٤٠] .

ولا مجال للتعليق على أراء العلماء حول مرتبة الموطأ وكتب الشروح لذلك الكتاب .

ومن العلماء الذين رصدوا أنفسهم لخدمة السنة وحفظها وجمعها هو الامام احمد بن حنبل < ت ٢٤١ هـ > . وقد بذل جهدا مضنيا في تأليف

---

٧٣٥ سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٥٢

٧٣٦ المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣٥٩

٧٣٧ المصدر السابق .

٧٣٨ السيوطي ، تنوير الحوال على موطأ مالك ، ص ٧ ، عن كتاب بحوث في السنة ، ص ٢٣٥ < حول استشارة العلماء بتسمية الكتاب >

٧٣٩ المصدر السابق ، ص ٧

٧٤٠ السيوطي ، تنوير الحوالك ، ص ٨

< المسند > ..

ويضم مسند الامام احمد ما يقارب الاربعين ألف حديث منها عشرة ألاف مكررة ، وقد انتقاها من سبعمائة وخمسين ألف حديث[٧٤١] .

أما عن درجة أحاديث المسند فهو يحتوي أحاديث صحيحة كثيرة ، وبعضها زيادة على ما في الكتب الستة ، كما ان فيه الحديث الحسن والضعيف والمنكر ، وبعض الأحاديث الموضوعة لكنها نادرة ، ومعظمها وقعت من زيادة ابنه عبدالله أو زيادة ابي بكر القطيعي - راويه عبدالله - على المسند[٧٤٢] .

وقيل وقع فيه - في المسند - بضعة عشر حديثا حكم عليها النقاد بالوضع[٧٤٣] .. لكن ابن حجر العسقلاني أجاب عنها[٧٤٤] ، وهو يرى ان ما لا أصل له من أحاديث مسند احمد لا يزيد على ثلاثة أو أربعة أحاديث[٧٤٥] ..

ومما قيل ويقال لا يقلل من قيمة هذا المسند ، ولا ينزله من مركزه المهم بين كتب الحديث .

ومنهم أمير المحدثين الامام محمد بن اسماعيل البخاري < ت ٢٥١ هـ > : يعتبر كتابه < الجامع الصحيح > أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل عند جمهور المحدثين ، وقد انتقاه البخاري من ستمائة ألف حديث[٧٤٦] .

ومكث البخاري في تصنيفه ست عشرة سنة ، وما كان يضع فيه حديثا الا بعد ان يغتسل ويصلي ركعتين ، ويستخير الله في وضعه[٧٤٧] .

ولا يدخل فيه من التعاليق والمتابعات والشواهد ضمن الصحيح[٧٤٨] .

وجميع ما في صحيح البخاري من الأحاديث الموصولة بلا تكرير ٢٦٠٢ حديثا ، وان جميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات ٧٣٩٧ حديثا[٧٤٩] .

---

٧٤١ ابو موسى المديني : خصائص المسند ، ص ٢١ < طبع في مقدمة المسند احمد محمد شاكر > ، وابن الجوزي المصعد الحمد في ختم مسند الامام احمد ، ص ٣١ < طبع في مقدمة كتاب المسند ، طبقة احمد محمد شاكر > عن بحوث ص ٢٣٦ .

٧٤٢ ابن تيمية < منهاج السنة ، ص ٢٧ ، عن بحوث ص ٢٣٧ .

٧٤٣ الخولي : مفتاح السنة ، ص ٣٥

٧٤٤ في كتاب < القول المسدد ، في الذب عن مسند احمد > .

٧٤٥ تعجيل المنفعة برجال الأربعة ، لابن حجر ، ص ٦

٧٤٦ الخطيب ، تاريخ بغداد ، ٨/٢ ، وابن حجر : هدى الساري مقدمة فتح الباري ، ص٥

٧٤٧ مفتاح السنة ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

٧٤٨ الباعث الحثيث ، ابن كثير ، ص ٣٤

٧٤٩ هدي الساري ، ابن حجر ، ص ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٧٨ .

وقد نال صحيح البخاري عناية فائقة من العلماء في سائر العصور بشرحه ، ومن أجل شروحه كتاب ‹ فتح الباري بشرح صحيح البخاري › للحافظ ابن حجر العسقلاني ‹ ت ٨٥٢ هـ › ، و ‹ عمدة القاري › لبدر الدين العيني الحنفي ‹ ت ٨٥٥ هـ › ، و ‹ وارشاد الساري الي صحيح البخاري › للقسطلاني ‹ ت ٩٢٢ هـ ›[٧٥٠] .

ومن العلماء الراسخين في علم الحديث الامام مسلم ‹ ت ٢٦١ هـ › : ويعتبر صحيح الامام مسلم في المرتبة الثانية بعد صحيح البخاري ، وقد انتقى الامام مسلم احاديث صحيحه من ثلاثمائة الف حديث مسموعة[٧٥١] ..واستغرق تصنيفه خمس عشرة سنة[٧٥٢] ، ويبلغ عدد أحاديثه أربعة آلاف حديث سوى المكرر[٧٥٣] .

ولقد لقى صحيح مسلم قبولا كبيرا من العلماء ، فاعتنوا بشرحه ، ومن أحسن شروحه كتاب ‹ المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج › للحافظ أبي زكريا محي الدين النووي الشافعي ‹ ت ٦٧٦ هـ › .

والامام الآخر : هو أبو داود ‹ ت ٢٧٥ هـ › : ويبلغ عدد أحاديث سنن أبي داود أربعة آلاف وثمانمائة حديث ، انتقاها من خمسمائة ألف حديث ، كان قد كتبها[٧٥٤] .

وقد شرحه عدد من أجلاء العلماء منهم : أبو سليمان الخطابي ‹ ٣٨٨ هـ › في كتابه معالم السنن ، وشرف الحق محمد أشرف الصديقي في كتابه ‹ عون المعبود في سنن أبي داود › .

وممن حفظ وألف في الصحاح الامام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ‹ ت ٢٧٩ هـ › ، وقد ألف ‹ كتابه الجامع الترمذي › وهو أحد الكتب الستة ، خرج فيه الحديث الصحيح والحسن والضعيف والغريب والمعلل وأبان عن علته .. وقد التزم ان لا يخرج في كتابه الا حديثا عمل به فقيه أو احتج به محتج[٧٥٥] .

---

٧٥٠ شروح البخاري ، سزكين : تاريخ التراث العربي، ص ٢١٢ فما بعد

٧٥١ الخطيب ‹ تاريخ بغداد › ، ١٠١/١٣

٧٥٢ الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ٥٨٩/١

٧٥٣ علوم الحديث ، ابن صلاح ، ص ١٧

٧٥٤ تاريخ بغداد ، الخطيب ، ٥٧/٩ ، وتذكرة الحفاظ ، للذهبي ، ٥٩٣/١

٧٥٥ مفتاح السنة ، الخولي ، ص ٩٤ ، السنة ومكانتها في التشريع ، السباعي ، ص ٤١٣ . الحديث والمحدثون ، محمد ابو زهرة ، ص ٧١٦ ، ٤١٧

ومن شروح الترمذي كتاب ‹ عرضة الأحوذي على الترمذي ›[٧٥٦] للحافظ أبي بكر محمدي عبدالله الاشبيلي المعروف بأبن العربي المالكي ‹ ت ٥٤٣ هـ › . وشرح الحافظ عبدالرحمن بن الآمدي بن رجب الحنبلي المتوفي سنة ‹ ٧٩٥ هـ › ، الشيخ أبو الحسن عبد الهادي السندي ‹ ت ١١٣٩ هـ ›[٧٥٧].

وبعد أن ذكرنا شيئا قليلا عن جهد وضبط وتأليف هؤلاء الأجلاء من العلماء وما لا قوه من عناد وجوع وسهر أثمر كل ذلك حلاوة ايمان قذفه الله في قلوبهم أضاء عقولهم ، وطهر نفوسهم ، فأخذوا ينظرون بنور الله ، فأصبحت ذاكرتهم لاقطة للحفظ مما قاب بعضهم عن بعض ، أو بعضهم عن نفسه ، وهم الصفوة من خلق الله ، لا يبالغون فيما قالوا .

ومما ذكر حفظ الحفاظ ، قال أبو زرعة الرازي : كان احمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث ، قيل له وما يدريك ؟ قال : ذاكرته ، فأخذت عليه الأبواب[٧٥٨] .

وقال يحيى بن معين : كتبت بيدي ألف ألف حديث[٧٥٩] .

وقال البخاري : احفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتي ألف حديث غير صحيح[٧٦٠] .

وقال الحاكم في المدخل : كان الواحد من الحفاظ يحفظ خمسمائة ألف حديث[٧٦١] .

وسئل أبو زرعة عن رجل حلف بالطلاق أن أبا زرعة يحفظ مائتي ألف حديث ، هل يحنث ؟ قال : لا ، ثم قال : احفظ مائة ألف حديث ، كما يحفظ الانسان سورة « قل هو الله أحد »[٧٦٢] .

وقال ابوبكر محمد بن عمر الرازي الحافظ : كان أبوزرعة يحفظ سبعمائة ألف حديث ، وكان يحفظ مائة وأربعين ألفا في التفسير والقرآن[٧٦٣] .

---

٧٥٦ مفتاح السنة ، للخولي ، ص ٩٤

٧٥٧ كشف الظنون ، ج ١ ص ٢٨٨

٧٥٨ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، ج ١ ، ص ٤٩ ، ٥٠

٧٥٩ المصدر السابق ، ج ١ ص ٥٠

٧٦٠ المصدر السابق .

٧٦١ المصدر السابق .

٧٦٢ المصدر السابق .

٧٦٣ المصدر السابق .

قال ابي خزيمة : سمعت على بن خشرم[٧٦٤] يقول : كان اسحاق بن راهوية يملي سبعين ألف حديث حفظا[٧٦٥] .

وقال عبدالله بن احمد بن حنبل : قال ابي لداود بن عمرو الضبي ، وانا اسمع ، كان يحدثكم اسماعيل بن عياش هذه الأحاديث يحفظه ؟ قال : نعم ، ما رأيت معه كتابا قط ، قال له لقد كان حافظا ؟ كم كان يحفظ ؟ قال : شيئا كثيرا ، قال : أكان يحفظ عشرة آلاف حديث ؟ قال : عشرة آلاف وعشرة الاف وعشرة آلاف ، فقال : أبي هذا كان مثل وكيع[٧٦٦] .

وقال يزيد بن هارون : احفظ خمسة وعشرين ألف حديث باسناده ولا فخر ، واحفظ للشاميين عشرين ألف حديث[٧٦٧] .

وقال الآجري : كان عبيد الله بن معاذ العنبري يحفظ عشرة آلاف حديث[٧٦٨] .

ولم تكن جهود العلماء مقتصرة على حفظ الأحاديث الصحيحة وتأليفها ، لا بل تعدت الى جميع ما يتعلق بعلم الحديث من فن ولون وباستفاضة لا تجزىء هذه المقدمة من التوضيح والبيان ، ولكن نذكر طرفا هي أشبه بعناوين لتلك البحور الزاخرة .

ومن تلك العلوم : علم غريب الحديث[٧٦٩] ، علم رجال الحديث[٧٧٠] ، وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه[٧٧١] ، وعلم مختلف الحديث أو علم تأويل مشكل

---

٧٦٤ خشرم - بفتح فسكون - وهو ابن عم بشر الحافي ، مولود سنة ستين ، وصام ثمانية وثمانين عاما . تدريب الراوي ، ج ١ ص ٥١

٧٦٥ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، ج ١ ص ٥١

٧٦٦ المصدر السابق .

٧٦٧ تدريب الراوي ، ج ١ ص ٥٢

٧٦٨ المصدر السابق .

٧٦٩ مفتاح السنة ، للخولي ، ص ١٤٠ - ١٤٤ . الحديث والمحدثون ، ص ٤٧٤ - ٤٧٨ . اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ٢٨٠ - ٢٨٢

٧٧٠ مفتاح السنة ، ص ١٤٥ - ١٥٧ . الحديث والمحدثون ، ص ٤٥٤ - ٤٦٢

٧٧١ الحديث والمحدثون ، ص ٤٧٢ - ٤٧٤ . أصول الحديث ، د.عجاج ص ٢٨٧ - ٢٩٠ . مفتاح السنة ، للخولي ، ص ١٥٨

الحديث[٧٧٢] ، وعلم علل الحديث[٧٧٣] ، وعلم مصطلح الحديث[٧٧٤] ، وعلم معرفة الصحابة[٧٧٥] ، وعلم تاريخ الرواة[٧٧٦] ، وعلم معرفة الأسماء والكنى والألقاب[٧٧٧] ، وعلم المتفق والمفترق ، والمؤتلف والمختلف ، والمتشابه[٧٧٨] ، وعلم معرفة الموضوعات وكشف حال الوضاعين[٧٧٩] .

هذه العلوم يحوي كل منها على مجلدات ، كما أشرت الى الكتب والصفحات التي تذكر قسما منها ، لا بل توجد كتب بأكملها تعدد أسماء كتب علم الحديث[٧٨٠] .

فعند النظر الي تلك الجهود الجبارة من حفظ وتأليف والتفرغ التام ، يتبين ان السنة حجة علي جميع خلق الله من وجوه :

١) تقديمها على طلب الرزق والسعي لاكتساب العيش ، وهو واجب علي كل مسلم قادر أن يعيش على كد يده وان يبيت كالاً لطلب الحلال ، يبيت وهو مغمور برحمة الله .. بينما تجد الصحابي الجليل أبا هريرة ترك طلب الرزق في سبيل تعلم السنة النبوية ، كما ذكر ذلك عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

٢) لم ينكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - علي أبي هريرة ذلك ، لا بل شجعه ، ودعا له .

٣) التعري الشديد الذي أصاب طلبة الحديث ، وخاصة الامام البخاري ، ولم ينكر أحد من العلماء هذا الحاجة الشديدة التي لو كانت بحالة من العبادة بصورة أخرى لم يقرها أحد من السلف الصالح ، وكأنما طلب علم الحديث ضرورة فوق الضرورات، وواجب في مقدمة الواجبات ، وحجة

---

٧٧٢ مفتاح السنة ، ص ١٥٩ ، اصول الحديث ص ٢٨٣ - ٢٨٤ . الحديث والمحدثون ،ص ٤٧١ .

٧٧٣ الحديث والمحدثون ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩ . مفتاح السنة ، ص ١٥٩ . اصول الحديث ، ، ص ٢٩١ - ٢٩٥

٧٧٤ مفتاح السنة ،ص ١٦٠ ، الحديث والمحدثون ، ص ٤٨٩ ، اصول الحديث ، ٢٩٩ - ٣٠٣

٧٧٥ الحديث والمحدثون ، ، ص ٤٦٣ -٤٦٤

٧٧٦ بحوث في التاريخ والسنة المشرفة ، ص ١٣١ - ١٥٠ ، الحديث والمحدثون ، ص ٤٦٤ - ٤٦٧ . أصول الحديث د . عجاج ، ص ٢٥٣

٧٧٧ بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، ص ١٢٦ . الحديث والمحدثون ، ص ٤٦٨ - ٤٦٩

٧٧٨ الحديث والمحدثون ، ص ٤٦٩ - ٤٧١ ، بحوث في تاريخ السنة ص ١٢٩ - ١٣١

٧٧٩ اصول الحديث ، ص ٤٣٧ ، الحديث والمحدثون ، ص ٤٨٦ - ٤٨٩

٧٨٠ تنظر كتاب الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة

على المسلم ، لذلك وجب على المسلم الحصول على سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ولو سلك طريق الاضطرار .

٤ - السفر الطويل لأجل حديث واحد يثير تساؤلات كل مسلم ، ان الأمر حجة قبل ان يكون علما ، والمرء المسلم يمكن ان يعوض عن حديث واحد بعلم آخر لو أمكن التعويض ، وسد الخلل ، ولكن الأمر لا يمكن ان يكون الا بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلفظه .

٥) حصر أولئك الأتقياء الأصفياء في طلب حديث رسول الله حياتهم كلها على طلب الحديث ولم يوجد عمل واحد في الدنيا يعوض عن جميع الأعمال ، ويشغل صاحبه بالتفرغ له والشوق اليه طيلة حياته ، ما لم يكن ذلك حجة ، يثقل في ميزان العبد بالحسنات يوم القيامة .

٦) اعتقادهم ان طلب هذا العلم جهاد ، فهم قد تجشموا المشاق وركبوا الأهوال ، ورحلوا في طلب الحديث ، لا يعوقهم فقر ، ولا يفت في عزمهم صعوبة الطريق وأخطاره ، سواء عليهم الصحراء وحرها ، والبحار وأمواجها ، إذ يتغلغل في نفوسهم اعتقاد ان طلب العلم جهاد ، فمن مات في سبيله مات شهيدا"[٧٨١] .

٧) شدة تطبيق السنة وعدم التفريط بشيء منها ، كما كان يفعله عبدالله بن عمر في كل قول أو فعل أو تقرير .

٨) تخصص السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - من النساء بحفظ وعلم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لتكون مرجعا للنساء في القضايا الشرعية التي فيها حرج شديد في سؤال النساء للرجال ، ولو لم يكن هذا العلم حجة لما قدمته على كثير من الأعمال الخيرية ، وجعلته زاد للآخرة ، وفي مقدمة كل خير ، حتي لقد بلغت فيه باعا طويلا ، كادت تفوق الرجال ، ويحتاج اليها الصحابة الكرام على ما كان لهم من العلم الغزير بالسنة النبوية .. (يروى عن أبي موسى الأشعري قال : ما أشكل علينا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما)"[٧٨٢] .

---

٧٨١ منحى الاسلام ، ٢ / ٧٢ (عن علوم الحديث ، ص ٦٥)

٧٨٢ طبقات الحفاظ ، للسيوطي ، ص ١٠٦

المبحث الثاني

أدب المحدث وطالب الحديث

علم الحديث هو من أشرف العلوم وأجلها ، هو سفينة النجاة للوصول الى الآخرة ، ويحمل بين طياته مكارم الأخلاق ، ومحاسن الشيم ، وينفر من مساوىء الأخلاق وقبائح العادات . .

فعلى المحدث وطالب الحديث الالتزام بما يؤهلهم لأن يكونوا من أصحاب هذا العلم الذي يرجو صاحبه النجاة من النار ، والفوز بدار النعيم ، ولذلك يجب ان يتثمل كل منهم بالصفات الآتية :

١ - الاخلاص وتصحيح النية :

لما كان هذا العلم من علوم الآخرة ، وهو خير زاد لمن التزم به للوصول الى دار السعادة ، ولذلك قيل عن الاخلاص : وهو أول ما يجب عليه ، فليجعل اشتغاله بالتحصيل خالصا لابتغاء مرضاة الله تعالى ، ولما أعده من جزيل الأجر[٧٨٣] .

وقال سفيان الثوري - رضي الله عنه - : < ما أعلم عملا هو أفضل من طلب الحديث لمن أراد الله به >[٧٨٤] .

واذا نظرنا الى كتب السنة نجدها تجمع على استحضار النية ، بأن يسأل الله عز وجل - وهو القادر - التيسير والتأييد والتسديد والتوفيق

٢ - الألتزام بالطهارة :

فالطهارة مستحبة للمتحدث ولطالب الحديث ، لانه جالس لأخذ أثمن كنز من العلوم .

وأخرج عن اسماعيل بن أبي أويس قال : كان مالك - الامام مالك - إذا أراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ، وحدث . فقيل له في ذلك ، فقال : أحب ان أعظم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولا أحدث إلا على طهارة

---

٧٨٣ منهج النقد في علوم الحديث ، ص ١٨٩ . وانظر نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ، ص ١٤٣ ، تيسير مصطلح الحديث ص ١٧٥ ، أسصبال المطر على قصبرالسكر ، ص ١٧٠ ، علوم الحديث لابي الصلاح ، ص ٢١٣ ، الباعث الحثيث في اختصا علوم الحديث ، ص ٨٣

٧٨٤ منهج النقد في علوم الحديث ، ص ١٩٠

متمكنا[٧٨٥] .

يقول علي بن خشرم سمعت الفضيل بن موسى السيناني يقول : ما مسست كتابا إلا متوضئا تعظيما لحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم –[٧٨٦] .

عن الأعمش عن ضرار بن مرة قال : كانوا يكرهون ان يحدثوا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم على غير وضوء[٧٨٧] ، وكان الأعمش إذا أراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم[٧٨٨] .

٣ - **آداب يحتاجها المحدث وطالب الحديث .. منها :**

أ – النظافة لطالب الحديث والمتحدث :

يحتاج الى ان يكون نظيفا ، لما لها من الأثر في راحة النفس في الجلوس للاستماع ، وكلما كان المجلس نظيفا يكون التشجيع لطلب العلم أكثر .. ان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان يقول : ‹ انه ليعجبني ان أرى القارىء النظيف ›[٧٨٩] . كان مالك بن أنس إذا أراد ان يجلس للحديث اغتسل وتبخر وتطيب[٧٩٠] .

ب – عدم رفع الصوت :

فالأدب امام حديث رسول الله يقتضي عدم رفع الصوت ، لأن رفع الصوت بدون سبب هو رعونة ، وهو صفة لا تليق بهذا السمو والرفعة . كان الامام مالك اذا رفع أحد صوته في مجلسه زجره ، وقال : قال الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي »[٧٩١] . فمن رفع صوته عند حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –[٧٩٢] .

---

٧٨٥ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، ص ٢٢٩

٧٨٦ الاملاء والاستملاء ، ص ٤٦

٧٨٧ اصول الحديث ، علومه ومصطلحه ، ص ١١٠

٧٨٨ جامع بيان العلم وفضله ، ج ٢ ص ١٩٩ ‹ عن اصول الحديث ص١١٠ ›، تيسير مصطلح الحديث ص١٧٦

٧٨٩ أدب الاملاء والاستملاء ، ص ٢٧

٧٩٠ المصدر السابق .

٧٩١ الحجرات : ٢

٧٩٢ ادب الاملاء والاستملاء ، ص ٢٧

ج - وتوجد آداب كثيرة ، دون التي ذكرت ، منها :
الابتـــداء بالسواك[٧٩٣] ، وقص الأظافر اذا طالت[٧٩٤] ، ولبس الثياب البيض[٧٩٥] .

٤ - العمل بالحديـــث :

فالعمل واجب للمتحدث ولطالب الحديث ، ولذلك كان المتحدث يأخذ نفسه بالشدة ، ويبدأ بالعمل قبل القول ، وكان لسان حاله يتحدث بالسنة قبل مقاله ، وقد قيل : يستحب للحديثي التوسل بتقديم الأعمال الصالحة الى هذا العلم .

قال الثوري : كان الرجل إذا أراد أن يطلب الحديث تعبد قبل ذلك عشرين سنة ، وهذا الأدب مما يعم الراوي والطالب[٧٩٦] .

وقال وكيع بن الجراح - شيخ الامام الشافعي - : ‹ إذا أردت ان تحفظ الحديث فاعمل به ›[٧٩٧] .

قال ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع : ‹ كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به ›[٧٩٨] .

وقال عمرو بن قيس الملائي : ‹ إذا بلغك شيء من الخبر فاعمل به ولو مرة ›[٧٩٩] .

وقال احمد بن حنبل : ‹ ما كتبت حديثا الا وقد عملت به ، حتى مر بي ان النبي - صلى الله عليه وسلم - احتجم واعطى أبا طيبة دينارا ، فاحتجمت واعطيت الحجام دينارا ›[٨٠٠] .

ويجب التنبيه والتوضيح لبعض ما ورد في الموضوع خشية الوقوع في الخطأ من بعض التأويلات والتفسيرات من قبل من ينظر فـــي الموضوع :

أ - منها ان يتصور ان العمل بالحديث النبوي الشريف خاص بالمتحدث والطالب ، ولم يكن شاملا لجميع الأمة ، وهذا التصور ناقص من

---

٧٩٣ المصدر السابق .

٧٩٤ المصدر السابق ، ص ٢٨

٧٩٥ المصدر السابق ، ص ٣٠

٧٩٦ جواهر الاصول ‹ للهروي › ، ص ٩٥

٧٩٧ منهج النقد في علوم الحديث ، ص ١٩١ . تدريب الراوي ، ج٢ص١٤٤

٧٩٨ تدريب الراوي ، ج ٢ ص ١٤٤

٧٩٩ المصدر السابق .

٨٠٠ المصدر السابق .

الجوانب العملية ، فان عمل العالم ، في كل من لم يكن مقصورا عليه ، وانما هو شامل لكل فرد ، ويكون للعالم المتبحر أخص به ، لأنه محيط بأسرار ذلك العلم ، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يعمل بالسنة ، وكانت أوقاته كلها مغمورة بالخير والعمل الصالح وفق ما يعلمه الله سبحانه وتعالي من كتاب وسنة ، كان الصحابة يقتدون به كل على قدر ادراكه وعلمه وقدرته .

ب - قد ينكر من ينظر الى قول الثوري : ‹ كان الرجل اذا أراد ان يطلب الحديث تعبد قبل ذلك عشرين سنة .. › ويقول كيف يكون ذلك ، وكثير من الطلبة ‹ طلبة علم الحديث › وهو صغير كالامام مالك ، والبخاري .. ولم يكن لهم تعبد قبل ذلك .

فأقول : لم يكن المقصود في ذلك القول التعبد البحت وترك العلوم ، وانما يكون التعبد هو الغالب على الشخص فيشغل اكثر وقته بالعبادة كما يقولون : ان فان صام كذا سنة .. وان فلان جاهد كذا سنة ، إن الصوم والجهاد هما المتغلبان في حياته ، وهذا كثير ، وتحتمله اللغة ، والأمثلة في هذا النوع اكثر من ان تعد ..

وقد يحتمل القول وهو مرجوح ان بعض الأشخاص تعبد عشرين سنة بعلم قليل يمكن ان تصحح عبادته ويقبل عمله ، ثم تعمق بعد ذلك بطلب حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم . والله أعلم .

٥ - الأخذ عن صاحب سنة :

فمن أدب طالب الحديث ان يأخذ هذا العلم ، وهو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيمن يتوسم فيه الخير والالتزام بالسنة قولا وعملا ، ويكون بعيدا عن التفسيرات والاحتمالات التي لا تتحملها اللغة ، ولا تليق بجناب وقدر السنة المطهرة ،، وصاحبها القدوة الكاملة للبشرية أجمع .

قال غير واحد منهم ابن سيرين : ‹ ان هذا العلم دين فانظر عمن تأخذ دينك ›[٨٠١] .

وقال علي بن حرب : ‹ من قدر ان لا يكتب الحديث الا من صاحب سنة ، فانهم لا يكذبون ، كل صاحب هوى يكذب ولا يبالي ›[٨٠٢] .

٦ - الابتعاد عن اهل التعصب :

---

٨٠١ فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، ص ٣٢٧

٨٠٢ المصدر السابق .

فالتعصب داء فتاك ، يكدر الفكر ، ويعمي البصيرة ، فيميل صاحبه الى الباطل ، ويقع في اسر الهوى ، فتجنح نفسه الى اشباع رغباتها ... ‹ ومن أسباب الوقوع في غير الانصاف والتمسك بذيل من الاعتساف ، أن يأخذ طالب الحق أدلة السائل في مجاميع الفقه التي يعتري مؤلفها الى مذهب من المذاهب ، فان من كان كذلك يبالغ في ايراد أدلة مذهبه ، ويطيل ذيل الكلام عليها ، ويصرح تارة بأنها أدلة ، وتارة بأنها حجج ، وتارة بأنها صحيحة ، ثم يصفف لخصمه المخالف ، فيورد أدلته بصيغة التمريض ، ويعنونها بلفظ الشبه ›[٨٠٣] .

فإن الذي يقتصر على شرح مؤلفات معينة ويعتبر شروحها هو الدليل المقنع بدون ان ينظر الى الآراء الأخرى ، فانه يقع في الخطأ ويميل الى الباطل وهو يظنه الحق .

وكذلك من جملة أسباب التعصب التي لا يشعر بها كثير من المشتغلين بالعلوم ، ما يذكره كثير من المصنفين في انه يرد ما خالف القواعد المقرره ، فان من لا عناية له بالبحث يسمع هذه المقالة ، ويرى ما صنعه كثير من المصنفين من رد الأدلة من الكتاب والسنة اذا خالف تلك القاعدة ، فيظن انها في اللوح المحفوظ ، فان كشفها وجدها في الغالب كلمة تكلم بها ببعض من يعتقده الناس من أهل العلم .. لا مستند لها الا محض الرأي وبحث ما يدعي من دلالة العقل[٨٠٤] .

ومن الأسباب المانعة من الانصاف ما يقع من المنافسة بين المتقاربين في الفضائل أو في الرئاسة الدينية أو الدنيوية ، فانه اذا نفخ الشيطان في أنفهما ، وترقت المنافسة بلغت الي حد يحمل كل واحد منهما علي ان يرد ما جاء به الآخر اذا أمكن من ذلك ، وان كان صحيحا جاريا على منهج الصواب[٨٠٥] .

فالتعصب ميدان واسع الأرجاء ، وبلاؤه محطم ومدمر للأمة ، حيث انه يزعزع وحدتها ، ويرفع الثقة من بين افرادها ، ولذلك كان من أدب طالب الحديث ان لا يأخذ هذا العلم من المتعصبين أيا كان نوع ذلك التعصب .

---

٨٠٣ طلب العلم وطبقات المتعلمين ، ص ٧٦

٨٠٤ المصدر السابق ، ص ٧٤ ، ٧٥

٨٠٥ المصدر السابق ، ص ٧٩ ، ٨٠

- تساؤلات نحتاج الي توضيح :

قد يقول قائل : على أساس هذا يبقى التعصب الى يوم القيامة ، والمشكلة قائمة ما بقي الليل والنهار ، لأن المذاهب الفقهية موجودة ، والعقبل يحكم في كل زمان ومكان ، وزماننا هذا هو زمان العقل ، والاقران موجودون ، والمنافسة قائمة .

ولتوضيح ذلك .. أقول : لم تكن المذاهب الفقهية مشكلة بحد ذاتها ، عندما يكون التصور والبناء صحيحين :

أ - ان هذه المذاهب مدارس عملية خدمت الفقه الاسلامي ، وكل منها قدمت للأمة خدمة بقرد استطاعتها ، وان النقص والخطأ قد يقع منها ، وكما قال اصحاب هذه المذاهب : < كل انسان يؤخذ منه ويرد ، إلا صاحب هذا القبر >[٨٠٦] .

ب - ان يكون بناء هذه المذاهب على الأدلة الشرعية ، وهي : الكتاب والسنة ، والجتماع ، والقياس .

وأما العقل فليس فيه مشكلة عندما يكون متنورا يهدي الشريعة ، ومستندا على الأدلة الشرعية التي يستنبط من الأحكام ، وهذا من العقل الشرعي الذي هو اساس التكليف ، أما الرأي المردود هو الذي لا يستند على الدليل الشرعي ، وكذلك الأقران ، ليس جميعهم يقع التنافس بينهم ، والتعصب يدب في أفكارهم ، وانما يقع ذلك لبعضهم ، ويعرف ذلك منهم بالتجربة لمن عاصرهم ، واما الطبقة الكثيرة هم الذين ينتشر بينهم المودة والاخوة ، كما كان يقع بين الامام الشافعي والامام احمد ، وكان الامام احمد يذكر الامام الشاعفي بخير ويدعو له ..

وكذلك ذكر الامام البخاري الامام احمد بكل خير ، وذلك تقدير البخاري لعلي بن المديني .

قال الامام الشافعي عند قدومه الي مصر من العراق : < ما خلفت أحدا بالعراق يشبه احمد بن حنبل >[٨٠٧] .

يقول احمد بن حاتم : سمعت ابراهيم بن اسماعيل يقول : < قدم علينا علي بن المديني فاجتمعنا عنده ، فسألناه الحديث ، فقال : ان سيدي احمد ابن حنبل أمرني ان لا احدث الا من كتاب >[٨٠٨] .

---

٨٠٦ يعني : محمدا - صلى الله عليه وسلم - .

٨٠٧ مناقب الامام احمد بن حنبل ، لابن الجوزي ، ص ١٠٧

٨٠٨ المصدر السابق ، ص ١٠٩

وسئل بشر بن الحارث عن احمد بن حنبل ؟ فقال : ‹ أنا أسأل عن أحمد بن حنبل ، إن احمد بن حنبل أدخل الكير فخرج ذهبا أحمر ›[٨٠٩] .

سمع محمد بن هارون الفلاي المحزمي يقول : ‹ إذا رأيت الرجل يقع في يحي بن معين فاعلم بانه كذاب يضع الحديث ›[٨١٠] .

والأمثلة كثيرة في العلماء بعضهم لبعض ، والثناء عليهم .. لو نظرنا نظرة فاحصة الى هذه الآداب التي كان يلتزم بها المحدث وطالب الحديث في الاخلاص وتصحيح النية ، والالتزام بالطهارة ...إلخ ، ما ورد في هذه الآداب لتبين في هذه الآداب ان السنة حجة على جميع المسملين ، لأن المباح لا توضع له هذه الأركان والشروط والأصول ، وانما هذه الأعمال تدخل في الفروض والواجبات .

فحديث : (إنما الأعمال بالنيات ..)[٨١١] يدخل في جميع الفرائض والواجبات ، ولا يقبل أي عمل ما لم تكن فيه نية .

وروى عن الامام احمد والشافعي - رحمهما الله - : ‹ يدخل في حديث الأعمال بالنيات ثلث العلم ›[٨١٢] .

وروي عن الشافعي - رضي الله عنه - انه قال : ‹ يدخل هذا العلم في سبعين بابا من الفقه ، وقال جماعة من العلماء هذا الحديث ثلث الإسلام ›[٨١٣] .

والمراد بالأعمال : الأعمال الشرعية ، ومعناه لا يعتد بالأعمال بدون النية مثل الوضوء والغسل والتيمم وكذلك الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والاعتكاف ، وسائر العبادات[٨١٤] ..

من هذه العجالة السريعة تكون السنة المطهرة حجة لا يحق لأي فرد بعدم قبولها والأخذ بها ..

وكذا الوضوء : وهو شرط لأداء الصلاة ، ولا يمكن أداء الصلاة بدونه ،

---

٨٠٩ المصدر السابق ، ص ١١٧

٨١٠ الامام البخاري محدثا وفقيها ، عبدالمجيد هاشم ، ص ٥١

٨١١ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣ . اخرجه مسلم في الامارة ، ج ٣ ص ١٥١٥ رقم ١٩٠٧ . وفي سنن الترميذي ، ج ٤ ص ١٧٩ رقم ١٦٤٧ كتاب فضائل الجهاد . وفي سنن الترمذي ، ج ١ ص ٥٨ ، باب النية في الوضوء .

٨١٢ شرح الاربعين حديثا النووية ، لأبي دقيق العيد ، ص ٣٨

٨١٣ المصدر السابق ، ص ٣٩

٨١٤ المصدر السابق .

وعلى هذا فانه لاباحة بدخوله في المباح .

وكذلك العمل بالحديث يثبت حجية السنة ، لان المباح يتساوى فيه الترك والعمل ، وكذلك الأخذ عن صاحب سنة والتأكيد على ذلك دليل على حجية السنة ، لأن العلوم المباحة تؤخذ من جميع الملل والنحل ، وكذلك الابتعاد عن أهل التعصب خوفا من الوقوع في الخطأ والباطل ، والابتعاد عن جوهر السنة وشفافيتها ، فيضل المرء ويشقى ، وما يقع ذلك الأعمال التي يحاسب عنها المرء .

وأدب عدم رفع الصوت والنظافة والسواك بحضرة علم الحديث ، إذا أضيفت الى الآداب السابقة تكون الأخيرة أشبه بمادة تماسك وتناسق في بناء صرح السنة المطهرة ، لأنها آداب وأخلاق وواجبات تدخل في العبادات والواجبات ولكنها دون مرتبة الأولى[٨١٥] .

---

٨١٥ فقد ورد الحديث عن النظافة : أ – ‹ غسل الجمعة واجب على كل محتلم ›

وكذلك ورد عن السواك : ب – ‹ لولا ان أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك في كل صلاة › .

أ – صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٠٥ رقم ٨٥٥ كتاب الجمعة والأذان والشهادات

أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، ج ٢ ، ص٥٨٠ ، رقم ٨٤٦

ب – صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٠٣ رقم ٨٤٧ كتاب الجمعة

أخرجه مسلم في الطهارة ، باب : السواك ، رقم ٢٥٢

المبحث الثالث

إجماع العلمـــــاء :

فعند تتبع أراء العلماء المعتبرة أقوالهم ، نجد جميعهم قد أجمعوا على حجية السنة . .

وقيل : ‹ انتهي العلماء المحققون الى أن الحديث الصحيح حجة على جميع الأمة ، وأيدوا رأيهم هذا بالآيات القرآنية[٨١٦] ، التي تفرض على المؤمنين اتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتسليم لحكمه ›[٨١٧] .

ولم ينقل عن طائفة من طوائف المسلمين انها قالت بأن اتباع أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليس بواجب ، وإن أقواله وأفعاله ليست من مصادر التشريع ، ولا شك ان في القول بذلك ردا لأحكام القرآن ، وما أجمع عليه الصحابة والمسلمون[٨١٨] .

وقال الشافعي : ‹ وإذا ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الشيء فهو اللازم لجميع من عرفه ، لا يقويه ولا يوهنه شيء غيره ، بل الفرض الذي على الناس اتباعه ، ولم يجعل الله لأحد معه امرأ يخالف أمره ›[٨١٩] .

كان اجماع المسلمين في مختلف العصوروالأقطار ، على أن السنة حجة في دين الله ، ولها منزلة تلي منزلة القرآن الكريم[٨٢٠] . فإذا ثبت أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد قلد أمانة التبليغ : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته »[٨٢١] . وقال

---

٨١٦ قد مرت الآيات القرآنية في الدليل الأول فرع - أ - ، الأدلة النقلية من القرآن الكريم .

٨١٧ علوم الحديث ومصطلحه ، د . صبحي ، ص ٢٩١

٨١٨ السنة ومكانتها ، للسباعي ، ص ١٤٩

٨١٩ الرسالة ، للشافعي ، ص ١٧٦ - ١٧٧

٨٢٠ لمحات في اصول الحديث والبلاغة النبوية ، ص ٣٩

٨٢١ المائدة ، ص ٦٧

تعالى : « وما على الرسول إلا البلاغ المبين »[٨٢٢] . كما قلد أمانة البيان ، قال تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » .

إذا ثبت ذلك كما هو جلي واضح ، كان في الايمان بالبعض والكفر بالبعض الآخر ، أن نؤمن بالمبيَّن -وهو الكتاب - ولا نؤمن بالبيان - وهو أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -[٨٢٣] .

وعند النظر في أدلة الأحكام الشرعية[٨٢٤] ، نجد ان الكتاب [القرآن] والسنة : هما محل اتفاق تام بين أئمة المسلمين[٨٢٥] .. ولا نجد أحدا يخالف حجيتهما من الفقهاء والأصوليين وعلماء الحديث .

< فقد أجمع المسلمون من عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وحتى يومنا هذا على وجوب الأخذ بالأحكام التي جاءت بها السنة النبوية ، وضرورة الرجوع اليها لمعرفة الأحكام الشرعية والعمل بمقتضاها .. فما كان الصحابة ولا من جاء بعدهم يفرقون بين حكم ورد في القرآن وبين حكم وردت به السنة ، فالجميع عندهم واجب الاتباع ، لأن المصدر واحد وهو وحي الله >[٨٢٦] .

---

٨٢٢ العنكبوت : ١٨

٨٢٣ لمحات في أصول الحديث والبلاغة ، ص ٣٩

٨٢٤ الدليل في اصطلاح الاصوليين : ما يمكن التوصيل بصحيح النظر فيه الى مطلوب خيري ، والمطلوب الخيري هو الحكم الشرعي < الوجيز في الفق ، عبدالكريم ، ص ١٣٣

٨٢٥ الوجيز في اصول الفقه ، عبدالكريم ، ص ١٣٤

٨٢٦ المصدر السابق ، ، ص ١٤٨

المبحث الرابع

الاثبات العقلـــــي

وأريد بالعقل هنا : من يدرك الأشياء على حقيقتها من الضار والنافع والضروري ، ويتميز عن الكائنات الأخرى - غير الانسان - وعن المجانين .

وقيل : < العاقل هو من لا يجد لنفسه حالة سوى كونه عالما بهذه المعلومات المخصوصة - جملة العلوم المخصوصة - ، والذي تفارق طريقة تصرفه طريقة المجنون >[٨٢٧].

والعقل في نظر الاسلام يختلف عن العقل المطلق الذي يفهمه الفلاسفة - غير المسلمين - بصورة عامة والزنادقة .. وعلى أساس العقل الاسلامي يجب ان يتحمل التكاليف المأمور بها ، والواجبات المنوطة به ..

لذلك قيل : < ان اثبات وجود الله ومعرفته هما أول الواجبات العقلية وأهمها ، لأن باقي الواجبات تتأخر عنهما وتنبني عليهما ، فلا تعرف صحة التكليف السمعي الا بعد معرفة المكلف الحكيم >[٨٢٨] .

النبوة ، إذن ، بالنسبة للعقل ، حجة تدل على اكتمال الأدلة التي يحسن عندها التكليف ، وبعثة الرسول لها مميزات يتميز بها عن سائر البشر ، لكي يصدق فيما يخبر به : أولها ضرورة كونه على < أكمل الأحوال التي يقع القبول منه ، وتجنب ما ينفر ، وتجنب ما يقدح فيه > .

وكذلك يوصف بذلك لأنه مرسل < من قبل الله > لا لفعل على الحد الذي ألزمه ، وان يصبر على كل عارض دونه .. ولا بد من ان يدعي الرسالة ويدعو المبعوث اليه الى القبول منه .

---

٨٢٧ المغني ، ج ١١ ، ص ٢٧٨

٨٢٨ المغني ، ج ٥ ص ٢٣

والرسالة من حيث هي خبر ديني منقول ، لا تقل مرتبة في افادة العلم عن المشاهدة والتجربة .. وشرط هذه الرسالة ان تتضمن شريعة قلت أو كثرت ، إما مبتدأه أو علي جهة التجديد لشريعة مندرسة ، لأن الله سبحانه تعالي يبعث الرسل للمصلحة .

وبعد هذه المقدمة عن العقل وواجباته ، وعن النبوة وصفاتها وميزاتها وموقف العقل تجاهها ، وهو اثبات حجية ما يأتي الرسول به ، و ‹ ثبت بالدليل القاطع على ان محمداً – صلى الله عليه وسلم – – رسول الله ، ومعنى الرسول ‹ هو المبلغ عن الله › ، ومقتضى الإيمان برسالته لزوم طاعته ، والانقياد لحكمه ، وقبول ما يأتي به ، وبدون ذلك لا يكون للايمان به معنى . ولا نتصور طاعة الله والانقياد الى حكمه مع المخالفة لرسوله – صلي الله عليه وسلم – ›[٨٢٩] .

٨٢٩ الوجيز في اصول الفقه ، عبدالكريم ، ص ١٤٩

المبحث الخامس

الاثبات العلمي والعملـــي

لقد استند التراث العلمي في الأمة الإسلامية على السنة النبوية منذ عهد الصحابة الي يومنا هذا .. فالفقه يعيش في ظل الحديث ، وتكون قوته وحجته بقدر استنادته واحتجاجه في علم الحديث .

وقيل : ‹ وظلت الرابطة وثيقة بينهما في خدمة التشريع ، وتعبيد الطريق للتحقيق والتدقيق ، فإن يرد الآن تسميتهما باسم واحد لا نجد أدل في الدلالة عليهما من لقب ‹ علم الحديث › ، وكأنا حينئذ نستغني بأحدهما عن الآخر إيماءً الى مكانة الحديث ، خاصة في مسائل الفقه جميعا ، فلولا الحديث لما كان الفقه علما مذكورا ›[٨٣٠] .

وكذلك علوم القرآن من تفسير على اختلاف مناهج التفسير قد استندت وأرست قواعدها على علوم الحديث . ولذلك تأثرت هذه المناهج تأثرا كبيرا بتفاوت قوة وضعفا ، واتساعا وعمقا ، بما وضعه نقاد الحديث من مقاييس ، وأرسوه من أصول وقواعد ، وقيل : ‹ ظل التفسير .. كالفقه جزءا من الحديث ، حتى استقل علما قائما بذاته له مناهجه وأصوله ، ولكنه – على استقلاله – ما انفك شديد الارتباط بحديث الرسول – صلى الله عليه وسلم ، ولو في جانب منه على الأقل : وهو جانب التفسير بالمأثور ›[٨٣١] .

ولقد نشأ التفسير مبكرا في عصر النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي كان أول شارح لكتاب الله ، يبين للناس ما نزل على قلبه ... حتى إذا لحق – عليه السلام – بالرفيق الأعلى ، لم يكن للصحابة العلماء بكتاب الله ، الواقفين على أسراره ، المهتدين بهدي النبي – صلى الله عليه وسلم – من أن يقوموا بقسطهم في بيان ما علموه ، وتوضيح ما فهموه ›[٨٣٢] .

---

٨٣٠ علوم الحديث ومصطلحه ، د . صبحي ، ص ٣١٦

٨٣١ المصدر السابق ، ص ٣١٦ – ٣١٧

٨٣٢ مباحث في علوم القرآن ، د . صبحي . ص ٢٨٩

تكفل الله تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - بحفظ القرآن وبيانه : « إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه »[٨٣٣] . وكان عليه أن يبينه لأصحابه : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون »[٨٣٤] .

وكان الصحابة يرجعون الى النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما يصعب عليهم شيء في فهمه .. عن ابن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم »[٨٣٥] شق ذلك على الناس ؛ فقالوز: يا رسول الله ، وأينا لا يظلم نفسه ؟ ، قال : (انه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : « إن الشرك لظلم عظيم » . إنما هـــو الشرك) .

‹ وفي القرآن ما لا يعلم تأويله إلا ببيان الرسول - صلي الله عليه وسلم - كتفصيل وجوه أمره ونهيه ، ومقادير ما فرضه الله من أحكام ، وهذا البيان هو المقصود بقوله - صلى الله عليه وسلم - : (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ..)[٨٣٦] .

أما الجانب العملي فنجد السنة متغلغلة في جميع شئون حياة المسلم ، وتعيش معه منذ حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى حياة التابعين ، الي من بعدهم الى يومنا هذا .

‹ وقد قامت الأدلة القطعية على ان السنة ، بمعنى ما أثر عن الرسول - صلي الله عليه وسلم - من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، حجة في دين الله ، ومصدر من مصادر الشريعة تلي في رتبتها ومنزلتها كتاب الله عز وجل ، وهذه الأدلة نجدها في القرآن والسنة ، وعمل الصحابة في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبعد وفاته ..›[٨٣٧] .

---

٨٣٣ القيامة : ١٧ - ١٩

٨٣٤ النحل : ٤٤

٨٣٥ الانعام : ٨٢

٨٣٦ مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص ٣٣٦

٨٣٧ لمحات في اصول الحديث والبلاغة النبوية ، د . محمد اديب ، ص ٣٣

فالسنة : فهي الطريقة المتواترة للعمل بالحديث ، بل بالقرآن أيضا[٨٣٨] .

ورد في القرآن الأمر بإقامة الصلاة ، وبين فيه تفاصيلها ، فالرسول - عليه السلام - صلى بموجب ذلك ، وقال لنا - عليه السلام - : (صلوا كما رأيتموني أصلي) ، واستمر على تلك الكيفية ، وكذلك الصحابة فالتابعون ، وسائر المسلمين .. وهكذا الأمر في الصيام ، والزكاة ، والحج ، وسائر الأوامر القرآنية ، فالصورة العملية التي رسمها الرسول - صلى الله عليه وسلم - لإيضاح القرآن هي السنة ، وهي في الحقيقة تفسير عملي للقرآن ، وهي من هذه الحيثية أعلي من الروايات اللفظية بمراتب كثيرة .

فعند النظرة الي الجانب العلمي والعملي للسنة النبوية ، ومرافقتها للمسلم على مر العصور ، تكون السنة هي الأساس والقاعدة للتراث العلمي والجانب العملي ، وبغيابها يكون المسلم مجردا من العلم والعمل ، وهادما - لا سمح الله - لجميع قواعد قيمه ومثله ، ويكون عضوا مشلولا .

وعلي أساس هذه الأسس تكون السنة من الجانب العلمي والعملي حجة على جميع المسلمين ..

---

٨٣٨ الوضع في الحديث ، ج ١ ص ٤٨

الفصل الرابع

المعاول الهدامة لإنكار حجية السنة

لقد أمطر الأعداء السنة بوابل من الإفتراءات ظلما وزورا ، وصبوا حمم شرهم ، على صاحب الرسالة - عليه الصلاة والسلام - ، لإطفاء مصدر الهدي ولمنع نور الحق من الانتشار ليبدد ظلام الكفر ، وكذلك وجهوا قواهم ومكائدهم على المحدثين للنيل من قدرهم ، والحط من مستوى علمهم ، ثم القوا بسهام الطعن على السنة النبوية الشريفة بكل قواهم ، ونستطيع أن نقسم الحرب التي شنت على الشريعة الاسلامية بصورة رئيسية الى ثلاث محاور :

أ - محاربة شخصية الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - .

ب - الطعن برواة الأحاديث ، والكيد بهم .

ج - الطعن بالسنة الصحيحة ، مع ادخال الأحاديث الموضوعة .

وتشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول

أ - محاربة شخصية الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم -

القسم الأول - في حياتـــه :

لقد وقف الأعداء بكل امكانياتهم وقدراتهم أمام صاحب الرسالة لمنع نور الايمان ان ينتشر على وجه الأرض ، وكان هذا العداء من أول يوم أعلن فيه < ان لا إله إلا الله منهج حياة > ، ففقد الكفر صوابه ، وتحول المسالم الي بركان يهدر ، واكبر دليل على ان الحرب لم تكن لذات شخصيته ، وانما شنت علي فكره ومنهجه « وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد »[٨٣٩] .

واكبر دليل على اثبات ما قدمناه ، أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عاش قبل البعثة الشريفة أربعين سنة ، يعيش الناس بين ظلمات من الحسد والكمد أخذة في الأسوداد كل يوم .. والفساد الشديد الوطأة ، البعيد القرار الذي عم الجاهلية ، مع عدم وجود أصل يصلح لإحداث الوحدة والإخاء ..

كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تلك الفترة الخانقة ، يسمى بالأمين ، ويرتضون كل ما يصدر عنه ، ويأتمنونه على أموالهم ، ويرتضونه لحسم الخلافات بينهم ، كل ذلك قبل بعثته ، وقبل اعلان منهج الحياة الذي ارتضاه رب العالمين .

وبعد اعلان بعثته وتبليغ رسالته ، هاجت الدنيا ، وماجت ، وتعددت الأسلحة الفتاكة للانتقام من الأمين ، صاحب المثل العليا ، والأخلاق الكاملة .. ومن هذه الأسلحة :

ا) الإستهزاء والسخرية < الحرب النفسية > :

بعد أن فشلت كل الاغراءات التي قدمت لصاحب الرسالة حتى يكف عن رسالته ، ولم يستطيعوا ان يزاحموه بما أكرمه الله من الرسالة ، لأن فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولا يمكن ان تنال النبوة والرسالة بالجد والسعي ، وامام هذا الحاجز الذي حال بينهم وبين ما يريدون ، ففقدوا صوابهم ، وقد قال صاحب كتاب (النبوة والأنبياء) :

---

٨٣٩ البروج : ٨

< فالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - هم خيرة الخلق ، وصفوة البشر ، وهذا الاكرام لهم بالنبوة ، انما هو بمحض الفضل الالهي والحكمة الربانية ، ولا يمكن لأحد من البشر - مهما سما في سلم الكمال - ان ينال مرتبة النبوة عن طريق الرياض النفسية ، أو الجهد في الطاعة والعبادة ، فإن النبوة لاتنال بالكسب ، ولا تحصل بالعزم والمثابرة على فعل الخير والطاعة ، انما هي هبة من الله ، واصطفاء واختيار [٨٤٠] > .

قال الله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته »[٨٤١] .

أ - ومن أنواع السخرية : ان أبي بن خلف مشى الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعظم بال قد ارمت ، فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم[٨٤٢] ؟ ثم فته في يده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (نعم، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك ، بعد ان تكونان هكذا ..)[٨٤٣] .

ب - لما ذكر الله شجرة الزقوم تخويفا لهم بها ، قال أبو جهل بن هشام : يا معشر قريش ، هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : لا . قال : عجوة[٨٤٤] يثرب بالزبد ، والله لئن استمكنا منها لنزقمنها تزقما[٨٤٥] ، فأنزل الله تعالي : « إن شجرة الزقوم ، طعام الأثيم ، كالمهل يغلي في البطون ، كغلي الحميم »[٨٤٦] .

ج - ومن أنواع السخرية التي كانوا يسخرون بها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انه قدم رجل من أراشي بابل له قلة ، فاتباعها منه أبوجهل ، ممطلة بأثمانها ، فأقبل الأراشي حتى وقف على ناد في قريش ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ناحية المسجد جالس ، فقال : يا معشر من رجل يؤديني[٨٤٧] على أبي الحكم بن هشام ، فإني رجل غريب ، ابن سبيل ، وقد غلبني على حقي ؟ فقال له أهل ذلك المجلس ، أترى ذلك الرجل

---

٨٤٠ النبوة والأنبياء ، الصابوني ، ص ١٦

٨٤١ الانعام : ١٢٤

٨٤٢ أرم : بلى وصار رمه < حاشية مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٦٨ >

٨٤٣ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٦٨

٨٤٤ العجوة ، ضرب من التمر < مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٦٩ >

٨٤٥ التزقم : الابتلاع .

٨٤٦ الدخان : ٤٣

٨٤٧ يؤديني : يعينني على أخذ حقي < هامش مختصر سيرة ابن هشام >

الجالس - لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وهم يهزؤون به ، لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة ، إذهب اليه ، فانه يؤديك عليه . فأقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال : يا عبد الله إن أبا الحكم ابن هشام قد غلبني علي حق لي ، وأنا رجل غريب ، ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه ، يأخذ لي حقي منه ، فأشاروا لي إليك ، فخذ لي حقي منه يرحمك الله ، قال : (انطلق اليه) وقام معه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأوه قام معه ، قالو لرجل ممن معهم : اتبعه فانظر ماذا يصنع ؟ .

وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى جاءه ، فضرب عليه بابه ، فقال : من هذا ؟ قال : (محمد ، فاخرج لي) ، فخرج اليه ، وما في وجهه من رائحة[٨٤٨] - قد انتقع لونه - ، فقال : (اعط هذا الرجل حقه) ، قال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذي له . فخرج اليه بحقه فدفعه اليه[٨٤٩] .

< ثم لم يلبث أبو جهل ان قالوا له : ويلك ؛ مالك ؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط ، قال : ويحكم ، والله ما هو الا ان ضرب على بابي وسمعت صوته ، فلمئت رعبا ثم خرجت اليه ، وان فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته[٨٥٠] . ولا أنيابه لفحل قط ، والله لو أبيت لأكلني >[٨٥١] .

د - ومن المستهزئين : النضر بن الحادث العبدري ، من بني عبد الدار بن قصي ، كان إذا جلس النبي - صلى الله عليه وسلم - مجلسا للناس يحدثهم ويذكرهم ما أصاب من قبلهم ، قال النضر : هلموا ، يا معشر قريش ، فإني أحسن منه حديثا ، ثم يحدث عن ملوك فارس ، وكان على علم ببعض أخبارها ، ويقول : ما أحاديث محمد إلا اساطير الأولين[٨٥٢]

هـ - ومن أنواع الاستهزاء < الهمز واللمز > : وهي أسلحة وقعها شديد على النفس ، وأثرها عميق وهي سهام مؤلمة ، جارحة للقلب ، مثبطة للهمم ، وان أمية بن خلف الجمحي ، كان اذا رأى رسول الله - صلى الله

---

٨٤٨ رائحة : أي بقية روح .

٨٤٩ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٧٤

٨٥٠ القصرة : أصل العنق < هامش مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٧٤ >

٨٥١ مختصر سيرة ابن هشام ،ص ٧٤ ٠٠ عين اليقين في سيرة سيد المرسلين ، ص ٢٠

٨٥٢ عين اليقين في سيرة سيد المرسلين ، ص ٢٢ ٠ الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء < للكلاعي الاندلسي ، ص ٣٤٦

عليه وسلم - همزهُ ولمزهُ[٨٥٣] ، فأنزل الله فيه « ويل لكل همزة لمـــزة »[٨٥٤] الى آخر السورة .

٣) الأذى :

أ - ومن الأذى الذي كـانوا يفـعلونه ، وضع الشـوك على طريق الرسـول - صلى الله عليه وسلم - وكانت أم جـميل زوجة أبي لهب عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - تفعل ذلك[٨٥٥] .

ب - ولاقى رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - أشـد الأذى من أهل الطائف عندما بلغهم الدعوة ، فكان جوابهم أن أغزوا به سفاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجؤه الى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه سفهاء ثقيف من كان يتبعه[٨٥٦] ..

ج - وقد سمع كل غلظة عند انذار الأقربين من قومه ، عن ابن عباس قال أنزل الله : « وانذر عشيرتك الأقربين »[٨٥٧] أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - الصفا ، فصعد عليه ثم نادى : يا صباحاه ، فاجتمع الناس اليه بين رجل يجيء اليه ، وبين رجل يبعث رسوله . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : (يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني كعب ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل ، تريد ان تغير عليكم صدقتموني ؟) قالوا : نعم ، قال : (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) ، فقال أبو لهب - لعنه الله - : تبا لك سائر اليوم . أما دعوتنا ألا لهذا[٨٥٨] .. وأنزل الله عز وجل : « تبت يدا أبي لهب وتب .. »[٨٥٩] .

د - ومنها وضع القاذورات على ظهره الشريف ، روى عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : بينما النبي - صلى الله عليه وسلم - ساجد ، وحوله ناس من قريش ، جاء عقبة بن أبي مقيط ملا جزور فقذفه على ظهر النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فلم يرفع رأسه ، فجاءت

---

٨٥٣ الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، للكلاعي الاندلسي ، ص ٣٤٥

٨٥٤ الهمزة : ١

٨٥٥ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٦٦

٨٥٦ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٨٢ . مورد الصفا في سيرة المصطفى ص ٣٧ . مختصر سيرة ابن كثير ، ص ١٢٣

٨٥٧ الشعراء : ٢١٤

٨٥٨ مختصر سيرة ابن كثير ، ص ٦٩ - ٧٠

٨٥٩ اللهب : ١

فاطمة - رضي الله عنها - فأخذته من ظهره ، ودعت على من صنع ذلك[٨٦٠] .

هـ- ومنها ، وضع التراب على رأسه الشريف. روى الطبري وابن اسحاق أن بعضهم عمد الى قبضة من التراب فنثرها على رأسه وهو يسير في بعض سكك مكة ، وعاد الى بيته والتراب على رأسه ، فقامت اليه احدى بناته تغسل عنه التراب ، وهي تبكي ورسول الله - صلي الله عليه وسلم - يقول لها : (يا بنية ، لا تبكي ، فان الله مانع أباك)[٨٦١] .

٣) **محاولات الاغتيال :**

لم يستطع أصحاب النظم الظالمة في الجاهلية والكفر ان يروا النظام الاسلامي ‹ الكتاب والسنة › يشقان الطريق ، ويبددان ظلام الجاهلية وأصحابها يقفون مكتوفي الأيدي ، ولم يملكوا الحجة للوقوف أمام المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، ولم يبق بأيدي أصحاب الكفر الا الغدر والخيانة ، وهذه هي شريعة القرصان ، في كل زمان ومكان .

لقد دبر أولئك الحاقدون أنواعا من المؤامرات الكثيرة والمتنوعة ، ولكن الله سبحانه وتعالى كان لهم بالمرصاد ، فرد كيدهم في نحورهم ، ومن تلك المؤامرات على صاحب السنة - عليه الصلاة والسلام - :

أ - الهجوم الجماعي :

في يوم من الأيام كان أشرافهم - من أهل الجاهلية - قد اجتمعوا في الحجر ، ومر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فغمزوه ببعض القول . فقال لهم - عليه الصلاة والسلام - : (أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح)[٨٦٢] . فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طير واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة[٨٦٣] . يقول : انصرف يا أبا القاسم ، فو الله ما كنت جهولا .

وفي الغد طلع عليهم - عليه الصلاة والسلام - وتذكروا ما جرى بينهم وبينه ، فوثبوا وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله

---

٨٦٠ رواه البخاري ، من فقه السيرة ، للبوطي ، ص ١٠٦

٨٦١ تاريخ الطبري ، ٣٤٤/٢ ، وسيرة ابن هشام ، ١٥٨/١

٨٦٢ الذبح : كناية عن الهلاك ، ان لم يؤمنوا ‹ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٤٧ ›

٨٦٣ الوصاة : الوصية ، أي وصية بالأذى .

- صلى الله عليه وسلم - : (نعم ، أنا الذي أقول ذلك)[٨٦٤] ، قال[٨٦٥] : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه ، فقام أبوبكر - رضي الله عنه - دونه ، وهو يبكي ويقول : < أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله > .

ب - محاولة الغدر به في السجود :

كان صاحب هذه المحاولة أشد أعداء الدعوة حقدا وشرا ، وعنادا ومكابرة ، لذلك قدم نفسه لينتقم من صاحب السنة ، ذلك الشخص هو ابو جهل . قال - أبو جهل - : يا معشر قريش ، ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنها ، وشتم الهتنا ، وأني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله ، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه[٨٦٦] ..

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينتظره ، وغدا رسول الله كما كان يغدو ..فقام يصلي ، وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا ، .. حتى قذف الحجر من يده .

وقامت اليه رجال من قريش ، فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت اليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ، ولا مثل قصرته ، ولا أنيابه ، لفحل قط ، فهم فيَّ أن يأكلني[٨٦٧] .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك جبريل - عليه السلام - لو دنا لأخذه .

ج - المحاولة الجماعية لجميع القبائل قبل الهجرة :

كانت المحاولات السابقة فردية ، أو على مستوى جماعة قليلة لم تشترك فيها جميع القبائل ، ولم يتحمل المسئولية الجميع ، فغيروا الخطة ، وتعاهد الجميع على الاشتراك ، وقيل < وأراغت[٨٦٨] قريش ، قتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ورصدوه على باب منزله طول ليلهم .

فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بن أبي طالب - رضي

---

٨٦٤ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٤٧

٨٦٥ الذي قال : هو عبدالله بن عمرو بن العاص < مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٤٧ >

٨٦٦ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٥٣

٨٦٧ المصدر السابق .

٨٦٨ أراغت : إي آرادت وعزمت وأعدت الأمر لقتله < هامش جوامع السير النبوية ، لابن حزم ،ص ٦٩ >

الله عنه - ان يضطجع على فراشه . وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وطمس الله تعالي على أبصارهم فلم يروه ، ووضع على رؤوسهم ترابا ، ونهض ، فلما أصبحوا خرج اليهم علي - رضي الله عنه - فعلموا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد فاتهم[٨٦٩] .

د - الإغراء المادي :

لما خابت مكائدهم ، واحبط الله كيدهم ، ونجا الرسول - صلى الله عليه وسلم - طاشت أحلامهم ، وجن جنونهم ، وأخذوا يفكرون بأمر يرد اليهم اعتبارهم .< جعلوا لمن جاء فيهما[٨٧٠]، دية كل واحد منهما[٨٧١]، لمن يأتي بهما أو بأحدهما .

فجد الناس في الطلب ، والله غالب على أمره[٨٧٢] .

وممن خرج في الطلب طمعا في المال سراقة بن مالك (وقال لجاريته : أخرجي بالفرس من وراء الخباء .. ثم أخذ رمحه ، وخفض عاليه يخط به الأرض ، حتى ركب فرسه ، فلما قرب منهم ، وسمع قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبوبكر يكثر الالتفات ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يلتفت . قال أبو بكر : يا رسول الله ، هذا سراقة بن مالك . فدعا عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فساخت يدا فرسه في الأرض[٨٧٣] .

ووردت القصة بصورة أخرى :

< وقد جعلت قريش لمن يأتي به أو بأبي بكر أو يقتلهما أو أحدهما مائة ناقة ، فتبعهم سراقة بن مالك طمعا في المال ، ولحقهم في أرض صلبة ، فالتفت اليه النبي - صلى الله عليه وسلم - ونهاه من اتباعهما ، فأبى فساخت قوائم فرسه في الأرض ، فسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - الخلاص على أن يرد عنه ، فدعا له فخلص ، ثم تبعهم ثانيا . فساخت فرسه الى ركبته ، فسأل الخلاص ، فدعا له فخلص ، ثم تبعهم ثالثة ، فساخت فرسه الى بطنها ، فطلب فيه الخلاص ، وان يرد عنه الطلب ، فقال له - صلى الله عليه وسلم - ارجع ولك سوار كسرى ، فأسلم ورجع ، ورد كل من

---

٨٦٩ جوامع السير النبوية ، لابن حزم ، ص ٦٩

٨٧٠ يعني الرسول - صلى الله عليه وسلم - وابوبكر - رضي الله عنه -

٨٧١ وفي سيرة ابن هشام ، ص ٩٩: جعلت قريش مائة ناقة لمن رده عليهم

٨٧٢ مختصر سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمحمد بن عبد الوهاب ، ص ٩٣

٨٧٣ مختصر سيرة الرسول ، لمحمد بن عبدالوهاب ، جوامع السيرة النبوية ، لابن حزم ، ص ٧١ ، مختصر سيرة ابن هشام ، ص ١١٦ ، ولكن بمكان ساخت : عثر بي فرسي ، فسقطت عنه ، < الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء > للكلاعي ، ص ٤٥٣

لقيه عن الطلب »[٨٧٤] .

ووردت الرواية بصورة ثالثة في كتاب الأثر (لابن سيد الناس) :

« يقول سراقة : فركبت فرسي - وعصيت الزلام - تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخت يدا فرسي في الأرض ، حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ، ثم زجرتها ، فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها (فلما استوت قائمة اذا الأثر يديها عثان[٨٧٥] ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالازلام ، فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جئتهم ، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقلت له : إن قومك جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يديد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزاني ولم يسألاني ، الا ان قالا : أخف عنا ، فسألته ان يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب لي رقعة من أدم ، ثم مضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم »[٨٧٦] .

وليس موضع تعقيب على اختلاف الروايات في هذا الموضع ، وانما يهمنا ان جميعها كانت تهدف حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا بل تهدف القضاء على منهجه « الكتاب والسنة » .. ولقد أرغم الله أنف الجاهلية ، وأراهم جهارا نهارا أن الله يحمي نبيه ، ولن تستطيع أي قوة ان تصل اليه ، وان هذا الأمر ليبلغ منتهاه ، حتى بشر الرسول - صلى الله عليه وسلم - سراقة بأنه سوف يلبس تاج كسرى ، وهي حرب نفسية موجعة ، لا بل هي أشد من ضرب السهام في غلس الظلام .

هـ - الغدر بطريقة رمي الصخرة :

ولقد دبرت محاولة ، حبالها خفية ، احيطت بكل الحذر ، واسدل عليها ستار في الخفاءيعجز أهل الأرض عن كشفه ، فلم تكن هذا بطريقة ضربه أو ملاحقته ، وانما وضع السم بالعسل ، حيث وعدوه على التعاون ، وقلبوا ظهر المجن ، فكان الله لهم بالمرصاد ..

ففي السنة الرابعة من الهجرة : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى بني النضير ، ومعه نفر من أصحابه منهم : أبوبكر ، وعمر ،

---

٨٧٤ مورد الصفا في مورد المصطفى ، ص ٤٩

٨٧٥ عثان : غبار

٨٧٦ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ج ١ ص ٢٢٥

وعثمان ، وعلي ، وطلحة – رضي الله عنهم جميعا – ، يستعينهم في دية رجلين من بني عامر وبني سليم ، كان معهما عهد من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فقتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ لعدم علمه بالعهد ، فلما أتاهم وطلب منهم الاعانة في الدية ، قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك علي ما أحببت ، وقد آن لك ان تزورنا ، اجلس تكرم ، وترجع بحاجتك ، ثم تخلوا عنه ، وتشاوروا في أمره ، فاجمعوا علي ان يصعد أحدهم وهو عمرو بن جحاش ويرمي عليه صخرة ، حيث كان جالسا بجوار حائط ، ونصحهم بعض عقلائهم[٨٧٧] ، فلم يسمعوا . فأخبر الله الرسول بكيدهم ، فقام – صلي الله عليه وسلم – مظهرا انه يقضي حاجة ، ولم يخبر اصحابه خوفا من ان ينتقم القوم منهم ، ورجع مسرعا الى المدينة وتبعه أصحابه »[٨٧٨] .

و – الغدر بطريقة السم :

ان الحقد الذي يؤسس قواعده على بغض الشريعة « الكتاب والسنة » فان غيومه تتلبد كل يوم ، وأسلحة الكيد تتطور ، وتأخذ غوارا عميقة تحول بينها وبين البسطاء من أصحاب النية السليمة ، مما يجعل مادة البناء بين طبقات المجتمع الاسلامي تحتاج الي فن دقيق وايمان عميق ، تكشف تلك الهوة السحيقة من الغدر والخيانة ، مما يتعذر كشفها بطريقة تجريبية أو حذاقة في السياسة ، أو براعة في الذكاء ، كل ذلك على أهميته .. يصبح هباء منثورا . والغدر الذي حدث هو انه أهدت له زينب بنت الحارث ، إمرأة سلام بن مشكم ، شاة مصلية[٨٧٩] ، وقد سألت : أي عضو من الشاة أحب الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقيل لها : الذراع . فأكثرت فيها من السم ، ثم سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، تناول الذراع ، فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ... فلفظها ، ثم قال : (إن العظم ليخبره انه مسموم) ثم دعاب ها ، فاعترفت . فقال : ما حملك علىٰ ذلك ؟ قالت : بلغت في قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكا استرحت منه ، وان كان نبيا فسيخبره ، فتجاوز رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عنها[٨٨٠] .

---

٨٧٧ الذي منعهم عن الفعل هو : سلام بن مشكم .

٨٧٨ مورد الصفا في سيرة المصطفى ، بتصرف ، ص ١٠١ « انظر سيرة ابن هشام ص ١٥٩ – ١٦٠ . وطبقات ابن سعد : ٩٩٠/٣ .

٨٧٩ مصلية : مشوية « حاشية مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٢٠٩ »

٨٨٠ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٢٠٩

ز - الغدر في الطواف :

فأماكن العبادة تخصص للصلة مع الله من صلاة ودعاء وذكر مع اصلاح السريرة وحسن الظن ، والانابة الى الله ، ونسيان المشاحنات والخصومات ، بهذا الجو الروحي ، والصفاء النفسي ، يشعل فتيل الفتنة ، ليعكر جلال جو المكان و بالغدر والخيانة ..

وقد روى : < أن فضالة بن عمير الليثي ، أراد قتل النبي - صل الله عليه وسلم - وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (أ فضالة ؟) ، قال : نعم ، فضالة يا رسول الله . قال : (ماذا كنت تحدث به نفسك ؟) قال : لا شيء . كنت أذكر الله ، فضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : (استغفر الله) ، ثم وضع يده على صدره فسكن ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب الى منه >[881] .

ح - استغلال جنح الليل للغدر به :

كان المنافقون واعداء < الكتاب والسنة > يتحينوا كل فرصة للإنقضاض على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فكان الله لهم بالمرصاد ، يكشف غدرهم ، ويظهر حقيقتهم ، وهذا النوع من الغدر فيه المشقة لمعرفة الغادرين ، وقد حدث هذا التخطيط عند انصراف النبي - صلى الله عليه وسلم - من تبوك ، اجتمع رأي من كانوا معه من المنافقين ، وهم اثنا عشر رجلا علي ان ينكثوا به في العقبة التي بين تبوك والمدنية[882] ..

ويقول المؤرخون : < إن الله أعلم رسوله سر المؤامرة >[883] .

فلما وصل الجيش العقبة نادى منادي الرسول - صلى الله عليه وسلم - : < ان رسول الله يريد ان يسلك العقبة فلا يسلكها أحد ، واسلكوا بطن الوادي .. فلما سمع المتآمرون بذلك ، استعدوا ، وتلثموا ، وسلكوا العقبة ، فأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام ناقته يقودها ، وامر حذيفة بن اليمان أن يسوق من خلفه .. فسمع النبي - صلى الله عليه وسلم - صوت المتآمرين ، وقد غشوه ، فنفرت

---

٨٨١ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٢٣٥

٨٨٢ ثورة الاسلام وبطل الأنبياء ، ص ١٠٤٣

٨٨٣ المصدر السابق .

ناقته ، حتى سقط بعض متاعه ، فغضب ، وأمر حذيفة ان يردهم ، فرجع اليهم ، جعل يضرب وجوه رواحلهم بمحجته ، وقال لهم : اليكم اليكم يا أعداء الله .. فولوا مدبرين ، وانحطوا في العقبة مسرعين الى بطن الوادي ، واختلطوا بالناس[٨٨٤] .

ولم يثبت أي عقاب لهؤلاء النفر منه - صلى الله عليه وسلم - لا بل عفى عنهم .

ط - استغلال فرصة الوحدة والنوم :

وهذا ايضا اسلوب شائك ، مربك ومحطم للأعصاب ، حيث ان هذا النوع من المباغتة لم تترك فرصة للمرء للدفاع عن نفسه ، لا بل حتى التفكير في حالته ، ويدخل عليه الخوف الشديد ، وهذه الحالة نزلت بشخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - .. وهذه القصة حدثت في غزوة غطفان في شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من مهاجره[٨٨٥] .

ففي هذه الغزوة أصاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مصرا ، فنزع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ثوبيه ونشرهما ليجفا ، القاهما على شجرة واضجع ، فجاء رجل من العدو يقال له دعثور[٨٨٦] بن الحارث ومعه سيف حتى قام على رأس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ثم قال : من يمنعك مني اليوم ؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (الله) ، ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال له : (من يمنعك مني ؟) قال : لا أحد . اشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله . ثم أتى قومه فجعل يدعوهم الى الاسلام[٨٨٧] ، ونزلت هذه الآية فيه : « يا أيها الذين أمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم .. »[٨٨٨] .

---

٨٨٤ المصدر السابق .

٨٨٥ غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، لابن سعد ، ص ٣٥

٨٨٦ دعثور بن حارث : هو الذي جمع جمعا من بني ثعلبة ومحارب بذي أمر ، قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - ص ٣٤)

٨٨٧ غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - ص ٣٤

٨٨٨ المائدة : ١١

٤ - الحرب الاقتصاديـــــة :

هذه الحرب في ميزان الأمم من أصعب الحروب ، لانها تشل حركة الجسم ، وتقضي على التفكير والفهم ، وتجعل المرء ضعيف الهمة ، هذا الأسلوب في الحرب قضى على أمم ، وحطم حضارات راقية ، وقد سلكت الجاهلية هذا الطريق ، عندما عرفت ، ان قوم الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقفوا للدفاع عنه في الأذى .

فقد ورد في كتاب مختصر سيرة ابن كثير :

< فلما عرفت قريش ان القوم[٨٨٩] قد منعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأجمعوا على ذلك ، اجتمع المشركون من قريش ، فأجمعوا أمرهم ألا يجالسونهم ولا يبايعونهم ولا يدخلون بيوتهم حتى يسلموا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للقتل ، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق : لا يقبلوا من بني هاشم صلحا أبدا ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل[٨٩٠] .

فعند ذلك أمرهم أبو طالب أن يدخلوا شعبه ، فلبثوا فيه ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء ، وقصعوا عنهم الأسواق . فلا يتركون طعاما يدخل مكة ، ولا بيعا الا بادروه فاشتروه ، ومنعوه ان يصل شيء منه الى بني هاشم . حتى كان يسمع أصوات نسائهم يتضاغون من وراء الشعب ، فأوثقوهم ، وعظمت الفتنة ، وزلزلوا زلزالا شديدا[٨٩١] .

---

٨٨٩ القوم : هم بنو هاشم وبنو عبدالمطلب - حاشا أبا لهب وولده ، فانهم صاروا مع قريش على قومهم < جوامع السيرة النبوية ، لابن حزم ، ص ٥١ >

٨٩٠ مختصر سيرة ابن كثير ، ص ١٠٠

٨٩١ مختصر سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمحمد بن عبدالوهاب ، ص ٦٩

نقض الصحيفـــــة :

عز على نفر من قريش ما يلاقيه بنو هاشم وبنو عبد المطلب من بلاء بسبب الحصار الاقتصادي الذي ضرب عليهم ، بمقتضى اتفـــــاق الصحيفة[٨٩٢] .

وكان القائد لتلك الفكرة - وهي نقض الصحيفة التي فيها الظلم والاجحاف لأهل الحق - هو هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي ، وكان يصل بني هاشم في الشعب خفية بالليل بالطعام . مشى الى زهير بن أبي أمية المخزومي ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، وقال : يا زهير ، أرضيت أن تأكل الطعام ، وتشرب الشراب ، واخوالك بحيث تعلم ، فقال : ويحك ، فما اصنع وانا رجل واحد ؟ وما والله لو كان معي رجل أخر لقمت في نقضها . قال : أنا . قال : أبغنا ثالثا .قال : ابو البختري ابن هشام .قال : ابغنا رابعا ، قال : زمعة بن الأسود . قال : ابغنا خامسا : قال : المطعم بن عدي . قال ، فاجتمعوا عند الجحون ، وتعاقدوا على القيام بنقض الصحيفة[٨٩٣] .

فتم نقض الصحيفة على يد هؤلاء الذين امتلأت قلوبهم حماسة وشهامة و < خرج بنو هاشم من شعبهم ، وخالطوا الناس ، وكان خروجهم في سنة عشرة من النبوة ، ومات ابوطالب بعد ذلك بستة أشهر >[٨٩٤] .

لقد فرج الله هذه الكربة ، بعد الشدة والضيق ، حتى بلغت القلوب الحناجر ، فثبت الله المؤمنين على دينهم ، وخاب كيد الكافرين .

٥ - الحرب الأخلاقية :

وهي حرب ، تصيب المقاتل ، لا يشفى المصاب بها ، منفرة لطبائع النفوس السليمة ، تأتي على الدعوة لاجتثاث جذورها من الأساس ، فلا ترحم ، لا يمكن اعادة بنائها ، تدع الحليم حيرانا ، تسكره من غير سكر، تأخذ عقله وهو صاحب اللب ، من يصاب بها ، تقتله الهموم والأوهام ، لا يدبرها إلا أخبث الخبائث من المنافقين ، ومن لف لفهم . لا يحيك شباكها الا من تجرد من الحياء ، ونزع ثوب العفة ، وما أحسن قول الصادق الأمين محمد - صلى الله عليه وسلم - : (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) .

---

٨٩٢ وكان كاتب الصحيفة هو : منصور بن عكرمة ، ويقال : النضر بن الحارث ، فدعا عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فشل بعض اصابعه < عن كتاب عين اليقين في سيرة سيد المرسلين ، ص ٣٥ >

٨٩٣ مختصر سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمحمد بن عبدالوهاب ، ص ٧٢

٨٩٤ المصدر السابق ، ص ٧٣

والحدث العظيم الذي حدث هو حديث الإفك ، الذي تهتز منه الجبال ، وتميد الأرض ، باتهام الطاهرة ابنة الصديق ، زوجة الصادق الأمين ، سيد البشر رسول الله - صلي الله عليه وسلم - .

وحدثت قصة الإفك في غزوة بني المصطلق ،وتسمى أيضا غزوة المريسيع[٨٩٥] .. وهي في شعبان سنة ست عند أبي اسحاق[٨٩٦] ، وفي سنة أربع عند موسى بن عقبة ، وفي شعبان سنة خمس يوم الاثنين لليلتين خلتا منه عند ابن سعد ، والصحيح انها كانت في شعبان في العام الخامس للهجرة[٨٩٧] ، والذي يقوي هذا الرأي ان سعد بن معاذ كان في هذه الغزوة ، وقد توفى سعد بن معاذ في غزوة بني قريظة متأثرا بجرحه الذي اصيب به في الخندق ، وقد كانت غزوة بني قريظة سنة خمس من الهجرة ..

وفي هذه الغزاة قال أهل الافك في عائشة ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا . عن عروة : ان عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ، اذا اراد ان يخرج أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معه .

قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي ، فخرجت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -[٨٩٨] .

قالت : (فلما فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غزوته تلك وقفل ، أذن ليلة بالرحيل ، فقمت الى بعض شأني ، فلما رجعت الى الرحيل ، لمست صدري ، فإذا عقدي قد انقطع ، فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه .

قالت : واقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني فاحتملوا هودجي - وكان ذلك بعد نزول آية الحجاب - فرحلوا على بعيري الذي كنت أركب عليه ، وهم يحسبون اني فيه ، فبعثوا الجمل فساروا ، ووجدت عقدي بعد ما

---

٨٩٥ المصطلق بطن من خزاعة وهم بنو جذيمة ، والمريسيع اسم ماء لهم (مورد الصفا في سيرة المصطفي ، ص ١١٢ .. وقيل بئر لهم (غزوات الرسول ، لابن سعد ، ص ٦٣)

٨٩٦ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ١٨٤

٨٩٧ عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٢٢ (لأبي سيد الناس) . فتح الباري ، ٣٠٤/٧ ، زاد المعاد لابن القيم ١١٢/٢ ، غزورات الرسول - صلى الله عليه وسلم - وسراياه ، لابن سعد ، ص ٦٢ .

٨٩٨ عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٢٨ (لأبي سيد الناس) .

استمر الجيش ، فجئت منازلهم ، وليس بها داع ، ولا مجيب ، فيممت منزلي الذي كنت به ، وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون إليَّ ، وكان صفوان بن المعطل[٨٩٩] من وراء الجيش ، فأصبح عند منزلي ، فرأي سواد انسان ، فعرفني حين رآني ، وكان رآني قبل الحجاب . وكنت قد غلبتني عيناي فنمت ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي ، والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، وهوى حتي أناخ راحلته .. فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة ، وهم نزول ، فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولى كبر الافك عبدالله بن أبي سلول »[٩٠٠] .

ووجد رأس المنافقين ، عدو الله عبدالله بن أبي سلول متنفسا ، فتنفس من كرب النفاق والحسد ، فجعل يستحكي الإفك ، وكان أصحابه يتقربون اليه به[٩٠١] ..

« فلما قدموا المدينة : أفاض أهل الإفك في الحديث . ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – ساكت ، لا يتكلم ، ثم استشار في فراقها ، فاشار عليه علي بفراقها ، واشار عليه أسامة بإمساكها »[٩٠٢] .

واقتضى تمام الابتلاء : ان حبس الله عن رسوله الوحي شهرا في شأنها ليزداد المؤمنون ايمانا ، وثباتا علي العدل والصدق ، ويزداد المنافقون ، افكا ونفاقا »[٩٠٣] .

وبعد محنة قاسية مرت على السيدة عائشة ، وابويها ، وزوجها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فمرت الأيام ثقالا وهي تحمل سرا فيه آهات وأنات وزفرات محرقات حتى جاء الفرج : « فنزل الوحي على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ... فكان أول كلمة قالها رسول الله

---

٨٩٩ صفوان بن المعطل : الرجل الصالح الذي جعله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لصلاحه في مؤخرة الركب ، يلتقط الضائع ، ويعين المتأخر « مورد الصفا في سيرة المصطفى ، ص ١١٧ » .

٩٠٠ فقه السيرة ، للبوطي ، ص ٢٩٩

٩٠١ مختصر سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – لمحمد بن عبدالوهاب ، ص ١٢٢

٩٠٢ المصدر السابق .

٩٠٣ المصدر السابق .

- صلى الله عليه وسلم - : (أمّا الله يا عائشة ، فقد برأك)[٩٠٤] ، فأنزل الله تعالي في هذه القصة أول سورة النور من قوله : « إن الذين جاؤا بالأفك عصبة منكم .. » الى آخر القصة .

هذا الحديث في الأفك هو من أصعب المحن ، التي تقضي على المنهج الرباني ، فهي نار لا إطفاء لها ، إلا العناية الربانية .

ومع هذه الأمور الصعبة التي تأخذ بخناق المسلم ويحجزه عن الرؤية الواضحة ، يوجد سلم النجاة ، ويحميه من كيد الكائدين وافتراء المنافقين على الأنبياء والرسل من ناحية أزواجهم بالطهر فيهم ..

وقد قيل : ‹ أن هذا أمر مستحيل ، لا يمكن ان يقع ، لأن الله عز وجل قد حفظ الأنبياء من تلوث العرض ، ومن وقوع أزواجهن بالفاحشة ، لإن ذلك يؤذي سمعة الأنبياء الأطهار ، ولهذا قال ‹ ابن عباس › : ما بغت امرأة نبي قط ، وهذا هو مذهب أئمة السلف والخلف›[٩٠٥] . وأما الكفر منهن فقد يقع . فقد كانت زوجة لوط كافرة ، كما كانت زوجة نوح كافرة أيضـــا ، وقد ضرب الله المثل بهما ، قال تعالي : « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين »[٩٠٦] .

والمراد بالخيانة هنا ‹ الخيانة في الدين › حيث لم تؤمنا بالله ، قال ابن كثير :

‹ « فخانتاهما » : أي في الدين ، فلم تتبعاهما فيه ، وليس المراد انهما كانتا على فاحشة ، حاشا ، وكلا ، فان الله لا يقدر على نبي ان تبغي امرأته ، ومن قال خلاف هذا فقد أخطأ خطأ كبيرا ›[٩٠٧] .

بعد أن مررنا علي هذه الحرب الطاحنة ، منذ أن أعلن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن ‹ الكتاب والسة › هما منهج حياة ، وبقيت تلك النار مستعرة الى ان انتقل الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى الرفيق الأعلى ، لا بل بقيت تشن على الكتاب والسنة حتى بعد وفاته - عليه الصلاة والسلام .

---

٩٠٤ المصدر السابق .

٩٠٥ النبوة والأنبياء ، للصابوني ، ص ٢٥٢

٩٠٦ التحريم : ١٠

٩٠٧ البداية والنهاية ، ج ١ ص ١٨٢ .. النبوة والأنبياء ، ص ٢٥٢

القسم الثاني - بعد وفاتـــه :

ومما يزيد في التأكيد علي حجية السنة ، وانها منهج حياة للأمة الإسلامية بعد كتاب الله ، الحرب الضروس العاتية ، التي ازداد هيوبها بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولو كان الحرب على شخصه ، ولم يكن المقصود فكره ومنهجه المتمثلان بالكتاب والسنة ، لهدأت العاصفة ، ولرمى أصحاب الحقد اثقال لؤمهم ، وسموم كيدهم ، ولبدلو نفث سمومهم الخبيثة ، بسلامة الصدر ، وحسن الطوية ، لأثمر لهم صفاء العقل ، وحياة الضمير اللذان يوجبان عليهما الاعتراف بالجميل الذي قدمه لهم الاسلام على يد صاحب الرسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - .

إن الكذب الذي صنفه أصحاب الضمائر الميتة ، والنفوس المهزوزة ، ان الرسول محمدا - صلى الله عليه وسلم - كان الدافع له هو الطمع في المادة ‹ أي الجانب الاقتصادي › ..

والأمر الثاني وهو محاولة ادخال سهام الطعن في باب تعدد زوجاته - صلى الله عليـه وسلم - .. وكل هذه الأشـيـاء هى أوهى من بيت العنكبوت ، وليس لها أي رصيد يزعمها ، لا بل هي وصمة عار على من يدعي ان تعدد زوجات النبي هو نقص أو عيب .

(١) الجانب الاقتصـــادي :

وهو انه تحرك لفكرته لاجل الجانب الاقتصادي ، لاجل تمييع فكرة النبوة وحجية السنة ، أو أضعاف الجانب التشريعي بين جهلة المسلمين .

فهذه الحجة وهو فكرته لأجل الجانب الاقتصادي مردودة جملةً وتفصيلاً ، وما مر من البيان يرد هذه الفكرة من وجوه :

أولا :

ان المشركين قدموا له الاغراء المادي لأجل تدك فكرته ، فرفضها ، وقال كلمته المشهورة : (لو وضعوا الشمس في ....) .

ثانيا :

ان الحصار الذي حدث في شعب ابي طالب كان مضايقة اقتصادية شديدة ، أبكت نساءهم وصغارهم من الجوع ، فكيف يقبل الذي يريد الطمع المادي بأن يكون معدما ، وتسلب منه جميع الفرص المواتية لاكتساب الرزق والحصول على الثراء لأجل ‹ أن لا إله إلا الله منهج حياة › .

ثالثا :

ان الصحابة الكرام والرسول - صلى الله عليه وسلم - على رأسهم خرجوا جميعا من وطنهم مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، وتركوا دورهم وأرضهم وتجارتهم ، وهذه الهجرة جردتهم من اكثر اقتصادياتهم ، ان لم تكن جميعها ، أي انسان عاقل يقبل ان يقول ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - أدى بفكرته لأجل الحصول على الجانب الاقتصادي .

رابعا :

ان صاحب الدعوة الاسلامية المباركة طلب من الصحابة الكرام الانفاق في سبيل الله ، ولذلك نجد الصحابة الكرام أنفقوا أموالهم لأجل الدعوة الإسلامية .

خامسا :

ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - عاش حياته كلها فقيرا ، قال عمر - رضي الله عنه - : ‹ لقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يظل اليوم يتلوى ، ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه ›[٩٠٨] .

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : نام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على حصير ، فقام وقد أثر في جنبه ، قلنا يا رسول الله ، لو اتخذنا لك وطاءً ، فقال : (مالي وللدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) .

لا بل يطول الجوع والحرمان حتى يزيد على الشهر ولا توقد النار في أبيات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - انها كانت تقول : ‹ والله يا ابن أختي إن كنا لننظر الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقد في أبيات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نار › . قلت : يا خالة مما كان يعيشكم ، قالت : ‹ الأسودان : التمر والماء . . إلا انه كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار ، وكانت لهم منائح ، وكانوا يرسلون الى رسول

---

٩٠٨ اخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، ج ٤ ص ٢٢٨٥ رقم ٢٩٧٨

الله - صلى الله عليه وسلم - من ألبانها فيسقينا ›[٩٠٩] .

وقد يخيل لبعض الناس ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع خشونة عيشه ، وقلة أثاثه ، قد ترك ثروة اقتصادية ، أو نمى ماله .. كل ذلك لم يثبت عنه منه شيء ، حيث انه عاش فقيرا ، وانتقل الى الرفيق الأعلى وهو لا يملك شيئا من حطام الدنيا ، لا بل كان مديونا .

وعن عمرو بن الحارث أخو جويرية بنت الحارث - أم المؤمنين رضي الله عنها - قالت : ‹ ما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند موته دينارا ولا درهما ، ولا عبدا ولا أمة ، ولا شيئا إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه ، وأرضا جعلها لأبن السبيل صدقة)[٩١٠] .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت ‹ توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير›[٩١١] .

فهذه هي الحياة التي عاشها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعاشها الصحابة الكرم ، فأي انسان له أدنى عقل ، وذرة من الضمير يقبل بهذا القول الواهي الذي لا أساس له من الصحة .

(٢) الطعن في تعدد زوجاته - عليه الصلاة والسلام - :

وهو كلام لا يقبله الكرام أصحاب المروءة ، حيث ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - تزوج نساءه كلهن لحكم بالغة .. منها :

١ - **الأخذ بمعالي الأمور :**

وان أول أزواجه خديجة بنت خويلد بن أسد ، تزوجها عليه الصلاة والسلام ، وهو ابن خمس وعشرين سنة[٩١٢] ، وكان عمرها أربعون سنة ، وكانت الحكمة في هذا الزواج : ‹ فقد نظر الى مكانتها في قومها ، وموقفها في عشيرتها وعفتها ، وقد صدق حدسه - صلى الله عليه وسلم - فيها ، فكانت أول من استجاب له ، وآمن به من الرجال والنساء ، فصدقته وآزرته ، وكان لهذا التصديق أثره بين عشيرتها وقبيلتها ،

٩٠٩ أخرجه البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٧٢ رقم ٦٠٩٤ ، كتاب الرقاق .

واخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، ج ٤ ص ٢٢٨٤ رقم ٢٩٧٢

٩١٠ رواه البخاري ، في كتاب الوصاية ، ج ٣ ص ١٠٠٥ ، رقم ٢٥٨٨

٩١١ رواه البخاري ، في الجهاد ، ج ٣ ص ١٠٦٨ ، رقم ٢٧٥٩

٩١٢ جوامع السيرة النبوية ، لابن حزم ، ص ٢٦

ومكثت تؤازره ، وتنصره حتى توفاها الله الى رحمته ، بعد ان عاشرت النبي - الأمين الرحيم - معاشرة الزوجات البارات خمسة وعشرين عاما ›[٩١٣] .

‹ أما زوجها النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - ، فلم يزل في مستوى العمر الطبيعي ، وقد قضى معها زهرة شبابه ، فلم يتزوج عليها ... وظل طول عمره - صلى الله عليه وسلم - يذكرها ويكرم أصدقاءها ومعارفها ›[٩١٤] .

فلقد كان زواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من خديجة أخذا بمعالي الأمور ، مما أعطى لأهل زمانه درسا في رفعته وعزته وعلو شأنه ، يربو على كل أهل زمانه .. مما جعل النوس الكثيرة ، تقدر محمدا - صلى الله عليه وسلم - وتحني رقابها لذلك الجبل الشامخ الذي طلبته خديجة - رضي الله عنها - ، ورفضت من طلبها من سادات قريش ، فكان هذا الزواج بمثابة أساس لبناء شامخ ، يعجز أن يصل اليه العظماء ولو حكوا نافوخهم في السماء .

وكذلك أعطى هذا الزواج درسا للمسلمين على ان يختار العاقل وصاحب الدين زوجة طيبة ذات عقل راجح وأخلاق عالية ونسب رفيع ، ودين مستقيم على غيرها من الصفات الأخرى .

لقد أصاب اختياره ، فكانت نعم المرأة للرسول - صلى الله عليه وسلم - لأعباء الدعوة ، وحين جاءه جبريل وهو في غار ‹حراء› رجع الى زوجه يرجف فؤاده (ويقول : زملوني زملوني ، حتى ذهب عنه الروع ، فحدث خديجة بالخبر ، وقال لها : لقد خشيت على نفسي ، فقالت له : ‹ أبشر ، كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .. ›[٩١٥] .

لهذه الصفات الكريمة ، قد بلغ الرسول - صلى الله عليه وسلم - الخمسين من العمر ، وليس عنده سواها ، فلم يعدد زوجاته ، إلا بعد وفاتها ، رضي الله عنها وأرضاها ، وجعل الجنة مسكنها .

---

٩١٣ زوجات النبي الطاهرات ، وحكمة تعددهن ، للصواف ، ص ١٩ - ٢٠

٩١٤ المصدر السابق ، ص ٢٠

٩١٥ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٥ ، بدء الوحي ، رقم ٣

واخرجه مسلم في الايمان ، باب بدء الوحي الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ج ١ ص ١٣٩ رقم١٦٠

٢ - جانب الشفقة والرحمـة :

لقد كان صاحب القلب الرحيم ، الذي تجاوزت رحمته البشر الى الاحياء الأخرى ، وهو القائل : (دخلت إمرأة النار بهرة حبستها فلا أطعمتها...) .

فكيف تكون شفقته ورحمته بالمسلمين ، وأن الدعوة الاسلامية تكون قوتها وانتشارها بقدر ما يكون قائدها - عليه الصلاة والسلام - غيورا رحيما على كل مسلم ومسلمة ، رحيما بكل من نزلت به مصيبة (حريصا على كرامة كل من آمن من الرجال والنساء ، ولا يستطيع إنسان أن يصف تلك الرحمة التي هي أرحم بالمؤمنين من أنفسهم لأنفسهم ، فإن خالق السموات والأرض حيث قال فيه : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم .. »[٩١٦] .

ومن جوانب تلك الرحمة زواجه من سوده ..

وفي الشهر الذي ماتت فيه خديجة - رضي الله عنها - تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سودة بنت زمعة العامرية القرشية بعد ان توفى عنها زوجها وابن عمها السكران بن عمرو ، وقد كانت آمنت بالله وبرسوله وخالفت أقاربها وبني عمها ، وهاجرت مع زوجها الي الحبشة في المرة الثانية خوف الفتنة ، وعقب رجوعه من هجرته توفى عنها ، لم يكن ثم أجمل مما صنعه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بزوج رجل آمن به و لو تركت لقومها على ما هم فيه من الغلظة وكراهة الاسلام لفتنوها[٩١٧] .

‹ ولو كان غرض الرسول - صلى الله عليه وسلم - الشهوة ، كما زعم المستشرقون الأفاكون ، لاستعاض عنها وهي الأرملة المسنة التي بلغت من العمر الخامسة والخمسين - بالنواهد الابكار . ، ولكنه عليه السلام كان المثل الأعلى في الشهامة ، والنجدة ، والمروءة ، ولم يكن غرضه إلا حمايتها ورعايتها .. ›[٩١٨] .

٣ - الجانب الإجتماعي :

لقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - صاحب الدعوة الشاملة ، خبيرا بمعالجة النفوس ، وكيفية جمعها وربط أصرتها ، وأن الجانب الاجتماعي له أهمية لقوة الصف وبناء الأمة ، ولذلك راعى الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا الجانب ، ويظهر هذا الجانب بوضوح في تزوج

---

٩١٦ التوبة : ١٢٨

٩١٧ سيرة سيد المرسلين ‹ تأليف جماعة من كبار العلماء › ص ٤٥

٩١٨ شبهات واباطيل حول تعدد زوجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - ص ٣٩

النبي – صلى الله عليه وسلم – بأبنة الصديق الأكبر ‹ أبي بكر › – رضي الله عنه – ، ثم بأبنة الفاروق ‹ عمر › رضي الله عنه ، ثم باتصاله عليه الصلاة والسلام بقريش اتصال مصاهرة ونسب مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباط وثيق ، وجعل القلوب تلتف حوله وتلتقي حول دعوته في ايمان ، واكبار ، وإجلال[٩١٩] .

‹ إن مصاهرة النبي – عليه أفضل الصلاة والتسليم – لأول اصحابه وأول مصدقيه ، وأعلاهم قدرا ، وأكثرهم إخلاصا ، وتضحية ، في سبيل الله ورسوله .. هذه المصاهرة ، كانت مكافأة لهذا الصاحب الوفي الأمين ، وهذا المجاهد البطل الكريم الذي حمل أعباء الرسالة من بعد الرسول العظيم ، فكان خير خلف لخير سلف ، وكانت ابنته البارة أم المؤمنين عائشة المبرأة الصديقة الزوجة المثالية ، التي جعل الله بينها وبين النبي الكريم مودة ورحمة ›[٩٢٠] .

٤ - الجانب السياسي :

كان لتعدد الزوجات حكمة سياسية ، لها أثر كبير في نجاح الدعوة الإسلامية وتبليغها ، من بركة هذه الناحية .. ان بعض القبائل خفضت عداوتها ضد الاسلام ، ومنها من دخلت في الاسلام بسبب المصاهرة .

ومن الأمثلة على ذلك ، تزوج الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالسيدة ‹ جويرية بنت الحارث › سيد بني المصطلق ، وكانت قد أسرت مع قومها وعشيرتها ، ثم بعد أن وقعت تحت الأسر ، أرادت أن تفتدي نفسها ، فجاءت الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ستعينه بشيء من المال ، فعرض عليها الرسول الكريم ان يدفع الفداء ، وأن يتزوج بها ، فقبلت ذلك ، فتزوجها ، فقال المسلمون : أصهار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تحت أيدينا ، فاعتقوا جميع الأسرى ، الذين كانوا تحت أيديهم ، فلما رأى بنو المصطلق هذا النبل والسمو ، هذه الشهامة والمروءة ، أسلموا جميعا ، ودخلوا في دين الله ، وأصبحوا من المؤمنين[٩٢١] .

وكذلك تزوج – عليه الصلاة والسلام – بالسيدة أم حبيبة ‹ رملة بنت أبي سفيان › ، وأبو سفيان كان في ذلك الحين حامل لواء الشرك ، كائد الأعداء لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد أسلمت ابنته في مكة ، ثم هاجرت مع زوجها الى الحبشة فرارا بدينها ، وهناك مات زوجها

---

٩١٩ المصدر السابق ، ص ٢٣

٩٢٠ زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن ، للصواف ، ص ٣٥

٩٢١ شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم – ص ٢٦ – ٢٧

، فبقيت وحيدة فريدة ، لا معين لها ولا أنيس ، فلما علم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأمرها ، أرسل الى النجاشي ملك الحبشة ليزوجه إياها ، فأبلغها النجاشي ذلك ، فسرت سرورا لا يعرف مقداره إلا الله سبحانه"[٩٢٢]

ولما بلغ ‹ أبا سفيان › الخبر ، أقر ذلك الزواج ، وقال : ‹ هو الفحل لا يقدع أنفه › . فافتخر بالرسول ، ولم ينكر كفاءته له . فقد كان هذا الزواج سببا لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين"[٩٢٣] .

٥ - **الجانب التعليمي :**

فالجانب التعليمي جانب مهم في الشريعة الإسلامية ، ولا يمكن لأمة تريد ان ترتق وترفع من شأنها إلا على أساس التعليم الذي هو سلاح الأمة وعلي أساسه تُبنى جميع المقومات والأركان .

وكانت هذه التعاليم منها ما يخص الرجال ، ومنها ما يخص النساء ، وقسم يكون مشتركا بينهما ، وكان القسم الذي يخص النساء ، يحتاج الى تبليغه لجموعة من النساء الواعيات المؤمنات اللاتي لهن اتصال بالرسول - صلي الله عليه وسلم - ولا يمكن ان يكون ذلك الا عن طريق زوجاته - عليه الصلاة والسلام - .

‹ والأحكام التي تختص بالنساء كثيرة ، ويجد الرجال حرجا في ايضاحها الي النساء ، بل ان سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجد حرجا في تبيين قسم من الأحكام الخاصة بالنساء ، خاصة الأحكام المتعلقة بالغسل والطهارة والحيض والنفاس ، فلا يستطيع تبليغها الي النساء بصورة واضحة بينه الا النساء ›[٩٢٤] .

‹ واذا كانت الأحكام الشرعية المتعلقة بالنساء متعددة الجوانب ، أدركنا ان امرأة واحدة لا تستطيع ان تقوم بهذه المهمة ، ولا يستطيع ان يقوم بذلك الا عدد من النساء من قبائل متعددة لنشر أحكام الشريعة في العالمين .. وهل من وسيلة ناجحة في هذا أحسن من تزوجه - صلى الله عليه وسلم - بعدد منهن ›[٩٢٥] .

---

٩٢٢ المصدر السابق ، ص ٣١

٩٢٣ المصدر السابق ، ص ٣١

٩٢٤ الاسلام وتعدد الزوجات ، ابراهيم نعمة ، ص ٧٣

٩٢٥ المصدر السابق ، ص ٧٣ - ٧٤

ولذلك أخذن نساء الرسول - صلى الله عليه وسلم - العلم عنه ، كل حسب قدرتها ، ليبلغن ذلك الى النساء .

وكانت ‹ عائشة - رضي الله عنها - المرجع الأول في الحديث والسنة ، والفقيهة الأولى في الاسلام ›[٩٢٦] .

وقال الامام ‹ الزهري › لو جمع علم عائشة ، الى علم جميع أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلم جميع النساء ، لكان علم عائشة أفضل[٩٢٧] .

وكذلك روت - أم المؤمنين - حفصة في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وعن أبيها عمر - رضي الله عنهما - روى عنها أخوها عبدالله وابنه حمزة ، في عدد من حفاظ التابعين[٩٢٨] .

وروت أم المؤمنين السيدة أم سلمة ‹ هند بنت أبي أمية المخزومية › عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الكتب الستة ، وفيها كذلك ما روى ابنها سلمة وابنتها زينب ، ربيبا النبي - صلى الله عليه وسلم -[٩٢٩] .

وكذلك روت أم المؤمنين السيدة ‹ صفية بنت حيي بن أخطب › عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمخرج في الكتب الستة . ومن الذين رووا عنها ابن أخيها ومولاها كنانة ، ومولاها الآخر يزيد بن متعب ، والامام زين العابدين على بن الحسين ، ومسلم بن صفوان ، في عدد من حفاظ التابعين - رضي الله عنها وعنهم -[٩٣٠] .

---

٩٢٦ نساء النبي ، د . بنت الشاطيء ، ص ١١٥

٩٢٧ الاستيعاب ، ١٨٨٣/٤ ، الاصابة ، ١٤٠/٨

٩٢٨ نساء النبي ، د . بنت الشاطيء ، ص ١٢٩

٩٢٩ تهذيب التهذيب ، ٤٥٦/١٢

٩٣٠ نساء النبي ، د . بنت الشاطيء ، ص ١٩٤

وللسيدة أم المؤمنين السيدة ‹ أم حبيبة - رملة - بنت أبي سفيان › في الكتب الستة خمسة وستون حديثا ، روت عنها بنتها حبيبة ربيبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وابن اخيها عبدالله بن عتبة بن أبي سفيان ، وابن اختها أبو سفيان أبي سعيد بن المغيرة ، وعروة بن هشام بن المغيرة ، وابو صالح السمان ، وزينب بنت أبي سلمة ربيبة النبي - صلى الله عليه وسلم -[٩٣١] .

وهكذا نجد أمهات المؤمنين كل منهن قد قامت بنشر الشريعة الإسلامية التي نهلت من معينها الأول الصافي الزوج المخلص صاحب المثل الكامل محمد - صلى الله عليه وسلم - .

٦ - الجانب التشريعي :

لقد أراد الاسلام أن يزيل جميع العوائق والسدود الاجتماعية المخالفة للنظام التشريعي الذي جاء به من عند الله سبحانه وتعالي ، ومن تلك العادات الجاهلية الفروق الطبقية بين سيد ومسود ، ينشأ عنها خفير وعظيم ، وظالم ومظلوم ، هدر للحقوق ، وعلي هذا الأساس يكون البناء متصدعا ، فجاء الاسلام ليقضي على تلك الفجوة ، ويقيم بناءً متماسكا قوياً .

وكذلك من العادات المخالفة للشريعة الإسلامية هو تحريم زواج زوجة المتبني ، فأراد العليم الخبير ان يقضي على هذه العادات العميقة الجذور ، الغائرة في أعماق النفوس ، أن يجتثها من أصولها ، لا يبق لها أثرا ،

فأراد ان يطبق هذه العملية الصعبة على النفوس مع ‹ أعلى القبائل العربية نسبا من رجل كان عبدا فحرره النبي - صلى الله عليه وسلم - ›[٩٣٢] .

وهذا الامتحان الذي لا مفر منه ، وهو زواج زيد بن حارثة من زينب بنت جحش ، وزينب هذه من قريبات الرسول - صلى الله عليه وسلم - فهو يعرفها حق المعرفة من طفولتها ، وقد رغب في أن يزوجها من زيد بن حارثة . فكرهت ذلك ، ورفض أخوها ، اعتزازا بما لأسرة زينب من مكانة ،

---

٩٣١ الاصابة ٨/٨٥ ، وتهذيب التهذيب ١٢/٤١٩ ، وخلاصة التذهيب ص ٤٢٣

٩٣٢ الاسلام وتعدد الزوجات ، ابراهيم النعمة ، ص ٨٦

فهي من ذؤابة قريش[٩٣٣] . وما زيد[٩٣٤] ؟ انه كان عبدا ، ولو ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - أكرمه فيما بعد ، وألحقه بنسبه ، فصار يدعى زيد بن محمد[٩٣٥] .

< فحدثهما - صلى الله عليه وسلم - عن مكانة < زيد > منه ، ومن الإسلام .. لكنهما على حبهما للنبي - عليه الصلاة والسلام ، وحرصهما على طاعته ، كرها هذا الزواج[٩٣٦] ، حتى نزل فيهما قوله تعالي : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضي الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله ، فقد ضل ضلالا مبينا »[٩٣٧] .

وتزوجت < زينب > زيدا .. طائعة لأمر الله ورسوله ، والتزاما بشريعة الاسلام ، وبنى زيد بزيد بعد آن ساق النبي اليها مهرها .. فلما سارت زينب الى زوجها لم يسلس له قيادها ، ولا لان إباؤها ، بل جعلت تؤذي زيدا ، وتفخر عليه بنسبها .. واشتكى زيد الى النبي - صلى الله عليه وسلم - غير مرة من سوء معاملتها إياه ، واستأذن غير مرة في تطليقها ، فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يجيبه : « أمسك عليك زوجك واتق الله » .

ولكن زيدا لم يطق معاشرة زينب ، وإباءها عليه طويلا فطلقها[٩٣٨] .

ولحكمة يريدها الله سبحانه وتعالى ، طلق زيد زينب ، فأمر الله رسوله أن يتزوجها ، ليبطل < بدعة التبني > ويقيم أسس الاسلام ، ويأتي علي الجاهلية من قواعدها[٩٣٩] .

ولكنه - عليه الصلاة والسلام - كان يخشى من ألسنة المنافقين والفجار ، أن يتكلموا فيه ، ويقولوا : تزوج محمدا إمرأة ابنه ، فكان

---

٩٣٣ ان زينب بنت جحش هذه هي ابنه أميمة بنت عبدالمطلب عمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وانها ربيت بعينه وعنايته ، وانها كانت لذلك منه بمقام البنت أو الاخت الصغرى ، وانه كان يعرفها قبل ان تتزوج زيدا < حياة محمد ، محمد حسين هيكل ، ص ٣٣٣ > .

٩٣٤ لم يكن الاستفهام عن زيد في الاسلام ، انه حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - انما في عرف الجاهلية الجائر .

٩٣٥ فقه السيرة < محمد الغوالي ، ص ٤٦١ > .

٩٣٦ نساء النبي ، د . بنت الشاطيء ، ص ٤٦١

٩٣٧ الاحزاب : ٣٦

٩٣٨ حياة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، محمد حسين هيكل ، ص ٣٣٤

٩٣٩ شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - للصابوني ، ص ٢١

يتباطأ حتى نزل العتاب الشديد لرسول الله - عليه السلام - في قوله عز وجل : « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ، لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا »[٩٤٠] .

وهكذا انتهى حكم التبني ، وبطلت تلك العادات التي كانت متبعة في الجاهلية ... ونزل قوله تعالى مؤكدا التشريع الرباني الجديد : « ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليما »[٩٤١] .

وقد كان هذا الزواج بأمر من الله تعالى ، ولم يكن بدافع الهوى والشهوة ، كما يقول بعض الأفاكين والمرجفين من أعداء الله ، وكان لغرض نبيل ، وغاية شريفة ، فسبحان من دقت حكمته أن تحيط بها العقول ، وتدركها الأفهام ..

‹ ومما يبعث على الأسف الشديد أن ينزلق كثير من المبشرين والمستشرقين الى مهاوٍ سحيقة ، حين يتحدثون عن زواج رسول الله من السيدة ‹ زينب › ، فإن الراهب (فيدانزيو) قام بكتابة قصة زواج النبي - صلي الله عليه وسلم - من ‹ زينب › كما يكتب القاص قصة غرامية سواء بسواء ›[٩٤٢] .

وختاما أقول ، ان النفوس الوضيعة ، والأفعاعي اللاسعة ، الضمائر الميتة ، تنظر الى العظماء بمنظار الحقد والحسد ، فيسهل عليها الافتراء والخيانة ، وان عظيم العظماء وخاتم الأنبياء ، وسيد البشرية لهو أسمى من أن يصيب هؤلاء الحثالات شعث نعله .

٧ - القوة العملية في التربية :

لقد أكثر العلماء والحماء والمربون في العصر الحاضر في الأقوال الطيبة ، والحكم البليغة ، والخطط التربوية الكثيرة ، وأكثرها تعيش بين طيات الكتب ورفوف المكتبات ، لا بل الفرق شاسع بين القول والعمل ، ولربما تكلف كثير منهم هذه الحكم ، ولم يؤمن بها ، وعندما يعرف شخصه ويظهر عمله للأمة ، يغيب بريق تلك الكلمات ، فتكون أشبه بتمثيلية

---

٩٤٠ الاحزاب : ٣٧

٩٤١ الاحزاب : ٤٠

٩٤٢ انظر ما يقال عن الاسلام ، للاستاذ عباس محمود العقاد ، ص ٤٥٩ ، موسوعة عباس محمود العقاد الاسلامية ، المجلد الخامس ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

يسخر منها العقلاء ، لا بل هي صور مجسمة لأرواح فيها قد وضعت في المتاحف الأثرية ، وهذا التمثيل ينكشف عندما يتعامل هؤلاء مع المجتمع ، لا بل يعجز عن تربية ولده وبنته وزوجته ، ولربما يعيش هو في مكان ومن تحت رعايته في مكان آخر ، هروبا من المشاكل ، فينكشف ثوب الرياء .

أما التربية الإسلامية فهو قول وعمل وإخلاص ، وهذه الصفات الثلاثة للتربية لا توجد إلا في التربية الإسلامية المتمثلة بشخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولمن يقتدي به من المسلمين ، فتعدد الزوجات الذي قام به سيد البشرية محمد – صلى الله عليه وسلم – جانب تربوي مهم ، يقتدي به المسلمون ، ويتأسون به – عليه الصلاة والسلام – ، ومن أهم تلك الجوانب التربوية العملية مع زوجاته – عليه الصلاة والسلام – : (العدل) ، فكم عانت المرأة من ظلم وجور ... حتى جاء الرسول الحكيم ، فضرب أروع الأمثلة في العدل بين الزوجات ، ودعا الى إكرامهن والاحسان إليهن[٩٤٣] .

إن هذه المعاملة الطيبة التي كان يعامل بها الرسول – صلي الله عليه وسلم – زوجاته ، كانت درسا عمليا بليغا ألقاه على الصحابة ليقتدوا به ويقتفوا أثره في احترام المرأة ، بل ألقاه على العالم كله ليبعد عنها شبح الحيف والظلم والجور[٩٤٤] .

وقد كان صلي الله عليه وسلم المثل الكامل والقدوة الصالحة للرجال في كيفية معاشرة الزوجات بالمعروف ، والقسمة بينهن بالعدل[٩٤٥] في المبيت ، والنفقة ، واللطف ، والتكريم ، والأناة والرفق ، والموعظة الحسنة ، ومن سمو خلقه – عليه الصلاة والسلام – انه كان يخدم في بيته ويقضي حوائجه بيده الشريفة[٩٤٦] .

وقالت أم المؤمنين < عائشة > – رضي الله عنها – : < ما ضرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيده إمرأة له ولا خادما قط >[٩٤٧] .

إن التربية التي قام بها سيد البشرية لهي التربية المثالية الفريدة

---

٩٤٣ الاسلام وتعدد الزوجات ، ابراهيم النعمة ، ص ٦٩

٩٤٤ المصدر السابق .

٩٤٥ كان عليه الصلاة والسلام يقول : (اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما لا أملك) ، السمت الثمين ، ص ٧

٩٤٦ زوجات النبي الطاهرات ، وحكمة تعددهن < للصواف ، ص ٨٨ > .

٩٤٧ المصدر السابق .

الناجحة التي طبقها علي مجموعة من زوجاته : منهم المسنة الطاعنة في السن ، ومنهم المتوسطة ، ومنهم الشابة ، ومن قبائل مختلفة ، ومنهم صاحبة الثراء ، ومنهم الفقيرة ، ومنهم الأرملة صاحبة الأطفال ، والأرملة التي لا أطفال لها ، هذا المزج من الأعمار ، والقبائل ، والعادات ، مما يجعل الموقف حرجا وصعبا في التربية ، لا بل يحول المكان ساحة حرب تستعر أوارها ، ويشتعل ليهيبها ، ولكن صاحب المثل الكامل والمربي الفريد ، حول الساحل المتلاطم الأمواج ، الي حديقة غناء ، يرتع السلف والخلف من ثمارها اليانعة التي أصبحت غذاء وشفاء للمؤمنين ، حتى اصبحت أمهات المؤمنين يضرب بهن المثل في الزهد والكرم ، والذكر والصيام ، والقيام . فأصبحت تلك الأمزجة المختلفة من الجبلات البشرية ، نسيج خير متجانس .

إن عظمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصفاته الكاملة أثرت في تربية نسائه ، فكانت خير مدرسة . وقد عاشرته السيدة خديجة خمسة عشر عاما قبل أن يبعث ، وهي تجربة طويلة ، وحياة زوجية تكشف كل صغيرة وكبيرة ، ما قد يخفى على الناس ، ولقد قالت فيه الكلمة التي تبين بعض جوانب العظمة فيه - عليه الصلاة والسلام - حين سمعت منه الحديث العجيب عن الوحي ، حتى هتفت من أعماق قلبها بتصديقه وتأييده وتثبيته علي ما يقول ، إيمانا منها أن أخلاقه الكاملة لا تسلمه إلا الى خير .. فقالت : ﴿ .. والله ما يخزيك الله أبدا .. إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين علي نوائب الحق ﴾[948] .

لقد تربين نساؤه - عليه الصلاة والسلام - على هذه الصفات ﴿ من : الصدق ، والأمانة ، وصلة الرحم ﴾ ..

وقد قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتربية الصحيحة ، قولا وعملا واخلاصا ، وهو القائل الأرملة والمسكين ، كالمجاهد في سبيل

---

٩٤٨ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٥ ، في كتاب بدء الوحي ، رقم ٣

واخرجه مسلم في الايمان ، باب بدء الوحي الى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ج ١ ص ١٣٩ رقم ١٦٠

وورد في عيون الأثر : ١/١٥٠ مع شيء من اختلاف النص ، قالت : معاذ الله ، ما كان الله ليفعل ذلك بك ، فوالله انك لتؤدي الامانة ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث .

الله ، أو القائم الليل الصائم النهار)[949] .

ولم يكن هذا القول خطبة يرفع فيها الصوت ، لأجل قولة أجاد أو أحسن ، وإنما كانت هذه العبارة دستورا أو قانونا تربويا يمرض الكذابين ، ويزعج الخائنين والمنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون .

ولذلك تزوج الرسول - صلى الله عليه وسلم - الأرامل والعجائز ، ومن بحوزتهن مجموعة من الأيتام عشن تحت كنف رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، بعطف وحنان ، وشفقة أشد مما يحب المرء لنفسه .

فنشأ عن ذلك - في بيت النبوة - مؤمنات ، قانتات ، ذاكرات ، ساجدات ، طلقن الدنيا بعد أن حنن لزهرة الحياة الدنيا ، حتى اصبحت بيوتات الرسول - صلي الله عليه وسلم - يمر الشهران ولا يوقد فيها نار للطعام ، ايثارا لا فقرا ، عطاءً كالسحاب المثقل بالمطر ، وكالريح المرسلة ، لا يرد ، لا يرددن سائلا ، ولا محتاجا .

وقد ورد عن عروة عن عائشة - رضي الله عنهما - انها كانت تقول : ‹ والله يا ابن أختي ، إن كنا لننظر الي الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقد في أبيات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نار . قلت يا خالة فما كان يعيشكم ، قالت : الأسودان ، التمر والماء ، إلا انه كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - جيران من الأنصار ، وكانت لهم منائح ، وكانوا يرسلون الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ألبانها فيسقينا ›[950] .

هذه التربية العظيمة أثرت فيهن تأثيرا كبيرا .. ذكر الزمخشري : ‹ أن أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كن << يدلجن ويمشين بالحمل ، قد أثقلهن >> بالقرب ، يسقين أصحابه .. في غزوة أحد › .

ولقد بقى على هذه الحالة في القمة من العظمة ، حتى انتقل الى الرفيق الأعلى ، ولم يملك شيئا من حطام الدنيا ..وقد ورد في الحديث النبوي عن عمرو بن الحارث أخا جويرية بنت الحارث أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت : ‹ ما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند موته دينارا ولا درهما ولا عدا ولا أمة ولا شيئا الا بغلته البيضاء التي كان

---

٩٤٩ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٢٢٣٧ رقم ٥٦٦٠ ، باب الساعي على الأرملة .

واخرجه مسلم في باب الاحسان الى الارملة والمسكين واليتيم ، ج ٤ ص ٢٢٨٦ ، رقم ٢٩٨٢

٩٥٠ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٧٢ ، رقم ٦٠٩٤ من كتاب الرقاق

واخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، ج ٤ ص ٢٢٨٣ ، رقم ٢٩٧٢

يركبها ، وسلاحه ، وارضا جعلها لابن السبيل صدقة »[٩٥١] ..

هكذا ربى الرسول – صلى الله عليه وسلم – زوجاته الطاهرات ، فقمن بتربية المؤمنات من الجيل الأول ، وهن الصحابيات ، فنشأ منهن الجيل الفريد .

٨ - مراعاة الظروف وطريقة علاجها :

لقد سلك الرسول الكريم – صلي الله عليه وسلم – بكل أعماله وأقواله سبيل الحكمة وطريق الرشاد ..

« فالحياة الأولى التي عاشها الرسول – صلى الله عليه وسلم – في زهرة شبابه مع إمرأة واحدة وهي السيدة خديجة ، وعاش معها خمسا أو ستا وعشرين سنة ، وكان قد بلغ عمر الرسول عليه الصلاة والسلام واحدا وخمسين سنة ، ثم تزوج بأم المؤمنين سودة بنت زمعة وهي طاعنة في السن ، ومكث معها وحدها ما يقرب من ثلاث سنوات »[٩٥٢] .

وقد قضى من حياته الشريفة – عليه الصلاة والسلام – ما يقرب من أربع وخمسين سنة في العزوبة والزوجة الواحد فقط .

« وقد عدد الرسول – صلى الله عليه وسلم – زوجاته بعد الهجرة ، في السنة التي بدأت فيها الحروب بين المسلمين والمشركين ، وكثر القتل والقتال ، وهي من السنة الثانية للهجرة الى السنة الثامنة ، التي تم فيها النصر للمسلمين »[٩٥٣] .

فظروف الحرب العصيبة ، وما يحيط بها من ويلات من قتل الرجال ، وترمل النساء ، وتيتم الأطفال ، فيبقى كثير من الناس من نساء وأطفال ، لا معيل لهم ، ولا كفيل ، بهذا الجو المكفهر المملوء الحزن والأسى ، والأنين على لقمة العيش يظهر دور العظماء ، فيفتحواصدورهم وقلوبهم ، ليمسحوا دموع اليتامى ، ويجبروا القلوب المنكرة من الأرامل .

« لقد لطف – عليه الصلاة والسلام – بالنساء المترملات ، وأحسن إليهن ، وكفل أبناءهن اليتامى ، وتزوج منهن بهذا العدد ، ليخفف من ويلات الحرب والغزو ، وليرحم عزيز قوم ذل ، وغني قوم افتقر »[٩٥٤] .

ففي فترة الحروب ، تكثر النساء ، ويقل الرجال ، أو أن عدد النساء

---

٩٥١ رواه البخاري في كتاب الوصاية ، ج ١ ص ١٠٠٥ ، رقم ٢٥٨٨

٩٥٢ زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن ، للصواف ، ص ٨٦

٩٥٣ شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم – للصابوني ، ص ٥٥

٩٥٤ زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم – الطاهرات وحكمة تعددهن ، للصواف ، ص ٨٧

يكون اكثر من عدد الرجال ، وفي هذه الحالة يتعرض المجتمع للتفكك والضعف ويتصدع البناء ، وقد يتعرض لضعف الأخلاق .. وفي هذه الحالة لو ترك النساء ولم يتزوجن ، واكتفى كل رجل بإمرأة واحدة ، لكان هذا الفعل مخالفا للنظام الإسلامي ، وهو

‹ يقوم على أساس أن أفراده تتضامن في مواجهة الحياة ، وتتعاون في حمل أعبائها ، ويساند بعضهم بعضا أمام الأزمات والخطوب ، فإن مبدأ الأخوة الذي تقوم على أساس العلاقة بين أفراد المجتمع يعني أن يصبحوا كيانا واحدا[٩٥٥] يخطو في الحياة خطوات متعاونة ، تحمي الأفراد من الضياع والهوان ›[٩٥٦] .

علاوة على الأسباب التي ذكرناها في تعدد الزوجات في الحروب وهو القضاء على الفساد ، والشفقة على اليتيم ، وجبر الأرملة ، وجمع الصف ، يوجد سبب مهم في هذا الظرف العصيب ، وهو التعويض عن فقد الرجال الذين فقدتهم الأمة واعادة القوة لها ، فيقول الشيخ مصطفى صبري عن مصلحة تعدد الزوجات :

‹ .. تعدد الزوجات الذي سوف يطبق بعد وقوع حرب وبعد موت عدد كبير من الرجال فيها ، إنما يأتي بثمراته في عشرات من السنين بعد انتهاء تلك الحرب ، والحال أن الأمة المتيقظة من واجبها ان تظل عقب انتهائها من حرب ، قادرة على حرب أخرى ؛ فيلزمها ان تكون دائما علي استعداد . ولا تنتظر أوان الحاجة ›[٩٥٧] .

ويمكن ان يوضح هذا الكلام أكثر بالمثال الآتي :

‹ إذا طرأت علي الأمة حال احتاجت رجالها بالحروب ، ولم يكن لكل رجل من الباقين إلا زوجة واحدة ، وبقيت نساءٌ عديدات بلا زواج ، ينتج من ذلك نقص في عدد المواليد لا محالة ، ولا يكون عددهم مساويا لعدد الوفيات ، فإذا تقاتلت أمتان مع فرض انهما متساويتان في جميع الوسائل المعيشية ، وكان إحداهما لا تستفيد من جميع نسائها بالاستيلاد ، فلا تستطيع ان تقاوم خصيتمها التي يستولد رجالها جميع نسائها ، وتكون النتيجة أن الأمة الموحدة للزوجات تفنى أمام الأمة المعددة للزوجات ›[٩٥٨] .

وأريد أن ألفت إنتباه القارىء على أن زيادة النساء على الرجال

---

٩٥٥ « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » التوبة : ٧١ . « انما المؤمنون اخوة » الحجرات : ١٠

٩٥٦ المجتمع الاسلامي ، د . مصطفى عبدالواحد ، ص ١٣٩

٩٥٧ قولي في المرأة ، مصطفى صبري ، ص ٢٢

٩٥٨ دائرة معارف القرن العشرين ، لمحمد فريد وجدي ، ٤/٦٩٢ - ٦٩٣

تصل الي الحد الأعلي في حالة الحروب ، أما في حالة السلم كذلك يبقى عدد النساء فوق عدد الرجال في كل العصور ، وان في بعض من البلدان يكون عدد النساء أضعاف عدد الرجال ، كما نجد ذلك في شمال أوربا .. يقول الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - :

< وقد قال لي طبيب في دار التوليد في (هلسنكي) - فنلندا - انه من بين كل أربعة أطفال أو ثلاثة يولدون يكون واحد منهم ذكرا والباقون إناثا >[٩٥٩] .

< وأن أعمار النساء تزيد على أعمار الرجال في معظم أنحاء العالم ، وتبلغ هذه الزيادة حدا كبيرا في كثير من الدول - ٨ سنوات في الاتحاد السوفيتي مثلا ، ٨ ر ٦ سنة في فرنسا ، ٦ ر ٦ سنة في الولايات المتحدة ، ٦ سنوات في بريطانيا >[٩٦٠] .

ولم يكن تعدد الزوجات تشريع استقل به الاسلام ، < ولقد عرف تعدد الزوجات في بيئات العالم كلها[٩٦١] متحضرة وغير متحضرة ، وثنية وغير وثنية ، وعندما سطعت شمس الاسلام علي الوجود عالجت لتلك الفوضى التي لا ظابط لها ، فلم تحرم التعدد تحريما كليا ، كما لم يترك الحبل على الغارب ، كما كانت تفلعه الجاهلية >[٩٦٢]

< وقد ثبت تاريخيا أن بين المسحيين الأقدمين من كان لهم كثير من الزوجات ، وقد كان في أقدم عصور المسيحية من يرئ إباحة تعدد الزوجات في أحوال استثنائية ، وأمكنة مخصوصة >[٩٦٣].

قال (وستر مارك) العالم الثقة في تاريخ الزواج :

< ان تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقى الى القرن السابع عشر ، وكان يتكرر كثيرا في الحالات التي لا تحصيها الكنيسة والدولة >[٩٦٤] .

< بل ذهبت بعض الطوائف المسيحية الى ايجاب تعدد الزوجات ،

---

٩٥٩ المرأة بين الفقه والقانون ، السباعي ، ص ٨١

٩٦٠ الفكر الاسلامي والتطور ، فتحي عثمان ، ص ٢٣٢

٩٦١ كان التعدد موجودا في الأمم القديمة كلها تقريبا : عند الاثينيين ، والصينيين ، والهنود ، والبابليين ، والاشوريين ، والمصريين ، ولم يكن له عند اكثر الامم حد محدود ، وقد سمحت شريعة < لبكي > الصينية بتعدد الزوجات الى مائة وثلاثين امرأة ، وكان عند احد أباطرة الصين نحو من ثلاثين ألف إمرأة ! والديانة اليهودية كانت تبيح التعدد بدون حد (المرأة بين الفقه والقانون ، السباعي ، ص ٧١) .

٩٦٢ الاسلام وتعدد الزوجات ، ابراهيم النعمة ، ص ٥٣

٩٦٣ المرأة بين الفقه والقانون ، ص ٧٢

٩٦٤ حقائق الاسلام ، للعقاد ، ص ١٧٧

ففي سنة ١٥٣١م نادى اللامعدانيون في مونستر صراحة بأن المسيحي - جف المسيحي - ينبغي ان تكون له عدة زوجات ، ويعتبر المورمون[٩٦٥] كما هو معلوم ان تعدد الزوجات نظام إلهي مقوس ›[٩٦٦] .

لقد هذب الاسلام التعدد ، فجعل له حدود واحاطه بسعادة العدل والحرية ، فكان قمة الرقي الذي يصبوا اليه العالم أجمع ، ولا يمكن لأي مصلح أو مرب أن يجد لهذا الصرح ثغرة يدخل منها ، ولكن الحقد والحسد والتعصب أعمت القلوب ، فأصبحت لا تعرف حقا .

ومع هذه الحقائق الثابتة ووجود التصارع الذي هو أشبه بتمثيلية يسكت عن فوضى التعدد بأنواعه الفاسدة والظالمة ، ويشهر سلاح الباطل على عظمة نظام التعدد في الاسلام ، فقد وجدت جماعات كثيرة تنادي بملء فيها بعد الكبت الشديد الذي كاد يمزق الصدور ، على طلب التعدد ..

‹ وفي عام ١٩٤٩ تقدم أهالي (بون) عاصمة المانيا الاتحادية بطلب الى السلطات المختصة يطلبون فيه ان ينص في الدستور الالماني على اباحة تعدد الزوجات ›[٩٦٧] .

وقال الفيلسوف الفرنسي الدكتور ‹ غوستاف لوبون › ..:

‹ ان مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب ، يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقوله به ، ويزيد الأسرة ارتباطا ، ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تراهما في أوربا › .

ونقل صاحب كتاب (مفتريات على الإسلام) ما يأتي :

‹ إن كبير أساقفة انجلترا لا يجد علاجا لمنع التحلل الخلقي ، والانهيار العائلي ، اللذين فشيا بعد الحرب العالمية الثانية ، إلا بإباحة تعدد الزوجات .. فهو علي حد تعبيره ، الذي يمنع المرأة الانجليزية من الانهيار النفسي .. وارتكابها للجريمة والعار ، ويرد اليها الكرامة والعزة ، حيث لا تكون فراشا لرجل إلا بكلمة الله › .

آخر ما يملكه المعترض على تعدد الزوجات :

توجد أسباب أخرى تحط رجالها في ميدان الموضوع ، ويعتبر أصحابها انها سدود مانعة للتعدد ، ولها أثر كبير في تصدع الحياة الزوجية

---

٩٦٥ المورمون : فرقة من البروتستانت تبيح تعدد الزوجات وتمارسه فعلا ولها كنائسها المنتشرة في أوربا وامريكا ‹ الاسلام روح المدنية ، للعلائي ، ص ٢٣٤ ›

٩٦٦ المرأة في القرآن ، للعقاد ، ص ١٣٢ - ١٣٣

٩٦٧ في احكام الأحوال الشخصية ، د . محمد يوسف موسى ، ص ١٢١ ، ط ٢

، لا بل تعرضه للفشل المحقق ، ولكن كل تلك التصورات ، يمكن حلها ، اذا كان المقبل على ذلك ، يراقب الله تعالي ، وله سعة أفق ..

** <u>والعوائق التي تمنع العدد على حسب تصور أصحابها .. هي :</u>

ا - **صعوبة العـــــدل :**

إن العدل الذي هو تحت قدرة الانسان ، وله ضوابط وحدود ، لا يجد المرء صعوبة بتطبيقه . وهذا هو العدل الذي يحاسب عليه المسلم ، ويشمل النفقة والسكن والملبس ، والمأكل والمبيت .. إلخ .

ومن المؤسف ان قسما من الناس الذين تأثروا بالثقافة الغربية ، ومنهج حياتها وأخلاقها ، حيث يزعم هؤلاء أن الاسلام حرم تعدد الزوجات ، حين قال : « ولن تستطيعوا ن تعدلوا بين النساء .. ولو حرصتم »[٩٦٨] ..بعد قوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع .. »[٩٦٩]

فهم يقولون : < إن القرآن أباح التعدد في الآية الأولى ... ، لكنه اشترط العدالة بين الزوجات . والعدالة هذه متعذرة هنا ، بل مستحيلة ، فتكون النتيجة ان التعدد محرم .. >[٩٧٠]

لقد وقع أصحاب هذا القول بخطأ كبير ، وحرفوا المعنى ، وافتروا على الله ، وطعنوا في الشريعة الاسلامية ، لا بل نسبوا اليها ظلما كثيرا ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ..

وترد هذه الأفكار الواهية ، الأفكار المسمومة جملة وتفصيلا لأسباب الآتية :

١) ان الله سبحانه وتعالى أمر بالعدل في كل شيء ، ومنها بين الزوجات ، فالأمر يفيد الوجوب ، وعلى هذا الآساس ، ان العدل الذي يريده الله من العبادة ، هو العدل الذي تحت قدرة الانسان ، ويحاسب عليه المرء .

٢) ان العدل الذي لا يستطيع المرء عليه في الآية القرآنية : « ولن تستطيعوا ان تعدلوا ... » يراد به العدل القلبي من حب ، وبغض ، وشوق .. وهذه كلها تكون في خلجات النفس وخبايا القلب ، وهي تتربع في داخل الانسان ولا ضابط لردعها أو ردها ، ولا قدرة للسيطرة عليها ،

---

٩٦٨ النساء : ١٢٩

٩٦٩ النساء : ٣٠

٩٧٠ الاسلام وتعدد الزوجات ، ابراهيم النعمة ، ص ٢٠ – ٢١

والله سبحانه وتعالي قد تجاوز عنها ما لم يعمل بها المرء ، أو يتكم بها ..
وقد وردت أدلة كثيرة تؤيد ما ذكرته من القرآن والسنة والقواعد الأصولية في الفقه :

أ - قال تعالي « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .. »[٩٧١] .

ب - كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المثل الكامل في تطبيق أحكام الله ، وفي اقامة العدل في كل شيء ، في القول والفعل ، فكان يقسم بين زوجاته بالسوية ، ويعدل في القسمة .. وكان يقول : (اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)[٩٧٢] . والذي لا يملكه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو خارج عن القدرة البشرية وهو الحب القلبي والميل النفسي في الداخل .

ج - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به ، إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلم به)[٩٧٣] .

د - والقاعدة الأصولية تقول انه : ‹ لا تكليف إلا بمقدور ›[٩٧٤] ، والميل القلبي ليس بمقدور .

هـ - والقاعدة الأصولية تقول أيضا : ‹ الحرج مرفوع ›[٩٧٥] ، والله سبحانه وتعالى يقول : (وما جعل عليكم في الدين من حرج) .

وبقى سبب مهم آخر يدحض جميع آراء المغرضين ، أصحاب الحجج الواهية ، وهو ان كثيرا من الصحابة الكرام الذين تنوروا بنور الاسلام ، وطهرت نفوسهم بصحبة سيد الآنام ، قد عددوا الزوجات وهم الجيل الفريد ، فلم ينكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - على أحد منهم على ذلك التعداد ، وكذلك عدد من التابعين وتابع التابعين الي يومنا هذا سلك هذا السبيل فلم ينكر العلماء والصلحاء ذلك عليهم .

٣ - الغيـــــــرة :

---

٩٧١ البقرة : ٢٨٦

٩٧٢ سنن ابي داود ، ج ٢ ص ٢٤٢ رقم ٢١٣٤ ، كتاب النكاح .
اخرجه الترمذي ، في كتاب النكاح ، ج ٣ ص ٤٤٦ ، رقم ١١٤٠

٩٧٣ رواه البخاري ، ج ٥ ص ٢٠٢٠ رقم ٤٩٦٨ ، كتاب الطلاق .

٩٧٤ الوجيز في اصول الفقه ، عبدالكريم زيدان ، ص ٢١

٩٧٥ المصدر السابق ، ص ١٤٣

ويحتج المغرضون من منع التعدد بحجة ان التعدد يولد العداوة بسبب الغيرة بين النساء .. والعداوة داء فتاك في المجتمعات ، ومفرق وممزق ، للعوائل .

فهذا صحيح لو كانت الغيرة خاصة في تعدد الزوجات ، وهذه الإثارة تحصل في ذلك ، لكان لصاحب القول ، حجة لها قيمتها ، ولها اعتبارها .

« اما التبغض الذي يحصل من جراء تعدد الزوجات بينهن وبين أولادهن فمنشؤه غيرة طبيعية لا يمكن سلامة النفوس منها ، ولم يمنع من التعدد لما في تعددهن من خير يربو على شر هذه الغيرة »[٩٧٦] .

فدل ذلك على ان مقاصد التعدد في نظر الشرع الحكيم تسمو بكثير عما يقع من الكيد والتباغض أثرا لهذه الغيرة الطبيعية .

على أن هذا التباغض الذي يقع بين الزوجات ، يرى مثله كثيرا بين الزوجة وأحمائها ، لا بل بين الزوجة وصديقاتها ، وجيرانها ، ومعارفها ، وتكاد تكون الغيرة شاملة بين النساء بعضهن مع بعض ، الا من عصمهن الله .

ومما يؤيد هذا الكلام على ان الغيرة تكاد تكون بين جميع النساء من ضرائر وغيرهن من النساء ، من حديث السيدة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عندما خرجت لقضاء حاجتها وأم مسطح بنت زهم ، واطرت في حديثها مسطح ، فردتها السيدة عائشة ، فأخبرت أم مسطح السيدة عائشة بالذي كان من قول أهل الإفك « قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم (والله لقد كان ... ، ورجعت ، فو الله ما زلت أبكي حتى ظننت ان البكاء سيصدع[٩٧٧] كبدي . وقلت لأمي : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لي من ذلك شيئا ؟ قالت : أي بنية خفضي[٩٧٨] عليك الشأن ، فو الله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها ، لها ضر إلا أكثرن وكثر الناس عليها »[٩٧٩] .

فمن حديث ام عائشة - رضي الله عنهما - يتبين ان الغيرة عامة بين الضرائر وغير الضرائر ، وتكون في الضرائر أشد .

وإذا ألقينا على الموضوع نظرة عميقة وشاملة لداد الغيرة ، نجد ان خطر الغيرة بين النساء من غير الزوجات ، هو أشد خطرا ، من الغيرة بين الزوجات لرجل واحد ، وذلك لأسباب منها :

---

٩٧٦ ماذا عن المرأة ، د . نور الدين عتر ، ص ١٨١

٩٧٧ سيصدع : سيشق « هامش خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر ، للشيخ العساف ، ص ٢٤٠

٩٧٨ خفضي : هوني عليك « هامش خلاصة الاثر في سيرة سيد البشر » للشيخ العساف ، ص ٢٤١

٩٧٩ خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر ، الشيخ العساف ، ص ٢٤١

أ - ان الغيرة في الخارج لا حدود لها ولا حصر ، فيبقى علاجها صعبا لسعة الميدان ، فلا يستطيع المرء حصر الداء لأجل العلاج ، فتبقي نار الغيرة متأججة ، وحممها تحرق من يتقرب لإطفاء ذلك السعير[٩٨٠] .

ب - انه لا يملك القرار الحاسم لحساب العلاج والعقاب ، فتبقى أحكامه مشلولة لا أثر لها على ساحة الميدان .

ج - ان الرجل في الخارج لا يستطيع ان يقوم بالدور البناء الايجابي وهي التربية الصحيحة التي تعتبر من أهم الجوانب لعلاج الغيرة .

د - ان الأدواء التي تطرأ على الغيرة في الجو الخارجي مستجدة وكثيرة ، بل كثيرا ما يكون مستترا ، ويدب دبيبا خفيا ، يدع الحليم حيرانا ، وقد يكون تافها ، لا يخطر ببال المربي ان يدرجه في صحيفة المشاكل التي يحاول ان يجد لها الحلول الناجعة ، وهذا هو الخطر الحقيقي الذي تشكو منه الدنيا ، كما يقول المثل : ‹ ومعظم النار من مستصغر الشرر › .

* أما الغيرة بين الزوجات :

أ - فيمكن ان يراقبها الزوج على كثب ، ويضع لها الحلول المجدية .

ب - ان طاعة الزوج واجبة ، ولا يجوز مخالفتها ما لم تكن فيها معصية. وعن عائشة - رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ‹ أي الناس أعظم حقا على المرأة ؟ قال : (زوجها) ، قلت : فأي الناس أعظم حقا على الرجل ؟ قال : (أمه) .

ج - أن الله سبحانه وتعالي جعل بين الزوجين مودة ورحمة .. قال الله تعالى : « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة »[٩٨١] . فهذه المودة والرحمة تمهد لحل المشاكل التي تنجم عن الغيرة ، والزوجات على استعداد لسماع

---

٩٨٠ أعني بالعسير : اي ان الذي يريد الاصلاح قد يلاقي الطعن والتهم لانه لا يستطيع ان يتبين حقائق الامور من الطرفين ، فيتهم بالطعن في عدله ، واتهامه بالميل لأحد الطرفين .

٩٨١ الروم : ٢١

الحلول ، إن أحسن الزوج التصرف ، وعرف أصول التربية الإسلامية ، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قدوة حسنة بين زوجاته

د – ان المشاكل التي تحدث بين الزوجات يمكن حصرها وعلاجها ، وأول العلاج التربية ..

< ولا بد للتربية من القدوة الحسنة ، فإن المباديء وحدها لا تكفي ، مهما سمت حتى تصبح سلوكا في واقع الحياة ، يراه الناس ويتعاملون معه ، ويتأثرون به .. لأن الكلمة لا تستمد قوتها وتأثيرها من حلاوتها وجمالها ، وانما تستمد قوتها من واقعها ومن رصيدها العملي في سلوك صاحبها وايمانه بها .. فإذا خالف بين قوله وعمله .. أصيبت النفوس بالشك فيه وفي دعوته .. وفقت كلماته قوتها وتأثيدها ، واصبحت وعظا لا صلة له بالقلوب ، وحرفة تؤدى لا أثر لها في اصلاح أو تربية >[٩٨٢] .

وكان سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – المثل الكامل والقدوة الحسنة ، ولذلك نجد ان علاجه لنسائه قد أجدى وغير حياتهن ، فصرن عابدات صالحات ، تركن الدنيا ، واتجهن الى الله بقلوب مخلصة .

قالت عائشة – رضي الله عنه – : < كان رسول الله اذا ذكر خديجة ، أثنى واحسن الثناء عليها ، فغرت يوما ، وقلت : ما أكثر ما تذكرها ، حمراء الشدقين ، قد أبدلك الله خيرا منها > فقال : (ما أبدلني الله خيرا منها ، قد أمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني أولادها ، إذ حرمني أولاد النساء)[٩٨٣] .
فأمسكت < عائشة > وهي تقول في نفسها : < والله لا أذكرها بعدها أبدا >[٩٨٤] .

وهكذا نجد الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالجد والحزم والصراحة يعالج المشاكل ، ولا يجامل احداهن ، وانما يدافع عن الجميع ويذكر فضل كل واحدة منهن ، ولا يسمح بالعداء ، ومع انه يرد عائشة ليبصرها لمعرفة حقوق الآخريات ، نجده – عليه الصلاة والسلام – يدافع

---

٩٨٢ الجهاد في الاسلام ، محمد شديد ، ص ٦٥

٩٨٣ السمط الثمين ، ٢٥ ، عن البخاري ومسلم ، انظر مسند احمد ٦:١٥٠

٩٨٤ نساء النبي ، د . بنت الشاطيء ، ص ٥٢

عنها - أي السيدة عائشة .

وعن عروة بن الزبير - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - انه قال : (يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة ، فانه والله ما نزل على الوحي وانا في لحاف امرأة منكن غيرها) .

وبلغ ‹ صفية › - رضي الله عنها - كلام عن حفصة وعائشة ، فلما حدثت به وهي تبكي ، قال - صلى الله عليه وسلم - : (ألا قلت ، وكيف تكونان خيرا مني ، وزوجي محمد ، وأبي هارون ، وعمي موسى)[٩٨٥] .

ونزل كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - بردا وسلاما ، وطيب خاطرها ، وأزال حزنها وهمها ..

وبقى الرسول - صلى الله عليه وسلم - يزيل العقبات ، ويغرس المودة في نفوس أزواجه ، ويوقف المتعديه عند حدها ، ولا تأخذه في الله لومة لائم .

---

٩٨٥ الاصابة ١٢٧/٨ والنقل منها . الاستيعاب ، ١٨٧٢/٤ . السمط ١٢١

المبحث الثاني

الطعن برواة الأحاديث والكيد لهم :

أراد أعداء الاسلام ان يحجبوا السنة عن المجتمع ، بوضع الحواجز ، والشكوك الواهية بين مصدر السنة ، صاحب الرسالة ، محمد – صلى الله عليه وسلم – وبين المجتمع الاسلامي ، فيمنعوا نور السنة من أن يصل الى البصائر ، فيختصروا الطريق ، ويحققوا مآربهم ، ولكن فعلهم هذا اشبه بمن يريد ان يحول بين الشمس والارض بتغميض عينيه أو تغطية وجهه ، فآل كل ذلك كشف عظمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – والإتجاه الى معرفة تلك الشخصية من قبل كثير ممن لم يكونوا على دين الاسلام .

فما كان الاعداء الا ان ينسحبوا الى الخط الثاني ‹ ليلغموا › الطريق على المثقفين ‹ بمتفجرات › الشك والطعن بتلاميذ محمد – صلى الله عليه وسلم – حتى يحولوا بين المجتمع الاسلامي وهؤلاء التلاميذ الأخيار ، ولكن الله رد كيدهم في نحورهم ، وخيب ظنهم ، فهيأ الله رجالا مؤمنين مخلصين ، يدافعون عن تلاميذ محمد – صلى الله عليه وسلم – وحملة سنته .

ونذكر على سبيل المثال عملاقا عظيما من تلاميذ محمد – صلى الله عليه وسلم – ممن وجهت اليه سهام الكذابين والمنافقين ، والحمقى والمغفلين ، ممن باعوا ضمائرهم رخيصة ، للكيد بالاسلام عن طريق تشكيك حجية السنة المطهرة .

ذلك العملاق العظيم ، والعالم المتبحر بالسنة ، أمير الصحابة في السنة النبوية هو : أبو هريرة[٩٨٦] – رضي الله عنه – .

ومن السهام التي وجهت عليه هي :

---

٩٨٦ لقد مرت ترجمة حياة الامام أبي هريرة – رضي الله عنه – .

أ - فيما يتعلق بشخصيته :

١) الاختلاف في اسمه : يقول أبو رية : < لم يختلف الناس في اسم أحد - في الجاهلية والاسلام - كما اختلفو في اسم أبي هريرة ، فلا يعرف أحد على التحقيق الاسم الذي سماه به أهله ، ليدعى بين الناس >[٩٨٧] .

٢) نشأته وأصله : ويقول أبو رية : < واذا كانوا قد اختلفوا في اسم أبو هريرة ، فانهم كذلك لم يعرفوا شيئا عن نشأته ولا عن تاريخه قبل اسلامه ، غير ما ذكره هو عن نفسه من انه كان يلعب بهرة صغيرة ، وكل ما يعرف عن أصله انه من عشيرة سليم بن جهم من قبيلة أزد ثم من دوس >[٩٨٨]

٣) فقره وحاجته : ويقول أبو رية : < وانه - أي أبو هريرة - كان فقيرا معدما يخدم الناس بطعام بطنه >[٩٨٩] .

٤) أميته : ويقول أبو رية عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : < لقد كان أميا لا يقرأ ولا يكتب >[٩٩٠] .

أما هذه السهام التي وجهها أبو رية الى الصحابي الجليل أمير الصحابة في الحديث على شخصية أبي هريرة ، لم يكن يدل الا على خبثه ، وحقده على السنة النبوية ، ولا أجد عزاء ، يشفي الغليل ، وينفس الكربة ، كقول المرحوم السباعي في << أبو رية >> ، حيث يقول :

< واشهد ان << أبا رية >> كان أفحش وأسوأ أدبا من كل من تكلم في حق أبي هريرة من المعتزلة والرافضة والمستشرقين قديما وحديثا ، مما يدل على سوء عقيدة ، وخبث طوية ، وسيجزيه الله بما افترى وازدرى ، وحرف وشوه من الحقائق ، وسيلقى ذلك - في صحيفته - يوم يرد الى الله >[٩٩١] .

١) اما عن الاختلاف في الاسم ، فلا يعتبر طعن على الرجال ، من وجوه :

أ - ان الاختلاف في الاسم لا يدخل في ميزان الاعمال ، ولا يحط من قدر الرجال .

---

٩٨٧ أضواء على السنة المحمدية ، لأبي رية ، ص ١٥٢

٩٨٨ المصدر السابق ، ص ١٥٣

٩٨٩ المصدر السابق .

٩٩٠ المصدر السابق .

٩٩١ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، السباعي ، ص ٣٢٠

ب - لم يكن ‹ أبو رية › أمينا في نقله للحقائق العلمية ، وذلك بقوله عن أبي هريرة على انه يقول : ‹ فلا يعرف أحد على التحقيق الاسم الذي سماه به أهله ليدعى بين الناس › .

وان الراجح عند العلماء ان اسمه في الجاهلية : عبد شمس ، وقد ترجم له البخاري بهذا الاسم[٩٩٢] ، وهو الأصح عن الحاكم[٩٩٣] ، والترمذي[٩٩٤] ، وبهذا الاسم يسميه تلميذه أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف[٩٩٥] .

ونقل البخاري في الأدب المفرد عن موسى بن يعقوب الزمعي الذي لقي بعض أصحاب أبي هريرة ، أن أبا هريرة كان اسمه عبدالله[٩٩٦] .

وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة : ان بعض اسمائه أصابها تصحيف أو تحريف .. ثم قال : ‹ فعند التأمل لا تبلغ الأقوال عشرة خالصة ، ومرجعها من جهة صحة النقل الى ثلاثة : عمير ، وعبد الله[٩٩٧] ، وعبدالرحمن ›[٩٩٨] .

‹ فالخلاف الحقيقي هو في ثلاثة أقوال ، ونحن نجد في عشرات الصحابة من اختلف في أسمائهم الى أربعة أقوال أو خمسة أو ستة ، فلماذا التشويش في هذا الشأن ، إلا ان تكون النية خبيثة ، والقصد التشنيع والتشويش ›[٩٩٩] .

٢) أما ما قاله عن أصله ونشأته : فإنه ما ادعاه أبو رية ، بأنه لم يعرف عن تاريخه ، قبل اسلامه ، غير ما ذكره هو عن نفسه ... وكل ما يعرف عن أصله انه من عشيرة سليم بن جهم من قبيلة ازد ، ثم من دوس .

إن كلام المؤلف فيه زيف وخبث ونكران للحقائق يكشفه ، أصحاب السير ، وهو - رضي الله عنه - دوسي ، بفتح الدال وسكون الواو ، من بني دوس بن عدنان ، وهم من بطون الأزد ، والأزد قبيلة يمانية قحطانية مشهورة ، ونسبه معروف محفوظ الى الجد الأعلى لهذه القبيلة : الأزد بن

---

٩٩٢ التاريخ الكبير للبخاري ، ج ٣ ص ١٣٢

٩٩٣ المستدرك ، ٥٠٧/٣

٩٩٤ صحيح الترمذي ، ١٣/١

٩٩٥ الكنى والأسماء ، للدولاني ، ١٩٢/١

٩٩٦ فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد ٦٧/١

٩٩٧ ويجعل ابن حجر احتمال الصحة للإسمين ‹ عبدالله ، عبد شمس › الاصابة ٢٠٢/٤

٩٩٨ الاصابة في تمييز الصحابة ، ٢٠٤/٤

٩٩٩ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، السباعي ، ص ٣٢١

الغوث ، ذكره المؤرخ الثقة خليفة بن خياط[١٠٠٠] .

فعمه سعد بن أبي ذباب ، عينه الرسول - صلى الله عليه وسلم - أميرا على دوس ، واقره أبو بكر ثم عمر - رضي الله عنهما - على تلك الامارة[١٠٠١].

قال الامام ابو عبيد القاسم بن سلام : < حدثنا صفوان بن عيسى عن الحارث بن عبدالرحمن بن أبي ذباب عن منير بن عبد الله عن أبيه عن سعد بن أبي ذباب قال : قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت ، وقلت : يا رسول الله ، اجعل لقومي ما اسلموا عليه من أموالهم ، قال : ففعل ، واستعملني عليهم ، ثم استعملني ابوبكر بعده ، ثم استعملني عمر من بعده - رضي الله عنهما >[١٠٠٢] .

في هذه القصة لم تكن أي اشارة توحي انه عم أبي هريرة من قريب أو بعيد ، وانما يعرف ذلك من ترجمة ابنه - ابن ابن سعد - الحارث بن سعد ابن ابي ذباب - اذ صرح ابو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف انه ابن عم ابي هريرة ، ومم أورد ذلك الخبر بسند صحيح كل من البخاري ومسلم[١٠٠٣] .

أما نسبه من جهة أمه : فإن أمه < أميمة بنت صفيح بن الحارث ، من دوس .. وخاله : سعد بن صفيح >[١٠٠٤] . وكان < من أشداء بني دوس >[١٠٠٥] . بل < من أشد أهل زمانه >[١٠٠٦] .

ولقد نال أبو هريرة من جهة أخواله الشرف الرفيع والشجاعة والشدة ، وهي صفات تبوىء أبا هريرة ان يكون وسطا بين قومه .

فهذا هو أبو هريرة الشامخ النسب من جهة أعمامه وأخواله ، وليمت في غيظه كل أفاك أثيم .

٣) وأما عيب أبي هريرة من جهة فقره :

أ- لم يكن في موازين البشرية المتبصرة على مر التاريخ أن الغنى دليل العظمة ، ولا الفقر دليل الضعة والاحتقار .

ب - وان الاسلام قد هدم الطبقية ووضع بمكانها التفاضل بالايمان ، قال

١٠٠٠ الطبقات ، ص ١١٤ نقلا عن كتاب دفاع عن ابي هريرة للأستاذ عبدالمنعم ، ص ١٨

١٠٠١ دفاع عن أبي هريرة ، للاستاذ عبدالمنعم ، ص ١٩

١٠٠٢ الاحوال < لأبي عبيد القاسم بن سلام > ص ٦٦٧ . وانظر : تعجيل المنفعة لابن حجر ص ١٤٧

١٠٠٣ صحيح مسلم ٣١/٧ . التأريخ الكبير للبخاري ، ج ١ ص ٢٦٩

١٠٠٤ المعارف ، لابي قتيبة ، ص ٢٧٧

١٠٠٥ الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٣٢٥/٤

١٠٠٦ المعارف ، ص ٢٧٧

تعالى : « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم »[١٠٠٧] . ، وقال تعالى : « إن أكرمكم عند الله اتقاكم »[١٠٠٨] .

ج - كثير من العظماء والمصلحين عاشوا فقراء ، وماتوا فقراء ، وخاصة الرسل ، وعلى رأسهم سيد البشرية محمد - صلى الله عليه وسلم - وانه انتقل الى الرفيق الأعلى ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير[١٠٠٩] .

وكذلك عاش كثير من الصحابة الكرام فقراء وجميعهم عظماء ، رغم أنف ‹ أبي رية › .

د - لقد سلك ‹ أبو رية › مسلك الكفار أعداء الانبياء والرسل ورجال الاصلاح .. ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى حجج المكابرين والمعاندين ، اعداء الانبياء بعدم ايمانهم بهم بحجيتهم بأن الفقراء اتبعوهم ، وهم أقل الناس شأنا ، لا بل هم أعينهم أراذل الناس ، وكان قولهم دائما ان يقولوا ، ما قال قوم نوح لنوح - عليه السلام - : « وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي »[١٠١٠] .

هـ - الاستعلاء على الفقراء وازدرائهم ، هو دليل الجهل وخفة العقل وضيق الأفق ، مما يجعله كالاعمى الذي يحمل مصباحا ، وما أشبه اليوم بالأمس البعيد ، قول نوح - عليه السلام - انه قال للذين احتقروا الفقراء المؤمنين من اتباعه ، قال الله تعالى : « وما أنا بطارد الذين آمنوا ، إنهم ملاقوا ربهم ، ولكني أراكم قوما تجهلون »[١٠١١] .

و - ان احتقار ‹ رية › لفقر أبي هريرة هو طعن في صميم الاسلام عن طريق عظيم من رجالات الاسلام ، وعمله هذا هو سلم خبيث يتسلق به للوصول الى الطعن في كثير من الصحابة الأجلاء الذين لا يرتقى ‹ أبو رية › وأمثاله من الأقزام ، الى مقام أولئك الأفذاذ ، كأمثال : بلال مؤذن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وصهيب الرومي بعد ان ترك ثروته لله تعالي ، لا بل ان الذين آمنوا بدعوته ، في أول الأمر ، كان أكثرهم من الضعفاء والفقراء والأرقاء .

١٠٠٧ الشعراء : ٨٨

١٠٠٨ الحجرات : ١٣

١٠٠٩ رواه البخاري في الجهاد ، ج ٣ ص ١٠٦٨ ، رقم ٢٧٥٩

١٠١٠ هود : ٢٧

١٠١١ هود : ٢٩

٤) اما من ناحية الطعن في أميته : فهو طعن ينم عن خبث عميق ، عروقه بعيدة الغور ، تهدف الى اجتثاث الاسلام من أصوله ، لان هذه الامة من الجيل الأول ، وهو الجيل الفريد ، وهم قدوتنا ، هي أمة ، أمية ، والرسول الكريم - سيد البشرية والمثل الكامل - أمي ، ويقول المرحوم السباعي :

‹ انه لم يكن في مكة - حين بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من يعرف القراءة والكتابة ، الا نفرا يعدون بالأصابع ، وبذلك يكون جمهور الصحابة الذين بلغوا مائة وأربعة عشر ألفا أميين لا يقرؤن ولا يكتبون .. ›[١٠١٢] .

ويقول صاحب كتاب الحديث والمحدثون :

‹ لم تكن الكتابة منتشرة بين العرب ، بل كانت منحصرة في أفراد قليلين ، مما يجعل الحكم على الأمة العربية أمة أمية ، لا تقرأ ولا تكتب من السهولة بمكان ، حتى لقد سماها القرآن عند مجيء الاسلام بذلك ›[١٠١٣] .

فقال سبحانه وتعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم »[١٠١٤] .

وقد كان عدم انتشار الكتابة بين العرب من أهم العوامل في تنمية ملكة الحفظ ، ان الكلام الذي وجهه ‹ أبو رية › يشمل طعن أكثر الصحابة ، وقد يوصل بصاحبه الى الحكم عليه بالزندقة ، وخاصة اذا كان مقصده بالطعن ، وهو كره الاسلام ، وأقل ما يقال فيه : ان كان لغير هذا بالحكم بفسقه .

وذكر ابو زرعة الرازي حيث يقول :

‹ إذا رأيت الرجل ينقص احدا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاعلم انه زنديق ، وذلك ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندنا حق ، والقرآن حق ، وانما أدى الينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وانما يريدون ان يدحضوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة ›[١٠١٥] .

١٠١٢ يقول صاحب كتاب فقه السيرة : ‹ وتحدثنا السيرة ان الذين دخلوا في الاسلام ، في هذه المرحلة - أي الفترة الأولى - كان معظمهم خليطا من الفقراء والضعفاء والارقاء .. › فقه السير؛ ، د. البوطي ، ص ٩٥

السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، للسباعي ، ص ٣٢٣

١٠١٣ الحديث والمحدثون ، محمد محمد ابو زهو ، ص ١١٩ - ١٢٠

١٠١٤ الجمعة : ٢

١٠١٥ الكفاية في علم الرواية ، للبغدادي ، ص ٤٩

ولقد جعل الامام الطحاوي ، ان حب الصحابة علامة الايمان ، وان بغضهم دليل الكفر ، فجعل ذلك من أصول الدين ، ومن أسس الشريعة ، حيث قال :

‹ ونحب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم . ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم الا بخير . وحبهم دين وايمان واحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان ›[١٠١٦] .

ولم يكتفي الامام ابن تيمية بأن يذكر الوعيد ونوع الانحراف ، بل وضع حسابا لهؤلاء المرضى من العمليات الجراحية لأجل شفائهم ، وتأديبهم ، ولتعتبر النفوس الخبيثة ، وترتدع ، فيقول الامام :

‹ من لعن أحدا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كمعاوية ابن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، ونحوهما ، أو من هو أفضل من هؤلاء ، كأبي موس الأشعري ، وأبي هريرة ونحوهما ، أو من هو أفضل من هؤلاء كطلحة والزبير ، أو عثمان وعلي ابن أبي طالب ، أو أبو بكر الصديق وعمر ، أو عائشة أم المؤمنين ، أو غير هؤلاء من اصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فانه مستحق للعقوبة البليغة ، باتفاق أئمة الدين ›[١٠١٧] .

ولقد صرح الامام السرخسي ببيان تلك العقوبة ، وتحديدها بكل جلاء ووضوح ، بأن عقوبة هؤلاء ضربة بالسيف ، فيقول الامام :

‹ ... والشريعة بلغتنا بنقلهم ، فمن طعن فيهم فهو ملحد منابذ للاسلام ، دواؤه السيف ان لم يتب ›[١٠١٨] .

لقد قام الصحابي الجليل واخوانه بخدمة الاسلام ، وايصال تعاليمه الينا ، ولقد قدموا حياتهم كلها لاجل هذه الشريعة الغراء ، فقد تركوا لذائذ الدنيا ، ونعيمها ، يرجون ثواب الله تعالي ، وما يلحقهم من ترحم الاجيال والدعاء لهم ، جزاء إحسانهم ، وهو أقل ما يكون من رد الجميل اليهم : « وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان »[١٠١٩] .

١٠١٦ شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٣٩٦

١٠١٧ فتاوى ابن تيمية ، ٢١٦/٤

١٠١٨ اصول السرخسي : ١٣٤/٢

١٠١٩ الرحمن : ٦٠

ب ـ الطعن فيما يتعلق بعلمه وعدله وإسلامه ـ

الامم والشعوب تمجد عظمائها ، وتشيد بمآثرهم ، وتقتفي آثارهم ، وترفع صرح بنائهم ، بينما نجد ومن المؤسف بعض الأفراد الذين ينتمون الى هذه الأمة بأسمائهم ، قد قلبوا ظهر « المحن » على هذه الامة ، وتنكروا لها ، وأخذوا يطعنون بصالحيها وعلمائها ، بمكائد يستعيذ منها الشيطان .
ومن تلك المكائد التي دبرها أصحاب القلوب الغلف .. وهي :

١) الطعن بقلة علمه وسطحيته : وزعموا أن أبا هريرة - رضي الله عنه - كان خفيف الوزن في العلم والفقه [١٠٢٠] .
كان ظاهر البطلان ، وكذب مكشوب ومفضوح من وجوه :
أ - « صحب ابو هريرة ، رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربع سنوات [١٠٢١] ، وسمع منه كثيرا ، وشاهد دقائق السنة ، ووعى تطبيق الشريعة ، وعرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منزلته ، فأرسله مع العلاء الحضرمي الي البحرين ، فكان مؤذنا واماما ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يتأخر في اجابته عما يسأل لما عرف من حرصه على طلب العلم » [١٠٢٢] .

قال أبو هريرة ذات يوم : « يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك

١٠٢٠ الحديث والمحدثون ، ابو زهو ، ص ١٦٧

١٠٢١ فتح الباري ، ٤٢١/٧ ، سير اعلام النبلاء ، ٤٢٦/٢ .

وقد صرح بهذه المدة عبدالرحمن الحميدي ، بقوله : « لقيت مع صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - كما صحبه ابو هريرة اربع سنين » ابو داود ١٩/١ ، النسائي ١٣٠/١ ، ابن سعد ٣٢٧/٤ ، معاني الآثار ١٤/١ بأسانيد صحيحة .

وذكر ابو هريرة بانه صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاث سنين « معاني الآثار ٢٦٠/١ »

ولعلى ذكر ثلاث سنين هي الملازمة الشديدة ، أو الصحبة التي يتفرق عنه بغزو او تبليغ دعوة والله اعلم .

١٠٢٢ السنة قبل التدوين ، د . عجاج ، ص ٤٢٠

على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله من قلبه أو نفسه)[١٠٢٣] .

ب - مركز أبو هريرة عند عائشة - رضي الله عنهما - : فقد كان لأبي هريرة تقدير مما يدل على ذلك ..انه استفتى أحد التابعين عبدالله بن الزبير ، فقال له : (اذهب الى عائشة ، فاني تركت عندها أبا هريرة وابن عباس)[١٠٢٤] .

مما يدل علي مركزه من السيدة عائشة ، ومن مستواه الفقهي في الفتوى .

ج - تصدره الفتوى : كان (ابو هريرة) من رؤوس العلم في زمانه ، في القرآن والسنة والاجتهاد ، فان صحبته وملازمته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتاحت له ان يتفقه في الدين ، ويشاهد السنة العملية ، عضيمها ودقيقها ، فتكونت عنده حصيلة كثيرة من الحديث الشريف ، كما اطلع على حلول أكثر المسائل الشرعية ، التي كانت تعرض للمسلمين في عهد الرسول - عليه الصلاة والسلام - ، كل ذلك هيأ أبا هريرة ، لأن يفتي المسلمين في دينهم نيفا وعشرين سنة ؛ والصحابة كثيرون آنذاك[١٠٢٥] .

يقول زياد بن مينا : (كان ابن عباس ، وابن عمر ، وابو سعيد ، وابو هريرة ، جابر مع أشباه لهم ، يفتون بالمدينة ، ويحدثون عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من لدن توفى عثمان الي أن توفوا .. قال : هؤلاء الخمسة إليهم صارت الفتوى)[١٠٢٦] .

(وولى البحرين لعمر - رضي الله عنه - ، وأفتى الناس فيها ، وكانت فتاواه تتلاقى وفتاوى عمر بن الخطاب[١٠٢٧] .. وكان يفتي بحضور ابن عباس)[١٠٢٨] .

(وذكر ابن حزم ثلاثين صحابيا من التوسطين ، فيما روى عنهم في الفتيا ، فكان أبو هريرة رابعهم في الترتيب ..)[١٠٢٩] .

د - صلاته على جنازة عائشة - رضي الله عنها - : فقد ورد عن نافع ،

١٠٢٣ فتح الباري ، ج ١ ص ٢٠٣

١٠٢٤ التاريخ الكبير ، للبخاري ، ج ١ ص ٢١

١٠٢٥ السنة قبل التدوين ، د . عجاج ، ص ٤٢٨

١٠٢٦ تاريخ الاسلام ، ج٢ ص ٣٣٧ ، وسير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٤٣٧

١٠٢٧ فقد خرج البخاري عنه انه حين سأله أهل البحرين عن اكل السمك الميت الذي يطفو في البحرأجاب لا بأس

١٠٢٨ سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٣٧ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦

١٠٢٩ الاحكام في اصول الاحكام ، لابن حزم ، ٩٢/٥

الامام الثقة مولى ابن عمر ، انه : < صلى مع أبي هريرة على عائشة >[١٠٣٠] .. وقال : < صلينا على عائشة وأم سلمة ، والامام أبو هريرة يوم صلينا على عائشة ، وحضر ذلك عبدالله بن عمر >[١٠٣١] .

فهذه الرواية تدل على علمه ، وفقهه ، وفضله ، وشرفه[١٠٣٢] .

٢) عدم اخلاصه : وزعموا انه - رضي الله عنه - كان في الفتنة ، يصلي خلف علي ، ويأكل مع معاوية ..

نقل أبو رية عن الثعالبي وبديع الزمان الهمذاني ما قيل في طعام يقال له : < المضيرة >[١٠٣٣] وأن أبا هريرة كان يحبها حتى كان يسمىٰ < شيخ المضيرة > واستشهد بعد ذلك بكلام لعبد الحسين شرف الدين في أبو هريرة من أنه قال : < علي أغنم ، ومعاوية أدسم ، والجبل أسلم >[١٠٣٤] .

أما انه كان يأكل المضيرة عند معاوية ، ويصلي وراء على ويقول ما

١٠٣٠ التاريخ الصغير للبخاري ، ص ٥٢

١٠٣١ المصدر السابق .

١٠٣٢ في باب من الأحق بالصلاة على الميت ، اختلاف في المذاهب .. منها :

أ - الحنفية قالوا : يقدم في الصلاة عليه السلطان وان حضر ثم نائبه وهو أميرا لمصر ، ثم القاضي ، ثم الشرطة ، ثم امامة الحي ، اذا كان أفضل من ولي الميت ، ثم ولي الميت .

ب - الحنابلة قالوا : الأولى بالصلاة عليه اماما : الوصي العدل ، فاذا أوصى بان يصلي عليه شخص عدل قدم على غيره ، ثم السلطان ، ثم نائبه ، ثم أب الميت .

ج - الشافعية قالوا : الإولى بامامتها أب الميت ، وان علا ، ثم ابنه وان سفل .. واذا أوصى بالصلاة عليه لغير من يستحق التقدم ممن ذكر فال تنفذ وصيته .

د - المالكية قالوا: الاحق بالصلاة على الميت من أوصى الميت بان يصلي عليه ، اذا كان الايصاء كرجاء بركة الموصي له ، والا فلا ، ثم الخليفة ، وهو الامام الاعظم ، واما نائبه فلا حق له في التقدم الا اذا كان نائبا عنه في الحكم والخطبة ، ثم اقرب العصبة ..

** < الفقه على المذاهب الأربعة - عبدالرحمن الجزيري - كتاب الصلاة ، ج ١ ، ص ٥٢٥ >

من هذه الخصائص التي ذكرها أصحاب المذاهب الأربعة ان الامام له صفات : الشفقة والرحمة ، كما ذكر الأب والابن وكذلك يتمثل فيه العدل بصريح العبارة ، وكذلك يتميز بغزارة علمه وسعه أفقه ، كما ذكر يصلي عليه القاضي وكذلك يتميز بعلومنزلته وخطر مسئوليته كما ذكر السلطان .

١٠٣٣ المضيرة عند العرب : ان يطبخ اللحم باللبن الحامض ، حتي ينضج اللحم ، وتخثر المضيرة < عن كتاب : المعجم الوجيز ، ص ٥٨٤ >

١٠٣٤ ابو هريرة ، لعبد الحسين الموسوي ، ص ١٥٦ - ١٥٧

قال ، فذلك مما ترويه كتب الشيعة وكتب الأدب التي لا تعني بصحة الأخبار كالثعالبي والهمذاني"[١٠٣٥] .

‹ واعتزل أبو هريرة - رضي الله عنه - الفتن التي قامت بعد استشهاد عثمان - رضي الله عنه - ولم يثبت انه اشترك فيها ، وربما كان يحث الناس على اعتزالها ›[١٠٣٦] .

وقد روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوله : (ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، ومن يشرف لها تستشرفه ، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به)[١٠٣٧] .

لقد عاش أبو هريرة زاهدا بعيدا عن لذائذ الدنيا ، قانعا بالكفاف الذي يسد جوعته ، وكان نعيم الدنيا أحقر من ان يغيره ، أو يبدله ، وقد استمر على هذا الزهد بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم تغيره زينة الدنيا ، ولا جذبته اليها موائدها ، لا بل كان النعيم ، يزهده ويذكره بحياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما كان عليه من الشدة والتقشف ، فيزداد تمنعا عن النعم ، ويذكره نفسه بالأيام التي كان يعيشها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتزداد نفسه اباء ، وما أدل على قولنا من اثبات ذلك من قول تلميذ ابي هريرة ‹ سعيد المقبري › عن شيخه ‹ أبي هريرة › إذ يقول :

‹ إنه مر بقوم بين أيديهم شاه مصلية - أي مشوية - فدعوه ، فأبى ان يأكل . قال : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الدنيا ، ولم يشبع من خبز الشعير ›[١٠٣٨] .

أهكذا يقابل أولئك العظماء بالطعن والكذب ، أهكذا يكون الجزاء والوفاء يا أبا رية ؟ ..

٣) الطعن في إيمانه : ‹ إن أبا هريرة - رضي الله عنه - أسلم حبا في الدنيا لا رغبة في الدين ›[١٠٣٩] .

يقول المرحوم السباعي :

‹ تدور مطاعن ‹ أبي رية › في أبي هريرة - رضي الله عنه - حول

١٠٣٥ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، ص ٣٣٥

١٠٣٦ السنة قبل التدوين ، ص ٤١٧

١٠٣٧ فتح الباري ، ج ٧ ص ٤٢٦ . ومسند الامام احمد ، ج ٢ ص ٤٤١ . البخاري ٤/٢٤١ ، ٩/٦٤

١٠٣٨ البخاري : ٧/٩٧

١٠٣٩ الحديث والمحدثون ، محمد ابو زهو ، ص ١٦٧

احتقاره وازدراء شخصيته ، واتهامه بعدم الاخلاص في اسلامه .. ›[١٠٤٠] .

هذه التهمة من اكبر الافترائات ، ولم يقلها أخبث خلق الله ، وعلى جميع أنواع الملل والنحل ، وتدل كذلك ، على ضحالة علمه ، وضيق أفقه وبلادته ، لأن كلامه ، مردود جملة وتفصيلا ، وهو الذي يناقض قوله بنفسه ، بأن يعيب عليه شدة فقره ، ثم يقول بعد ذلك انه أسلم حبا في الدنيا ، وهل الدنيا هي الفقر والمجاعة والحاجة والكفاف ..

ويحدثنا أبو هريرة عن نفسه انه : ‹ كان امرءاً من مساكين الصُفّة ›[١٠٤١]

كان أهل الصفة هم فقراء المسلمين ، لا أهل ولا مال ، وكانوا مع ذلك يوطنون أنفسهم لكل خير ، فهم أشبه بجنود في الثكنة ينتظرون الأوامر من قائدهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

‹ وكان أهل الصفة يقومون بفروض عظيمة ، منها تلقي القرآن والسنن ، فكانت الصفة مدرسة الاسلام ، ومنها حراسة النبي – صلى الله عليه وسلم – ، ومنها الاستعداد لتنفيذ أوامره وحاجاته في طلب من يريد من المسلمين وغير ذلك ، وكانوا قائمين بهذه الفروض عن المسلمين ، فكانت نفقتهم على سائر المسلمين ، وان سميت صدقة ›[١٠٤٢] .

لقد كان ‹ أبو رية › فاقد الاحساس والبصيرة ، بأنه يوجه العيب والنقص على أبي هريرة من شدة فقره ، ثم يتحول الى فلسفة الهذيان ، وينفلت من زمام السيطرة على عقله ، ويعلل ان سبب اسلامه حبه في الدنيا لا رغبة في الدين .. وان الدنيا التي نالها بعد اسلامه ، شدة الفقر ، والجوع ، وهل يطمع فيها أحد للدخول في الاسلام .

٤) الكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : لقد أراد أعداء الاسلام ان يضعوا حواجز التشكيك بين المسلمين وعظمائهم ، وخاصة الجيل الفريد ، تلاميذ محمد – صلى الله عليه وسلم ، وفي مقدمتهم في علم الحديث التلميذ المخلص أبو هريرة ، وكانت تلك الأسلحة يوجهها المستشرقون ، فلوثت سمومها عقول كثير من المثقفين ، ممن ينتمون الي الاسلام ، فكانت سهامهم مؤلمة ..

١٠٤٠ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، السباعي ، ص ٣٢٠

١٠٤١ البخاري ، ٣/٦٥

١٠٤٢ من كلام عبدالرحمن المعلمي ، في الأنوار الكاشفة ، ص ١٤٥

وظلم ذوي القربى أشد مضاضــــة

على النفس من وقع الحسام المهندِ

لقد نقل احمد أمين أن الصحابي أبا هريرة كان يحدث عن النبي – صلى الله عليه وسلم –بغير ما سمعه ، واستدل على ذلك بأنه روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – : ‹ ومن أصبح جنبا فلا صوم له › فلمـــا أنكرت عائشة ذلك ، قال : ‹ انها أعلم مني ، واني لم اسمع من النبي ، بل سمعته من الفضل بن العباس ›[١٠٤٣] .

‹ لقد اتهم عبد الحسين ، وأبو رية أبا هريرة بالكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إرضاء للأمويين ونكاية بالعلويين ›[١٠٤٤] .

من المؤسف ان الكاتب لم يكن أمينا في نقله و وقد شوه أمير الحفاظ بتزوير النقل ، فحول المدح ذما ، والصدق كذبا ، وتقول عليه ما لم يقل ، لا أدري سبب دخوله بهذه الورطة ، هل هي مسايرة للمستشرقين أم عدم دقة علمه ، أم تصوره الفلسفي المبني على الحيال والظنون أورده تلك المهالك ، وان كلامه عند غربلته امام الحقائق العلمية ترده كليلا .. للأسباب التاليـــة :

أ – عدم نكران عائشة – رضي الله عنها :

قال السباعي – رحمه الله – ردا على ذلك ، ان كتب الصحاح لم تذكر عن عائشة – رضي الله عنها أنها انكرت ، بل جاء في هذه الكتب أن أبا هريرة استفتى في صوم من أصبح جنبا ، فأفتى بأنه لا صوم له ، فاستفتيت عائشة وأم سلمة ، فأجابا بصحة الصوم ، وقالتا : كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصبح جنبا ثم يصوم ، فلما قيل ذلك لأبي هريرة ، رجع عن فتواه ، وقال هما أعلم مني"[١٠٤٥] .

ب – لم تكن رواية الناقد التي نسبها الى كتاب ‹ شرح مسلم الثبوت › ثابتة ، لم يقع من السيدة عائشة – رضي الله عنها – الانكار والرد منها على أبي هريرة ، أو ان أبا هريرة نسب الحدث الى النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فإن رواية مسلم فيها أن : ‹ أبا بكر بن عبدالرحمن بن الحارث قال : سمعت أبا هريرة ، يقول : ‹ من ادركه الفجر جنبا ، فلا يصم ›[١٠٤٦] .

١٠٤٣ فجر الاسلام ، احمد امين ، ص ٢٦٩

١٠٤٤ ابو هريرة ، لعبد الحسين ، ص ٣٥

١٠٤٥ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، ص ٣٠٧

١٠٤٦ شرح مسلم الثبوت ، ١٣١/٢ أو ١٧٥/٢

ج - أراد المؤلف ان يحكم الخناق على امام الحفاظ ويحيط حججه بقوة التوكيد ليؤيد قوله ، فجعل دائرة السوء تدور عليه ، ورد كيده في نحره حيث انه نسب الى أبي هريرة انه زاد في روايته الحديث : < من اقتنى كلبا ، إلا كلب صيد أو ماشية أو كلب زرع ، انتقص من أجره كل يـــــوم قيراطان > .. والزيادة هي : < أو كلب زرع >[١٠٤٧] .

وأراد الصاق هذا الافتراء باتباع سبل الشيطان ، فابتعد عن طريق الحق ، وكشف الله حقيقته ، ذكر الكاتب انه قد قيل لابن عمر ان ابا هريرة يزيد في الرواية < أو كلب زرع > فقال : < ان لأبي هريرة زرعا ، ويعلق الناقد على ذلك بقوله : < وهذا نقد من ابن عمر لطيف في الباعث النفسي >[١٠٤٨] .

أي ان ابا هريرة وضع تلك لمصلحتـه ، حيث انه صاحب زرع ، وعند التثبت العلمي تنجلي الحقيقة ، ويتضح ان الرواية التي فيها الزرع رواها مسلم عن ابن عمر بلفظ (من اتخذ كلبا إلا كلب زرع أو غنـــم أو صيد ..)[١٠٤٩] .

وان الحافظ ابن حجر في كتاب < فتح الباري > أوضح ان ابن عمر أكد رواية أبي هريرة ، وان سفيان بن زهير وعبدالله بن معقل قد وافقها على هذه الزيادة[١٠٥٠] .

وقال النووي في شرح مسلم : < قول ابن عمر ان لأبي هريرة زرعا > ليس توهينا لرواية أبي هريرة ، ولا شكا فيها ، بل معناه انه لما كان صاحب زرع وحدث اعتنى بذلك وحفظه واتقنه[١٠٥١] .

فان رواية مسلم عن أبي هريرة (من اتخذ كلبا إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط) .. قال الزهري : فذكر لابن عمر قول أبي هريرة ، فقال : < يرحم الله أبا هريرة ، كان صاحب زرع >[١٠٥٢]
قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:
< قول ابن عـمـر هذا لا يصح عنه ، لأن الزهري لم يدركه ، فهـو منقطع ، وليس على شرط الصحيح >[١٠٥٣] .

١٠٤٧ ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ١٣١

١٠٤٨ المصدر السابق ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

١٠٤٩ مختصر صحيح مسلم ، ج ٢ ص ٩٧

١٠٥٠ فتح الباري ، ج ٥ ص ٦

١٠٥١ المنهاج ، شرح صحيح مسلم ، للنووي ، ج ٦ ص ٥٥٥

١٠٥٢ مختصر صحيح مسلم ، ج ٢ ص ١٩٧ ، الحديث ١٢٤٤

١٠٥٣ المصدر السابق .

د - عدل الصحابة ، وتفاضل درجاتهم : ان الصحابة الكرام كلهم ثقة ، وان مستواهم في العلم والفضل فيه تفاوت ودرجات ، ويسمى هذا الاختلاف في أحاديثهم مختلف الحديث ، وقد يسميه المحدثون : < مشكل الحديث > .

وهذا العلم علم واسع ، ويحتاج طالبه الى دقة وعمق وسعة أفق وقوة ايمان ، يلجأ الى الله فيه كلما تشعبت الطرق ، وقل السالك والدليل ، وكثرت المفاوز المهلة ، ومالها من دون الله كاشفة ، الا بالصلة العميقة بالله تعالى ، وسلاح العلم الشرعي المعمول به باخلاص ، فهو اشد من السير على حد السيف ، ولذلك لا يمهر فيه الا الامام الثاقب النظر .

ومن هذا الباب قد يتهجم طوائف من أهل البدع على السنة وأهل الحديث بسبب زيفهم في فهم الأحاديث على وجهها حتي اتهموا المحدثين بالكذب ، ورواية المتناقض ونسبته الي رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، ثم تبعهم في عصرنا المستشرقون[١٠٥٤] ومقلدوهم ممن اغتر بالمادة واحتجرها على عقله ، وغلف بحواجزها مشاعره[١٠٥٥] ..
فقد قسم علماء الحديث الأحاديث المستشكلة نتيجة البحث الى قسمين :

- القسم الأول : انه يمكن الجمع بين الحديثين المختلفين ، وابداء وجه من التفسير للحديث المستشكل يزيل عنه الاشكال ، وينفي تنافيه مع غيره ، فيتعين المصير الى ذلك التفسير[١٠٥٦] .

- القسم الثاني : في مختلف الحديث ، يتضاد الحديثان ، بحيث لا يمكن الجمع بينهما ، وذلك على ضربين :

١٠٥٤ لزيادة سعة الاطلاع عن المستشرقين انظر في كتاب :

أ - الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم < د . السباعي > .

ب - المستشرقون والاسلام < د . عرفان عبدالحميد > .

ج - المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والاسلامي ، للأستاذ ابراهيم خليل احمد

د - الاسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين < الشيخ ابو الحسن الندوي > .

هـ - انتاج المستشرقين < مالك بن نبي > .

١٠٥٥ منهج النقد في علوم الحديث ، د . نور الدين عتر ، ص ٣٣٨

١٠٥٦ المصدر السابق .

* الضرب الأول : ان يظهر كون أحدهما ناسخا والآخر منسوخا ، فيعمل بالناسخ ويترك المنسوخ[١٠٥٧] .
* الضرب الثاني : ان لا تقوم دلالة على النسخ ، فيفزع حينئذ الي الترجيح ويعمل بالأرجح منها بكثرة عدد رواته ، أو مزيد حفظ ، أو مزيد ملازمة ، راوي أحد الحديثين لشيخه ، في أوجه كثيرة من وجوه الترجيح[١٠٥٨]

وهذا الضرب لا يدخل في الشاذ[١٠٥٩] والمحفوظ[١٠٦٠] ، وان تساويا ولم يمكن الجمع ولا الترجيح حكم بالاضطراب[١٠٦١] عليهما ، وضعفا[١٠٦٢] .

وان الحديث الذي أورده أبو هريرة أو أفتى به ‹ من ادرك الصبح وهو جنب فلا يصم › يكون من نوع (مشكل الحديث) ..
ويمكن الاجابة على ذلك :

- الاحتمال الاول : ان أبا هريرة لم يسمع الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وانما سمعه من الفضل وأسامة - وهما من أهل الصدق والأمانة - ، ولكن لما ترجح لديه حديث عائشة وأم سلمة رجع اليه وترك فتواه اتباعا للحق[١٠٦٣] .

- الاحتمال الثاني : انه كان ‹ الحديث › في مبدأ فرض الصيام حينما كان الأكل والشرب والجماع محرما بعد النوم ، ثم أباح الله ذلك كله الي طلوع الفجر .. فدل على ان حديث عائشة وأم سلمة ناسخ لحديث الفضل وأسامة ، ولم يبلغهما ، ولا أبا هريرة الناسخ ، فاستمر أبوهريرة على الفتيا به . ثم رجع عنه بعد ذلك لما بلغه[١٠٦٤] .

١٠٥٧ المصدر السابق .

١٠٥٨ أورد الحازمي في الاعتبار خمسين وجها : ص ١١ - ٢٧ ، وأوصلها العراقي في نكته الى اكثر من مائة . وقد ضبطها السيوطي بتقسيم جيد جعلها تنقسم الى سبعة أقسام ‹ تدريب الراوي ، ج ٢ ص ١٩٨ - ٢٠٢

١٠٥٩ الشاذ : ما رواه المقبل مخالفا لمن هو أولى منه ‹ تيسير مصطلح الحديث - د . الطحان ،ص ١١٦ ›

١٠٦٠ المحفوظ : ما رواه الأوثق مخالفا لرواية الحديث ‹ تيسير مصطلح الحديث ، د . القطان ، ص ١١٨ ›

١٠٦١ المضطرب : هو الحديث الذي يروى من وجوه يخالف بعضها بعضا ، مع عدم امكان ترجيح احدهما على غيره ، سواء أكان راوي هذه الوجوه واحدا ام اكثر ‹ اصول الحديث ، د . عجاج . ص ٣٣٤ ›

١٠٦٢ منهج النقد في علوم الحديث ‹ د . نور الدين عتر › ص ٣٤٠ - ٣٤١

١٠٦٣ مكانة السنة في الاسلام ، د. محمد ابو زهو ، ص ٦٦

١٠٦٤ المصدر السابق .

هذه الحجج والبيانات ترد جميع افتراءات الكذابين ، وتجعل سهامهم في نحورهم ..

ومع كل هذه الحجج ، لا نكتفي بملاحقة الفلول الهاربة الى هذا الحد من الضربات ، ولا بد من ملاحقتهم ، والجهاض على آخر أنفاسهم .. ومن ذلك شهادة جهابذة العلماء الكرام ، لصدق وفضل أبي هريرة :

أ - قال صاحب ‹ فتح الباري › : وفيه فضيلة - أي في الحديث الذي ذكره - لأبي هريرة لاعترافه بالحق ، ورجوعه اليه[١٠٦٥] .

ب - صدقه وأمانته : وكان أبو هريرة - رضي الله عنه - أمينا في حديثه عن الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - واذا قال في شيء برأيه قال : ‹ هذا من كيسي ›[١٠٦٦] .

ج - شهادة ابن عمر - رضي الله عنهما - له : يقول عبدالله بن عمر - رضي اله عنهما - لأبي هريرة : ‹ يا أبا هريرة ، كنت ألزمنا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، واعلمنا بحديثه ›[١٠٦٧] .

يقول حذيفة : ‹ قال رجل لابن عمر : ان أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال ابن عمر : أعيذك بالله أن تكون في شك مما يخبر به ، اجترأ وجبنا ›[١٠٦٨] .

د - شهادة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - : وحين أرسل ابن عمر يستفهم من السيدة عائشة عن حديث الجنازة الذي رواه أبو هريرة ، قالت : ‹ صدق أبو هريرة ›[١٠٦٩] .

هـ - شهادة ابن كثير : وقال ابن كثير : ‹ وقد كان ابو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم ›[١٠٧٠] .

٥) الحط من قدره بين الصحابة بعدم أمانته : زعموا أن عمر استعمل أبا هريرة - رضي الله عنهما - على البحرين ، ثم بلغه عنه ما يخل بأمانة الوالي العادل ، فعزله ، وأخذ ما بيده من أموال ، وضربه حتى أدماه[١٠٧١] .

١٠٦٥ فتح الباري ، ج ٤ ص ١٢٨

١٠٦٦ اعلام الموقعين . ج ١ ص ٤٣٥

١٠٦٧ المحدث الفاصل ص ١٣٤ ، وسير اعلام النبلاء ج٢ ص ٤٣٥ ، ونحوه في طبقات ابن سعد ج ٢ ص١١٨

١٠٦٨ المستدرك ٣/٥١٠ بسند صحيح .

١٠٦٩ طبقات ابن سعد ج٤ ص٥٧ ، الاصابة ج ٧ ص ٢٠٥

١٠٧٠ البداية والنهاية ج ٨ ص ١١٠

١٠٧١ كتاب ابوهريرة ، لعبد الحسين الموسوي ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨

أ - ان ما ادعاه الكاتب كذب وافتراء من ان الفاروق ضربه[١٠٧٢] .. واما عزله فلم يكن هو الوحيد الذي وقع عليه العزل ، ولقد عزل الفاروق عددا من الصحابة ، فلم يتطرق التاريخ لثلبهم والحط من شأنهم ، فقد عزل الفاروق أبا موسى الأشعري عن البصرة وشاطره ماله ، وعزل الحارث بن كعب بن وهب وشاطره ماله ، وعزل سعد بن أبي وقاص عن العراق ، وعزل المغيرة بن شعبة ، وعزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش[١٠٧٣] .

ب - لقد بقى الصفاء والود بين أبي هريرة والفاروق ، ولم يعكر صفو المودة ما قام به الفاروق من مقاسمة أموالهم ، وهي طريقة سلكها مع كثير من الولاة .

وكان أبو هريرة يقول : < اللهم اغفر لأمير المؤمنين >[١٠٧٤] .. ولم يحقد على عمر - رضي الله عنه - مع انه يعلم ان ما قاسمه اياه إنما هو عطاياه واسهمه وبعض غلة رقيقه .

ولو ان عمر - رضي الله عنه - شك في أمانة أبي هريرة بعض الشك لحاكمه وعاقبه العقوبة الشرعية ، ولكنه عرف فيه الأمانة والإخلاص ، فعاد اليه حين يطلبه للولاية ، فأبى أبو هريرة قبولها[١٠٧٥] .

< وهكذا نجا أبو هريرة من تلك الأعاصير التي عصفت حوله ، ومن تلك الأمواج التي تلاطمت على قدميه ، فبقى صامدا لها ، وانهار ما ادعاه أعداؤه امام الصرح الشامخ الذي يحمي عدالته ، وتحطمت سهامهم الواهية على الحصن المنيع الذي بناه بصدقه وامانته واستقامته[١٠٧٦] .

٦) تقديم العاجلة علي الآجلة : وزعم أصحاب النفوس المريضة انه - أي أبا هريرة - كان متشيعا لبني أمية ، ويأخذ من معاوية جعلاً على وضع الأحاديث في ذم علي - رضي الله عنه - .

يقول عبد الحسين : < قال الامام أبو جعفر الاسكافي : إن معاوية حمل

١٠٧٢ ذكر د . محمد عجاج ، ان قصة ضربه عثر عليها في العقد الفريد ج ١ ص ٣٤ بلا سند ، وانها تعارض الروايات الصحيحة التي ذكرت عزله دون ضربه . < انظر ابو هريرة راوية الاسلام ، ص ٢٤ > ومن المؤكد أنا عبدالحسين وابا رية قد نقلاه من العقد الفريد .

١٠٧٣ انظر طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٣٣٥ ، ج ٣ ص ٢٨٢ طبع ١٤٠٠هـ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٧٢ ، الاستيعاب لابن عبدالبر ترجمة معاذ بن جبل ، البداية والنهاية ،ج ٨ ص ١١٣ طبع القاهرة ، الانوار الكاشفة ص ٢١٣، دفاع عن ابي هريرة ص ١٤١ ، ابو هريرة راوية الاسلام ، ص ٢٢٥ .

١٠٧٤ طبقات ابن سعد ، ج ٤ ص ٦٠

١٠٧٥ اقتباس من كلام د . محمد عجاج < كتاب السنة قبل التدوين ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ > .

١٠٧٦ الحديث والمحدثون ، محمد محمد ابو زهو ، ص ١٦٩

قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلا .. منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة .. »[١٠٧٧] .

ومما قاله عبدالحسين في أبي هريرة والأمويين : « استعبد بنو أمية أبا هريرة ببرهم ، فملكوا قياده واحتلوا سمعه وبصره وفؤاده ، فاذا هو لسان دعايتهم في سياستهم ، يتطور فيها على ما تقتضيه أهواؤهم ، فتارة يفتئت الأحاديث في فضائلهم .. وتارة يلفق أحاديث في فضائل الخليفتين نزولا على رغائب معاوية وفئته الباغية »[١٠٧٨] .

إن كل هذه الادعاءات كذب وافتراء يتبرأ منها من هو دون أبي هريرة ، فيكف بالصحابي الجليل أبي هريرة ، وان الحجج الواضحة والحقائق الساطعة سوف تكون سياطا لاذعة لعبد الحسين وأمثاله ، ولا مفر من ذلك وحبل الكذب ضعيف وقصير .

وأبو هريرة من كل ما تقدم براء ، ولقد أورد عبد الحسين وأبو رية أخبارا ضعيفة وموضوعة لا أصل لها . من هذا ما ذكره عبد الحسين فقال : « قال الامام ابو جعفر الاسكافي : ان معاوية حمل قوما من الصحابة .... وقد مر ذكر هذا الحديث » .

هذه أخبار مختلقة ، استشهد بها عبد الحسين ليدعم زعمه أن أبا هريرة كان عميلا للأمويين ، وضاعا للحديث ، وان هذه الأخبار مردودة سندا ومتنا ..

أ - أما من حيث السند : فان ابن أبي الحديد صاحب شرح « نهج البلاغة » نقل هذه الأخبار عن شيخه محمد بن عبدالله أبي جعفر الاسكافي ، وهو من أئمة المعتزة المتشيعين ، والعداء المستحكم بين المعتزلة وأهل الحديث

..فروايته مردودة[١٠٧٩] لأسباب :

١) انه معتزلي يناصب العداء لأهل الحديث[١٠٨٠] .

٢) انه شيعي محترف ، اجتمع هذان العاملان فيه ، ويكفي احدهما لرد روايته .. وبعد هذا لا يعقل ان تقبل الجرح والتعديل في رجل مطعون في عدالته ، مشكوك في روايته ، يعادي أهل السنة ، فمن البداهة رفض

١٠٧٧ ابو هريرة ، عبدالحسين الموسوي ، ص ٤٢

١٠٧٨ المصدر السابق ، ص ٣٥ وما بعدها

١٠٧٩ ابوهريرة ، راوية الاسلام ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠

١٠٨٠ ابوهريرة واقلام الحاقدين ، ص ١٢

روايته[١٠٨١] .

٣) لم تذكر هذه الرواية في مصدر موثوق بسند صحيح ، علما بأن الاسكافي لم يذكر لها سندا[١٠٨٢] .

ب - أما من حيث المتن : فلم يثبت أن معاوية حمل أحدا على الطعن في أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - ، ولم يثبت عن أحد من الصحابة انه تطوع بذلك أو أخذ أجرا مقابل وضع الحديث .. وان جميع ما جاءنا من هذه الأخبار الباطلة انما كان عن طريق أهل الاهواء الداعين الى أهوائهم ، المتعصبين لمذاهبهم ، فتجرؤوا على الحق ، ولم يعرفوا للصحبة حرمتها ، فتكلموا في خيار الصحابة ، واتهموا بعضهم بالضلال والفسق ، وقذفوا بعضهم بالكفر ، وافتروا على ابي بكر وعمر وعثمان وغيرهم[١٠٨٣] .

الأسباب الأخرى لرد كذب عبد الحسين ، وأبو رية . وأمثالهما :

أ - فادعاء هؤلاء مردود حتى يثبت زعمهم بحجة صحيحة مقبولة ، وكيف نتصور معاوية يحرض الصحابة على وضع الحديث كذبا وبهتانا وزورا ، ليطعنوا في أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - ، وقد شهد ابن عباس - رضي الله عنهما - لمعاوية بالفضل والعقل والفقه[١٠٨٤] ، وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه ، فهل لهؤلاء ان يتهموا حبر الأمة وعالمها بالكذب ، أو بالتشيع لمعاوية[١٠٨٥] .

هذه هي شهادة أقرب الناس لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - شهادة حبر الأمة .

ب - اعترض أبي هريرة على بني أمية : كيف يوالي بني أمية ، وقد وقف لهم بالمرصاد ، في مواقف كثيرة عندما يرى واجب الحق يفرض عليه ذلك ، نرى أبا هريرة ينكر على مروان في مواضع عدة ، فقد أنكر عليه عندما رأى في داره تصاوير ، فقال له : ‹ سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (يقول الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي ؛ فليخلقوا ذرة)[١٠٨٦] .

١٠٨١ السنة قبل التدوين ، د . عجاج ، ٤٤٣

١٠٨٢ المصدر السابق .

١٠٨٣ العواصم من القواصم ، ص ١٨٢ - ١٨٣

١٠٨٤ انظر ، فتح الباري ج ٨ ص ١٠٤ - ١٠٥

١٠٨٥ انظر أضواء على التاريخ ، ص ١٩١ ، وما بعدها ، الاستاذ / محب الدين الخطيب .

١٠٨٦ مسند الامام احمد ، ج ١٢ ص ١٤٨ رقم ٧١٦٦ باسناد صحيح ، رواه البخاري .

كما أنكر عليه حين أبطأ بالجمعة ، فقام اليه قائلا : ‹ أتظل عنب ابنة فلان تروحك بالمراوح ، وتسقيك الماء البارد ، وأبناء المهاجرين والأنصار يصهرون من الحر ؟ لقد هممت أن أفعل وأفعل ، ثم قال : اسمعوا من أميركم ›[١٠٨٧] .

ج - حب أبي هريرة لآل البيت : هذه حجة أخرى لدمغ المفترين وكشف زيفهم ، عندما نجد ان أبا هريرة ، هو الذي يروي الأحاديث التي وردت في فضل علي - رضي الله عنه - ، وما قام به من جهاد ومدح هو وآل بيته .

١) في فضل علي - رضي الله عنه - : أخرج الامام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم خيبر : (لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه)[١٠٨٨] .

٢) في مدح فاطمة - رضي الله عنها - : عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن فاطمة سيدة نساء أمتي)[١٠٨٩] .

٣) في حب الحسن والحسين : أخرج الحاكم عن أبي هريرة انه قال : ‹ خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه الحسن والحسين ، هذا علي عاتقه وهذا علي عاتقه ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة ، حتى انتهي الينا ، فقال له رجل : يا رسول الله : إنك تحبهما ؟ فقال :(نعم ؛ من أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني)[١٠٩٠] .

د - رواية أبناء على وأصحابه ومواليه عن أبي هريرة :

١- رواية زين العابدين لأبي هريرة حديثا وتمسكه بالعمل به : وهذا دليل آخر على الحب المتبادل بين أمير الصحابة في السنة وآل البيت ، وهكذا صفة الكرام ، يعرف كل منهما فضل صاحبه .

قال البخاري : ‹ حدثنا احمد بن يونس حدثنا عاصم بن محمد قال حدثني واقد بن محمد قال حدثني سعيد بن مرجانة صاحب علي بن حسين قال : قال لي أبو هريرة - رضي الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (أيما رجل اعتق امرءاً مسلماً ، استنقذ الله بكل عضو منه عضوا من النار) .

١٠٨٧ العقد الفريد ، ج ١ ص ٤٢

١٠٨٨ صحيح مسلم ، ٧ / ١٢١

١٠٨٩ التأريخ الكبير للبخاري ، ج ١ ص ٢٣٢ بسند موصول .

١٠٩٠ المستدرك ، ٣/١٦٦ بسند صحيح ، أقره الذهبي .

قال سعيد بن مرجانة : فانطلقت الي علي بن حسين ، فعمد علي بن حسين - رضي الله عنهما - الى عبد له ، قد أعطاه الله به عبدالله بن جعفر عشرة ألاف درهم ، أو ألف دينار ، فاعتقه[١٠٩١] .

وفي لفظ : < فقال علي بن الحسين - رضي الله عنهما - يا سعيد : أنت سمعت هذا من أبي هريرة ؟ قال : نعم . فقال لي علي بن حسين عند ذلك لغلام له إمرة علمانه : ادع لي مطرقا . قال : فلما قدم بين يديه ، قال : اذهب ، فأنت حر لوجه الله >[١٠٩٢] .

ثم أخذ علي بن الحسين وابن مرجانة بعد ذلك يرويان هذا الحديث ، ويبشران به الناس ، فراه عمر بن علي بن الحسين عن ابن مرجانة[١٠٩٣] . وزيد بن اسلم عن علي[١٠٩٤] . وسعيد بن عبدالله بن مرجانه هذا من أوائل الشيعة ، وعده البرقي في كبار أصحاب علي بن الحسين - رضي الله عنهما[١٠٩٥] - .

٢- رواية أصحابه : وفي مقدمة هؤلاء الأصحاب ، الصحابي الجليل أبو أيوب الانصاري - رضي الله عنه - فقد رآه التابعي الفقيه ابو الشعثاء يحدث عن أبي هريرة في المدينة[١٠٩٦] .

وأبو أيوب الانصاري من جملة الصحابة الذين تثق بهم الشيعة ، ويعدونه من أصحاب الايمان الراسخة ، وممن ثبت على ايمانه بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويزعمون انه خامس خمسة من الصحابة لم يرتدوا .. < حاشا للصحابة الكرام - الذين مدحهم الله - من الارتداد > ..

ووثقه الكشي وغيره[١٠٩٧] ، وذكره بحر العلوم ضمن شيعة علي - رضي الله عنه - ونسب اليه شهود مشاهد أمير المؤمنين كلها[١٠٩٨] .

٣- موالي أبناء علي : وقد روى كثير من موالي أبناء علي عن أبي هريرة - رضي الله عنهم جميعا ، كل ذلك يدل على قوة أصرة الاخوة التي لم تدع للمنافقين ثغرة يدخلون منها لاثارة الفتنة بين الأحبة ، ولكن نار

١٠٩١ البخاري ١٧٨/٣ . مسلم ٢١٨/٤

١٠٩٢ منتقى ابن الجارود ص ٣٢٤ بسند صحيح ، مسند ابي عوانة ١٤٥/١ ، فتح الباري ٧٣/٦

١٠٩٣ صحيح مسلم ٢١٧/٤ ، مشكل الآثار ٣١١/١ ، وتاريخ جرجان ، للسهمي ص ٩٦

١٠٩٤ البخاري ١٨١/٨ ، مسند احمد ٤٢٠/٢

١٠٩٥ رجال البرقي ، ص ٩

١٠٩٦ المستدرك ٥١٢/٣ ، مجمع الزوائد ٣٦٢/٩

١٠٩٧ رجال الكشي ص ٣٩ ، رجال البرقي ص ٢

١٠٩٨ رجال السيد بحر العلوم : ٢١٨/٢

الحقد والحسد تتأجج في القلوب فاطارت صوابهم ، وكشفت نوايا سرائرهم لحرب السنة النبوية ، ورابطة الاخوة الاسلامية .

من هؤلاء : أبو زياد الطحان ، مولى الحسن بن علي ، وأحد الثقات[١٠٩٩] وصفوان مولى عمر بن علي ، ثقة يروي عن أبي هريرة[١١٠٠] . وسعيد بن يسار أبو الحباب ، قيل انه مولى الحسن بن علي[١١٠١] ، وثقه أبي المطهر الحلي وغيره[١١٠٢] ، وله عن أبي هريرة أحاديث كثيرة[١١٠٣] .

ومنهم من يستفتيه ، إذ ورد : « عن أبي مرة مولى عقيل بن أبي طالب انه سأل أبا هريرة : كيف كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوتر ؟ فقال : إن شئت أخبرتك كيف أصنع أنا .. »[١١٠٤] ، فأخبره .

٤- طبقات محبة ومخلصة لعلي من مشاهير الزهاد والفقهاء .. من هؤلاء ، الفقيه الكبير :

أ - أبو بردة ابن الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -[١١٠٥] .

ب - عبيد بن عمير بن قتادة المكي . من أبناء الصحابة ، وكان ابن عمر يجلس اليه لجلالته[١١٠٦] .

ج - ومنهم كليب بن شهاب الجرمي ، ثقة يحتج بحديثه[١١٠٧] . وذكره الطوسي في الشيعة[١١٠٨] .. وذكر التستري خبر مبايعته لعلي - رضي الله عنه -[١١٠٩] وروايته محفوظة عن علي وأبي هريرة[١١١٠] .

هذا هو أبو هريرة ، صاحب القلب السليم ، واللسان العفيف ، يحبه

١٠٩٩ تعجيل المنفعة ص ٢١٩ ، وروايته عن ابي هريرة في مسند احمد ٢/٣٠١ ، مشكل الآثار ٣/١٩

١١٠٠ ثقات ابن حبان ، ص ١١٨

١١٠١ التهذيب ، : ٤/١٠٢

١١٠٢ رجال ابن المطهر الحلي ص ٨٠ ، قاموس الرجال للتستري : ٤/٣٨٦

١١٠٣ انظر البخاري ٣/٢٥ ، ٦/١٦٨ ، مسلم : ٥/٤٥

١١٠٤ معاني الآثار : ١ /٢٠٣ بسند صحيح

١١٠٥ يروي عن علي ، كما في سنن ابي داود ٢/٤٠٧ ، وهو من اصحابه كأبيه ، وروايته عن ابي هريرة في مسند احمد : ٢/٤٠١

١١٠٦ التهذيب ٧/٧١ ، وذكر انه يروي عن علي ، واما روايته عن ابي هريرة ، فعند مسلم ٨/٢٢٢

١١٠٧ التهذيب ، ٤٤٥

١١٠٨ رجال الطوسي ، ص ٥٦

١١٠٩ قاموس الرجال ، ٧/٤٢٨

١١١٠ روايته عن علي في مسند احمد : ١/١٦٠ ، وعن ابي هريرة عند النسائي ، ٣/٣١٩

كل مسلم ، ويحب كل مسلم ، لقد عم خبره الدنيا ببركة حديث رسول الله - صلي الله عليه وسلم - فعاش ناشرا للعلم والفضيلة . ولا يبغضه ويفتري عليه إلا من في قلبه مرض للإسلام والمسلمين .

٧) الطعن في كثرة حديثه : يقول عبدالحسين الموسوي : ‹ هذه دراسة لحياة صحابي روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأكثر حتى أفرط ... ›[١١١١] .

حتى يقول : ‹ واما حديثه فقد أمعنا النظر فيه كما وكيفا ، فلم يسعنا - شهد الله - إلا الانكار عليه في كل منها ... ›[١١١٢] .

ويقول : ‹ وأي راو رؤية متجرد ومتحرر يطمئن الى هذه الكثرة التي لا يعد لها المجموع من كل ما حدث به الخلفاء الأربعة وأمهات المؤمنين التسع والهاشميون والهاشميات كافة .. وكيف تسنى لأمي تأخر إسلامه ، فقلت صحبته يعي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما لم يعيه السابقون الأولون من الخاصة وأولي القربى ، ونحن حين نحكم الذوق الفني والمقياس العلمي نجدهما لا يقران كثيرا مما رواه هذا المفرط في اكثاره وعجائبه .. فالسنة أرفع من ان تحتضن أعشابا شائكة وخز بها أبو هريرة ضمائر الأذواق الفنية ، وأدمى بها تفكير المقاييس العلمية قبل أن يشوه بها السنة المنزهة ، ويسيء الى النبي وأمته .. ›[١١١٣] .

هذا ما قاله عبد الحسين ، وبكل وقاحة يتجرأ على السنة النبوية ، بكل هذا التطاول ، لأن الطعن برواتها الثقات هو طعن بها .. فقد عاش أبو هريرة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنال منه كل تكريم واحسان وكفاه تزكية ، ثم جاء من بعد الخلفاء الراشدون ، فكان موضع تقدير واحترم بعد ان عرفوا صدقه واخلاصه ، وقد عرف الصحابة الكرام فضله وقربه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان موضع الثقة ، والسيد المطاوع .

أما اعتراض عبد الحسين على الكثرة التي رواها ابو هريرة .. سوف نرد على اعتراضاته بحجج دامغة ترده على اعقابه خائبا ..

١١١١ ابو هريرة ، عبدالحسين الموسوي ، ص ٦٢٥

١١١٢ المصدر السابق .

١١١٣

المصدر السابق .

وأما قوله : ‹ ان السنة أرفع من ان تحتضن أعشابا شائكة وخز بها أبو هريرة ضمائر الإذواق الفنية ، وأدمى بها تفكير المقاييس العلمية ... الخ › .

هذا كلام لا يقبله من عبد الحسين أدنى صاحب ذوق في طعنه بالسنة التي أوتى صاحبها - عليه الصلاة والسلام - جوامع الكلم ، وهل أبو هريرة - رضي الله عنه - أتى إلا بالسنة النبوية ، وهل الطعن الغير المباشر ينجيه من غضب الله وعذابه ، وهل يفلت من قبضة جهابذة العلماء الذين تصدوا لكل مكابر عنيد ، فكشفوا زيفه وفضحوا خبثه وضحالة علمه ، وفقدان ذوقه ، ولأجل تفنيد تلك التهم الباطلة ، التي لفظها عبد الحسين ، ومن لف لفهم ، بوعز كثرة حفظه وغزارة علمه للأسباب التالية :

- السبب الأول : دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - : إن دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - خير وبركة ، وهي شفاء للصدور ، فهي المفتاح الأول لتنوير البصائر وفتح الضمائر لاستقبال كل علم وخير ..

قال البخاري : ‹ حدثنا محمد بن عقبة ، قال حدثنا الفضل بن العلاء ، قال حدثنا اسماعيل بن أمية ، قال حدثنا محمد بن قيس أن زيد بن ثابت قال : دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي هريرة ›[١١١٤] .

وقد ورد حديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه - عليه الصلاة والسلام - خصه بدعوة دعا له بها بأن لا ينسىٰ ما سمعه منه[١١١٥] .

جاء في الحديث عن الأعرج قال : قال أبو هريرة : ‹ إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، والله الموعد ، انى كنت امرءاً مسكيناً ، أصحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علي ملىء بطني ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام علي أموالهم ، فحضرت مِن النبى - صلى الله عليه وسلم - مجلسا ، فقال : من يبسط رداءه حتى أفضي مقالتي ، ثم يقبضه اليه فلن ينسى شيئا سمعه منى ، فبسطت بردة على حتى قضى حديثه ، ثم قبضتها إلىَّ ، فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئا سمعته منه بعد › .

لقد كان دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فتحا مبينا لأبي هريرة في بركة عمره ، وقوة ذاكرته ، وشدة حفظه .

١١١٤ التاريخ الكبير ، ج ١ ص ٢١٣ ، ورجال السند ثقات كلهم .

١١١٥ السنة قبل التدوين ، ص ٤٥٤

- السبب الثاني : ملازمته للرسول - صلى الله عليه وسلم - :

لقد لازم أبو هريرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الملازمة المستمرة ، طيلة وقته .

هذه المداومة المستمرة ، جعلت العقل رطبا مستمرا لاستيعاب العلم ، وقابليته الحفظ ، وقد أبعدت تلك الصفة وهي المداومة ، المشاغل والهواجس النفسية ، التي هي أشبه بسدود لمنع روافد الفكر ، لاستقبال العلم .

ويقول المرحوم السباعي : < .. إذ من المعلوم أن أبا هريرة كان من المكثرين في التحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رغم تأخر اسلامه ، لكثرة ملازمته للرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى كان يدور معه حيثما دار ، فلما توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يسأل كبار الصحابة عن حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - >[١١١٦] .

هذه الهمة العالية ، التي سحقت جميع المعوقات من المطامح الدنيا ، فغرست في نفسه الحب والشوق والهيام لطلب سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فكان فارس الميدان - .

- السبب الثالث : نشاطه ومذاكرته :

كان الصحابي الجليل أبو هريرة صاحب همة عالية ، لا يفتر عن المذاكرة والمتابعة لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قطع جميع العوائق ، وخير مثل ينطبق عليه قول الشاعر < محمود سامي البارودي > :

ومن تكن العلياء همة نفسه

فكل الذي يلقاه فيها محبب[١١١٧]

فالهمم العالية تبني الرجال ، ويعين على الحفظ ، ويقول الامام البخاري :

< لا أعلم شيئا أنفع للحفظ من نهمة الرجل ، ومداومة النظر >[١١١٨] ..

ويقول الامام أبو هريرة - رضي الله عنه - : < صحبت النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاث سنين ما كنت سنوات قط أعقل مني ، ولا أحب اليَّ ان أعي ما يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهن >[١١١٩] .

١١١٦ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، ص ٣١١

١١١٧ البيت للشاعر : محمود سامي البارودي .

١١١٨ هدي الساري ، ج ٢ ص ٢٠١

١١١٩ طبقات ابن سعد ، ج ٤ ص ٥٤

وكان حريصا على وقته وتنظيمه لقضاء أعماله ، وكان حريصا على وقته فلا يفرط به . قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : < جزأت الليل ثلاثة أجزاء : ثلثا أصلي ، وثلثا أنام ، وثلثا اذكر فيه حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - >[١١٢٠] .

هذه بعض الأمثلة التي كانت تعينه على الحفظ ، وهي أعمدة صلبة يقوم عليها بناء الشخصية العلمية ..

- السبب الرابع : قناعته - رضي الله عنه - :

كان - رضي الله عنه - قانعا من دنياه بما يحصل عليه ، من لقمة العيش أو متاع ، غير متسخط ولا متضجر ، وهذا عامل مهم لجمع شتات الفكر ، وراحة النفس ، وعليهما المعول في قدح زناد العقل للحفظ والإدراك ، وكم من طمع شتت الفكر وبلد العقل ، واضرم نار الحقد ، فاحرق ذخيرة الحفظ ، وأنسى العلماء ما جمعوه ، وما حصلوا عليه في أيام جهدهم وكدهم .. كان أبو هريرة - رضي الله عنه - يرضى من الدنيا < بملء بطنه > وهذا هو منتهى القناعة .

قال الامام النووي في شرح قول أبي هريرة : < على ملء بطني > : < أي : ألازمه واقنع بقوتي ، ولا أجمع مالا لذخيرة ، ولا غيرها ولا أزيد على قوتي ، والمراد من حيث حصول القوت من الوجوه المباحة ، وليس هو من الخدمة بالأجر >[١١٢١] أ.هـ .

وقال الحافظ ابن حجر : < علي ملء بطني > : < أي مقتنعا بالقوت ، أي فلم تكن له غيبة عنه >[١١٢٢] .

وقال العلامة العيني : < على ملء بطني : أي مقتنعا بالقوت >[١١٢٣] ، هذه القناعة والبساطة من العيش أهلته لأن في الصفة ، مأوى الذين ز بيت لهم ولا سكن ، وان يتحمل الجوع في سبيل علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

- السبب الخامس < جرأته > :

كان الصحابي الجليل أبو هريرة - رضي الله عنه - جريئا ، يسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أشياء كثيرة .

١١٢٠ سنن الدارمي ج ١ ص ٨٢ . والجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ، ص ١٨٠ - ١٨١

١١٢١ النووي على مسلم ٥٣/١٦

١١٢٢ فتح الباري ٥٣١/٤

١١٢٣ عمدة القاريء ٣٩٤/٥

يقول أبي بن كعب - رضي الله عنه - : « إن أبا هريرة كان جريئا على ان يسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أشياء لا يسأله عنها غيره »[١١٢٤] .. و « لا نسأله عنها »[١١٢٥] .

وكذلك قيل لابن عمر : هل تنكر مما تحدث به أبو هريرة شيئا ؟ فقال : لا ، ولكنه اجترأ ، وجبنا[١١٢٦] .

فالجرأة والشجاعة في هذا الباب وهو اللسان السؤول ، يفتح أبواب العقل للتركيز والحفظ .

- السبب السادس : المحبة المتبادلة بين المؤمنين وأبي هريرة - رضي الله عنهم :

لقد امتاز الصحابي الجليل أبو هريرة - رضي الله عنه بحبه لاخوانه الصحابة الكرام ، وكذلك حب الصحابة له وهذه جوهرة ثمينة وكنز يفوز بالحسنيين من يعثر عليه ، حيث ان المحبة توفر للمرء الصفاء ، وتبعد عنه الهموم الناجمة عن الحقد والحسد والغيبة والنميمة والطمع ، وكل هذه الأمراض تنبت من شجرة العداوة والبغضاء ، فلما قلع تلك الشجرة ببركة دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - له .. قال أبو هريرة - رضى الله عنه - قلت : ادع الله - يعني للرسول صلي الله عليه وسلم - ان يحببني وأمي الى عباده المؤمنين (فقال : (اللهم ، حبب عبدك هذا وأمه الى عبادك المؤمنين ، وحببهم اليهما)[١١٢٧] .

** هذا عامل مهم من ناحية التركيز والحفظ ، وللبركة في العمر .

- السبب السابع : تخصص أبي هريرة بالحديث النبوي الشريف :

لقد تفرغ الصحابي الجليل أبو هريرة طيلة حياته للعلم وخاصة الحديث النبوي الشريف حيث لم يكن له وقتا في ليل أو نهار الا وقد صرفه الي الحديث النبوي الشريف . وهذه الميزة يكاد ينفرد بها أبو هريرة عن بقية الصحابة الكرام .

١١٢٤ مسند احمد ١٣٩/٥

١١٢٥ المستدرك ٥١٠/٣ بسند صحيح أقره الذهبي .

١١٢٦ سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٦٠٨

١١٢٧ سير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٥٩٣ ، اسناد حسن .

يقول الاستاد محمد عجاج في كتابه < السنة قبل التدوين > : < صحيح ان الخلفاء الراشدين الأربعة - رضي الله عنهم - سبقوا أبا هريرة في صحبتهم وإسلامهم ، ولم يرو عنهم مثل روى عنه ، الا ان هؤلاء اهتموا بأمور الدولة ، وسياسة الحكم ، واوفدوا العلماء والقراء والقضاة الى البلدان >[١١٢٨] .

ثم يقول : < انصراف أبي هريرة الى العلم والتعليم واعتزاله السياسة ، واحتياج الناس اليه لامتداد عمره ، يجعل الموازنة بينه بين غيره من الصحابة السابقين أو الخلفاء الراشدين غير صحيحة ، بل هي خطأ كبير >[١١٢٩] .

فهذا جانب مهم يغيب عن كثير من الناس ، ولكنه في العصر الحاضر يكاد يعرفه اكثر الناس ، لأن العصر الحديث هو عصر التخصصات وهي القاعدة التي قام عليها الاختراعات والاكتشافات الحديثة[١١٣٠] ، وهي مفخرة العصر ، وقد سبقهم اليها أبو هريرة - رضي الله عنه - ولذلك تقدم على أقرانه ، وتفوق على أهل زمانه .

- السبب الثامن : الانقطاع عن الدنيا بكليتها :

لقد انقطع الصحابي الكريم ابو هريرة عن الدنيا بجميع ما فيها . فانقطعت جميع العلائق الدنيوية ، من هموم وجهد وتفكير ، وتحول بكله الى الآخرة ، فكانت أفكاره وهواجسه ومشاغله ، وحزنه وفرحه ، وكل ما يملك من الطاقات الفكرية والجسدية قد وجهه الى علم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فكانت تلك الهيمنة التي سيطر بها على قيادة عقله ونفسه وجسمه ، قد جعلت كل منافذه نور لفهم وحفظ حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

عن أسحاق بن سعيد ، عن أبيه ، قال : دخل أبو هريرة على عائشة ، فقالت له : أكثرت يا أبا هريرة عن رسول الله ، قال : أي والله يا أماه ، ما كانت تشغلني عنه المرأة ، ولا المكحلة ، والدخي . قالت : لعلّه[١١٣١] .

١١٢٨ السنة قبل التدوين ، د . عجاج ، ص ٤٥٠

١١٢٩ المصدر السابق ، ص ٤٥١

١١٣٠ ويعتبر عصرنا الاختصاص كأمر ضروري ، والاختصاص بمعناه البسيط لا يتطلب من صاحبه الا ان يكون عارفا بمهنته ، غير ان المهن في ميدان العلوم قد تفرعت بصفة مدهشة منذ خمسين سنة ، ذلك ان الاختصاص صار اليوم متعددا ، بعد ان كان في الماضي مفردا < عن كتاب الوعي العلمي ، سمير عبده >

١١٣١ سير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٦١٤

عن محمد بن ابراهيم ، عن أبي أنس مالك بن أبي عامر[١١٣٢] ، قال ، جاء رجل الى طلحة بن عبيد الله ، فقال : < يا أبا محمد ، أرأيت هذا اليماني - يعني أبا هريرة - أهو أعلم بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منكم ؟ نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم ، أم هو يقول على رسول الله ما لم يقل ؟ قال : أما ان يكون سمع ما لم نسمع ، فلا أشك ، سأحدثك عن ذلك : انا كنا أهل بيوتات وغنم وعمل ، وكنا نأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طرفي النهار ، وكان مسكينا ، ضيفا على باب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يده مع يده ، فلا نشك انه سمع ما لم نسمع ، ولا تجد أحدا فيه خير يقول على رسول الله ما لم يقل >[١١٣٣] . ورجاله ثقاة[١١٣٤] .

ولقد بلغ الصحابي الجليل أبو هريرة - رضي الله عنه - من غزارة علمه وحفظه لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتركه هذا التفرغ التام ، ان اعتمد صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رواية أبي هريرة لما عرفوا منه في الاتقان والحفظ .

عن أشعث بن سليم ، عن أبيه ، قال : أتيت المدينة ، فإذا أبو أيوب يحدث عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت : وأنت صاحب رسول الله ، قال : انه قد سمع ، وأني أخذ عنه ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحب إلى من أن أحدث عن النبي - صلى الله عليه وسلم -[١١٣٥] .

هذا التفرغ الكامل اكسبه حفظا تفوق به على غيره ، مما جعل الصحابة الكرم يثقون به ويعتمدون عليه .

١١٣٢ مالك بن أبي عامر ، هو جد مالك بن أنس الفقيه < حاشية سير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٦٠٥ - ٦٠٦ >

١١٣٣ أخرجه الترمذي ، ج ٥ ص ٦٨٤ باب ٤٧ مناقب لابي هريرة - رضي الله عنه - رقم ٣٨٣٧ من طريق ابن اسحاق به ، وحسنه هو ، وصححه الحاكم ٢/٥١١ - ٥١٢ ، ووافقه الذهبي وأورده ابن كثير في< البداية > ٨/١٠٩ ، وابن عساكر ج ١٢١/١

١١٣٤ حاشية سير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٦٠٦

١١٣٥ تاريخ ابن عساكر ١٢١/١٩ ، المستدرك ٥١٢/٣

ب - **شهادات تثبت الحفظ :**

١ - قول العلماء في حفظ أبي هريرة - رضي الله عنه - :

أ - قال ابو صالح السمان : كان أبو هريرة من أحفظ اصحاب محمد - صلي الله عليه وسلم -[١١٣٦] .

ب - قال الامام الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره[١١٣٧] .

ج - قال الامام البخاري عن الامام أبو هريرة : وكان احفظ من روى الحديث في عصره[١١٣٨] .

د - قال الامام الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) عن الامام أبي هريرة : < الامام الفقيه المجتهد الحافظ ، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو هريرة الدوسي اليماني ، سيد الحفاظ الأثبات >[١١٣٩] .

هـ - وقال ابن كثير (٧٧٤ هـ) : < وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم >[١١٤٠] .

و - وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) : < إن أبا هريرة كان أحفظ من يروي الحديث في عصره >[١١٤١] .

هذه شهادات العلماء الأفاضل في حفظ أبي هريرة ، وهي غيض من فيض بالنسبة لغزارة علمه ، وكثرة حفظه .

ب - الافتاء :

لقد شهد العلماء الأفاضل بتبحر أبي هريرة في الفقه ، وكان يقوم على غيره في مسائل الافتاء .. ومما يشهد على ذلك ما ذكره الامام الشافعي حيث يقول : < أخبرنا مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن بكير بن الأشجع ، عن معاوية بن أبي عياش الانصاري : انه كان جالسا مع ابن الزبير ، فجاء محمد بن إياس بن البكير ، فسأل عن رجل طلق قبل

١١٣٦ السنة قبل التدوين ، د . عجاج ، ص ٤٣٣

١١٣٧ سير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٥٩٩ . تذكرة الحفاظ، ج ١ ص ٣٤

١١٣٨ تهذيب التهذيب ، ج ١٢ ص ٢٦٥

١١٣٩ سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٥٧٨

١١٤٠ البداية والنهاية ، ج ٨ ص ١١٠

١١٤١ تهذيب التهذيب ، ج ١٢ ، ص ٢٦٦

الدخول . فبعثه الى أبي هريرة ، وابن عباس - وكانا عند عائشة - فذهب ، فسألهما (فقال ابن عباس لأبي هريرة : أفته يا أبا هريرة ، فقد جاءتك معضلة . فقال : الواحدة تبينها ، والثلاث تحرمها . وقال ابن عباس مثله[١١٤٢] .

قال ابن حزم في كتاب < الإحكام في أصول الأحكام > : < المتوسطون فيما روى عنهم من الفتاوى : عثمان ، أبو هريرة ، عبدالله بن عمرو بن العاص ، أم سلمة ، أنس ، أبو سعيد ، أبو موسىٰ ، عبدالله بن الزبير ، سعد بن أبي وقاص ، سلمان ، جابر ، معاذ ، أبو بكر الصديق >[١١٤٣] .

ولم يكن افتاء أبي هريرة مقصورا على زمن معين . لا بل كان المعول عليه طيلة حياته الى ان توفاه الأجل ، وهو بحر زاخر . قال ابن سعد : < كان ابن عباس ، وابن عمر ، وابو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وجابر بن عبدالله ، ورافع بن خديج ، وسلمة بن الأكوع ، وأبو واقد الليثي ، مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفتون بالمدينة ويحدثون عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من لدن توفي عثمان الي ان توفوا ، والذين صارت اليهم الفتوى[١١٤٤] منهم : ابن عباس ، وابن عمر ، وابو سعيد الخدري ، وابو هريرة ، وجابر >[١١٤٥] .

ولقد بقى ابو هريرة - رضي الله عنه - علما شامخا في كل العصور الى ان وافاه الأجل .

٣ - الامتحان القاسي :

ان الاختبارات الشاملة وعلى غير موعد هي محك العظماء وموازين لمعرفة الجهابذة ، وبها يعرف غزارة علم الرجال ، وسعة أفقهم ، ولقد نصبت تلك الموازين الصعبة ، والميدان الفسيح ، للعالم الفقيه والمحدث الكبير < أبي هريرة > - رضي الله عنه - فصال وجال ، وانكشف عن فارس لا يشق له غبار .

والاختبار الرهيب الذي حدث لأبي هريرة - رضي الله عنه - ما يذكره لنا أبو الزعير كاتب مروان ما يثبت اتقانه وحفظه ، فيقول : < دعا مروان أبا هريرة ، فجعل يسأله ، واجلسني خلف السرير ، وجعلت اكتب

١١٤٢ سير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٦٠٧ اسناد صحيح ، وهو في مسند الشافعي ٢/٣٧٥ ، والموطأ <١١٩٨>

١١٤٣ سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٦٢٩ ، الاحكام في اصول الاحكام ٥/٩٢

١١٤٤ قال ابن سعد : وهؤلاء الخمسة صارت الفتوى، أي الذين ذكرتهم ، عن طبقات ابن سعد : ٢/٣٧٢

١١٤٥ طبقات ابن سعد : ٢/٣٧٢

١١٤٩ هؤلاء بعض من روى عن ابي هريرة وأحاديثهم في كتب الأئمة الستة ، انظر تهذيب التهذيب ج ١٢ ص٢٦٣ - ٢٦٥ ، والاصابة ج ٧ ص ٢٠١ - ٢٠٢

الدخول . فبعثه الى أبي هريرة ، وابن عباس - وكانا عند عائشة - فذهب ، فسألهما (فقال ابن عباس لأبي هريرة : أفته يا أبا هريرة ، فقد جاءتك معضلة . فقال : الواحدة تبينها ، والثلاث تحرمها . وقال ابن عبـــاس مثله[١١٤٢] .

قال ابن حزم في كتاب ‹ الإحكام في أصول الأحكام › : ‹ المتوسطون فيما روى عنهم من الفتاوى : عثمان ، أبو هريرة ، عبدالله بن عمرو بن العاص ، أم سلمة ، أنس ، أبو سعيد ، أبو موسىٰ ، عبدالله بن الزبير ، سعد بن أبي وقاص ، سلمان ، جابر ، معاذ ، أبو بكر الصديق ›[١١٤٣] .

ولم يكن افتاء أبي هريرة مقصورا على زمن معين . لا بل كان المعول عليه طيلة حياته الى ان توفاه الأجل ، وهو بحر زاخر . قال ابن سعد : ‹ كان ابن عباس ، وابن عمر ، وابو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وجابر بن عبدالله ، ورافع بن خديج ، وسلمة بن الأكوع ، وأبو واقد الليثي ، مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفتون بالمدينة ويحدثون عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من لدن توفي عثمان الي ان توفوا ، والذين صارت اليهم الفتوى[١١٤٤] منهم : ابن عباس ، وابن عمر ، وابو سعيد الخدري ، وابو هريرة ، وجابر ›[١١٤٥] .

ولقد بقى ابو هريرة - رضي الله عنه - علما شامخا في كل العصور الى ان وافاه الأجل .

٣ - الامتحان القاسي :

ان الاختبارات الشاملة وعلى غير موعد هي محك العظماء وموازين لمعرفة الجهابذة ، وبها يعرف غزارة علم الرجال ، وسعة أفقهم ، ولقد نصبت تلك الموازين الصعبة ، والميدان الفسيح ، للعالم الفقيه والمحدث الكبيـر ‹ أبي هريرة › - رضي الله عنه - فصال وجال ، وانكشف عن فارس لا يشق له غبار .

والاختبار الرهيب الذي حدث لأبي هريرة - رضي الله عنه - ما يذكره لنا أبو الزعير كاتب مروان ما يثبت اتقانه وحفظه ، فيقول : ‹ دعا مروان أبا هريرة ، فجعل يسأله ، واجلسني خلف السرير ، وجعلت اكتب

١١٤٢ سير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٦٠٧ اسناد صحيح ، وهو في مسند الشافعي ٢/٢٧٥ ، والموطأ ‹١١٩٨›

١١٤٣ سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٦٢٩ ، الاحكام في اصول الاحكام ٥/٩٢

١١٤٤ قال ابن سعد : وهؤلاء الخمسة صارت الفتوى، أي الذين ذكرتهم ، عن طبقات ابن سعد : ٢/٣٧٢

١١٤٥ طبقات ابن سعد : ٢/٣٧٢

عنه ، حتى اذا كان رأس الحول ، دعا به ، فأقعده من وراء الحجاب ، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب ، فما زاد ولا نقص ، ولا قدم ولا أخر »[١١٤٦] .

٤ - كثرة العلماء الذين أخذوا عنه :

هذا دليل آخر علي حفظه ، وكثرة علمه ، فان الضحالة لا تدر الغزارة ، وان الافلاس لا يهب الغني ، فالمنطق لا يقر الحصول علي العطاء من الجدب ، ولا ينبت من الشوك العنب ، وانما كل إناء بما فيه ينضح . فلقد كان الامام أبو هريرة - رضي الله عنه - كالشمس بسعة علمه ، وصفائه وغزارته ، ولذلك لم يحجب أحدٌ أحداً بكثرة التزاحم عليه ، كل قد نهل من معينه ، وروى ظمأه ، وأشفى غليله ، من ذلك المورد الصافي ، الذي لم تتزاحم الأقدام الضيقة ، ولم تنزلق لإعوجاجه وانحداره .. ومما يدل على ذلك :

أ - الصحابة الذين رووا عنه : وأشهر من روى عنه منهم : ابن عباس ، وابن عمر ، وأنس بن مالك ، وواثلة بن الاسقع ، وجابر بن عبدالله الانصاري[١١٤٧] ، وأبو أيوب النصاري[١١٤٨] .

ولم يكن الذين رووا عن الامام أبي هريرة - رضي الله عنه - محصورين في الصحابة ، وروى عنه كثير من التابعين ، قال البخاري : « روى عنه نحو من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم ، من الصحابة والتابعين وغيرهم . فيهم أئمة التابعين وأعلامهم في الحديث والفقه ، منهم : بشير بن نهيك ، والحسن البصري ، وزيد بن أسلم ، وزيد أبي عتاب ، وسعيد المقبري ، وسعيد بن يسار ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان ابن يسار ، وشهر بن حوشب ، وعامر الشعبي ، وعبدالله بن سعد مولى عائشة ، وعروة بن الزبير ، وعطاء بن أبي رباح ، وعطاء بن يسار ، وعمر ابن خلدة قاضي المدينة ، وعمرو بن دينار ، والقاسم بن محمد ، ومحمد بن سيرين ، ومحمد بن مسلم الزهري ، ومحمد بن المنكدر .. الخ »[١١٤٩] .

هذا هو العالم الرباني الذي أخذ عنه جهابذة العلماء من المحدثين والفقهاء ، والأصوليين ، وكلهم ثقاة يعتمد على نقلهم ، فمن أين يدخل

١١٤٦ البداية والنهاية ، ج ٨ ص ١٠٦ . وسير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٥٩٨

١١٤٧ انظر : الاصابة ج ٧ ص ٢٠١ ، تهذيب التهذيب ج١٢ ص٢٦٣ ، وانظر ترجمته في الاستيعاب ص ٢٠٨ - ٢٠٩

١١٤٨ سير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٦٠٦

١١٤٩ هؤلاء بعض من روى عن ابي هريرة وأحاديثهم في كتب الأئمة الستة ، انظر تهذيب التهذيب ج ١٢ ص٢٦٣ - ٢٦٥ ، والاصابة ج ٧ ص ٢٠١ - ٢٠٢

الكذابون ، وقد أجمعت الأمة على صدق تلميذ محمد - صلى الله عليه وسلم - وبنت تراثها على نقله ، والويل والعار للحاقدين على تلميذ محمد - صلى الله عليه وسلم - ويصدق عليه أولئك الكذابين ومنهم أبو رية وأمثاله قول المرحوم السباعي :

< إن مقاييس البحث العلمي الصحيح في كل عصر ، تسقط عدالة أبو رية ، وتشهر به ككذاب وكمحرف للكلم عن مواضعه >[1150] .

ج - **حفظ ابي هريرة - رضي الله عنه :**

هي ضجة مفتعلة ، وعمل غير مستند علي الواقع والحقيقة ، لان حفظ ابي هريرة هو حفظ طبيعي ، وبمقدور كثير من الناس ، اذا بذلوا الجهد ، وملكوا التركيز ، والنفس الطويل ، لا بل توجد أمثلة كثيرة[1151] تستوعب اكثر من مجلد من أسماء الحفاظ بشتى العلوم المختلفة ، ولم يثر أحد عنهم أي صرخة وصيحة ، ولكن عبيد الشيطان ، وخدم الغرب ، واصحاب الثقافة الضحلة ، والعقول البليدة ، والنفوس المريضة ، أثاروا كل الشكوك والظنون حول تلميذ محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنه حامل لواء السنة .

لقد حفظ كثير من العرب أضعاف أضعاف ما حفظه أبو هريرة ، ماذا يقول في حفظ ابي بكر أنساب العرب ؟ وماذا يقول < عبد الحسين > و < أبو رية > وأمثالهما ، في حماد الراوية الذي كان أعلم الناس بأيام العرب ، واشعارها ، واخبارها ، وانسابها ، ولغاتها ، ،ماذا يقول فيه اذا علم انه روى علي كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى ، المقطعات ، من شعر الجاهلية دون الاسلام[1152] .

ما موقف < عبد الحسين الموسوي > المتعجب من كثرة حديث أبي هريرة - رضي الله عنه ، تجاه رواة الشيعة الذين رووا عشرات الألوف من الأحاديث التي ينسبونها الي أهل البيت - رضي الله عنهم - ، فهذا عالم الشيعة في الجرح والتعديل أبو العباس النجاشي يذكر ابان بن تغلب ، وهو من رواتهم الموثوقين ، فيقول : < .. انه روى عن الامام جعفر الصادق

١١٥٠ السنة ومكانتها في التشريع ، ص ٢٢١

١١٥١ انظر كتاب طبقات الحفاظ للسيوطي ، وسير اعلام النبلاء ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن عماد الحنبلي .

١١٥٢ انظر الاعلام ، ج ٢ ص ٣٠١

٣٠ ألف حديث .. ›[1153] .

وهذا الامام الصدوق يذكر محمد بن مسلم بن رباح وهو من رواتهم الموثوقين ، فيقول ‹ .. سمع من الباقر عليه السلام ثلاثين ألف حديث ، ومن الصادق عليه السلام ستة عشر ألف حديث ›[1154] .

وهذا الحر العاملي يذكر جابر بن يزيد العجفي ، فيقول : ‹ انه روى عن الامام الباقر سبعين ألف حديث ، وعن باقي الأئمة روى مائة وأربعين ألف حديث ›[1155] .

هؤلاء المكثرون ذكرهم عبد الحسين في كتابه الذي سماه ‹ المراجعات › ، ودافع عنهم واثنى عليهم .

أهذه هي المقاييس العلمية ، في نقد الرجال ؟

أهذا هو الحق والعدل ؟ يكذب من يروي (٥٣٧٤) ، ويوثق من روى اضعاف هذا العدد .

إن أدنى موازين العدالة ، تنسف جميع أقوال الحاقدين في أبي هريرة ، وتجعلهم يموتون في حقدهم ..

المبحث الثالث: الطعن بالسنة الصحيحة مع ادخال الاحاديث الموضوعة

ج - الاعتراضات الأخيرة والردود عليها :

بعد بيان حجية السنة والرد على جميع المكائد ، التي برزت في ساحة المعركة ، من أنواع الأسلحة ، نجد أفرادا متسللين وسط الظلام يتحينون الفرصة السانحة لتوجه ضربات من الخلف ، أو الدخول من ثغرات نام أصحابها عنها ، تحت ضيق الأفق ، وجهل الفقه في الدين ، أو ضعف الايمان ، فقلبوا بعض الحجج الناقصة التي يمكن ان تفسر تفسيرا يحيط السنة وبضاعتها بسراب وهمي يجعل عامة المسلمين وكثيرا من العلماء ، لا يهتم بالسنة لشدة اضطرابه في معرفة حجيتها ، فيؤدي ذلك القلق الي تركها ..

١١٥٣ رجال النجاشي ، ص ٩ ، وقد ذكر هذا العدد من الأحاديث المؤلف في مراجعاته ص ٣٠٩ ، طبع الاعلمي ‹ عن كتاب ابوهريرة واعلام الحاقدين ، ص ٣ › .

١١٥٤ مشيخة الفقيه ص ٦ ، انظر ترجمة في فاتحة الوسائل ص٣٤٣ ‹ عن كتاب ابو هريرة والاقلام الحاقدة ، ص ٣ ›

ومن تلك الاعتراضات :

- **الاعتراض الأول < عدم تدوين السنة > :**

فقد وردت أحاديث تمنع تدوين السنة ، وأحاديث أخرى تجيز الكتابة مع وجود جماعة من الصحابة قد كتبوا السنة ، وهو أقوى دليل على السماح ، لا بل يوجد أقوي من ذلك وهو أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمر بالكتابة لبعض الصحابة عندما طلب منه ذلك .

وسوف نذكر الأدلة التي تمنع الكتابة ، والأدلة التي تسمح بالكتابة .. ثم بيان كيفية التوافق بين ذلك الاختلاف :

أ - أدلة النهي عن الكتابة :

١) فقد ورد ان الرسول - صلي الله عليه وسلم - نهى عن كتابة الحديث النبوي ، فقال : (لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج)[1156] .

٢) قال أبو سعيد الخدري : < جهدنا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - أن يأذن لنا بالكتاب ، فأبى >[1157] .

٣) روى الحاكم بسنده عن القاسم بن محمد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : < جمع أبي الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان خمسمائة حديث ، فبات ليلة يتقلب كثيرا ... فلما أصبح قال : أي بنية ، هلمي الأحاديث التي عندك ، فجئته بها ، فدعا بنار فحرقها >[1158] .

٤) وروى عن عبدالله بن مسعود كراهيته لكتابة الحديث الشريف : عن عبدالرحمن بن الأسود عن أبيه قال : < جاء علقمة بكتاب من مكة أو اليمن ، صحيفة فيها أحاديث في أهل البيت : بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فاستأذنا على عبدالله ، فدخلنا عليه ، قال : فدفعنا اليه الصحيفة ، قال : فدعا الجارية ، ثم دعا بطست فيه ماء ، فقلنا له يا أبا عبدالرحمن ، انظر فان فيها أحاديث حسانا ، قال : فجعل يميثها[1159] فيها ، ويقول : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن »[1160] ، القلوب أوعية ، فأشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بما سواه >[1161] .

١١٥٦ اخرجه مسلم ص ٢٢٩٨ ، < كتاب الزهد والرقاق، باب التثبت في الحديث > .

١١٥٧ تقييد العلم ، للخطيب البغدادي ، ص ٣٢ - ٣٣

١١٥٨ تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص ٥

١١٥٩ ماثه : أي فركه ليذوب في الماء وتتفرق أجزاؤه < حاشية أصول الحديث ، د عجاج ، ص ١٥٦ >

١١٦٠ يوسف : ٣

١١٦١ تقييد العلم ، ص ٥٤ ، انظر سنن الدارمي ج١ص١٢٥ < عن اصول الحديث ، د.عجاج ، ص ١٥٦ >

٥) ويروى عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - انه وقف في الناس خطيبا ، فقال : ‹ أعزم على كل من كان عنده كتاب إلا رجع فمحاه ، فإنما هلك الناس حيث اتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم ›[١١٦٢] .

٦) وقال ابن عباس - رضي الله عنه - : ‹ إنا لا نكتب العلم ولا نُكَتِّبُه ›[١١٦٣] .

٧) وكره ابو موسى الأشعري ان يكتب ابنه عنه مخافة ان يزيد أو ينقص ، ومحا ما كتبه بالماء ›[١١٦٤] . وفي رواية قال : ‹ احفظوا عنا كما حفظنا ›[١١٦٥] .

ونكتفي بهذا القدر الذي يوضح النهي عن كتابة السنة ، ثم نذكر القسم الثاني ، وهو السماح بكتابتها .

ب - أدلة السماح بالكتابة :

١) روى أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (قيدوا العلم بالكتاب)[١١٦٦] .

٢) عن عمرو بن أبي سفيان انه سمع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول : ‹ قيدوا العلم بالكتاب ›[١١٦٧] .

٣) روى عن أنس بن مالك أن أبابكر الصديق - رضي الله عنه ، كتب له فرائض الصدقة التي سنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -[١١٦٨]

٤) يقول الحسن بن علي - رضي الله عنهما - لبنيه وبني أخيه : ‹ تعلموا تعلموا ، فانكم صغار قوم اليوم ، تكونون كبارهم غدا ، فمن لم يحفظ منكم فليكتب ›[١١٦٩] .

١١٦٢ جامع بيان العلم وفضله ، ج ١ ص ٦٥ ، تقييد العلم ص ٤٣ ‹ عن اصول الحديث ، د٠عجاج ، ص١٥٧›

١١٦٣ جامع بان العلم وفضله ج١ص٦٥ ، تقييد العلم ص٤٣ ‹ عن اصول الحديث د٠عجاج ، ص ١٥٨ › .

١١٦٤ المحدث الفاصل ج ٤ص ٦، سنن الدارمي ج ١ص ١٢٢ ‹ عن اصول الحديث ، د٠عجاج ، ص ١٥٨ ›

١١٦٥ جامع بيان العلم ، ج ١ ص ٦٦ ‹ عن اصول الحديث ، د ٠ عجاج ، ص ١٥٨ › .

١١٦٦ صحيح الجامع ، رقم ٤٣١٠ ، سنن الدارمي ١٢٧/١ ‹ عن كتاب قبض البيان ، ص ٣٣ › .

١١٦٧ تقييد العلم ص٨٨ ، وجامع بيان العلم ج١ص٧٢ ، الكفاية ص٣٥٤ ، توجيه النظر ص ٣٤٨

١١٦٨ انظر تقييد العلم ص ٨٧ ، وفي مسند الامام احمد أن ابا بكر كتب لهم ‹ ان هذه فرائض الصدقة التي فرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - › انظر ج ١ ص ١٨٣

١١٦٩ الكفاية ، ص ٢٢٩ ‹ اصول الحديث ، د ٠ عجاج ، ص ١٦١ ›

وفي رواية : < فليكتبه وليضعه في بيته >[١١٧٠] .

٥) ويروى عن ابن عمر - رضي الله عنهما - انه كان لا يخرج من بيته غدوه حتى ينظر في كتبه[١١٧١] .

٦) وكان أنس - خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول لبنيه : < يا بني قيدوا العلم بالكتاب >[١١٧٢] .

٧) قال عبدالله بن عمرو بن العاص : < كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرجو حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأومأ بأصبعه الى فيه ، وقال : (اكتب ، فو الذي نفسي بيده ، ما خرج منه إلا حق)[١١٧٣] .

٨) ذكر أبو هريرة - رضي الله عنه - : < ان رجلا أنصاريا شكا الي النبي - صلى الله عليه وسلم - قلة حفظه ، فقال : (استعن بيمينك)[١١٧٤] .

٩) حديث رافع بن خدية : < قلت يا رسول الله ، إنا نسمع منك أشياء ، أفنكتبها ؟ ، قال : (اكتبوا ولا حرجْ)[١١٧٥] .

١٠) كتب النبي - صلى الله عليه وسلم - كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم[١١٧٦] .

١١) طلب رجل من أهل اليمن يوم فتح مكة من الصحابة ان يكتبوا له خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد الفتح ، فاستأذنوا النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذلك ، فقال : (اكتبوا لأبي شاه)[١١٧٧] .

١٢) قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في مرضه الذي توفى فيـــــه : (آتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده)[١١٧٨] .

١١٧٠ تقييد العلم ، ص ٩١ < اصول الحديث ، د ٠ عجاج ، ص ١٦١ >

١١٧١ انظر : الآداب الشرعية ، ج ٢ ص ١٢٥

١١٧٢ كتاب العلم لزهير بن حرب ص ٢٩ ، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٢٤٤ ، تقييد العلم ص ٩٦ < عن اصول الحديث ، د ٠ عجاج ، ص ١٦٤ >

١١٧٣ سنن الدارمي ، ١٢٥/١

١١٧٤ تقييد العلم ،الخطيب ، ص ٦٧

١١٧٥ تدريب الراوي ، للسيوطي ، ص ٢٨٦

١١٧٦ جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبدالبر : ٧١/١

١١٧٧ صحيح البخاري ٣٨/١ ، يذكر < لابي فلان > بل < لابي شاه > (تقييد العلم ، للخطيب ، ص ٨٩)

١١٧٨ صحيح البخاري ، ٢٩/١

فالآراء التي وردت في كتب السنة المعتمدة ، التي تثبت تدوين السنة في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حقيقة لا يدخلها الشك ، ولكثرة ورود هذه الأدلة ترقى هذه الأدلة الى درجة التواتر .

** **كيفية التوافق بين ذلك الإختلاف ؟ :**

لم يكن ذلك الاختلاف في حقيقته الا اختلافا لفظيا ، وهو متوافق في جوهره ، هو أشبه ، بأزهار مختلفة الألوان ، وعطور مختلفة الرائحة ، تزيد الناظر بهجة وسرورا .

فالاختلاف الذي ورد هو اشبه بمراحل يمر بها المتعلم في مراحله الدراسية ، مراعاة للجانب التربوي في التدرج للأرتقاء الى قمة العلم ، ومنعا للأضطراب ، الذي يهز النفوس ، فتصاب بالضعف والهزال .

فالخطة التربوية التي رسمها سيد ولد آدم لنشر الشريعة ، هي خير طريقة ، جنبت النفوس العثرات ، فسارت في خط منسجم ، وتوافق تام ، راعى فيها النفوس الضعيفة ، ولم يغمط أو يضعف القدرات البارزة ، فاعطى في خصته الاصلاحية بناء متينا متماسكا ، وهذا البناء يتكون من العناصر التالية :

١ - خشية الاختلاط :

لقد منع الرسول - صلى الله عليه وسلم - الكتابة في البداية خشية اختلاط القرآن الكريم بالسنة النبوية ، وخاصة أن العرب كثير من أفراده لا يعرفون القراءة والكتابة ، وهي أمة أمية ، ولقد ذكر العلماء في أسباب المنع في بداية الاسلام خشية الاختلاط[١١٧٩] ، ولما استقر القرآن الكريم في النفوس ، ورزقوا ملكة التمييز ، وتذوقوا اسلوب القرآن ، أباح لبعضهم الكتابة لمن له القدرة على التمييز بينهما .

٢ - خشية الإنشغال بالسنة المشرفة عن القرآن الكريم :

وهو عامل مهم لمنع التدوين في بداية الاسلام ، وقد استشهد به كثير من الصحابة والعلماء :

أ- عن عروة بن الزبير ان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أراد ان يكتب السنن فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فأشاروا عليه ان يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا .. فقال : (إني كنت أردت ان اكتب السنن ، واني ذكرت قوما كانوا قبلكم

١١٧٩ انظر كتاب بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، د . اكرم العمري .

كتبوا كتبا ، فاكبوا عليها وتركوا كتاب الله تعالى ، واني والله لا ألبس كتاب بشيء أبدا »[١١٨٠] .

ب - ولقد ورد عن كثير من الصحابة ما دل على نفس ما ذهب اليه ابن الخطاب - رضي الله عنهم - جميعا ، منهم : ابن عباس[١١٨١] وابن مسعود[١١٨٢] وأبي موسى الأشعري[١١٨٣] ، ولقد وردت روايات كثيرة تدل علي كراهية صحابة أخرى[١١٨٤] للكتابة ، وقد رأى كل من هؤلاء الصحابة ان سبب كراهية كتابة الحديث خوفه من انشغال الناس بها وانصرافهم عن القرآن الكريم[١١٨٥] .

ج - قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : « اعزم على كل من كان عنده كتاب الا رجع فمحاه ، فإنما هلك الناس حيث اتبعوا أحاديث علمائهم ، وتركوا كتاب ربهم »[١١٨٦] .

نجد مع هذا النهي عن الكتابة من الصحابة الكرام يجوزون الكتابة ، ولم يكن ذلك منهم تناقضا ، وانما جوزوا الكتابة عندما زالت العلة ، وهي خشية الانشغال بالسنة عن القرآن الكريم عندما رسخ الايمان في قلوبهم ، وفهموا أهداف كل من الكتاب والسنة ، وطريقة التطبيق ، ورسخت في عقولهم ملكة التمييز بين كل منهما ، نجد الصحابة الكرام يجوزون الكتابة في المواقف التالية :

أ - كتب أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لأنس بن مالك فرائض الصدقة ، التي سنها الرسول - صلى الله عليه وسلم -[١١٨٧] .

ب - كتب عمر بن الخصاب - رضي الله عنه - لعتبة بن فرقد بعض السنن[١١٨٨] .

ج - وكان عند علي - رضي الله عنه - صحيفة فيها : العقل ، وفكاك

١١٨٠ اخرجه الخطيب في تقييد العلم ، ص ٤٩ . وابن عبدالبر في جامع بيان العلم ، ٦٤/١

١١٨١ تقييد العلم ، ص ٤٣

١١٨٢ « أتي عبدالله بن مسعود بصحيفة فيها حديث ، فدعا بماء فمحاها ، وقال : بهذا أهلك أهل الكتاب قبلكم حين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، كأنهم لا يعلمون » جامع بيان العلم : ٦٥/١

١١٨٣ تقييد العلم ص ٥٣ - ٦٥ ، جامع بيان العلم ٦٤/١ - ٦٧

١١٨٤ منهم : زيد بن ثابت ، وابو هريرة ، وابو سعيد الخدري « بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، ص ٢٢٢ »

١١٨٥ بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، ص ٢٢٢

١١٨٦ جامع بيان العلم ، لأبي عبدالبر ٦٣/١ « عن بحوث في تاريخ السنة ، ص ٢٢١ »

١١٨٧ مسند الامام احمد ١١/١

١١٨٨ مسند الامام احمد ، ١٦/١

الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر[1189] .

د – وقد كتب بعض الصحابة أحاديث في الصحف ، ومن تلك الصحف التي عرفت منها :

١ – صحيفة سعد بن عبادة الانصاري[1190] .

٢ – الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص < ت ٦٥ هـ >[1191] .

٣ – صحيفة سمرة بن جندب < ت ٦٠ هـ > جمع فيها أحاديث كثيرة[1192] .

٤ – صحيفة جابر بن عبدالله الانصاري < ت ٧٨ هـ >[1193] .

٥ – صحيفة أبي هريرة < ت ٥٨ هـ >[1194] .

٦ – وصحيفة أبي موسى الأشعري < ت ٥٠ هـ >[1195] .

٧ – كتاب أبي رافع – مولى النبي صلى الله عليه وسلم – وفيه استفتاح الصلاة[1196] .

فهذه الأدلة الكثيرة تثبت جواز تدوين السنة النبوية مع عدم تعارضها مع النهي الذي أوردناه ، كما بينا طريقة التوافق والانسجام .

٣ – <u>خوف الزيادة والنقصان</u> :

ان الجيل الأول ، جيل الصحابة ، وهو الجيل الفريد ، كان شديد الخوف من الله تعالي ، وقد امتنع بعضهم عن الكتابة زهدا وخشية ، وورعا ، ولم يكن ذلك تحريما ، وانما كما تدل على ذلك الرواية التالية :

فقد ورد ان أبا موسى الأشعري ، كره ان يكتب ابنه عنه ، مخافة ان يزيد أو ينقص ، ومحا ما كتبه بالماء[1197] .

١١٨٩ صحيح البخاري ٣٨/١ < عن بحوث في تاريخ السنة ، ص ٢٢٢ >

١١٩٠ سنن الترمذي ، كتاب الاحكام ، باب اليمين مع الشاهد .

١١٩١ جامع بيان العلم ٧٣/١ ، سنن الدرامي ١٢٧/١ < عن علوم الحديث ، د. صبحي ، ص ٢٧ >

١١٩٢ تهذيب التهذيب ١٩٨/٤ ، أو ٢٣٦/٤ (عن علوم الحديث د . صبحي ، ص ٢٥ . وبحوث د. اكرم ص٢٢٣)

١١٩٣ الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٦٧/٥ أو ٣٤٤١٥ < د. صبحي ص ٢٦ ، بحوث د . اكرم ص ٢٢٣ >

١١٩٤ جامع بيان العلم وفضله ٧٣/١ < عن بحوث د. اكرم ص٢٢٣ > طبقات ابن سعد ٢٩٦/٥ < عن علوم الحديث ، د. صبحي ص ٣١ >

١١٩٥ مخطوطة في مكتبة شهيد علي بتركيا ، نقلا عن كتاب بحوث في تاريخ السنة المشرفة ،د. اكرمص٢٢٣ >

١١٩٦ الكفاية للخطيب ، ص ٣٣٠ (عن بحوث ، د . اكرم ، ص ٢٢٣)

١١٩٧ كتاب العلم لزهير بن حرب ، وسنن الدارمي ، ج ١ ص ١٢٢ (عن اصول الحديث ، د. عجاج ، ص١٥٨)

٤ - النهي عن كتابة الحديث مع القرآن الكريم في صحيفة واحدة :

قد يحتمل من النهي ان يكون في صحيفة واحدة فيحدث الاختلاط بين الكتاب والسنة ، وعند ذلك لا يمكن التمييز بينهما ، فيقع الارتباك ، والاضطراب في الاحكام ، وخاصة في بداية نزول القرآن الكريم ، وان النفوس لا زالت تتربى على العلم والعمل ، وهي فترة تحتاج الي التوضيح والبيان خشية التباس أقواله وشروحه وسيرته بالقرآن الكريم . وقد أشار الي هذا المعني الخطابي .. حيث يقول :

‹ وقد قيل : انه انما نهى ان يكتب الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة ، لئلا يختلط به ، ويشتبه على القارىء ، فأما ان يكون نفس الكتاب محظورا ، وتقييد العلم بالخط منهيا عنه فلا ›[١١٩٨] .

فهذا الاحتمال الذي أورده بهذا الصورة وخاصة في بداية نزول الوحي ، أو بين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ، أو الذين يعيشون بعيدا عن مصباح النبوة في البوادي والقرى الصغيرة يتعرضون لصعوبات جمة عند كتابة الحديث الشريف والقرآن الكريم .

٥ - النسخ :

وهو من أهم العناصر في بناء الهيكل التوافقي لجمع شمل المنع من الكتابة والسماح بالكتابة .

فالنسخ مادة قوية لتمسك ذلك الاختلاف ، مما يجعل كيد الاعداء ترد الي نحورهم ، وتكون صيحتهم وصرختهم هباءً منثوراً .

ومن الأدلة التي تدل على ذلك :

١) روي أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - انه قال : (قيدوا العلم بالكتاب)[١١٩٩] .

قال ابن قتيبة[١٢٠٠] : نهى في أول الأمر ، فلما علم ان السنن تكثر ،

١١٩٨ معالم السنن للخطابي ، ١٨٤/٤ (عن علوم الحديث ، د ، صبحي ، ص ٢٠)

١١٩٩ انظر صحيح الجامع رقم ٧٣١١ ، اخرجه احمد ١٢/٣ ، ٣٩/٣ ، الحاكم ١٢٧/١ (عن كتاب اخبار اهل الرسوخ في الفقه والحديث بمقدار المنسوخ من الحديث ، ص ٣٣)

١٢٠٠ ابن قتيبة : هو احمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ابو جعفر ، قاضي من اهل بغداد له اشتغال بالادب ، والي القضاء بمصر ، وتوفى فيها سنة ٣٢٢هـ (هامش كتاب اخبار اهل الرسوخ في الفقه والحديث بمقدار المنسوخ ، ص ٣٣)

فيفوت الحفظ ، أجاز الكتابة[١٢٠١] .

٢) ان النهي عن الكتابة انما كان في أول الاسلام ، مخافة اختلاط الحديث بالقرآن ، فلما كثر عدد المسلمين ، وعرفوا القرآن معرفة رافعة للجهالة ، وميزوه من الحديث ، زال هذا الخوف عنهم ، فنسخ الحكم الذي كان مترتبا عليه ، وصار الأمر الى الجواز[١٢٠٢] .

٣) قال الرامهرمزي : ‹ وحديث أبي سعيد ((حرصنا أن يأذن لنا النبي - صلى الله عليه وسلم - في الكتاب فأبى)) احسب انه كان محفوظا في أول الهجرة ، وحين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القربة عن القرآن ›[١٢٠٣] .

وقد أيد الاستاذ / احمد شاكر نسخ هذا الحديث ، وهو النهي عن الكتابة ، وقد استشهد بالأخبار التي تبيح الكتابة ، بقوله : ‹ هذا ما يدل على ان حديث أبي سعيد : (لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه) .. منسوخ ، وانه كان في أول الأمر ، حين خيف اشتغالهم عن القرآن ، وحين خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن ، وحديث أبي شاه في أواخر حياة النبي[١٢٠٤] - صلى الله عليه وسلم - ، وكذلك أخبار أبي هريرة - وهو متأخر الإسلام[١٢٠٥] - يقول : ان عبدالله بن عمرو كان يكتب ، وانه هو لم يكتب : يدل علي ان عبدالله كان يكتب بعد اسلام أبي هريرة ، ولو كان حديث أبي سعيد في النهي متأخرا عن هذه الأحاديث في الإذن والجواز ، نعرف ذلك عند الصحابة يقينا صريحا ›[١٢٠٦] .

٤) قال ابن عباس - رضي الله عنه - لما اشتد بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وجعه ، قال : (ايتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا من بعده) قال عمر : ان النبي - صلى الله عليه وسلم - غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا . فاختلفوا وكثر اللغط . قال - عليه الصلاة والسلام -

---

١٢٠١ كتاب اخبار اهل الرسوخ في الفقه والحديث بمقدار المنسوخ من الحديث ، مع كتاب قبض البيان في ناسخ ومنسوخ القرآن ، ص ٣٣

١٢٠٢ توضيح الافكار ج ٢ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ (عن اصول الحديث ، ص ١٥٠)

١٢٠٣ المحدث الفاصل ، ص ٧١ (عن اصول الحديث ، د . عجاج ص ١٥١ ›

١٢٠٤ كان امر الكتابة لأبي شاه في فتح مكة ، مسند الامام احمد ج ١٢ ص ٢٣٢ . وفتح الباري ج ١ ص ٢١٧ ، جامع بيان العلم ج ١ ص ٧٠ ، تقييد العلم ص ٨٦ (عن اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ١٤٩)

١٢٠٥ اسلم ابو هريرة - رضي الله عنه - في السنة السابعة من الهجرة ‹ عن اصول الحديث ، ص ١٥١ ›

١٢٠٦ الباعث الحثيث ، ص ١٤٨ - ١٤٩

: (قوموا عني ، ولا ينبغي عندي التنازع)[١٢٠٧] .

هذا الحديث وهو أخر حديث ، وهو الحجر الأساس في نسخ النهي ، واباحة الكتابة ، ولا يوجد أي حديث معاجز عليه ، ولذلك يمكن ان نقول عليه في نسخ النهي عن الكتاب .

ويقول الدكتور عجاج : < وأرى في حديث أبي شاه ، وفي حديث ابن عباس (ايتوني بكتاب ...) إذنا عاما ، واباحة مطلقة للكتابة ، وعلى هذا لا تعارض بين جميع تلك الروايات .. >[١٢٠٨] .

هذه الأحاديث التي أوردتها باباحة الكتابة في أزمنة مختلفة ، وختامها بالحديث في مرضه الذي انتقل به الي الرفيق الأعلى لهي دليل قاطع على الاباحة ، وازالة جميع الشكوك والريب التي يعتقدها من يجهل ذلك ، أو يتوهمها من له أفق ضيق في استنباط الاحكام أو يحيكها ويبيتها من في قلبه مرض ليشكك المسلمين في منهج شريعتهم .

- **الاعتراض الثاني < رد فيمن لم يعتبر خبر الآحاد[١٢٠٩] حجة > :**

لقد ذهبت بعض الفرق وبعض المذاهب التي ليست لها سنداً تدعم حجتها وتثبت أدلتها ، ،انما هو تطرف يجعلها تشذ عن الصراط السوي ، وتخالف الأمة الاسلامية ، ومن تلك المذاهب :

١ - ما ذهب اليه القدرية والرافضة وبعض أهل الظاهر انه لا يجب العمل به[١٢١٠] .

٢ - وقال الجنائي من المعتزلة : < لا يجب العمل الا بما رواه اثنان عن اثنين >[١٢١١] .

٣ - وقال بعضهم : < لا يجب العمل إلا بما رواه أربعة عن أربعة >[١٢١٢] .

فالقول عن رد خبر الآحاد مردود من أساسة جملة وتفصيلا .. فهو أخطر الحروب التي شنت على السنة ، لأن معظم الشريعة الاسلامية مبنية على خبر الآحاد ، فالأخذ بهذا الرأي - وبدون دليل ولا حجة - هو قضاء

١٢٠٧ فتح الباري ج١ ص٢١٨ ، صحيح مسلم ج٣ ص ١٢٥٧ ، ١٢٥٩ ، طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٦ - ٣٧ (عن كتاب اصول الحديث ، د . عجاج ص ١٤٩)

١٢٠٨ اصول الحديث وعلومه ومصطلحه ، د . عجاج ، ص ١٥٣

١٢٠٩ خبر الواحد : فهو ما لم يوجد فيه شروط المتواتر سواء كان الراوي له واحدا أم اكثر (الحديث والمحدثون ص ٢٥) .

١٢١٠ المصدر السابق .

١٢١١ المصدر السابق .

١٢١٢ المصدر السابق .

على الشريعة الاسلامية ، وبالتالي هو انهاء الاسلام من الوجود - لا سمح الله - . .ويمكن رد اعتراضهم من وجوه هي :

١ - فقول الجمهور : < على ان خبر الواحد الثقة حجة يلزم به العمل >[١٢١٣]

٢ - قال ابن حزم : < ان خبر الواحد العدل من مثله الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوجب العلم والعمل معا >[١٢١٤] .

٣ - قال ابن القيم في اغاثة اللهفان ما ملخصه : < ولا ترد أحاديث الصحابة وأحاديث الأئمة الثقات ، بتفرد الراوي ، فكم من حديث تفرد به واحد من الصحابة ، وقبله الأئمة كلهم ، فلم يرده واحد منهم ، وكم من حديث تفرد به واحد من التابعين ولم يرده أحد من الأئمة . . . >[١٢١٥] .

٤ - تواتر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ارسال امرائه وقضاته ورسله وسعاته الى الآفاق وهم أحاد ، ولا يرسلهم الا لقبض الصدقات وحل العهود وتقريرها وتبليغ أحكام الشرع ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يلزم أهل النواحي قبول قول من يرسلهم اليهم . ولو لم يكن خبر الواحد حجة لما ألزمهم بذلك "[١٢١٦] .

٥ - ان العامي بالاجماع مأمور باتباع المفتين وتصديقه ، مع انه ربما يخبر عن باطنه ، فالذي يخبر بالسماع عن النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي لا يشك فيه أولى بالتصديق والقبول والعمل بموجب خبره"[١٢١٧] .

٦ - اننا مأمورون بالحكم بشهادة اثنين مع ان هذه الشهادة تحتمل الكذب ، فلو كان العمل بها لا يجوز الا بانتفاء احتمال الكذب بصورة قاطعة لما علمنا بها ، فاذا وجب العمل بالشهادة مع احتمالها الكذب ، فانه لذلك يجب العمل برواية الآحاد عن النبي - عليه السلام - أولى"[١٢١٨] .

٧ - وأمر رسول الله أنيسا ان يغدوا على امرأة رجل ذكر انها زنت ، (فإن اعترفت فارجمها) ، فاعترفت فرجمها"[١٢١٩] .

فلو لم يكن خبر الآحاد حجة لما قام رجل واحد في التأكد من الزنى ، والقيام بالرجم ، وهي حدود يجب الدقة في تطبيقها ، لأن الخطأ اذا وقع لا يمكن تداركه .

١٢١٣ شرح مدمة مسلم ، للنووي ، ٦٢/١ (عن علوم الحديث ، د . صبحي ، ص ٣١١)

١٢١٤ الاحكام في اصول الاحكام ، لابن حزم ، ١١٩/١ - ١٣٧ (عن علوم الحديث ، د .صبحي ، ص ٣١١)

١٢١٥ عن كتاب الحديث والمحدثون ، محمد ابو زهو ، ص ٢٦

١٢١٦ الوجيز في اصول الفقه لعبدالكريم زيدان ، ص ١٥٧

١٢١٧ المصدر السابق ، ص ١٥٧ - ١٥٨

١٢١٨ المصدر السابق ، ص ١٥٨

١٢١٩ الرسالة للامام الشافعي ، ص ٤١٠ رقم ١١٢٥

٨ - عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال : < بينما الناس بقباء في صلاة الصبح ، اذ أتاهم آت ، فقال : إن رسول الله قد أنزل عليه قـــرآن ، وقد أمر ان يستقبل القبلة ، فاستقبلوها ، وكانت وجوههم الى الشام ، فاستداروا الي الكعبة >[١٢٢٠] .

فتغيير فرض كان عليه الصحابة ، لا يمكن ان يبدل الا بقيام حجة يجب العمل بها .

٩ - عن أنس بن مالك قال : < كنت أسقي أبا طلحة وأبا عبيدة بين الجراح وأبي بن كعب شرابا في فضيح وتمر ، فجاءهم آت فقال : إن الخمر قد حرمت ، فقال ابو طلحة : قم يا أنس الي هذه الجرار فاكسروها ، فقمت الى مهراس[١٢٢١] لنا فضربتها بأسفله حتى تكسرت >[١٢٢٢] .

فلو لم يكن خبر الواحد حجر لترتب علي عملهم هذا :

أ - قد حرموا حلالا ، وهو تحريم الخمر الذي كان مباحا قبل تحريمه

ب - قاموا بتلف أموال المسلمين وهي كسر الجرار ، واهراق الخمر ، وهذا لا يفعله الصحابة الكرام لانه اسراف وتبذير .

ومن هنا يتبين لنا ان خبر الواحد حجة في شرع الله ، ولا يمكن مخالفته ..

١٠ - اجماع الصحابة في حوادث لا تحصى[١٢٢٣] على قبول خبر الواحد ، والعمل به ، فأبوبكر - رضي الله عنه - ورث المرأة في دية زوجها لورود السنة بذلك ، وهي سنة أحاد ، وأخذ الجزية من المجوس بسنة آحاد ، وهكذا عل الصحابة الآخرون ، فيما بلغهم من أخبار الآحاد[١٢٢٤] .

فنظرة سريعة الى هذه البيانات التي ذكرتها ، نجدها تشمل الشريعة الاسلامية بأكملها ، من العبادات والمعاملات والحدود ... الخ ، وكلها قد وردت بخبر الآحاد ، وكانت حجة على الصحابة والتابعين وتابع التابعين الى يومنا هذا ، فلا يمكن ان ينسلخ منها الا من لا حظ له في الاسلام .

١٢٢٠ المصدر السابق ، ص ٤٠٦

١٢٢١ المهراس : حجر مستطيل منقور يتوضأ به .. (هامش الرسالة للامام الشافعي ، ص ٤٠٩)

١٢٢٢ الرسالة للامام الشافعي ، ص ٤٠٩ ، رقم ١١٢٠

١٢٢٣ من أراد المزيد من البيان على حجية سنة الآحاد ، فليراجع (الرسالة للامام الشافعي ، من ٤٠١ - ٤٧١)

١٢٢٤ الوجيز في اصول الفقه ، عبدالكريم زيدان ، ص ١٥٨

- **الإعتراض الثالث ‹ التعارض بين الأحاديث الصحيحة › :**

النظرة البسيطة والسطحية وضيق الأفق تعصي للدارس لهذا العلم فكرة التعارض بين الأحاديث الصحيحة ، ما لم تكن له نظرة ثاقبة ، وعلم واسع ، ودراية وحنكة في كثرة النظر في هذا العلم حتى يستطيع التوفيق بينها ، بتقييد المطلق وتخصيص العام ، أو بحملها على تعدد الحادثة التي جاء من أجلها الحديث .

وهذا العلم من أهم العلوم .. قال الامام السخاوي فيه :

‹ هو من أهم الأنواع ، مضطر اليه جميع الطوائف من العلماء ، وانما يكمل للقيام به من كان إماما جامعاً لصناعتي الحديث والفقه ، غائصا على المعاني الدقيقة ›[١٢٢٥] .

وهذا التعارض يقع في الأحوال الآتية :

- **الحالة الأولى ‹ عدم الاحاطة بعلم مختلف الحديث › :**

فالذي يجهل هذا العلم يقع بكثير من الأخطار ، ويتعثر سيره ، ويرتبك طلبه ، لا بل يكون معولا هداما في السنة ، لانه يتصور ان فيها تناقض فيزهد بها . ولكن عند الاحاطة بعلم مختلف الحديث يستطيع المرء ان يوفق بين جميع الروايات ، فيكون التناسق بينهما ..

ومن أمثلة ذلك : نهي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن استقبال القبلة في الاستنجاء ، فذهب قوم الى عموم هذا الحكم ، وكونه غير منسوخ ، ورآه جابر يبول قبل ان يُتوفى بعام مستقبل القبلة ، فذهب الى انه نسخ للنهي المتقدم .. ورآه ابن عمر قضى حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام ، فرد به قولهم .

،جمع قوم بين الروايتين ، فذهب الشعبي وغيده الى ان النهي مختص بالصحراء ، فإذا كان في المراحيض فلا بأس بالاستقبال والاستدبار ، وذهب قوم الى ان القول عام محكم ، والفعل يحتمل كونه خاصا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ، فلا ينتهض ناسخا ولا مخصصا[١٢٢٦]

وهذه الاحتمالات تجعل سعة أفق للتطبيق واختيار الرأي الذي ما يناسبه بعد الاطلاع على الدليل الذي مسنده حجة .

١٢٢٥ فتح المغيث للسخاوي ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ عن اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤

١٢٢٦ الانصاف في بيان اسباب الاختلاف للدهلوي ، ص ٣٠

- **الحالة الثانية < الاختلاف الواقع بين الأئمة > :**

وهذا الاختلاف يضعف حجية السنة ، ويحيط السنة بالشك وعدم قابليتها للاتساع حتى تشمل جميع النظم .

ولكن عند النظر لهذا الاختلاف نظرة فاحصة دقيقة ، والاطلاع على اعذارهم ، يفتح للمسلم باب التوفق ، والاجمع بين هذه الأحاديث — وهذه الأعذار ثلاثة أصناف :

أ – عدم اعتقاده أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قاله[١٢٢٧] .

ب – عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القـــــــول[١٢٢٨] .

ج – اعتقاده ان ذلك الحكم منســـوخ[١٢٢٩] .

وهذه الأعذار لها اسباب متعددة .. منها :

١) السبب الأول :

ان لا يكون الحديث قد بلغه ، ومن لم يبلغه الحديث ، لم يكلف ان يكون عالما بموجبه .. وهذا السبب : هو الغالب على اكثر ما يوجد من أقوال السلف ، مخالفا لبعض الأحاديث[١٢٣٠] .

فقد يحدث هذا الأمر وهو عدم وصول حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الى الناس جميعا ، لأن العلماء كل قد أخذ بقدر همته وسعيه ، واطلاعه على الأحاديث التي وصلت اليه في بلده أو البلدان التي رحل اليها والعلماء الذين اتصل بهم .. ولقد كان تفاوت الصحابة بين مكثر ومتوسط ومقل وهم الصفوة في الخلق ، فنجد أبابكر – رضي الله عنه – لما سئل عن ميراث الجدة ، قال : < مالك في كتاب الله من شيء ، ولكن أسأل الناس > فسألهم ، فقام المغيرة بن شعبة ، ومحمد بن مسلمة – رضي الله عنهما – فشهدا < أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أعطاها السدس >[١٢٣١] .

وكـذلك عـمـر بن الخطاب – رضي الله عنه – لم يكن يعلم سنة الاستئذان ، حتى أخبره بها أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه – واستشهد بالأنصار[١٢٣٢] .

١٢٢٧ رفع الملام عن الأئمة الاعلام ، ابن تيمية ، ص ١٠

١٢٢٨ المصدر السابق .

١٢٢٩ المصدر السابق .

١٢٣٠ المصدر السابق .

١٢٣١ رواه احمد وابو داود والترمذي ، عن رفع الملام ، ص ١٢

١٢٣٢ رواه البخاري عن ابي سعيد الخدري – رضي الله عنه – فتح الباري١١/٤٣ ، عن رفع الملام ، ص ١٢

هذا باب واسع لا يمكن الاحاطة به أوالتوسع به في مثل هذه المقدمة.

٢) السبب الثاني :

‹ أن يكون الحديث قد بلغه ، لكنه لم يثبت عنده ، اما لأن محدثه ، أو محدث محدثه ، أو غيره من رجال الإسناد مجهول عنده ، أو متهم ، أو سيء الحفظ .. الخ ›[١٢٣٣] .

وقد يكون ذلك الحديث قد رواه الثقات لغيره باسناد متصل .. او لتلك الرواية من الشواهد والمتابعات ما يبين صحتها، فقد بلغت الأحاديث لكثير من العلماء من طرق ضعيفه ، ولغيرهم من طرق صحيحة غير تلك الطرق التي ضعفها الآخرون ، فتكون حجة من هذا الوجه ، مع انها لم تبلغ من خالفها من الوجه الآخر[١٢٣٤] .

٣) السبب الثالث :

اعتقاد ضعف الحديث باجتهاد قد خالفه فيه غيره ، مع قطع النظر عن طريق آخر ، سواء كان الصواب معه أو مع غيره أو معهما[١٢٣٥] .

ويحدث هذا الأمر لأسباب الآتية :

أ - تفاوت الموازين بين العلماء في الجرح والتعديل .

ب - اطلاع احد العلماء على حالة من رجال السند لم يطلع عليها الآخر .

ج - ان يكون للمحدث حالان : حال استقامة ، وحال اضطراب .. فما حدث في الاستقامة فهو صحيح ، وما حدث في حال الاضطراب فهو ضعيف[١٢٣٦] .

٤) السبب الرابع :

اشتراطه في خبر الواحد العدل الحافظ : شروطا يخالفه فيها غيره[١٢٣٧] .

ومن هذه الشروط :

١٢٣٣ رفع الملام عن الأئمة الاعلام ، ص ١٨

١٢٣٤ المصدر السابق - بتصرف - ص ١٩

١٢٣٥ المصدر السابق ، ص ١٩

١٢٣٦ المصدر السابق - بتصرف - ص ٢٠

١٢٣٧ المصدر السابق ، ص ٢١

- عرض الحديث على الكتاب والسنة .
- واشتراط بعضهم ان يكون المحدث فقيها اذا خالف قياس الأصول .
- واشتراط بعضهم انتشار الحديث وظهوره[١٢٣٨] .

هذه الشروط وتفاوت درجاتها بين العلماء ، مما كون بعض الاختلافات في الأخذ من الأحاديث النبوية .

نكتفي بهذه الأسباب ، ومن أراد التفصيل ، فليراجع المصادر[١٢٣٩] في هذا الباب ..

- **الحالة الثالثة < تفاوت رتب الحديث > :**

فالحديث النبوي الشريف لم يكن على درجة واحدة في الصحة ، وانما مراتب الصحة تتفاوت بين حديث وآخر من حيث المتن والسند أو أحداهما ، فنجد الثقة في راوي الحديث ، والأوثق وبينهما مراتب دقيقة يعرفها من مارس هذا الفن من الجهابذة العلماء ، الذين اكتسبوا خبرة بهذا الفن من كثرة تجاربهم ، وغزارة علمهم ، ودقة مقاييسهم ، وكثرة صلتهم بالله ، وطلب العون منه ، والتوكل عليه ، فأنار قلوبهم ..

أ - قال النووي - رحمه الله - : < الصحيح أقسام : أعلاهما ما اتفق عليه البخاري ومسلم ، ثم ما انفرد به البخاري ، ثم ما انفرد به مسلم ، ثم ما كان على شرطهما وان لم يخرجاه ، ثم على شرط البخاري ، ثم على شرط مسلم ، ثم ما صححه غيرهما من الأئمة >[١٢٤٠] .

فهذه سبعة أقسام ، أي انها سبعة مراتب تكون قوتها حسب الترتيب الذي أورده الامام النووي - رحمه الله - ، أي انه اذا ورد حديث اتفق عليه البخاري ومسلم يقم على ما انفرد به البخاري ، واذا وجد ما انفرد به البخاري يقم على ما انفرد به مسلم ، وهكذا .. وعلي هذا الأساس تنطبق أصول الأحكام ، فيزول الالتباس الذي يؤدي الى الاختلاف بين العلماء ، عند معرفة درجة الحديث وكيفية تقديم الراجح على المرجوح ، والأوثق على الثقة ..

١٢٣٨ المصدر السابق .

١٢٣٩ من اراد الاستزادة من هذه الاسباب فليراجع كتاب رفع الملام عن الأئمة الاعلام .

١٢٤٠ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، للقاسمي ، ص ٨٢

ب - وكذلك تتفاوت رتب الصحيح بسبب تفاوت الأوصاف المقتضية للتصحيح في القوة[١٢٤١] . فما يكون رواته في الدرجة العليا من العدالة والضبط ، وسائر الصفات التي توجب الترجيح ، كان أصح الأسانيد ، كالزهري عن سالم بن عبدالله بن عمرعن أبيه ، ولمحمد بن سيرين عن عبيدة بن عمرو السلماني عن علي ، وكابراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود .. الخ[١٢٤٢] .

ج - وتتفاوت كذلك رتب الصحيح بتفاوت الأمصار التي روته ، قال الامام تقي الدين بن تيمية - رحمه الله تعالى - : < اتفق أهل العلم بالحديث ، على ان أصح الأحاديث ، ما رواه أهل المدينة ، ثم أهل البصرة ، ثم أهل الشام >[١٢٤٣] .

د - كذلك يحدث التفاوت بتفاوت الصحابة في رواية الأحاديث .. للأسباب الآتية :

(١) الاشتغال بالخلافة والحروب عاق كثيرا من الصحابة عن تحمل الحديث وروايته كما في الخلفاء الأربعة وطلحة والزبير ، وعلى العكس من ذلك ، مكن التفرغ من هذه الشواغل لكثير من الصحابة في كثرة التحمل والأداء ، كما في أبي هريرة ، وعائشة ، وابن عمر ، وغيرهم[١٢٤٤] .

(٢) طول الصحبة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وكثرة ملازمته سفرا وحضرا ، وانفساح الأجل بعد وفاته ، كان مدعاة للأكثار من تحمل الحديث وروايته ، كما في أبي هريرة ، وجابر ، وأنس[١٢٤٥] ...

(٣) وقوع الفتنة والكذب في الحديث من بعض الفرق .. كل ذلك كان داعيا الى قلة الأحاديث التي تروى ، والى التشدد فيمن يؤخذ عنه الحديث من الرواة[١٢٤٦] .

هذه الفتنة جعلت من هو قريب منها واكتوى بنارها جعلته يتريث في الأخذ بحديث رسول الله - صلي الله عليه وسلم - حذرا وخوفا من الوقوع في الكذب .

بينما البعيد عن تلك الفتنة كان هادىء البال ، مطمئن النفس ،

١٢٤١ المصدر السابق ، ص ٨٠

١٢٤٢ المصدر السابق .

١٢٤٣ المصدر السابق ، ص ٨١

١٢٤٤ مكانة السنة في الاسلام ، د . محمد ابو زهو ، ص ٤٥

١٢٤٥ المصدر السابق .

١٢٤٦ المصدر السابق ، بتصرف .

ينهل من الحديث النبوي بكل ما أوتي من همة وذكاء ، فكان له من الذوق والمشرب والسقي الحثيث ، ما جعله يغترف بالكيل الأوفى ، مما جعل التفاوت شاسع في الحصول والطلب .

(٤) كثرة الاتباع وقلتهم ، ونشاطهم وخمولهم ، كان له أكبر الأثر في كثرة الرواية وقلتها عن الصحابة – رضي الله عنهم –[١٢٤٧] .

وهذا التفاوت كان له أكبر الأثر على الأمة الاسلامية حول أخذها بالسنة وعدم أخذها ، وهذا التفاوت في الأخذ من السنة ، لم يكن التفاوت تقديهم في السنة أو الاختلاف تقديرهم للسنة ، وانما هو تطبيقهم بما يملكون ، والعمل بما يعلمون ، وهو حقيقة التكليف الشرعي .

- **الحالة الرابعة < الناسخ والمنسوخ >[١٢٤٨] :**

فالناسخ والمنسوخ طريق شائك ، منحدر تزل فيه الأقدام ، وتدق فيه الأعناق ، والجاهل في هذا العلم يهلك ، ويهلك غيره ، لانه لا يستطيع ان يميز بين الاحكام ، فيجد في السنة أشياء كثيرة متضاربة ، فيقع في الحرام ، ويترك كثيرا من الاحكام .

وقد روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – : < انه دخل يوما مسجد الجامع بالكوفة ، فرأى فيه رجلا يعرف بعبد الرحمن بن داب[١٢٤٩] ، وكان صاحبا لأبي موسى الأشعري[١٢٥٠] ، وقد تحلق الناس عليه يسألونه وهو يخلط الأمر بالنهي ، والاباحة بالحظر . فقال له علي – رضي الله عنه – : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال : هلكت وأهلكت ... الخ >[١٢٥١] .

ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أهم ما يجب ان يعرفه كل من يتصدى

١٢٤٧ مكانة السنة في الاسلام ، ص ٤٥

١٢٤٨ النسخ في اللغة : الإزالة والنقل . وفي الاصطلاح : رفع الحكم الشرعي بليل شرعي متأخر عنه ، ويسمى هذا الدليل بالناسخ ، ويسمى الحكم الأول بالمنسوخ ، وسمي هذا الرفع بالنسخ (عن كتاب الوجيز في اصول الفقه ، د . عبدالكريم ، ص ٣٥١) .

١٢٤٩ ويتبين من ظاهر القصة انه قاص غير عالم ، بشهادة الامام علي – رضي الله عنه – (حاشية كتاب الناسخ والمنسوخ من كتاب الله عز وجل ، هبة الله المقري ، ص ١٨) .

١٢٥٠ ابو موسى الاشعري : هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار جليل مشهور ، أمرة عمر ثم عثمان – رضي الله عنهم – وكان من كبار علماء الصحابة ، ومن وجوه اصحاب علي يوم صفين . توفي عام ٥٠ ، وقيل بعده (حاشية ناسخ والمنسوخ ، هبة الله المقري ، ص ١٨)

١٢٥١ الناسخ والمنسوخ ، هبة الله المقري ، ص ١٨

للبحث في أحكام الشريعة ، اذ لا يمكن للباحث ان يستنبط الأحكام من أدلتها من غير ان يعرف الأدلة الناسخة والمنسوخة"[١٢٥٢] .

فهذا العلم بمثابة الأساس لبناء الأحكام[١٢٥٣] . ومسائل الاجتهاد ، وعليه بناء الشريعة الغراء ، والجهل فيه بمثابة البناء على الماد ، أو وضع البناء على جرف هار يهوي بالأمة ، الى التنافر والتباعد والاختلاف ، والاستهانة بالسنة .

يقول الحازمي : < هذا الفن من تتمات الاجتهاد ، اذ الركن الأعظم في باب الاجتهاد معرفة النقل ، ومن فوائد النقل معرفة الناسخ والمنسوخ ، اذ الخطب في ظواهر الأخبار يسير ، وتجشم كلفها غير عسير ، وانما الإشكال في كيفية استنباط الأحكام من خفايا النصوص ، ومن التحقيق فيها معرفة أول الأمرين وآخرهما الى غير ذلك من المعاني >[١٢٥٤] .

ولم يكن علم الناسخ والمنسوخ قد وقع في الشريعة الاسلامية عبثا ، وانما وقع لحكم جليلة ، ولاعتبارات لا بد منها في البناء ، ولو تجاوزها الشرع الاسلامي لحدث الخلل المخيف الذي يعرضها للتزعزع والانهيار .

ومن تلك الحكم : < ضرورة التدرج بالناس في دحض الجاهلية الى علو المثالية الاسلامية >[١٢٥٥] .

ولمعرفة الناسخ من المنسوخ نحتاج الى أمور :

١٢٥٢ اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ٢٨٨

١٢٥٣ ولأهمية هذا العلم فقد صنفت فيه المؤلفات خاصة ، فمن أقدم ما صنف كتاب (الناسخ والمنسوخ لقتادة بن دعامة السدوسي – ٦١ – ١١٨ هـ – ، ومن اشهر الكتب الأخرى في (ناسخ الحديث ومنسوخه) للحافظ ابي بكر احمد بن محمد الاثرم – ٢٦١ هـ – ولايزال هذا الكتاب محفوظا ، ومن اجمع ما وصل من مؤلفات القرن السابع كتاب (ناسخ الحديث ومنسوخه) لمحدث العراق ابي حفط عمر احمد البغدادي المعروف بابن شاهين – ٢٩٧ – ٣٨٥ – ولا يزال هذا الكتاب مخطوطا . ومن اجمع ما صنف بعد ذلك في هذا العلم كتاب (الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار) للامام الحافظ النسابة ابي بكر محمد بن موسى الحازمي الهمذاني – ٥٤٨ – ٥٨٤ هـ) عن كتاب اصول الحديث ، د . عجاج ص ٢٨٩ – ٢٩٠ ، وكذلك من الكتب في هذا الباب (الناسخ والمنسوخ) للامام احمد ، (تجريد الاحاديث المنسوخة) لابن الجوزي < عن كتا تيسير مصطلح الحديث للطحان ، ص ٥٩ > .

١٢٥٤ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ، ص ٣ – ٤ (عن كتاب الحديث ، د . عجاج ص ٢٨٩)

١٢٥٥ منهج النقد في علوم الحديث ، د . عتر ، ص ٣٣٦

١ - تصريح الرسول - صلى الله عليه وسلم - بذلك :
أ - مثل حديث : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها)[١٢٥٦] .

ب - وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : (كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاثة ليتسع ذوو الطول على من لا طول له ، فكلوا ما بدا لكم ، واطعموا ، وادخروا)[١٢٥٧] .

٢ - بنص الصحابي :
فالصحابة الكرام كلهم ثقة ، وقد طهر الله قلوبهم ، برفقتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فكانت موازينهم دقيقة في أحكامهم .. مثال ذلك :
ما جاء في قول جابر بن عبد الله - رضي الله عنه : ‹ كان آخر الأمرين ترك الوضوء مما مست النار ›[١٢٥٨] أي أن الوضوء مما مسته النار منسوخ ، وعدم الوضوء ناسخ .

٣ - بطريقة التاريخ والسيرة :
عند التعارض بين حديثين ، يكون الحديث المتأخر في الزمن ناسخا للحديث المتقدم .. مثال ذلك :
الحديث الذي رواه شداد بن أوس - رضي الله عنه - وغيره من أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى على رجل يحتجم في رمضان ، فقال : (افطر الحاجم والمحجوم)[١٢٥٩] . وفي رواية ان المحتجم كان جعفر بن أبي طالب[١٢٦٠] .
وحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - : ‹ أن النبي - صلى الله

١٢٥٦ رواه مسلم ‹ عن كتاب المنهل الراوي من تقريب النواوي ، ص ١٥٧ ،والترمذي وصححه . وانظر منتقى الأخبار لابن تيمية ، نيل الاوطار للشوكاني ١١٧/٤ (عن كتاب لمحات في اصول الحديث والبلاغة النبوية ، د . ابيب ، ص ٨٣) ، تدريب الراوي ج ٢ ص ١٩٠ ، ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين ، ص ٣٤

١٢٥٧ رواه احمد ومسلم والترمذي ، وانظر نيل الأوطار للشوكاني ١٣٥/٥ عن كتاب لمحات في اصول الحديث ، ص ٨٣ .

١٢٥٨ رواه ابو داود وغيره (عن كتاب لمحات في اصول الحديث ، ص ٨٤) . تدريب الراوي ، ج ٢ ص ١٩٠ ابو داود ١:٤٩ ، والنسائي : ٩٠/١ وصححه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهما .

١٢٥٩ رواه الترمذي في الصوم ٩٦/١ ، وابو داود ٣٠٨/٢ ، وابن ماجه ٥٣٧/١ (عن كتاب منهج النقد ، ص ٣٣٦) .

١٢٦٠ رواه الدار قطني (عن كتاب لمحات في اصول الحديث ، ص ٨٤)

عليه وسلم - احتجم وهو صائم ›[١٢٦١] .

وقد ذكر الامام الشافعي ان الحديث الثاني ناسخ للأول ، بدليل ان حديث شداد كان في زمن فتح مكة سنة ثمان للهجرة ، وحديث ابن عباس كان في حجة الوداع سنة عشر ، فيكون الثاني ناسخا للأول[١٢٦٢] .

٤ - ما عرف بدلالة الاجماع :

فالاجماع لا ينسخ حديثا ، ولكن يدل على ناسخ[١٢٦٣] .. من الأمثلة علي ذلك حديث : (قتل شارب الخمر في الرابعة) ، والحديث : (من شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد في الرابعة فاقتلوه)[١٢٦٤] .

فقد دل الاجماع على نسخ الحديث ..

فعند النظرة الشاملة العميقة لا نجد تضاربا ولا تناقضا في الأحكام الشرعية التي جاءت بها السنة المطهرة ، وانما النقص في ضيق الأفق وجهل الناقد ، فالمتبحر الغائص في أعماق السنة يتبين له في النسخ حكم جليلة منها :

التدرج[١٢٦٥] في الأحكام التي هي بمثابة سلم الارتقاء .

وكذلك في النسخ الرحمة بالامة للتخفيف عنهم[١٢٦٦] .

وكذلك من حكمة النسخ يتبين لنا ان التبديل من عند الله سبحانه وتعالي ، ولم يكن لأحد من الأمر أو الحق في التغيير ، وانما له الأمر

١٢٦١ اخرجه البخاري في الطب ، ١٢٥/٧

١٢٦٢ انظر في كتاب الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحازمي ٤ - ١٠ (عن كتاب منهج النقد ، ص٣٣٧) .

١٢٦٣ تدريب الراوي ، ج ٢ ص ١٩٢

١٢٦٤ رواه ابو داود والترمذي (عن كتاب هامش تدريب الراوي ، ج ٢ ص ١٩٢) .

١٢٦٥ النسخ في علم الاصول معناه : رفع حكم شرعي بدليل شرعي لاحق وسببه التيسير على الناس والتدرج في التشريع وتغيير احكام المعاملات بتغيير الازمان - فلسفة التشريع الاسلايم للمحمصاني ، ص ١٠٩ (عن كتاب الاصول الاسلامية ، ص ٩٣) .

١٢٦٦ الرسالة ، ص ١٠٦

والخلق[١٢٦٧] ، وان النسخ يثبت انه لا يمتنع على الله شيء ، وان إ رادة الله لا تحد ، وان النسخ في فعله ووحيه[١٢٦٨] ..

فالأحكام الشرعية المبنية على التدرج والرحمة والتخفيف ، ولم يكن لأحد القدرة علي التغيير والتبديل فيها ، وان الأمر كله لله ، وهو القادر علي كل شيء ، فإن هذه الأحكام الشرعية تكون قوية البناء ، لا تؤثر فيها العواصف ، ولا تزعزع أركانها تغير الظروف والأحوال .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

١٢٦٧ من قوله تعالى : « واذا تتلى عليهم أياتنا بينات ، قال الذين لا يرجون لقاءنا أئت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لي ان أبدله من تلقاء نفسي ، ان اتبع الا ما يوحى اليّ ، اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) يونس : ١٥٠ .قال الامام الشافعي في هذه الآية : فأخبر انه فرض على نبيه اتباع ما يوحى اليه ، ولم يجعل له تبديله من تلقاء نفسه – الرسالة ص ١٠٧

١٢٦٨ المستصفى للغزالي ، ص ١١٢ (من كتاب الاصول الاسلامية منهجها وأبعادها ، ص ٩٦) .

الباب الثانـــــــي

<< البـدعـــــــة >>

الفصل الأول : البدعة في اللغـة - البدعة في الدين .

الفصل الثاني : مضار البـــــــــــــــــدع .

الفصل الثالث : وفيه مبحثـــان :

المبحث الأول : أسباب الابتـــــــداع .

المبحث الثاني : كيف نقضي على البدع .

الفصل الأول

البدعة في اللغة - البدعة في الدين

البدعة في اللغة :

بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه : انشأه وبدأه[١٢٦٩] .
وبدع الركية[١٢٧٠] : استنبطها وأحدثها[١٢٧١] .
وركى بديع : حديثة الحضر[١٢٧٢] .
البديع والبدع : الشيء الذي يكون أولا[١٢٧٣] ..
وفي التنزيل : « قل ما كنت بدعا من الرسل »[١٢٧٤] ، أي : ما كنت أول من أرسل ، قد أرسل قبلي رسل كثير .
واستبدعه : عدة بديعا[١٢٧٥] .
والبديع : المحدث العجيب[١٢٧٦] .
والبديع : المبدع[١٢٧٧] .
وبدعت الشيء : اخترعته لا على مثال[١٢٧٨] .
والبديع : في أسماء الله تعالى ، لإبداعه الأشياء واحداثه إياها ، وهو البديع الأول قبل كل شيء[١٢٧٩] ، ويجوز أن يكون بمعنى < مبدع > أو يكون من

١٢٦٩ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٤ ، الوافي ص ٣١ ، المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٣ ، الرائد ج ١ ص ٣١٠

١٢٧٠ الركية : البئر ذات ماء < منجد الطلاب ، ص ٢٦١ >

١٢٧١ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٤ ، المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٣ ، القاموس المحيط ج ٣ ص ٤

١٢٧٢ لسان العرب ج ١ ص ١٧٤

١٢٧٣ لسان العرب ج ١ ص ١٧٤ ، الوافي ص ٣١ ، المصباح المنير ج ١ ص٣٨ ، الرائد ج ١ ص ٣١٠ ، القاموس المحيط ج ٣ ص ٣

١٢٧٤ الأحقاف : ١٠

١٢٧٥ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٥

١٢٧٦ المصدر السابق .

١٢٧٧ المصدر السابق .

١٢٧٨ المصدر السابق .

١٢٧٩ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٥ ، الوافي ص ٣١

بدع الخلق أي بدأه ، والله تعالى قال : « بديع السموات والأرض »[١٢٨٠] أي خالقها ومبدعها ، فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثل سابق[١٢٨١] . قال أبو اسحاق : يعني انه أنشأها على غير حذاء ولا مثال .

وسقا بديع : جديد ، وكذلك زمام بديع[١٢٨٢] .

وقال الأزهري : حبل بديع : جديد[١٢٨٣] .

ورجل بدع ، وإمرأة بدعة : إذا كان غاية في كل شيء ، كان عالما أو شريفا أو شجاعا[١٢٨٤] .

وأبدعت الابل : بركت في الطريق من هزال أو داء أو كلال ، وأبدعت هي : كلت أو عطبت ، وقيل : لا يكون الابداع الا بظلع . ويقال : أبدعت به راحلته اذا طلعت[١٢٨٥] .

وابدعوا به : ضربوه[١٢٨٦] .وابدع يمينا : أوحها[١٢٨٧] .

عن ابن الاعرابي : وابدع بالسفر وبالحج : عزم عليه[١٢٨٨] .

ويقال ابتدع فلان بدعة : اذا ابتدأ طريقة لم يسبق اليها[١٢٨٩] .

العرض والتحليل للمعاني السابقة :

عند النظر لهذه المعاني والتمعن فيها نجد معظمها يدور حول الاحداث والاختراع ، وهذه المعاني من الناحية الدنيوية ، فلا ضرر فيها ولا حرج على عقول المسلمين منها ، ما دامت لا تهدم الأصول التي وضعتها الشريعة الغراء .

فالبدعة على هذا الأساس تشمل الصناعات والاختراعات والتحسينات في الأعمال ، والابتكار ، وكل هذه الاشياء ، يجب ان يبرز فيها المسلم قبل غيره ، لانها من ضروريات الحياة .

١٢٨٠ البقرة : ١١٧

١٢٨١ لسان العرب المحيط ج١ ص ١٧٥

١٢٨٢ المصدر السابق .

١٢٨٣ المصدر السابق .

١٢٨٤ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٥ ، المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٣ ، القاموس المحيط ج ٣ ص ٣

١٢٨٥ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٥ ، المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٣ ، القاموس المحيط ج ٣ ص ٤

١٢٨٦ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٥

١٢٨٧ المصدر السابق .

١٢٨٨ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٥ ، الوافي ص ٣١

١٢٨٩ اصول في البدع والسنن ، ص ١٨

وقد احاط الشرع تلك المنافع الدنيوية بحماية لها للمحافظة عليها : < فأوجب المحافظة على قاعدة العدل ، ودرء المفاسد ، وجلب المصالح >[١٢٩٠] .

فقد دارت معظم معاني مادة البدعة في الجديد ، والاختراع والغاية ، والعزم ، وكل هذه المعاني ، تحتاج لبذل النفس والنفيس ، وعليها يبنى صرح الحضارة . وفيها تكمن قوة الأمة وعزها .

وعلى هذا الأساس فقد أوجبها بعض العلماء ، ما لم تخالف الشريعة الإسلامية .

ويقول الشيخ محمد نجيب في رسالته عن البدعة :

< وأما البدعة التي قسمها العلماء الى واجب وحرام ... فهي البدعة اللغوية ، وهي أعم من الشرعية ، لأن الشرعية قسم منها >[١٢٩١] .

ومع ان البدعة في الدنيا مباحة ، وواجبة ، فقد تصل في حالات خاصة الى التحريم .

ومن ذلك : < بدعة التحسين والتقبيح بالعقل بدلا من الشرع ، وبدعة انكار حجية السنة ، أو انكار وجوب العمل بما تقتضيه >[١٢٩٢] .

والبدعة في الجوانب الدنيوية لها أفق واسع ومعاني كثيرة ، وباب يؤدي الى ساحة تسمح لجميع أصحاب العقول من الحكماء والعلماء والقادة أن ينهلوا من معينها .. ومن معانيها :

أ - **الوصول الى القمة في كل شيء :**

وقد ورد هذا المعني في مادة البدعة ، فقيل بدع : يبدع بداعة وبدوعا : كان غاية في كل شيء فهو بدع ، وهي بدعة[١٢٩٣] .

ب - **قوة الحجة ودحض الفكرة :**

فكلمة البدعة تتسع لهذا المعني مما يدل على غزارة معناها ومبناها من الناحية اللغوية ، وفي هذا المجال تفتح آفاقا واسعة أمام العلماء .

وقد ورد معنى أبدع : أبطل ، يقال : < أبدعت حجته > أي : أبطلت[١٢٩٤] .

ج - **حصر معناها بالحس والعاطفة :**

١٢٩٠ المصدر السابق ، ص٩١

١٢٩١ أحسن الكلام ص ٦ ، وقد نقل هذا الكام عن ابي حجر الهيثمي في فتاويه الحديثية ص ٣٠٥ ط : الحلبي

١٢٩٢ البدعة ص ٣٥٩

١٢٩٣ الوافي ص ٣١

١٢٩٤ المصدر السابق

وقد يكون هذا المعنى يتداول بين جماعة معينة تهدف الى أفكار خاصة ، حددت هذا اللفظ بهذا المعنى ، فقيل ‹ الإبتداعية › : نزعة في جميع فروع الفن تعرف بالعودة الى الطبيعة وايثار الحس والعاطفة على العقل والمنطق ، وتتميز بالخروج على أساليب القدماء باستحداث أساليب جديدة[١٢٩٥] .

د - **يحتمل المعنى الخير والشر او المدح والذم :**

فقيل ‹ البدعة : اسم هيئة من الابتداع ، كالرفعة من الارتفاع ، وهي : كل شيء أحدث على غير مثال سابق ، سواء كان محمودا أو مذموما ›[١٢٩٦] .

والبدع ‹ بكسر الباء › يستعمل في الخير والشر[١٢٩٧] .

ورجل بدع : أي غُمر[١٢٩٨] .

وقد مرت معنى البدعة بمعنى الاختراع لا على مثال[١٢٩٩] .

ولكن بعض العلماء يجعل فرقا بين الاختراع والابتداع ، فيذكر ابو هلال العسكري في كتابه ‹ الفروق في اللغة › حيث يقول :

‹ الفرق بين الاختراع والابتداع ، ان الابتداع اتخاذ ما لم يسبق الى مثله ، يقال أبدع فلان : إذا أتى بالشيء الغريب ، وابدعه الله فهو مبدع وبديع .. ومنه قوله تعالى : « بديع السموات والأرض »[١٣٠٠] ... › .

فعند النظر لهذه المعاني الكثيرة للبدعة وما يتفرع منها ، نجد بعض العلماء يعطيها معنى عام ، وهو الاختراع ، والعزم ، والجديد . وبعضهم يخصصها ويجعل لها فرعا خاصا ، ويسميها بالشيء الغريب ..

قد تحتمل البدعة كل هذه المعاني ، كل حسب الزاوية التي ينظر اليها من العلماء والحكماء والفلاسفة واللغويين وأصحاب الفرق الأخرى .

١٢٩٥ المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٣

١٢٩٦ البدعة ص ١٩٣

١٢٩٧ المصدر السابق

١٢٩٨ لم يجرب الأمر ‹ حاشية البدعة ص ١٩٣ ›

١٢٩٩ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٥

١٣٠٠ الفروق في اللغة ‹ لأبي طلال العسكري ، ص ١٢٦ ›

البدعة في الدين :

أ - تعاريف تدل على ذم البدعة :

١ - عرفها الشيخ عز الدين بن عبدالسلام ومن وافقه[١٣٠١] بأنها هي :

‹ فعل ما لم يعهد في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ›[١٣٠٢] .

٢ - ويقول ابن حجر العسقلاني :

‹ والبدعة : أصلها ما أحدث على غير مثال سابق ، وتطلق في الشرع في مقابل السنة ، فتكون مذمومة ›[١٣٠٣] .

٣ - ويقول ابن رجب الحنبلي :

‹ والمراد بالبدعة : ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، اما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا ، وان كان بدعة لغة ›[١٣٠٤] .

٤ - وعرفها ابن حجر الهيثمي :

‹ ما أحدث على خلاف أمر الشرع ودليله الخاص والعام ›[١٣٠٥] .

٥ - وقال الزركشي :

‹ البدعة في الشرع موضوعة للحادث المذموم ›[١٣٠٦] .

٦ - ويقول الشيخ نجيب :

‹ إن البدعة الشرعية هي التي تكون ضلالة ومذمومة ، واما البدعة التي قسمها العلماء الي واجب وحرام ... فهي البدعة اللغوية ، وهي أعم من الشرعية ، لأن الشرعية قسم منها ›[١٣٠٧] .

٧ - ويرى الدكتور عبدالله دراز تعريف البدعة الشرعية بأنها لا تتناول إلا ما هو باطل في الصدر الأول ، فيقول :

‹ وهي تلك الطرائق المخترعة التي ليس لها مستند من كتاب أو سنة ، أو ما استنبط منهما ›[١٣٠٨] .

٨ - ويعرف الامام الشاطبي ومن وافقه البدعة :

١٣٠١ البدعة ص ١٩٨

١٣٠٢ المصدر السابق

١٣٠٣ المصدر السابق

١٣٠٤ المصدر السابق

١٣٠٥ المصدر السابق ص ١٩٩

١٣٠٦ الابداع ص ٣١

١٣٠٧ أحسن الكلام ص ٦

١٣٠٨ الميزان بين السنة والبدعة ص ٥

‹ المحدث المخالف للسنة الذي جعل دينا قويما ، وصراطا مستقيما ›[١٣٠٩]

٩ - وعرفت البدعة : ‹ ما أحدث وليس له أصل في الشرع ، ويسمى في عرف الشرع بدعة ، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة ›[١٣١٠] .

١٠ - وقال ابن الأثير : ‹ وما أكثر ما يستعمل المبتدع عرفا في الذم ›[١٣١١] .

١١ - وقال الشهاب الخفاجي في شرح الشفا :

‹ البدعة إذا أطلقت يراد بها السيئة ›[١٣١٢] .

١٢ - وأخرج الهروي عن مالك قال :

‹ إياكم والبدع ، قيل يا أبا عبدالله وما البدع ؟ ، قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم باحسان ›[١٣١٣] .

١٣ - وعرفت البدعة : ‹ هى الأمر المستحدث في الدين بعد إكماله ، دون أن يكون له أصل يرجع اليه ، من الكتاب ، أو السنة ›[١٣١٤] .

١٤ - البدعة : ‹ هي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون ، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي ›[١٣١٥] .

١٥ - وعرفت البدعة : ‹ هي الفعلة المخالفة للسنة ، سميت البدعة لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام ›[١٣١٦] .

وعند النظر الى هذه التعريفات بدقة ، وإمعان فكر ، نرى أنها تدل عي المعاني الآتية :

١) أن الفعل الذي تدل عليه البدعة لم يكن في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

٢) البدعة تطلق على الشيء المذموم ، مقابل السنة .

٣) ان البدعة لا أصل لها في الشريعة الاسلامية ، ولذلك لا يمكن ان يكون لها سند ترجع اليه ، من كتاب أو سنة أو اجماع أو قياس أو مصالح مرسلة .

١٣٠٩ الاعتصام ج ١ ص ١٢٧

١٣١٠ عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ص ٣٦٢

١٣١١ البدعة ص ٢١٩

١٣١٢ المصدر السابق

١٣١٣ الاسلام والعقل ص ١٦٧

١٣١٤ مناهج الشريعة الاسلامية ج ٣ ص ٢٨٤

١٣١٥ التعريفات للجرجاني ص ٢٤

١٣١٦ المصدر السابق

٤) البدعة مخالفة للشريعة الاسلامية واحكامها .

٥) ان الالتزام بها هو بعد عن حقيقة الشريعة الاسلامية وروحها ، وان السير عليها يؤدي الى الانحراف والضلال .

٦) البدعة لها طرق متعددة منحرفة تؤدي كلها الى الهلاك .

٧) ان سالك هذا السبيل عليه وزر ، وليس له أجر .

٨) ان أصحاب البدع يقولون على الله ما لا يعلمون ، وقد يتعرض عدد منهم الى الوقوع في الكفر والهلاك ، بسبب الكلام في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه ، مما لا علم لهم به ، فيقعون في تحريف العقيدة .

وبعد تبيان هذه المعاني يمكن تلخيص البدعة : بأنها هي التي لم يدل عليها دليل شرعي في كتاب أو سنة أو اجماع أو استدلال معتبر عند أهل العلم لا في الجملة ولا في التفصيل .

الفصل الثاني

مضـــــار البـــــدع

أدلة هذا الفريق على ذم البدعة :

لقد استدل أصحاب هذا الرأي أن البدع كلها ضلالات ، يجب على المسلم أن يبتعد عنها ، مهما كان نوعها ، وذلك استنادا على الأدلة الآتية :

١ - ذم أهل البدع :

فقد ذم سبحانه وتعالى أهل البدع ، ووصفهم بأنهم أصحاب زيغ وضلال ، ومن كانت هذه حاله فإنه لا يجني من عمله إلا الحسرة والندامة ، ولقد ورد هذا الذم في القرآن جملة ، قال تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله »[١٣١٧] .

فقد ذكر المفسرون[١٣١٨] :

< ان الذين يتبعون المتشابه من الكتاب ، هم أصحاب البدع > .

ومع ذم أهل الأهواء والبدع ، فإن طريقهم الذي يسلكوه يؤدي بهم الى الابتعاد عن سبيل الاسلام وهديه ، فيؤدي بهم ذلك الى طرق كثيرة كلها بعيدة عن سبيل الرشاد الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده المقتفين شريعته ، فقد بين سبحانه وتعالى هذا المعنى بقوله تعالـــــى : « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »[١٣١٩] .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالي : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » : < أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن

١٣١٧ آل عمران : ٧

١٣١٨ مختصر تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٦٤ ، وصفوة البيان لمعاني القرآن ص ٧٢

١٣١٩ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٦٣٣

الاختلاف والتفرقة ، وأخبرهم انه انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله ›[١٣٢٠] .

عن أبي الحجاج بن جبير المكي[١٣٢١] - وهو من كبار التابعين وامام المفسرين - في قوله تعالى : « ولا تتبعوا السبل » ، قال : ‹ البدع والشبهات ›[١٣٢٢] .

٢ - انهم جعلوا أهواءهم معبودا لهم : فقد اتبع كثير من أصحاب الفرق أهواءهم . فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا ما أنزل الله بها من سلطان ، ولم يكن لهم سندمن سنة ولا تفسير عن السلف الصالح .. ومن بدعهم :

أ - منهم[١٣٢٣] من يقول : ‹ فساق هذه الأمة شر من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة . مع قوله بأنهم موحدون في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر[١٣٢٤] .

ب - ومنهم الهشامية ‹ أتباع هشام بن عمرو القوطي › - وكان من حملة القدرية ، وزاد عليهم في بدع كثيرة - منها قوله : إنه لا يجوز لواحد من المسلمين ان يقول : « حسبنا الله ونعم الوكيل »[١٣٢٥] . فخرق بهذا القول إجماع المسلمين .. وزعم انه لا يجوز ان يسمى[١٣٢٦] « وكيلا » . خلاف قوله تعالى : « رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا »[١٣٢٧] .

ج - ومنهم الواصلية ‹ اتباع واصل[١٣٢٨] بن عطاء › - وهو رأس

١٣٢٠ الأنعام : ١٥٣

١٣٢١ هو الامام سعيد بن جبير ‹ هامش اصلاح المساجد من البدع والعوائد ، للعلامة محمد جمال الدين القاسمي ص ١٠

١٣٢٢ اصلاح المساجد من البدع والعوائد ، للعلامة محمد جمال الدين القاسمي ، ص ١٠

١٣٢٣ الجعفرية فرقة المعتزلة ، وهم اتباعجعفر بن مبشر وجعفر بن حرب ، والقول لجعفر ابن مبشر ، التبصير في الدين ص ٧٨

١٣٢٤ التبصير في الدين ، للامام الاسفراييني ص ٧٨

١٣٢٥ آل عمران : ١٧٣

١٣٢٦ التبصير في الدين ، للامام الاسفراييني ، ص ٧٧

١٣٢٧ المزمل : ٩

١٣٢٨ واصل بن عطاء : البصري ، المتكلم ، ولد بالمدينة في سنة ثمانين ، مات في سنة ٣١ ، قال المسعودي : ‹ وهو قديم المعتزلة وشيخها ، واول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين › ، كان يجلس في سوق الغزالين فلقب له بالغزال .. حاشية الفرق بين الفرق ، للبغدادي ، ص ٢٠ . وانظر لسان العرب : ٢١٤/٦ . والبدء والتاريخ ١٤١/٥ . وانظر في فصاحة البيان والتبيين للجاحظ : ٢١/١ وما بعدها . والكامل للمبرد : ١٢٤/٢

المعتزلة - وكان واصل يقول : ‹ إن الفاسق لا مؤمن ولا كافر ، وانه في منزلة بين المنزلتين ، وحكمهم في الآخرة انهم مخلدون في النار مع الكفار . وان من خرج منهم من الدنيا قبل ان يتوب لم يجز لله تعالى ان يغفر له . مخالف في هذا القول جميع المسلمين ›[١٣٢٩] .

د - ومنهم الجهمية ‹ هؤلاء اتباع جهم بن صفوان › - الذي قال بالجبر - وزعم : ‹ ان العباد مضطرون الى أنواع يصرفهم كما يضطر الريح الى حركتها . ولم يثبتوا للعبد كسبا ولا استطاعة ›[١٣٣٠] .

هـ - ومنهم الصفرية ‹ وهم فرقة من الخوارج › : ‹ يقولون في مرتكبي الذنوب[١٣٣١] بأنهم كفرة (وكذلك قالت الأزارقة من الخوارج بذلك › [١٣٣٢]

وأهل البدع لا حصر لبدعهم وضلالتهم ، وهي كثيرة وذات درجات متفاوتة في مرتكب ذنب صغير الى فاسق حتى تصل الى الخروج من الملة الاسلامية ، فأهل البدع خالفوا النصوص من الكتاب والسنة صراحة وبدون دليل يرتكزون عليه لاقامة دعواهم .. فزعموا مزاعم كثيرة منها :

- زعموا انهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم دون الله[١٣٣٣] ..ردا لقوله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله »[١٣٣٤] .

- وانكروا ان يكون له يدان[١٣٣٥] : مع قوله تعالي : « لما خلقت بيدي »[١٣٣٦] .

وهكذا نجد جميع أهل البدع قد اتبعوا أهواءهم ، لا بل جعلوا لذاتهم وشهواتهم معبودا يتجهون اليه ، وقالوا على الله سبحانه وتعالى ما لم يقل ، وشرعوا ما لم يشرع في كتابه ولا سنة نبيه ، فكانت النتيجة ان تفرقت الأمة ، وذهب ريحها ، وخمدت شوكتها .

١٣٢٩ التبصير في الدين للاسفراييني ، ص ٦٧ ، ٦٨

١٣٣٠ كتاب اصول الدين ، البغدادي ، ص ٣٣٣

١٣٣١ الذنوب الصغيرة والكبيرة يعتبر مرتكبها كافرا ، الفرق بين الفرق ، ص ١٧

١٣٣٢ الفرق بين الفرق ، البغدادي ص ١١٧

١٣٣٣ الابانة عن اصول الديانة ، ص ١٣

١٣٣٤ الأعراف : ١٨٨

١٣٣٥ الابانة عن اصول الديانة ، للأشعري ، ص ١٤

١٣٣٦ ص : ٧٥

٣ - تكليف الأمة بما لا طاقة لها به :

فقد وضع أصحاب البدع تكاليف قاصمة للظهر تنوء بالعصبة أولي القوة ، فقد حملوها بفلسفات ، ما أنزل الله بها من سلطان ، وكلفوا الناس ، بأعمال شاقة ، واعتبروها شريعة لهم .. من تلك التشديدات الباطلة :

أ - تكفير المسلمين :

فقد كفر الخوارج الامام عليا - رضي الله عنه - ، والخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، وأصحاب الجمل ، والحكمين وكل من رضي بالحكمين[١٣٣٧] .

ومن المزاعم التي ادعوها : ان كل من أذنب ذنبا في أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو كافر[١٣٣٨] ..

فكانت ثمرة هؤلاء أن ذهب ضحيتها الخليفة الراشد على بن أبي طالب[١٣٣٩] ، فكانت أكبر مأساة على الأمة الإسلامية ، من جماعة تنتمي الى الاسلام ، وتحتقر عبادة غيرها ، ولكن البدع التي عشعشت في فكرها أمات احساسها ، فأباحت دماء المسلمين ، لا بل جعلت تلك الدماء قربانا الى الله تعالى . فنشبت الحروب الدامية بين الأمة الإسلامية واصحاب الفرق الغارقة في البدع ، والتي أثارت الفتن في كل زمان ومكان ، فقد بقيت نار هذه الفتنة متأججة مرة بالسهام ، ومرة باللسان ، فأضعفت شوكة المسلمين .

ب - التشدد بالعبادة والتعنت بكل شيء لا يوافق أهواءهم : ويروى عنهم انهم كانوا يتشددون في حياتهم في العبادة والزهد والتقشف ، ويذكر : < أن رؤساء المعتزلة كانوا يحيون حياة متقشفة زاهدة ، في اعتزال للمجتمع الذي كانوا يعاصرونه ، فلما ذهبوا هذا المذهب الاعتزالي المنكمش أو كثر تلقيينهم بالمعتزلة .

ويقال : ان قتادة بن دعامة السدوسي هو أول من أطلق عليهم هذا الاسم ، فقد دخل مسجد البصرة ذات يوم وكان أعمى ، فاذا بعمرو بن عبيد

١٣٣٧ التبصير في الدين ص ٤٥

١٣٣٨ المصدر السابق

١٣٣٩ قاتل الامام علي - رضي الله عنه - عبدالرحمن بن ملجم الخارجي ، ليس بأهل أن يروى عنه ، وما أظن له رواية ، وكان عابدا قانتا لله ، لكنه ختم بشر ، فقتل أمير المؤمنين عليا متقربا الى الله بدمه < ميزان الاعتدال ، للذهبي > ج ٢ ص ٥٩٢

واصحابه قد اعتزلوا حلقة الحسن البصري بعد حادثة واصل ، وكونوا لأنفسهم حلقة خاصة ، وارتفعت أصواتهم وهم يتجادلون جدلا عقيما حول ذات الله وصفاته ، والوعد ، والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين .. ولما وصل اليهم عرف حقيقة مذهبهم ، ادرك اعتزالهم المجتمع الاكبر الذي يدين بغير ما دانوا به ، فقام عنهم قائلا : أولئك المعتزلة : اعتلوا طريق الجماعة من المسلمين › .

وكذلك كان الخوارج على درجة من الزهد والعبادة - كما مر في ترجمة حياة عبدالرحمن بن ملجم .

وإن أصحاب البدع وقفوا بكل ضراوة وشراسة بوجه كل من يخالفهم ولم يخشو الله في ذلك ، نجد اباحة دم المرء بمجرد جواب من أي شخص لا يعجبهم .

ويروى : ‹ ان الخوارج رأوا في طريقهم حال خروجهم الى النهروا ، عبدالله بن خباب بن الأرت ، فقالوا له : حدث لنا حديثا سمعته من أبيك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال : سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والواقف فيها خير من السائر ، والماشي فيها خير من العادي ..)[١٣٤٠] . فلما سمعوا منه هذا الخير قصدوا قتله ، وقتله رجل منهم اسمه مسمع .. ، ثم قصدوا بيته وقتلوا أولاده ، وأمهات أولاده بالنهروا ... ›[١٣٤١] .

وكذلك وقفوا في وجه كل عمل فيه صلح وخير ، يجمع الأمة الاسلامية ويوحد كلمتها .

‹ ولما أراد الحسن - رضي الله عنه - أن يصالح معاوية خرج عليه من الخوارج ابن سنان . وقال : أشركت كما أشرك أبوك ، ثم طعنه في أصل فخذه . ومازالت الخوارج تخرج على الأمراء ولهم مذاهب مختلفة . وكان أصحاب نافع بين الأزرق يقولون : نحن مشركون ما دمنا في دار الشرك ، فإذا خرجنا فنحن مسلمون . قالوا : ومخالفونا في المذهب مشركون . ومرتكبوا الكبائر مشركون . والقاعدون عن موافقتنا في القتال كفرة ، وأباح هؤلاء قتل النساء والصبيان من المسلمين ، وحكموا عليهم بالشرك ›[١٣٤٢] .

١٣٤٠ أخرجه البخاري بنحوه في صحيحه ٤/٢٢٥ في كتاب الفتن : باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم

١٣٤١ التبصير في الدين ، للأسفراييني ، ص ٤٧

١٣٤٢ عن كتاب : لماذا يلحدون ؟ ، د . سيد الجميلي ، ص ١٠٥

هؤلاء الحمقى اصحاب القلوب الغلف ، ما أكثر تناقضهم يتصورون أنهم أصحاب صفاء ونقاء وتقوى .

‹ واستحلوا دماء الأطفال ولم يستحلوا أكل ثمرة بغير ثمنها ، وتعبوا في العبادات وسهروا وجزع ابن ملجم عند قطع لسانه من فوات الذكر ›[١٣٤٣] .

من أين جاء هذا الفكر الغريب والنظرة الضيقة ، والتناقض العجيب من عمق في العبادة في الظاهر ، مع قسوة القلب الذي هو أشد من الحجارة ، الذي يكفر الصحابة الكرام ، ويبيح دماءهم ، ولا يمكن بيان جميع الأسباب ، لعدم استيعاب الموضوع في هذا البحث المحدود . ولكن من أهم هذه الأسباب .. هي :

١) ضيق الأفق الذي كان يسيطر على عقولهم ، وقلة ادراكهم وجهلهم باستنباط الأحكام من أدلتها الشرعية ، فكانت احكامهم الصارمة بالتكفير ، واباحة دماء المسلمين تكون مستندة الى تأويل معاني نصوص وردت لا تحتمل أي احتمال ، مما ذهبوا اليه ، فمن تلك النصوص :

(١) حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – (لا يزني الرجل حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن)[١٣٤٤] .

(٢) عن أبي هريرة ، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن) قيل : من يا رسول الله ؟ ، قال : (الذي لا يأمن جاره بوائقه[١٣٤٥])[١٣٤٦] . وفي رواية لمسلم : (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)[١٣٤٧] .

(٣) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – ، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يؤذي جاره . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا أو ليسكت[١٣٤٨])[١٣٤٩] .

١٣٤٣ المصدر السابق .

١٣٤٤ اخرجه الشيخان وابن ابي شيبة في الايمان ، رقم ٣٨ ، ٧٣

١٣٤٥ البوائق : الغوائل والشرور (رياض الصالحين ، ص ١٧٣)

١٣٤٦ رواه البخاري في الأدب ، ج ٥ ص ٢٢٤٠ رقم ٥٦٧٠ (متفق عليه)

١٣٤٧ رواه مسلم في كتاب الايمان ، ج ١ ص ٦٨ ، رقم ٤٦

١٣٤٨ قال الشافعي – رحمه الله – : يكره بعد ان يتفكر فيما يريد ان يتكلم به ، فاذا ظهر له انه خير محقق لا يترتب عليه مفسدة ، ولا يجر الى كلام محرم او مكروه ، أتى به (حاشية رياض الصالحين ، ص ١٧٣) .

(٤) وقول عمر - رضي الله عنه - : (لا ايمان لمن لا أمانة له)[١٣٥٠] .

(٥) وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (من حمل علينا السلاح ، فليس منا . ومن غشنا ، فليس منا)[١٣٥١] .

(٦) وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا)[١٣٥٢] .

(٧) عن زيد بن خالد - رضي الله عنه - قال : صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء[١٣٥٣] كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس ، فقال : (هل تدرون ماذا قال ربكم ؟) قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : (قال : أصبح من عبادي مؤمن بي ، وكافر . فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي ، كافر بالكوكب . وأما من قال : مطرنا بنوء[١٣٥٤] كذا وكذا ، فذلك كافر بي ، مؤمن بالكوكب)[١٣٥٥] .

(٨) عن ابن عمر - رضي الله عنهم - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال ، وإلا رجعت اليه)[١٣٥٦] .

(٩) عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله

١٣٥٠ حديث صحيح مرفوع من حديث أنس (٧) من الايمان لابن أبي شيبة ، تحقيق وتخرية الشيخ ناصر الدين الألباني في كتاب الايمان للامام ابن سلام ، ص ٣٦

١٣٥١ رواه مسلم في كتاب الايمان ، ج ١ ص ٩٩ رقم ١٠١

١٣٥٢ رواه ابو داود ٤٩٤٣ ، والترمذي ١٩٢١ ، واخرجه احمد ٢/١٥٨ ، ٢٠٧ ، وسنده حسن ، وعن أنس عند الترمذي ١٩٢٠ ، وعن عبادج ابن صامت عند احمد ٥/٣٢٣ وزاد : (ويعرف لعالمنا) وسنده حسن .

١٣٥٣ السماء هنا المطر (رياض الصالحين ، ٦٤٧) .

١٣٥٤ قال الامام الشافعي - رحمه الله - في (الأم) : من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان بعض اهل الشرك يصفون من اضافة المطر الى انه مطر نوء كذا ، فذلك كفر كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، لأن النوء وقت ، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا ، ومن قال : مطرنا بنوء كذا على معنى : مطرنا في وقت كذا ، فلا يكون كفرا ، ، وغيره من الكلام احب الى منه (حاشية رياض الصالحين ، ص ٦٤٧) .

١٣٥٥ رواه مسلم في كتاب الايمان ، ج ١ ص ٨٣ رقم ٧١

١٣٥٦ رواه مسلم في كتاب الايمان ، ج ١ ص ٧٩ رقم ٦٠.
رواه البخاري في الآداب ، ج ٥ ص ٢٢٦٣ رقم ٥٧٥٢

عليه وسلم - : (سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر)[١٣٥٧] .

(١٠) وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعا ، قال : (الرقى والتمائم[١٣٥٨] والتولة[١٣٥٩] شرك)[١٣٦٠] .

قال الخطابي - رحمه الله - : ‹ وأما اذا كانت الرقية بالقرآن ، أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يرقي الحسن والحسين - رضي الله عنهما - فيقول : (أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة . ومن كل عين لامة)[١٣٦١] .

(١١) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (اليسير من الرياء شرك)[١٣٦٢] .

(١٢) وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) فقيل ، وما هو يا رسول الله ؟ ، قال : (الرياء)[١٣٦٣] .

عندما نلقي نظرة الي هذه الأحاديث النبوية ، نجد جميعها تتعلق بموضوع الايمان ، ولكنها تنقسم الى أربعة أنواع :

- ففي الحديث الأول والثاني والثالث والرابع ، ففي هذه الأحاديث نفي الايمان .
- وفي الحديث الخامس والسادس ففيهما البراءة من الامة الاسلامية .
- وفي الحديث السابع والثامن والتاسع فيها تسمية الكفر .
- وفي الثلاثة الأخيرة فيها ذكر الشرك .

١٣٥٧ رواه البخاري في الآداب ، ج ٥ ص ٢٢٤٧ رقم ٥٦٩٧

رواه مسلم في كتاب الايمان ، ج ١ ص ٨١ رقم ٦٤

واخرجه الترمذي (١٩٨٤) ، والنسائي (١٢١/٧) .

١٣٥٨ التمائم :جمع تميمة ، وهي خرزات او خروز يعلقها الجهال على انفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون انها ترد العين ، وهذا من فعل الجاهلية ، ومن اعتقد ذلك فقد أشرك (كتاب الكبائر للذهبي ، ص ١٦)

١٣٥٩ التولة : بكسر التاء وفتح الواو ، نوع من السحر ، وهو تحبيب المرأة الى زوجها ، وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجهال ان ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله (كتاب الكبائر للامام الذهبي ، ص ١٦ - ١٧)

١٣٦٠ رواه احمد ، أفاده المنذري في ترغيبه ..

١٣٦١ كتاب الكبائر ، للامام الذهبي ، ص ١٧

١٣٦٢ متفق عليه من حديث جندب بن عبدالله ونحوه من حديث ابن عمر عند الطبراني في الكبير ، والبهيقي في الشعب ، وفي مسند الامام احمد وغيره (عن الكبائر ، للذهبي ، ص ١٥٥)

١٣٦٣ رواه الحاكم من حديث معاذ والطبراني بنحوه ، افاده العراقي عن ‹ كبائر- الذهبي ، ص ١٥٥ ›.

يقول الامام أبو عبيد القاسم[١٣٦٤] بن سلام : فهذه أربعة أنواع من الحديث ، قد كان الناس منها على أربعة أصناف من التأويل : فطائفة تذهب الى : كفر النعمة . وثانية : تحملها على التغليظ والترهيب . وثالثة : تجعلها كفر أهل الردة . ورابعة : تذهبها كلها وتردها[١٣٦٥] .

ثم يعلق على هذه الأصناف ، فيقول : فكل هذه الوجوه عندنا مردودة غيرمقبولة ، لما يدخلها من الخلل والفساد[١٣٦٦] .

والذي يهمنا التعقيب والتعليق عليه هو الصنف الثالث والرابع ، لأنه يتعلق بأصحاب الأهواء والبدع الذين أساؤوا الى الاسلام كل الإساءة من التطرف بالاحكام ، وضيقوا على الأمة كل سعة أتى بها الاسلام ، ليشوهوا معالم الحق ، وينفروا الناس من الدين الحنيف ، فكان الصنف الثالث هو مذهب الخوارج .

فيقول الامام بن سلام : واما الثالث : < الذي يلغ كفر الردة ، فهو شر من الذي قبله ، لأنه مذهب الخوارج الذين مرقوا من الدين بالتأويل ، فكفروا الناس بصغار الذنوب وكبارها >[١٣٦٧] .

فيرد على حجتهم ، ويفندها من كتاب الله عز وجل ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يكذب مقالتهم ، وذلك انه حكم في السارق بقطع اليد ، وفي الزاني[١٣٦٨] والقاذف بالجلد ، ولو كان الذنب يكفر صاحبه ما كان الحكم على هؤلاء الا القتل ، لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (من بدل دينه فاقتلوه)[١٣٦٩] .

١٣٦٤ هو ابو عبيد القاسم بن سلام البغدادي ، الامام المجتهد البحر ، اللغوي ، الفقيه ، ولد بـ (هراة) نحو سنة ١٥٧هـ ، سمع جماعة من الأئمة الثقات ، مثل سفيان بن عيينة واسماعيل بن علية ويحيى بن سعيد القطاة ، وحدث عن الامام الدارمي . أقام رحمه الله ببغداد ، وخرج الى مكة حتى مات بها سنة أربع وعشرين ومائتين (عن كتاب الايمان ، ص ٥ و ٦) .

١٣٦٥ كتاب الايمان ، للامام ابن سلام ، ص ٣٨ - ٣٩

١٣٦٦ فالفساد في الصنف الأول ان كفران النعم في مدلول اللغة العربية لا تكون الا بالجحد لأنعام الله وآلائه ، وفساد الصنف الثاني ان جعلوا الخير عن الله وعيدا لا حقيقة له ، وهذا يؤول ال ابطال العقاب (عن الايمان باختصار ، ص ٣٩) . ومن أراد التفصيل فليراجع نفس الكتاب ، ص ٣٩

١٣٦٧ كتاب الايمان ، للامام بن سلام ، ص ٣٩

١٣٦٨ هنا يريد بالزاني الغير محصن < وهو الغير متزوج > ، أما المحصن فحده الرجم .

١٣٦٩ اخرجه : البخاري . وأصحاب السنن من حديث ابن عباس - رضي الله عنه - مرفوعا ، واحمد ٥/٢٣١ من حديث معاذ - رضي الله عنه - واسناد صحيح على شرط الشيخين .

أفلا ترى أنهم لو كانوا كفارا لما كانت عقوباتهم القطع والجلد ، وكذلك قول الله تعالي فيمن قتل مظلوما ، فقد قال سبحانه وتعالى : « فقد جعلنا لوليه سلطانا »[١٣٧٠] . فلو كان القتل كفرا ما كان لولي عفو ولا أخذ دية ، ولزمه القتل .

ثم يبين القول الرابع : الذي فيه تضعيف هذه الآثار ، فيذكر انها مذهب من لا يعتد بقوله ، فلا يلتفت اليه ، انما هو احتجاج أهل الأهواء والبدع الذين قصر علمهم[١٣٧١] .

قد يتصور من ينظر الى الموضوع ان كلام الامام بن سلام فيه تناقض ، حيث انه ذكر الصنف الثالث انه رأي الخوارج وهم أصحاب بدع وأهواء ، وهم يكفرون المسلمين بارتكاب الذنب ، ثم ذكر الصنف الرابع الذين ينكرون الحديث جملة وتفصيلا وهم أصحاب بدع وأهواء .

فلم يكن في الحكم أي تناقض لأن أصحاب البدع فرق كثيرة متضاربة أفكارها ، وآرائها ، فمنهم من كفر المسلمين بارتكاب الذنوب الصغيرة ، ومنهم من انكر السنة جملة وتفصيلا وأباح لنفسه ارتكاب جميع المحرمات كالفرق المتطرفة[١٣٧٢] الأخرى غير الخوارج .

١٣٧٠ الاسراء : ٣٣

١٣٧١ كتاب الايمان (للامام بن سلام ، ص ٤٠) .

١٣٧٢ فمنهم من قال : بخلق القرآن وهم المعتزلة . ومنهم من كان يقول : ان من لم يعرف الله سبحانه وتعالي ضرورة ليس عليه امر ولا نهي ، وان الله خلقه للسخرة والاعتبار لا للتكليف في جنة ولا نار ، وان الله يجعلهم في الآخرة ترابا ، وهذه الفرقة سمي الثمامية ، فرقة تجمع من القدرية والاعتزال (عن كتاب التبصير في الدين ، ص ٧٩) .

ومنهم الهشامية : اصحاب هشام بن عمرو القوطي ، ومبالغة في القدر ، وكان يمتنع من اطلاق اضافات افعال الى الباريء تعالي ، وان ورد بها التنزيل ، منها قوله : ‹ ان الله لا يؤلف بين قلوب المؤمنين ، بل هم المؤلفون باختيادهم ... › (عن الملل والنحد للشهرستاني) .

ومنهم المجسمة والمشبه : كالكرامية (الملل والنحل ، ج ١ ص ١٠٨) .

ومنهم العبيدية وهي فرقة من المرجئة ، ان عقيدتهم ان ما دون الشرك مغفور لا محالة ، وان العبد اذا مات كلف توحيد لا يضره ما اقترف من الآثام واجترح من السيئات (الملل والنحل ، ج ١ ص ١٤٠) .

ومنهم من أول الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وغير ذلك على رجال ، فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول الى طاعة الله ، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة ، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول ، والرجعة بعد الموت – وتسمى هذه الفرقة الكيسانية ، وهي من فرق الشيعة .(عن الملل والنحل ، ج ١ ص ١٤٧) .

ثم يعقب على الأصناف الأربعة بعد ان يرد جميع الآراء ، فيقول :
< إن المعاصي والذنوب لا تزيل ايمانا ، ولا توجب كفرا ، ولكنها انما تنفي من الايمان حقيقته واخلاصه الذي نعت الله به أهله ، واشترطه عليهم في مواضع من كتابه ، فقال : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ... » الى قوله تعالى : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين »[١٣٧٣] . وقال تعالي : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »[١٣٧٤] .

فخلاصة قول بن سلام : < أن الايمان الخالص بأداء جميع ما أمر الله سبحانه وتعالى هو حقيقة الايمان ، وعند ارتكاب المعاصي نفت عنهم حقيقته ، ولم يزل عنهم اسمه >[١٣٧٥] .

وهذا الرأي هو الحق الذي يؤيد وهو طريق السلف الصالح ، والمنهج القويم الذي يتسع لاحتواء جميع أفراد الأمة الإسلامية من قويها الى ضعيفها الى متوسطها ..
والأدلة التي تقوي هذا الرأي - أي أن المعصية لا تخرج المسلم من الملة الإسلامية - هي :

ا - **شهادة (لا إله إلا الله) حجاب من النار :**

فشهادة التوحيد لها وزنها ، وقدسيتها ، واجمعت الأمة على ان كلمتي الشهادة : (لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله) هما الركن الأول للإسلام ، وعليهما تبنى الأعمال ، ولا يقبل أي عمل دونهما ، وبها ينجو المسلم من النار ، وقد وردت الأحاديث التي تدل على هذا المعنى منها : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (ان الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله ، يبتغي بذلك وجه الله) .
قال أبو عيسى الامام الترمذي :

١٣٧٣ التوبة : ١١٢ - ١١٣

١٣٧٤ الأنفال : ٢ - ٣

١٣٧٥ كتاب الايمان ، للامام ابن سلام ، ص ٤١ ، باختصار مع تصرف

‹ ووجه هذا الحديث عند بعض أهل العلم : أن أهل التوحيد سيدخلون الجنة ، وأن عذبوا بالنار بذنوبهم ، فإنهم لا يخلدون في النار ›[١٣٧٦] .

ومما يؤيد عدم خلود أهل الذنوب من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - في النار : الحديث الذي يرويه أنس ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة) ثم قال : (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة) ثم قال : (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة)[١٣٧٧] .

فالمتتبع لفضائل شهادة التوحيد لا يستطيع ان يحصي نعمها ، وقد جمع العلامة تاج الدين السبكي ، بعض الآيات التي فسرت ب (لا إله إلا الله) ، فروى بسنده عن ابن عباس في قول الله عز وجل : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا »[١٣٧٨] . وعن عكرمة في قوله تعالى : « وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم »[١٣٧٩] ، قال : أي قولوا (لا إله إلا الله)[١٣٨٠] .

وفي قول موسى - عليه السلام - لفرعون : « هل لك الى أن تزكى »[١٣٨١] ، قال عكرمة : أي الى ان تقول : (لا إله إلا الله) . وفي قوله تعالى حكاية عن الذي يموت كافرا : « رب ارجعون لعلي أعمل صالحا »[١٣٨٢] . قال عكرمة : ‹ أي لعلي أقول : لا إله إلا الله » .وفي قوله تعالى : قد أفلح من تزكى »[١٣٨٣] . قال : أي من قال : (لا إله إلا الله) . وفي قوله تعالى : « وقولوا قولا سديدا »[١٣٨٤] قال : أي (لا إله إلا الله)[١٣٨٥] .

وعلى أساس هذا الدرع الحصين الواقي من الخلود في النار ، أن مجرد اجراء كلمتي الشهادة على لسان المؤمن مع التصديق الداخلي بالله

١٣٧٦ الجامع الصحيح للترمذي ، ج ٥ ص ٢٤

١٣٧٧ اسناده صحيح على شرط الشيخين ، وقد اخرجاه في الصحيحين (عن كتاب الايمان ، ابن ابي شيبة) . تحقيق الشيخ محمد الألباني ، ص ٢٣ .

١٣٧٨ فصلت : ٣٠

١٣٧٩ البقرة : ٥٨

١٣٨٠ انظر كتاب (معنى لا إله إلا الله) ص ٤٣

١٣٨١ النازعات : ١٨

١٣٨٢ المؤمنون ، ٩٩ - ١٠٠

١٣٨٣ الأعلى : ١٤

١٣٨٤ الاحزاب : ٧٠

١٣٨٥ انظر كتاب (معنى لا إله إلا الله) ص ٤٤ .

وبرسله وملائكته وكتبه باليوم الآخر وبالقدر ، يدخل الانسان في دائرة المؤمنين .

قال الحافظ ابن حجر :

‹ فمن أقر[١٣٨٦] أجريت عليه الأحكام في الدنيا ، ولم يحكم عليه بكفر الا إن اقترن فعل يدل على كفره مثل سجود للصنم ›[١٣٨٧] .

٢ - سقوط العقوبة عن المذنبين :

إن كرم الله ورحمته ، وسعة عفوه ، فتح أبوابا يثوب اليها العاصي ، فيتطهر من الذنوب والخطايا ، ولقد استند من رأى هذا الرأي من العلماء على الكتاب والسنة ، ولقد ذكر شارح العقيدة الطحاوية الأسباب التي تسقط عن المذنبين .. هي باختصار :

أ - قال تعالى : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا ، الا من تاب وآمن وعمل صالحا ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا »[١٣٨٨] .

وقال سبحانه : « إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ، فأولئك أتوب عليهم ، وأنا التواب الرحيم »[١٣٨٩] .

والتوبة تمحو الذنوب ، ويتجاوز رب العالمين عن جميع ما اقترف العبد ، وما ذلك على الله بعزيز .. قال تعالى : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم »[١٣٩٠] .

والتوبة التي يغفر الله سبحانه بها الذنوب ، هي التوبة النصوح ، التي تنبع من القلب المصحوبة بالندم ، مع العزم علي عدم العودة ، مع العمل الصالح .

وقال عبدالله بن المبارك :

‹ التوبة : الندم على ما مضى من الذنوب ، والعزم على ألا يعود ، وأن يؤدي التائب كل فرض ضيعه ، ويؤدي الي كل ذي حق حقه من المظالم

١٣٨٦ أي بالشهادتين .

١٣٨٧ فتح الباري : ٤٦/١

١٣٨٨ مريم : ٦٠

١٣٨٩ البقرة : ١٦٠

١٣٩٠ الزمر : ٥٣

، ويذيب البدن الذي زينه بالسحت والحرم بالهموم والأحزان ، حتى يلصق الجلد بالعظم ، ثم ينشأ بينهما لحم طيب ، ويذيق البدن ألم الطاعة ، كما أذاقه لذة المعصية ›[١٣٩١] .

والتوبة يجب ان تعم الجوارح كلها ، وقد أوضح ذو النون المصري ذلك في قوله :

‹ على كل جارحة لابن أدم توبة ، فتوبة القلب ان ينوي ترك المحظورات ، وتوبة العينين : الغض عن المحارم ، وتوبة اليدين : ترك تناول ما لا يحل ، وتوبة الرجلين : ترك السعي في الملاهي ، وتوبة السمع : ترك الإصغاء الى الباطل ، وتوبة الفرج : القعود عن الفواحش ›[١٣٩٢] .

ولقد وردت أحاديث نبوية عن التوبة :

(١) وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر[١٣٩٣])[١٣٩٤] .

(٢) وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – ، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بدي ، وأنا معه حيث يذكرني ، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب الى شبر تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، ومن اقبل يمشي اقبلت اليه أهرول)[١٣٩٥] .

ب – الاستغفار :

قال الله تعالى : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »[١٣٩٦] ..

فالاستغفار يحجب الذاب ، ويرفع البلاء ، لا بل يكون صاحب الاستغفار الذي يختم عمله به ، يكون من أهل السعادة .. كما ورد في الحديث الشريف عن شداد بن أوس – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، خلقتني ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء بنعمتك على ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي

١٣٩١ عن كتاب التوبة ، للمحاسبي ، ص ٥١

١٣٩٢ مكفرات الذنوب وموجبات الجنة ، لأبن الربيع الشيباني ، ص ٣٢ –٣٣

١٣٩٣ يغرغر : تبلغ روحه الحلقوم عند الموت .

١٣٩٤ اخرجه ابن ماجة والترمذي .

١٣٩٥ اخرجه مسلم والبخاري .

١٣٩٦ الأنفال : ٣٣

، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .. من قالها من النهار موقنا بها ، فمات قبل أن يمسي ، فهو من أهل الجنة . ومن قالها من الليل وهو موقن بها ، فمات قبل أن يصبح ، فهو من أهل الجنة)[١٣٩٧] .

ج – فعل الحسنات :

قال الله سبحانه وتعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات »[١٣٩٨] .

د – الوقوع في المصائب الدنيوية :

قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – : (ما يصيب المؤمن من وصب[١٣٩٩] ولا نصب[١٤٠٠] ولا هم ولا حزن ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياه)[١٤٠١] .

فالصبر علي المصيبة ، يبيد السيئات حتى يلقى الله سبحانه وما عله خطيئة ، فقد ورد عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله ، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة)[١٤٠٢] .

هـ – عذاب القبر .

و – أهوال يوم القيامة وشدائده .

ز – شفاعة من أذن الله لهم بالشفاعة يوم القيامة .

ح – عفو أرحم الراحمين .

ط – دعاء المؤمنين واستغفارهم .

ي – انتفاع الأموات بما يهدي لهم من صدقة أو حج .

هذه عشرة[١٤٠٣] أسباب تسقط العقوبة ، ولم تكن تلك الأسباب هي كل الأسباب التي وردت لاسقاط الذنوب ، وانما وردت اسباب أخرى ، نذكرها على سبيل المثال لا الحصر .. منها :

١٣٩٧ اخرجه البخاري .

١٣٩٨ هود : ١١٤

١٣٩٩ معنى الوصب : الوجع (معجم الوجيز ، ص ٦٧١)

١٤٠٠ النصب : التعب (معجم الوجيز ص ٦٧١)

١٤٠١ الحديث : متفق عليه .

١٤٠٢ رواه الترمذي وغيره ، وقال حسن صحيح ، والحاكم (عن كتاب كفارات الخطايا ، ص ٣٨)

١٤٠٣ انظر تفصيل ذلك في كتاب شرح العقيدة الطحاوي ، ص٣٧١ ، ٣٩٧ ، ٥١١ ، ٥١٧

الشهادة في سبيل الله[١٤٠٤] ، الصلوات المكتوبات[١٤٠٥] ، صيام رمضان وقيامه يكفر الذنوب[١٤٠٦] ، الحج لا يدع ذنبا الا غفره[١٤٠٧] ، العمرة الى العمرة[١٤٠٨] .. وهي لا تكاد تنحصر لكثرتها[١٤٠٩] ، وذلك من فضل الله وكرمه واحسانه .

ملاحظات هامة :

أ - الملاحظة الأولى (اخطار يجب الانتباه اليها) :

لعل القارىء عندما ينظر الى موضوع أسباب سقوط الذنب ، يتساهل بالموضوع ، ويستهين بالأثم ، مادام باب الرحمة مفتوح ، ورب العباد رحيم كريم ، مع كل ذلك ، فإن للذنب بركانا ، يلهب الأحشاء ، وله أهات ، تتردد بزفرات ، تجعل القلب متفحما ، يعيش في جحيم ، تجعل حياته كلها تفجع وتوجع .. ومن تلك المخاطر :

١) مباغتة الموت :

مادام الموت لم يكن له زمنا معينا ، فان المسلم يبقى في خوف منه ، ولا يدري متى يهجم عليه ، فيأخذه على حين غفلة ، ولا ينفع الندم .

٢) الذنوب تميت القلب :

حذر الله سبحانه وتعالي من الذنوب في كتابه العزيز، وفي سنة نبيه ، لعاقبتها الوخيمة ، وخطرها الكبير .. قال الله تعالى : « من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا »[١٤١٠] .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن المذنب اذا أذنب نكتت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ، واستغفر الله ، صقل قلبه ، وان لم يتب ، زادت حتى تعلو قلبه)[١٤١١] أي تغشيه وتغطيه تلك النكتة السوداء ، هو هو الران الذي ذكره الله تبارك وتعالى في كتابه ، فقال : « كلا ، بل

١٤٠٤ كتاب كفارات الخطايا وموجبات المغفرة ، ص ٣٦

١٤٠٥ المصدر السابق ، ص ٦٨

١٤٠٦ المصدر السابق ، ص ٨٤

١٤٠٧ المصدر السابق ، ص ٩٢

١٤٠٨ المصدر السابق ، ص ٩٩

١٤٠٩ فمن اراد الاستزادة من الاطلاع عليه ان يراجع كتابات كفارات الخطايا وموجبات المغفرة جميعه .

١٤١٠ النساء : ١٢٣

١٤١١ صحيح الترمذي بشرح ابي العزمي ، ج ١٢ ص ٢٣٤ . وقد قال عنه الترمذي : حسن صحيح . وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٤١٨

ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون »[١٤١٢] .

٣) الذنوب قنطرة للعبور الي الكفر :

فالذنوب خطرها عظيم ، لان صاحبها يفقد الذوق والاحساس ، ويفقد نور البصيرة من قلبه ، فيتخبط في الظلام ، فلا يميز بين الحق والباطل .. قال السلف : ‹ المعاصي بريد الكفر ›[١٤١٣] . ذلك ان كثرتها تقسي القلب ، فيخرج منه كل خير ، فيرتكب ما أراد ، ويفعل ما أحب ، فيتخذ الشيطان وليا من دون الله فيضله ويغويه ويصده ولا يرضي منه بأقل من الكفر ما وجد اليه سبيلا ›[١٤١٤] .

٤) جلا لعظمة الله تستوجب من العبد الابتعاد عن الذنب :

المقامات تقدر بمستوى عظمتها ، فمجالسة العظماء ، تستوجب هيبة المجلس واحترامه .. فكيف بمن يكون عبدا لله ، خالق السموات والأرض ، وبيده كل شيء ، والقادر على كل شيء . قال بعض العلماء : ‹ لا تنظر الى صغر الخطيئة ، ولكن انظر من عصيت ›[١٤١٥] .

٥) خطر الذنوب من الناحية الاجتماعية :

فالمجتمع الاسلامي له موازين لتقييم الرجال ، وكلما كان المسلم صاحب تقوى وتقرب من الله سبحانه وتعالى ، فان المسلمين يثقون به ، ويأتمنونه على كل غال ورخيص ، أما إذا كان ضعيف الايمان ، ملوث الذنوب ، فإن الأمة الإسلامية تحذر منه ، ومن التقرب اليه ، فليحذر المسلمون من معاملته والابتعاد عنه ، حتى يصل الى درجة تسقط عدالته ولا تقبل منه الشهادة ، وفي هذه الحالة يكون مركزه الاجتماعي ، وضيعا .

وقد أشار الفقهاء في كلامهم عن العدالة وما يسقطها ، فقالوا : ‹ إن من زادت منه الصغائر على الطاعات اعتبر مصرا ، وسقطت عدالته ›[١٤١٦] . قال الجمهور : ‹ الاصرار هو غلبة المعاصي الصغائر على الطاعات ›[١٤١٧] . وقيل يتحقق الاصرار بالمواظبة على صغيرة واحدة ، وتكرارها ، أو على بعض الصغائر وتكرارها كذلك[١٤١٨] .

١٤١٢ المطففين : ١٤

١٤١٣ الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ج ١ ص ١٢

١٤١٤ مقتبس عن كتاب (الايمان ، أركانه ، حقيقته ..) د / محمد نعيم ياسين ، ص ١٧٢

١٤١٥ المصدر السابق .

١٤١٦ التوبة ، للمحاسبي ، ص ٥٦

١٤١٧ المصدر السابق .

١٤١٨ المصدر السابق .

ب - الملاحظة الثانية :

لقد قلنا سابقا انه لا يجوز تكفير مرتكب الذنب على الاطلاق ، ومع ذلك ان الذنوب توقع صاحبها في الكفر ، وهي كثيرة .. نذكر منها :

١) استحلال المعصية :

< واستحلال المعصية : صغيرة كانت أو كبيرة كفر ، اذا ثبت كونها معصية بدليل قطعي >[١٤١٩] .

ويقول الامام الطحاوي في العقيدة الطحاوية : < ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ماداموا آمنوا بما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - معترفين ، وله بكل ما قاله واخبر مصدقين .. ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ، ولا نقول : لا يضر مع الايمان ذنب لمن عمله ، ولا يخرج العبد من الايمان الا بجحود ما أدخله فيه >[١٤٢٠] .

٢) الاستهزاء بالشريعة الاسلامية :

< والاستهزاء[١٤٢١] بالشريعة الاسلامية كفر ، لان ذلك من امارات التكذيب >[١٤٢٢] .

٣) انكار ضروريات الدين :

< وهو ما يعرفه منه الخواص والعوام من غير قبول للتشكيك ، كوجوب الصلاة ، والصوم ، وحرمة الزنا والخمر >[١٤٢٣] .

٤) الطعن في القرآن الكريم :

< يعتبر مرتد من جحد من المسلمين القرآن الكريم كله أو بعضه ولو آية منه ، كما تكون الردة باعتقاد تناقض القرآن واختلافه ، أو الشك في اعجازه ، أو ادعاء القدرة على الاتيان بمثله ، أو إسقاط حرمته ، أو

١٤١٩ العقائد النسفية ، ص ١٦

١٤٢٠ انظر العقيدة الطحاوية مع شرحها ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٧٢

١٤٢١ لو ضحك على وجه الرضا فيمن يتكلم بالكفر ، وكذلك لو قال عند شرب الخمر والزنا : باسم الله . وكذا اذا صلي بغير القبلة ، وبغير طهارة متعمدا ، يكفر ، وان وافق ذلك القبلة – العقائد النسفية ، ص ١١٧

١٤٢٢ العقائد النسفية ، ص ١١٦

١٤٢٣ شرح جمع الجوامع ، ج ٢ ص ١٣٠

الزيادة فيه ، أو النقص منه ›[١٤٢٤] .

وكذلك من قال : ‹ بأن كلام الله مخلوق ، فهو كافر بالله العظيم ›[١٤٢٥]

وكذلك أجمع العلماء على أن ‹ مما يوجب كفر المسلم إلقاء المصحف ، أو جزء منه ، أو تلطيخه بالقذر ›[١٤٢٦] .

٥) الطعن في الذات الإلهية :

يعتبر كافرا مرتدا ‹ من أشرك من المسلمين بالله ، أو جحد به ، أو نفى صفة[١٤٢٧] ثابتة من صفاته ، لا يجهلها مثله ، أو أثبت له شيئا أنكره كالولد[١٤٢٨] ... أو البنات أو الصاحبة أو السنة أو النوم أو الغفلة ... أوأي نقص من النواقص ›[١٤٢٩] .

إن التوحيد لا بد ان يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند ، قال الله تعالى : « اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا »[١٤٣٠] ، وكقوله تعالى : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ‹ فإن عمل بالتوحيد عملا ظاهرا .. لا يعتقده بقلبه ، فهو منافق ، وهو شر من الكافر الخالص ›[١٤٣١] قال تعالى : « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار »[١٤٣٢] .

٦) الطعن في النبوة والأنبياء :

‹ فالواجب على كل مسلم الاقرار والتصديق بكل ما جاء به محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الشرائع ، وما أخبر به من أمور

١٤٢٤ كتاب الايمان ، ص ٢٢٣ لمجموعة من المؤلفين : عبدالله القطان / احمدسلامة / عبدالمجيد الزنداني / فيصل عبدالعزيز / حزام البهلولي / توحيد عبدالحميد .

١٤٢٥ كتاب الكفار والملحدين في ضروريات الدين ، ص ٥٤ (الامام الشيخ محمد ابو شاه الكشميري) .

١٤٢٦ كتاب الايمان ، لمجموعة المؤلفين ، ص ٢٢٥ – ٢٢٦

١٤٢٧ كنفي علمه الكامل أو قدرته او حياته او قيوميته او سمعه او بصره او استوائه على العرش او كلامه او رحمته أو جبروته او كبريائه او غيرها مما هو ثابت لله في الكتاب والسنة (عن كتاب الايمان / د . محمد نعيم ياسين ، ص ١٣٣) .

١٤٢٨ كتاب الايمان ، مجموعة من المؤلفين ، ص ٢٢٣

١٤٢٩ كتاب الايمان ، د.محمد نعيم ياسين ، ص ١٣٤

١٤٣٠ التوبة : ٩

١٤٣١ ثلاث وسائل في العقيدة الاسلامية ، للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ص ٦١

١٤٣٢ النساء : ١٤٥

الغيب ، وانه من عند ربه عز وجل ، والاعتراف له بجميع أخلاق وصفات النبوة ، من صدق وأمانة وفطانة وتبليغ ، وغير ذلك ›[١٤٣٣] .

‹ وعلى أساس ذلك ،فانه يكفر كل من طعن في صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو أمانته ، أو عفته ، أو صلاح عقله ، ونحو ذلك ، ويكفر من سب الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو استهزأ أو استخف به أو بتصرف من تصرفاته الثابتة ›[١٤٣٤] .

وكذلك يكفر : ‹ من أنكر أي أمر من الأمور التي أخبر بها . فيكفر من أنكر ما أخبر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - وثبت عنه من البعث والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغيرها من المغيبات ›[١٤٣٥] .

‹ وأجمعوا علي أن من سب النبي - صلى الله عليه وسلم - فجزاؤه القتل ›[١٤٣٦] .

وكذلك من الأشياء التي يكفر بها الفرد هو الاعتقاد أن النبوة يمكن الحصول عليها بالسعي والجد .. ، قال ابن حبان : ‹ من ذهب الى ان النبوة مكتسبة لا تنقطع ، أو أن الولي أفضل من النبي ، فهو زنديق ، يجب قتله .. ›[١٤٣٧] .

٣ - غفران جميع الذنوب :

فالله سبحانه وتعالى قد بين أنه يغفر جميع الذنوب ، وهو الغني القادر ، فقد ذكر في كتابه العزيز عن تلك البشارة العظمى ، بقوله تعالى : « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم »

١٤٣٣ مقتبس من كتاب الايمان ، اركانه ، حقيقته ، د.محمد نعيم ، ص ١٣٢

١٤٣٤ المصدر السابق ، ص ١٣٨

١٤٣٥ المصدر السابق .

١٤٣٦ كتاب (الاجماع) للنيسابوري ، ص ١٥٣ .. قال ابن منذر : اجمع عوام اهل العلم على ان حد من سب النبي - صلى الله عليه وسلم - القتل ، وممن قاله مالك والليث واحمد واسحق ..
وقد حكى ابوبكر القاري من اصحاب الشافعي اجماع المسلمين على ان حد من سب النبي - صلى الله عليه وسلم - القتل (عن كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص ٥)

١٤٣٧ الكفار والملحدين في ضرورات الدين ، ص ١١٥

وقد ذكر سبحانه وتعالى في الحديث القدسي غفران جميع الذنوب ، من ذلك الحديث : (... يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا)[١٤٣٨] .

فلو كان الذنب من الكفر لما غفر الذنوب ، لان الله سبحانه وتعالى قد استثنى الكفر من الذنوب التي لا يغفرها إلا بالدخول في الإسلام ، قال الله تعالى : « إن الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[١٤٣٩] .

٤ - **خطاب الله للعاصين بلفظة المؤمنين :**

لقد خاطب الله سبحانه وتعالى أصحاب الذنوب ، بلفظة المؤمنين ، وهذا يقتضي ان الذنب لا يخرج مرتكبه من الأمة الإسلامية ، قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا أنفسكم .. »[١٤٤٠] ، وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون »[١٤٤١] .

خاطب الله سبحانه وتعالى باسم المؤمنين وهو سبحانه ينهاهم عن أشياء لا يرضاها لهم ، لا بل فيها العذاب والمقت ، إذا استمر صاحبها على ارتكابها .

٥ - **الخصومة ذنب لم تنفي الإيمان عنهم :**

القتال بين المسلمين إثم عاقبته وخيمة ، مع ذلك وصفهم بالمؤمنين ، مع ان فتنة القتال ذنب شره مستطير .

قال الله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل ، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين »[١٤٤٢] .

١٤٣٨ حديث قدسي ، رواه مسلم ، ٢٥٧٧

١٤٣٩ النساء : ١١٦

١٤٤٠ النساء : ٢٩

١٤٤١ الصف : ٢

١٤٤٢ الحجرات : ٩

لا بل خاطبهم بلفظة الاخوة الإسلامية ، مع الايمان مما يزيد اثباتا ان المسلم يبقى في دائرة الاسلام مع ارتكابه للذنوب ، قال الله تعالى : « إنما المؤمنون أخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون »[١٤٤٣] .

وقال تعالي : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى » إلى أن قال سبحانه : « فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف »[١٤٤٤] .

فلم يخرج سبحانه القاتل من الذين آمنوا ، وجعله أخا لولي القصاص ، والمراد أخوة الدين بلا ريب[١٤٤٥] .

٦ - **الأعمال بالموازين :**

ذكر سبحانه وتعالى أنه يضع الموازين يوم القيامة ، وتوفى كل نفس ما كسبت إن كان خيرا فخير ، وإن شرا فالجزاء من نفس العمل ، ولم يذكر ان صاحب الذنب يدخل النار ويحبط عمله ، ولا يقبل منه العمل الصالح .. قال تعالى : « من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب »[١٤٤٦] . وقال تعالى : « يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »[١٤٤٧] . وقال تعالى : « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها »[١٤٤٨] .

في هذه الآيات ذكر سبحانه أن الأعمال توزن ، وكل يأخذ جزاؤه ، بينما نجد الكافر يحبط عمله ، ويدخل جهنم ، قال تعالى : « إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وكذلك نجزي المجرمين »[١٤٤٩] .

وقال تعالى في آية أخرى : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين »[١٤٥٠] .

١٤٤٣ الحجرات : ١٠

١٤٤٤ البقرة : ١٧٨

١٤٤٥ شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٣٦١

١٤٤٦ غافر : ٤٠

١٤٤٧ الزلزلة : ٦

١٤٤٨ الجاثية : ١٥

١٤٤٩ الأعراف : ٣٩

١٤٥٠ آل عمران : ٨٥

٧ - لا تكليف إلا بمقــدور :

هذه قاعدة أصولية مهمة وأساسية ، أن العبد يكلف بحدود قدرته ، وطاقته ، ولا يكلف بما هو خارج عن قدرته ، فالله سبحانه وتعالي يقول : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين »[١٤٥١] .

وذكر الأصوليون : < إنه لا تكليف إلا بمقدور >[١٤٥٢] ، وأن الانسان مهما كان تقيا وورعا ، لا يمكن ان يتجنب جميع الذنوب طيلة حياته ، من صغيرها وكبيرها ، لان هذه الحصانة[١٤٥٣] لا يملك جهازها بحكم تركيب الضعف والغفلة والنسيان ، وتزيين حب الشهوات للناس ، مما يجعل الانسان معرضا للوقوع بالخطيئة ، ويشهد على ذلك حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (كل ابن أدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون) .

فقاعدة تكفير المسلم بارتكاب الاثم قاعدة لا يمكن اثبات صحتها ، لانها تكليف خارج عن قدرة البشر ، فيقع الضيق والحرج على كل انسان ، وعلى هذا الأساس تكفر البشرية على وجه الأرض الى قيام الساعة ، هذا أمر ما أقره كتاب سماوي ، ولا عقل بشري .

الرأي الرابع في الأحاديث النبويــة :

ذكرنا الرأي الثالث ، وهو تكفير المسلمين بارتكاب الذنب ، وناقشنا رأيهم مع تفنيده بالآيات والأحاديث وأراد السلف الصالح الذي يرد كلامهم .. أما الرأي الرابع ، وهو كذلك رأي أصحاب البدع والأهواء ، وهو انكار العمل بالحديث النبوي الشريف ، استنادا الى تناقض الأحاديث النبوية أو ضعفها ، وكل ذلك يرجع الي خبث السريرة ، أو ضيق الأفق بمعرفة أصول الشريعة ، وطريقة استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها ، وان الجواب الكافي للرد على هؤلاء ما كتبته في المقدمة عن حجية السنة .

المسلك الثاني لأهل الأهواء والبدع ، وهو التشدد في العبادة ، وحمل النفس على التقشف ، الذي لم تنص عليه الشريعة الاسلامية ، وقد رد

١٤٥١ البقرة : ٢٨٦

١٤٥٢ الوجيز في اصول الفقه ، ص ٢١

١٤٥٣ إلا من عصمه الله من الرسل والأنبياء الذين اصطفاهم الله .

النبي - صلى الله عليه وسلم - على كثير من هذه التشديدات ، التي حدثت في عصره - صلى الله عليه وسلم - وهي حجة للرد على كل من أتى بمثل هذه التشديدات من بعده ، لم يكن لها سندا من كتاب أو سنة ، ومن الأشياء التي حدثت في زمانه ورد عليها .. هي :

١ - وعن أنس - رضي الله عنه - قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فلما أخبروا ، كأنهم تقالوها[١٤٥٤] ، وقالوا : أين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبدا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .. فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم ، فقال : (أنتم قلتم كذا وكذا ؟! . أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي[١٤٥٥] فليس مني)[١٤٥٦] .

٢ - وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : بينما النبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب ، إذا هو برجل قائم ، فسأل عنه ، فقالوا : أبو إسرائيل نذر ان يقوم في الشمس ولا يقعد ، ولا يستظل ولا يتكلم ، ويصوم ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه)[١٤٥٧] .

٣ - وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل عليها وعندها إمرأة ، قال : (من هذه ؟) قالت : فلانه ، تذكر من صلاتها . قال : (مه[١٤٥٨] ، عليكم بما تطيقون ، فو الله لا يمل[١٤٥٩] الله حتى تملوا) وكان أحب الدين اليه ما داوم صاحبه عليه .

١٤٥٤ أي عدوها قليلة (حاشية رياض الصالحين ، ص ١٠٤) .

١٤٥٥ من رغب عن سنتي : أعرض عنها (حاشية رياض الصالحين ص ١٠٥)

١٤٥٦ رواه البخاري : ٨٩/٩ ، ومسلم ١٤٠١ ، وأخرجه النسائي ٦٠/٦

١٤٥٧ رواه البخاري ٥١٢/١١

١٤٥٨ مه : كلمة زجر ونهي (رياض الصالحين ، ص ١٠٤) .

١٤٥٩ (لا يمل الله) : أي لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم ، ويعاملكم معاملة ، حتي تملوا فتتركوا (رياض الصالحين ، ص ١٠٤) .

ففي هذه الأحاديث النبوية نرى أن التقرب الى الله والحصول على الدرجات العالية ليس بكثرة الجهد ، وأخذ النفس بالشدة ، وانما شرط القبول عند الله ان يكون الدخول الى العبادة من أبوابها ، وهي الشريعة الاسلامية ، ولذلك رد الثلاثة الذين خالفوا سنته بقوله : (فمن رغب عن سنتي فليس مني) ، كما في الحديث الأول .وكذلك رد الأعمال التي لم ينص عليها الشارع ، وابقى الاعمال الشرعية ، كما في الحديث الثاني . وكذلك نجد الجهد الشديد والعمل الشاق الذي لا تتحمله النفس يمنعه الاسلام ، ويحث على العمل الدائم المستمر ، كما في الحديث الثالث .

فالطريق الذي يسلكه أهل البدع ، ليس هو الطريق السوي الذي جاء به الاسلام ، ويحصل من ذلك ان المرء لا يؤجر على عمله ، فيذهب ادراج الرياح ، ويرفع الله بركة العمل ، لا بل تقسوا القلوب ، وتكثر الاحقاد ، وتتفرق الأمة ، ويبتعد الناس عن الاسلام ، وكذلك هذه الاعمال ، تشوب بسماحة الاسلام ويسره واللذان يمتاز بهما الاسلام على سائر أنظمة الأمم ، فاليسر الذي جاء به الاسلام ، نجده كأنوار يضيء جميع جوانب الشريعة الاسلامية . فقد ذكر الله تعالي اليسر اجمالا ، بقوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »[١٤٦٠] .وقال تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج »[١٤٦١] .

إن يسر هذا الإسلام ، وفقه هذا اليسر هو مقتضى كون هذا الدين نعمة ورحمة ، قال تعالى : « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى »[١٤٦٢] .

ولقد بلغ اليسر في الشريعة الى درجة التخفيف من الواجبات ، عند وجود الحرة ، والسماح بتناول القدر الضروري من المحرمات عند الحاجة ، فالذي لا يستطيع استعمال الماء لعدم القدرة عليه أبيح لــه التيمم[١٤٦٣] . قال تعالى : « فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا »[١٤٦٤] . وكذلك يبيح للمريض والمسافر الإفطار في رمضان ، قال تعالي : « ومن

١٤٦٠ البقرة : ١٨٥

١٤٦١ المائدة : ٦

١٤٦٢ طه : ١ ، ٢

١٤٦٣ خصائص الشريعة الاسلامية ، د . الأشقر ، ص ٦٣

١٤٦٤ النساء : ٤٣

كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر »[١٤٦٥] . ولقد شمل اليسر جميع جوانب الشريعة ، ومن ذلك :

عدم التكليف بما هو فوق طاقة البشر أو شاق عليهم ، قد حط الآثام عن وساوس النفس وخطراتها ما لم تترجمه الأعضاء الي عمل ، أو اللسان الى كلام[١٤٦٦] . روى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن الله تجاوز عن أمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به ، إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلم به) .

ولم يكف الاسلام في هذا المجال فحط الإثم والعفو عنه ، بل سما وبلغ الغاية في السمو ، فكافأ من حدثته نفسه بعمل سيئة ثم تركها ان يجزيه بذلك حسنة ، جزاء كبحه لنفسه ، وتراجعه عن عمل ما فكر به من سوء . روى مسلم بسنده عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه تعالي قال : (إن الله كتب الحسنات والسيئات) ثم بين ذلك الى أن قال : (وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة) .

وكذلك من سماحته : عدم المؤاخذة في حالات الخطأ والنسيان والاستكراه ، عن أبي الدرداء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن الله تجاوز لأمتي عن ثلاث : عن الخطأ والنسيان والاستكراه) .

وكذلك من سماحته : قلة المحرمات بالنسبة للمباحات في الشريعة[١٤٦٧] ، ويؤيد ذلك من الكتاب والسنة (قال تعالى : « قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير ، فإنه رجس ، أو فسقا أهل لغير الله به »[١٤٦٨] .. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (أكل كل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير حرام) .
ومن سماحته يسره في التجنيد : لقد رفع الاسلام الحرج عن الأعمى ، والأعرج ، والمريض ، كما رفعه عن الضعفاء عموما ، كمن لا يستطيع

١٤٦٥ البقرة : ١٨٤

١٤٦٦ صور من سماحة الاسلام ، د . علي ربيعة .

١٤٦٧ المصدر السابق ، ص ٣٤

١٤٦٨ الأنعام : ١٤٥

القتال ، لكبر أو لنقص الخلقة ونحو ذلك[١٤٦٩] .. وقال تعالى : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل ، والله غفور رحيم ، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد ما أحملكم عليه ، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون »[١٤٧٠] .

وكذلك سماحته في المعاملات : في البيع ، والشراء ، والاقتضاء ، والقضاء .. عن جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (رحم الله رجلا : سمحا إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتضى)[١٤٧١] . وروى أبو داود ، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (من أقال مسلما ، أقال الله عثرته) .

وكذلك سماحة الاسلام في الأحوال الشخصية : من ذلك السماح في المهر في النكاح[١٤٧٢] ، واحترام الاسلام للعلاقة الزوجية[١٤٧٣] .

هذه قطرات من نهر في سماحة الاسلام ، لا يسمح مجال البحث لضيقه بالتوسعة في الموضوع ، لذلك ذكرت بعض رؤوس النقاط ، كقبس ضوء يستنير بها ، للوصول الى معرفة الاسلام ، الذي يدخل في كل جانب من جوانب الاسلام .

١٤٦٩ صور من سماحة الاسلام ، د . علي الربيعة ، ص ٧٢

١٤٧٠ التوبة : ٩١ – ٩٢

١٤٧١ رواه البخاري ، كتاب البيوع ، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ، ص ٧٣٠ رقم ١٩٧٠

١٤٧٢ روى الخمسة عن ابي العجفاء ، قال سمعت عمر – رضي الله عنه – يقول : (لا تغلوا صدق النساء ، فانها لو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى في الآخرة كان أولاكم بها النبي – صلى الله عليه وسلم – . ما أصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – امرأة من نسائه ، ولا أصدقت امرأة من بناته اكثر من ثنتي عشرة أوقية) (عن كتاب : صور من سماحة الاسلام ، د . على الربيعة ، ص ٩٣ – ٩٤) .

١٤٧٣ قال الله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » النساء : ١٩ . . وعن عائشة – رضي الله عنها – ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي) عن كتاب : صور من سماحة الاسلام ، ص ٩٥

٤ - كمال الشريعة ترفض كل بدعة :

وكما عرفت البدعة : ‹ ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، أو الطرائق المصطنعة › .

وكل ذلك هو طعن في الشريعة ، لأن صاحب البدعة بعمله هذا يريد ان يضع لبنات غريبة واهية في بنائها ، وهذا يقتضي وجود النقص فيها ، أو أن صاحب البدعة يهدم جزء منها لاعادة بناء أخر ضعيف ، وكل ذلك مخالف للنظام الاسلامي ، لأن الشريعة كاملة ، وتم كل ذلك في حياته - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا »[١٤٧٤] .

فهذه البدع التي يضعها المبتدعون في الدين الاسلامي يكون لها أكبر الخطر على النظام الاسلامي .. ومن تلك الأخطار :

١) كسر سياج قدسية النظام الاسلامي :

الذي هو من عند الله ، والذي نتعبد بتعظيمه ونتقرب الى الله بالتمسك به .. قال تعالى : « ومن يعظم شعائر الله ، فانها من تقوى القلوب »[١٤٧٥] .

٢) فساد النية :

فالمرء عندما يجد شريعته فيها شيء من تعاليم البشر ، فانه لا يؤمن بصحتها ، وعند ذلك لا يستطيع الاخلاص في العمل ، فيدخل على عمله الرياء ، وحب السمعة ، فيحبط عمله ولا يحصل من جهده وسعيه الا الحسرة والندامة . قال الله تعالى : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين[١٤٧٦] له الدين ، حنفاء[١٤٧٧] ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة[١٤٧٨] »[١٤٧٩] . وقال تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم » .

أما الأحاديث التي وردت : عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال ، سمعت رسول الله - صلى الله عليه

١٤٧٤ المائدة : ٣

١٤٧٥ الحج : ٣٢

١٤٧٦ مخلصين له الدين : أي موحدين له لا يعبدون معه غيره .

١٤٧٧ حنفاء : أي مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام .

١٤٧٨ وذلك دين القيمة : قال الزجاج ، أي : ذلك دين الملة المستقيم ، والقيمة نعت لموصوف محذوف ، أو يقال : (دين الأمة القيمة بالحق ، أي :القائمة بالحق) هامش رياض الصالحين ، ص ٣٥ .

١٤٧٩ الحج : ٣٧

وسلم – يقول : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل إمرىء ما نـــوى .. الخ)[١٤٨٠] .

فالاخلاص قاعدة أساسية نابعة من أصول العقيدة ، ومن يشك في كمال الدين الاسلامي ، فانه يشك في عقيدته ، ولا يستطيع ان يعمل خالصا لوجه الله تعالى .

٣) الاعتراض على حكم الله :

فالله سبحانه وتعالى بين أنه اكمل الدين الاسلامي ورست قواعده وأسسه على أحسن وجه من عند أحسن كل شيء صنعا . وصاحب البدعة يعترض على حكمه فيشرع بجنب تشريع الله ، ولم يبح لهم ذلك ، ولم يجعل لهم من الأمر شيئا ، ولا لغيرهم .. فالله سبحانه وتعالى يقول : « له الأمر والخلق » . ويقول في آية أخرى مخاطبا نبيه الحبيب : « ليس لك من الأمر شيء » .

٥ – اتباع أهل البدع مخالفة لما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم –:

لقد جاء الرسول بالحق والهدى من عند الله ، قال الله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك » . وقال تعالى : « والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القوي » .

إن من خالف الرسول – صلى الله عليه وسلم – فلا يعدو ان يتبع الظن وما تهوى الأنفس ، كما قال تعالى في المشركين : « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى » .

فعندما ننظر الى ما جا به الرسول – صلى الله عليه وسلم – من عند ربه من الكمال والجمال والسمو ، ولكل متطلبات البشرية في الدارين نقول : ‹ كل من خالف الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يخرج عن الظن وما تهوى الأنفس ، فان كان ممن يعتقد ما قاله وله فيه حجة يستدل بها كان غايته الظن الذي لا يغني من الحق شيئا ، كاحتجاجهم بقياس فاسد أو نقل كاذب ، أو خطاب ألقى اليهم اعتقدوا انه من الله ، وكان من إلقاء الشيطان › .

وهذه الثلاثة هي عمدة من يخالف السنة بما يراه حجة ودليلا ، اما ان يحتج بأدلة عقلية ويظنها برهانا ، وأدلة قطعية وتكون شبهات فاسدة مركبة من ألفاظ مجملة ومعان متشابهة ، لم يميز بين حقها وباطلها ، كما يوجد مثل ذلك في جميع ما يحتج به من خالف الكتاب والسنة .. واما ان

١٤٨٠ اخرجه البخاري ، ومسلم رقم ١٩٠٧ ، والترمذي رقم ١٦٤٧ ، والنسائي : ٥٩/١ ، ٦٠ .

يتمسك المنطل بحجج سمعية - أي ما سمع عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديث - فإما ان تكون كذبا على الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو تكون غير دالة على ما احتج به أهل الباطل .

لقد خالف أهل البدع ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم تكن لهم حجة الا اتباع الهوى والظن اللذان لا يغنيان من الحق شيئا .

إن البدع تحمل بين طياتها السموم والخبث ، ففيها الطعن بصاحب الرسالة - صلى الله عليه وسلم - وتشويه لجمال الدين ، وطمس لمعالم السنن ، وحيلولة بين الناس وبين دينهم الصحيح ، وحرمانهم من سلسبيلهم العذب ، وينبوعهم الصافي ، وفيها مع ذلك تفرق كلمة المسلمين ، وفي الوقوف عند السنن وحدة للمسلمين وجمع كلمتهم .

٦ - كل بدعة ضلالة :

فالكتاب والسنة والآثار والأخبار تفيد الناظر فيها بتبصر وتدبر ، ان كل بدعة في الدين صغيرة أو كبيرة ، في الأصول أو الفروع ، في العقائب أو العبادات ، أو المعاملات فعلية أو قولية أو تركية ، فهي ضلالة . ولقد ورد النص الذي لا يحتمل التأويل ولا التفسير .. (بأن كل بدعة ضلالة) في الحديث النبوي الشريف .

- عن أبي نجيح العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال ، وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موعظة بليغة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع . قال : (أوصيكم الله ، والسمع والطاعة ، وان تأمر عليكم عبد ، وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا . فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ[١٤٨١] ، واياكم ومحدثات الامور ، فان كل بدعة ضلالة)[١٤٨٢] .

- وعن جابر - رضي الله عنه - ، قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه ، حتي كأنه منذر[١٤٨٣] جيش . يقول : (صبحكم[١٤٨٤] ومساكم) . ويقول : (بعثت أنا

١٤٨١ النواجذ : بالذال المعجمة ، الأنياب ، وقيل الأضراس (رياض الصالحين ، ص ١١٣)

١٤٨٢ رواه ابو داود ٤٦٠٧ ، والترمذي ٢٦٧٨ وقال : حديث حسن صحيح ، واخرجه احمد : ١٢٦/٤ ، ١٢٧/٤ ، وابن ماجه ٤٢ ، والدارمي :٤٤/١ . ٤٥ واسناده صحيح ، وصححه ابن حبان ١٠٢

١٤٨٣ منذر : مخبر خبر مخوف .

١٤٨٤ صبحكم : أي العدو مغيرا عليكم .

والساعة كهاتين)[١٤٨٥] ويقرن بين أصبعيه ، السبابة والوسطى . ويقول : (أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - وشر الأمور محدثاتها[١٤٨٦] ، وكل بدعة ضلالة) ، ثم يقول : (أنا أولى[١٤٨٧] بكل مؤمن من نفسه ، من ترك مالا فلأهله ، ومن ترك دينا أو ضياعا[١٤٨٨] فإليّ وعليّ)[١٤٨٩] .

فالحديثان الواردان عن العرباض بن سارية وجابر بن عبدالله يفيدان العموم علي ان كل بدعة ضلالة ، فالقول على عمومه يفيد العموم ، ما لم يكن فيه تخصيص أو بيان أو استثناء أو شرط .. يقول الامام الشافعي : « الحكم لا يثبت في المستثنى لوجود المعارض ، كما ان دليل الخصوص يمنع ثبتوت حكم العام فيما يتناوله دليل الخصوص لوجود المعارض ، وكذلك الشرط — فإنه يمنع ثبوت الحكم في المحل لانعدام العلة الموجبة له حكما مع صورة التكلم به لا لأن الشرط مانع من وجود العلة ، وعلى قوله الشرط مانع للحكم مع وجود علته »[١٤٩٠] .

ومن ألفاظ العموم لفظة ‹ كل ›[١٤٩١] ولم يرد عليها أي بيان يخرجها من عمومها بقرينة تصرفها عن أصلها الذي وضعت له .. ومن ذلك قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت »[١٤٩٢] ، وقوله تعالى : « لكل أمة أجل »[١٤٩٣] ، وقوله تعالى : « والله خالق كل شيء »[١٤٩٤] .

وقيل : لو سألت امرأة زوجها الطلاق ، فقال : كل نسائي طوالق . طلقن كلهن لعموم لفظه ، وان خص السؤال[١٤٩٥] .. وقوله - صلى الله عليه

١٤٨٥ أنا والساعة كهاتين : كناية عن قرب يوم القيامة ، وهو قرب بالنسبة لما مضى من عمر الدنيا (نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، ص ١٩٤) .

١٤٨٦ محدثاتها : أي ما جد منها مما لم يكن معروفا في كتاب أو سنة أو اجماع ولا أصل له فيها .

١٤٨٧ أنا أولى : أي أحق .

١٤٨٨ ضياعا : أطفالا وعيالا .

١٤٨٩ رواه مسلم في الجمعة (باب تخفيف الصلاة والخطبة) رقم ٨٦٧

١٤٩٠ أصول سرخسي ، ج ٢ ص ٣٦

١٤٩١ من ألفاظ العموم لفظ ‹ كل › علم أصول الفقه ، عبدالوهاب خلاف ، ص ١٨٢ . روضة الناظر وجنة المناظر ، ص ١٩٦ . المدخل الى اصول الفقه المالكي ، ص ٥٩ . التمهيد في تخرية الفروع على الأصول ، ص ٣٠٢ .

١٤٩٢ آل عمران : ١٥٨

١٤٩٣ الأعراف : ٣٣

١٤٩٤ الرعد : ١٨

١٤٩٥ روضة الناظر وجنة المناظر ، ٢٠٥

وسلم : (كل مسكر حرام)[1496] ، وقوله - صلي الله عليه وسلم - (كل شراب أسكر فهو حرام)[1497] .

عند تتبع أراء الأصوليين في العام نجد أن ‹ كل › لفظ يدل على العموم ، وهنا في لفظ (كل بدعة ضلالة) لا يمكن بأي حال من الأحوال الا انها تدعل علي العموم .

وعلى هذا الأساس ، فإن ذم البدع والمحدثات في الدين عام لا يخص بدعة دون غيرها .

ولا يفوتنا لدعم ذلك وتوكيده ، وزيادة قوته ، وتحصين السنة هو ان الله سبحانه وتعالي أمرنا باتباع سنته ، وان ما يضاد السنة هي البدعة ، وان القاعدة الأصولية بأن الأمر بالشيء نهي عن ضده ، ولا يصير منتهيا عن ضده الا بفعل المأمور به على الفور[1498] .

فالسنة النبوية العمل واجب بها ، وهي حجة ، وان كل تشريع ضدها منهي عنه ، والبدع ضد السنة فيجب النهي عنها ، وهذه القواعد التي ذكرناها من القواعد الاصولية في الفقه التي تكون ميزانا لتقييم البدعة ، تؤيد ما ذهب اليه الشاطبي‹رحمه الله›بذم جميع البدع للأسباب التالية :

١) انها - أي البدعة - جاءت مطلقة عامة على كثرتها ، لم يقع فيها استثناء البتة ، ولم يأت فيها مما يقتضي ان منها ما هو هدى .. الخ[1499] .

٢) انه قد ثبت في الأصول العلمية ان كل قاعدة او دليل شرعي كلي اذا تكررت في مواضع كثيرة ، وأتى بها شواهد على معان أصولية أو فرعية ولم يقترن بها تقييد ولا تخصيص ، مع تكررها ، واعادة تقررها ، لذلك دليل على بقائها مقتضى لفظها من العموم[1500] .

٣) اجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم على ذمها كذلك ، وتقبيحها والهروب عنها ، وعمن اتسم بشيء منها[1501] ..

٤) ان متعقل البدعة يقتضي ذلك بنفسه ، لانه من باب مضادة الشارع واطراح الشرع ، وكل ما كان بهذه المثابة فمحال ان ينقسم الى حسن وقبيح ، وان يكون منه ما يمدح ومنه ما يذم ، اذ لا يصح في معقوف ولا

١٤٩٦ رواه احمد والشيخان وغيرهم عن أبي موسى الاشعري .

١٤٩٧ رواه مالك واحمد والشيخان عن عائشة

١٤٩٨ التبصرة في أصول الفقه ، ص ٥٥ (مسألة ٩) .

١٤٩٩ الاعتصام ، ج ١ ص ١٤١

١٥٠٠ المصدر السابق .

١٥٠١ المصدر السابق ، ص ١٤٢

منقول استحسان مشاقة الشارع[١٥٠٢] .

فمهما دار النقاش للدفاع عن بعض البدع ، فان صاحبها أعزل من الحجة ، ولا قيمة لدفاعه ، لانه لا يملك التنبية ، ومهما أتى من حجج ، فهي بمثابة سهام يصوبها على نفسه ، باحباط عمله[١٥٠٣] ، لانه في بدعة (وكل بدعة ضلالة) .. واكبر دليل علي عدم قبول أعمال أهل البدع ، أن أعمالهم لم تصلح قلوبهم لا بل لكثير منهم قلوب هي كالصخر لا بل هي أشد من ذلك ، حيث انهم أباحوا دماء المسلمين ، ونشروا الفتن ، وماتت الاخوة الاسلامية بينهم ، وعاشوا في قلوب متنافرة ، حاقدة ، همها الجدل العقيم الذي لا يأتي بخير .

منهج أهل البـــــــدع

لكل أمة شرعة ومنهاجا يسلكوه في حياتهم ، وهذا المنهاج إما ان يكون من عند الله ، أو من عند الشيطان ، فمنهج الأمة الاسلامية السالكة سبيل الرشاد ، منهاجها التعاليم الاسلامية التي أنزلها الله على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وأهل البدع اتخذوا منهاجا يضاد لمنهاج الأمة الاسلامية ، ويسمى منهاج (الضلال) لان كل بدعة ضلالة ، وان معاني (الضلال) هي القوانين أو المواد التي يلتزم بها أهل البدع كل على حسب مستواه ، في هذا الضلال ، وان اختيار هذه اللفظة ، لأهل البدع ، لتكون منهاجا لهم ، لا يمكن لأي مفكر ، لو حك يا فوخه في السماء ، من سعة أفقه ، وعمق إدراكه ، وشمول تفكيره ، وكثرة تجاربه ، أن يأتي بمنهاج يشمل أهل البدع ، كمنهاج (الضلال) .

وأريد ان أبين هذه المعاني من القرآن الكريم ، استنادا على التفاسير ، وأسال الله العون والتقدير :

١٥٠٢ المصدر السابق

١٥٠٣ انما الأعمال الصالحة بالنيات الصالحة ، والنية الحسنة لا تجعل الباطل حقا ، لان النية وحدها لا تكفي لتصحيح الفعل ، فلا بد ان ينضم اليها التقييد بالشرع (انظر مدارج السالكين ، لابن قيم الجوزية : ١/٨٥) .

معاني الضلال أو ما يشتق منها :

ا - الكفر ، والإشراك بالله :

القسم الأول ‹ الكفر بالله › :

أ - ورد هذا المعني في قوله تعالى : « وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، يتلوا عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين »[١٥٠٤] .

معنى - لفي ضلال مبين : كفر وجهالة[١٥٠٥] .

ب - وفي قوله تعالى : « والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات ، من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم »[١٥٠٦] .

« من يشأ الله يضلله » : فيموت على الكفر[١٥٠٧] .

ج - وكذلك في قوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين »[١٥٠٨] .

فمعنى الضلال : الكفر بالايمان[١٥٠٩] .. أي استبدلوا الكفر بالايمان .

د - وقوله تعالى « ... حتي إذا أداركوا فيها جميعا ، قالت أخراهم لأولاهم ، ربنا هؤلاء اضلونا ، فآتهم عذابا ضعفا من النار ، قال لكل ضعف ، ولكن لا تعلمون »[١٥١٠] .

فيأتى معنى الضلال : الكفر والاغواء[١٥١١] .

هـ - وفي قوله تعالي : « ومن ضل ، فإنما يضل عليها »[١٥١٢] .

ومعنى قوله : «ومن ضل » : بالكفر والاعراض[١٥١٣] .

و - وورد معنى الضلالة تقديم الكفر في قوله تعالى : « ألم ترالى

١٥٠٤ الجمعة : ١

١٥٠٥ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ‹ للنسفي › ، ج ٥ ص ١٩٧

١٥٠٦ الأنعام : ٣٩

١٥٠٧ زاد المسير في علم التفسير ‹ لابن الجوزي › ، ج ٣ ص ٣٩

١٥٠٨ البقرة : ١٦

١٥٠٩ مختصر تفسير ابن كثير ‹ للصابوني › ، ج ١ ص ٣٦ ، الجامع لأحكام القرآن ‹ للقرطبي › ، ج ١ ص ٢١٠

١٥١٠ الأعراف : ٣٨

١٥١١ النكت والعيون ‹ للماوردي › ، ج ٢ ص ٢٦

١٥١٢ يونس : ١٠٨

١٥١٣ روح المعاني ‹ للآلوسي › ، ج ١١ ص ٢٠١

الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ، ويريدون ان تضلوا السبيل »[١٥١٤] .

معنى « يشترون الضلالة » : عبارة عن ايثارهم الكفر على الايمان[١٥١٥]

القسم الثاني – الاشراك بالله :

أ – قال تعالى : « إني إذا لفي ضلال مبين »[١٥١٦] .

معنى « إني إذا لفي ضلال مبين » : أي إن اتخذها[١٥١٧] آلهة من دون الله[١٥١٨] .

ب – وقال تعالى : « ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله ، فيقول : أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ؟ »[١٥١٩] .

ومعنى « أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل » : أي فيقول تبارك وتعالى للمعبودين : أأنتم دعوتم هؤلاء الى عبادتكم من دوني أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم من غير دعوة منكم لهم[١٥٢٠] ؟ .

٢ – **الإثم والوزر :**

قال الله تعالى : « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون »[١٥٢١] .

معنى : « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم » : أي قالوا ذلك إضلالا للناس ، فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم ، وهو وزر الاضلال ، لأن المضل والضال شريكان[١٥٢٢] .

١٥١٤ النساء : ٤٤

١٥١٥ تفسير ابن جزي ، ص ١٢٢

١٥١٦ يس : ٢٤

١٥١٧ أي اتخاذ الأصنام آلهة دون الله (مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١٥٩) .

١٥١٨ تفسير مختصر ابن كثير ، ج ٣ ص ١٥٩

١٥١٩ الفرقان : ١٧

١٥٢٠ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٦٢٧

١٥٢١ النحل : ٢٥

١٥٢٢ مدارك التنزيل وحقائق التأويل (للنسفي) . ج ٣ ص ٣٦

٣ - **الخذلان وعدم العصمة :**

قال تعالي : « ومن يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه »[١٥٢٣] .

معنى « ومن يضلل » : أي ومن يخذله ولم يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان[١٥٢٤] .

وكذلك ورد هذا المعنى في آية أخرى ، قال تعالي : « ومن يضلل الله فما له من هاد »[١٥٢٥] .

قال الزمخشري : « ومن يضلل الله » : ومن يخذله بعلمه انه لا يهتدي ، « فما له من هاد » : فما له من واحد يقدر على هدايته[١٥٢٦] ..

وكذلك ورد ما يؤيد هذا المعنى في قوله تعالى : « فيضل الله من يشاء »[١٥٢٧] .

ومعنى الضلال : أي يخلق فيه الضلال لوجود أسبابه المؤديه اليه فيه[١٥٢٨] .

وقيل : يخذله ، فلا يلطف به لما يعلم انه لا ينجح فيه الالطاف[١٥٢٩] .

٤ - **الهلاك :**

قال تعالي : « أولئك الذين خسروا أنفسهم ، وضل عنهم ما كانوا يفترون »[١٥٣٠] .

ومعنى « وضل عنهم » : أي ذهب وهلك[١٥٣١] .

١٥٢٣ الإسراء : ٩٧

١٥٢٤ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ‹ للنسفي › ، ج ٣ ص ١٠٤

١٥٢٥ الرعد : ٣٣

١٥٢٦ البحر المحيط ‹ لابن حيان › ، ج ٥ ص ٣٩٥

١٥٢٧ ابراهيم : ٤

١٥٢٨ البحر المحيط ‹ لابن حيان › ، ج ١٣ ص ١٨٧

١٥٢٩ المصدر السابق .

١٥٣٠ هود : ٢١

١٥٣١ البحر المحيط ، ج ٥ ص ٢١٢

١٥٣٢ الفجر : ٢٤

٥ - **الخيبة والخسارة :**

قال تعالى : « فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه ، إنا إذا لفي ضلال وسعر »[١٠٣٢] .

معنى « إنا إذا لفي ضلال وسعر » : لقد خبنا وخسرنا[١٠٣٣] .

٦ - **الضياع والبطلان :**

أ - قال تعالى : « ... وما نرى معكم سفهاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم ، وضل عنكم ما كنتم تزعمون »[١٠٣٤] .

معني « وضل » : وضاع وبطل[١٠٣٥] .

ب - وورد هذا المعنى في قوله تعالى : « وما دعاء الكافرين إلا في ضلال »[١٠٣٦] .

ومعنى « في ضلال » : في ضياع وخسارة وباطل[١٠٣٧] .

ج - وكذلك ورد هذا المعنى في قوله تعالى : « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم »[١٠٣٨] .

ومعنى « أضل أعمالهم » : أبطلها[١٠٣٩] ، وأصل ‹ الضلال › : الغيبوبة ، يقال : ضل الماد في اللبن : إذا ‹ غاب › وغُلب عليه ، فلم يتبين[١٠٤٠] .

د - ويؤيد هذا المعني في قوله تعالى : « ... قالوا اقتلوا أبناء الذين أمنوا معه واستحيوا نساءهم ، وما كيد الكافرين إلا في ضلال »[١٠٤١] .

معنى « إلا في ضلال » : ضياع[١٠٤٢] .

٧ - **الغوايـــــة :**

١٠٣٢ الفجر : ٢٤

١٠٣٣ مختصر تفسير ابن كثير ، الصابوني ، ج ٣ ص ٤١١

١٠٣٤ الأنعام : ٩٤

١٠٣٥ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ‹ للنسفي › ، ج ٢ ص ٦٢

١٠٣٦ الرعد : ١٤

١٠٣٧ روح المعاني ، للآلوسي ، ج ١٣ ص ١٢٥

١٠٣٨ محمد : ١

١٠٣٩ تفسير غريب القرآن ‹ لابن قتيبة › ص ٤٠٩

١٠٤٠ المصدر السابق

١٠٤١ المؤمن : ٢٥

١٠٤٢ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج ٤ ص ٣٤٩

قال تعالى : « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، أولئك في ضلال مبين »[١٠٤٣] .

معنى « في ضلال مبين » غواية ظاهرة[١٠٤٤] .

٨ - الجهـــــــل :

أ - قال تعالى : « ... والذين آمنوا مشفقون منها ، ويعلمون أنها الحق ، ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد »[١٠٤٥] .

معنى « لفي ضلال بعيد » : أي في جهل بـــين[١٠٤٦] .

ب - وكـذلك ورد هذا المعنى في قـوله تعـالى : « هذا خلق الله ، فأروني ماذا خلق الذين من دونه ، بل الظالمون في ضال مبين »[١٠٤٧] .

مـعنى « بل الظالمون في ضـلال مـبين » : يعني المشـركين بالله ، العابدين معه غيره ، في جهل وعمى ، واضح ظاهر لا خفاء به[١٠٤٨] .

ج - ويزيد تأكيد هذا المعنى ، قوله تعالى : « قال فعلتها إذا وأنا من الضالين »[١٠٤٩] .

معنى « وأنا من الضالين » : أي قبل أن يوحى إلى ، وينعم الله على بالرسالة والنبوة[١٠٥٠] . قال ابـن عباس : « وأنـا مـن الضـالين » : أي الجاهلين[١٠٥١] .

٩ - الفساد والانحلال الخلقي :

جاء ما يدل على هذا المعنى في قوله تعالى : « ... تراود فتاها عن نفسه ، قد شغفها حبا ، إنا لنراها في ضلال مبين »[١٠٥٢] .

معنى « إنا لنراها في ضلال مبين » : أي في صنيعها هذا من حباها

١٠٤٣ الزمر : ٢٢

١٠٤٤ مدارك التنزيل وحقائق التأويل < للنسفي > ، ج ٤ ص ٣١٩

١٠٤٥ الشورى : ١٨

١٠٤٦ مختصر تفسير ابن كثير ، للصابوني ، ج ٣ ص ٢٧٤

١٠٤٧ لقمان : ١١

١٠٤٨ مختصر تفسير ابن كثير ، للصابوني ، ج ٣ ص ٦٤

١٠٤٩ الشعراء : ٢٠

١٠٥٠ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٦٤٥

١٠٥١ المصدر السابق

١٠٥٢ يوسف : ٣٠

فتاها ، ومراودتها إياه عن نفسه»[١٥٥٣] .

١٠ - احباط العمــــل :

ما يدل على هذا المعني في قوله تعالي : « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، لا يقدرون مما كسبوا على شيء ، ذلك هو الضلال البعيد »[١٥٥٤] .

معنى « ذلك هو الضلال البعيد » : أي سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة ، حتى فقدوا ثوابهم أحوج ما كانوا اليه[١٥٥٥] .

١١ - الخطا في الوصول للحق :

أ - جاء ما يدل على ذلك في قوله تعالي : « .. وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل »[١٥٥٦] .

معني « فقد ضل سواء السبيل » : فقد أخطأ طريق الحــق والصواب[١٥٥٧] .

ب - ويؤيد هذا المعني في قوله تعالى : « ... فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل »[١٥٥٨] .

معني « ضل سواء السبيل » : أي أخطأ الطريق الواضح وعدل عن الهدي الى الضلال[١٥٥٩] .

ج - ويؤكد هذا المعنى كذلك ، قوله تعالى : « قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون »[١٥٦٠] .

معنى « إلا الضالون » : المخطئون طريق الصواب[١٥٦١] .

١٥٥٣ مختصر تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ٢٤٨

١٥٥٤ ابراهيم : ١٨

١٥٥٥ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٢٩٤

١٥٥٦ المتحنة : ١

١٥٥٧ مدارك التنزيل وحقائق التأويل < للنسفي > ، ج ٥ ص ١٨٥

١٥٥٨ المائدة : ١٢

١٥٥٩ مختصر تفسير ابن كثير ..

١٥٦٠ الحجر : ٥٦

١٥٦١ مدارك التنزيل وحقائق التأويل < للنسفي > ، ج ٣ ص ٢٢

١٢ - الزلل في مواقف الفتن :

ومما جاء في هذا المعنى في كتاب الله ، قوله تعالي : « ... ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء »[١٠٦٢] .

ومعنى « ويضل الله الظالمين » : فلا يثبتهم على القول الثابت في مواقف الفتن وتزل[١٠٦٣] أقدامهم أول شيء ، وهم في الآخرة أضل وأزل[١٠٦٤] .

١٣ - عدم السمع والبصر والعقل :

ومما يدل على هذا المعنى في القرآن الكريم ، قوله تعالى : « اسمع بهم وابصر ، يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين »[١٠٦٥] .

معنى « لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين » : لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ، فحيث يطلب منهم الهدى لا يهتدون ، ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك [١٠٦٦].

١٤ - الانحـــــــــراف :

يدل على هذا المعنى ، قوله تعالى : « إن الذين كفروا بعد ايمانهم ، ثم ازدادوا كفرا ، لن تقبل توبتهم ، وأولئك هم الضالون »[١٠٦٧] .

المعنى « الضالون » : أي الخارجون عن المنهج الحق الى طريق الغي [١٠٦٨]

وجاء هذا المعنى في قوله تعالى : « ولأضلنهم ولأمنينهم ،لآمرنهم فليبتكن ... »[١٠٦٩] .

معنى « ولأضلنهم » : لاضلهم عن محجة الهدى ، ولأزيغنهم عن طاعتك بالأماني[١٠٧٠] .

١٠٦٢ ابراهيم : ٢٧

١٠٦٣ معني وتزل أقدامهم : وهي الحيرة التي تحقهم ، اذ ليسوا متمسكين بحجة ، وفي الآخرة هو اضطرابهم في جوابهم (البحر المحيط ، لابن حيان ، ج ٥ ص ٤٢٣)

١٠٦٤ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج ٢ ص ٤٣٠

١٠٦٥ مريم : ٣٨

١٠٦٦ مختصر تفسير ابن كثير ، للصابوني ، ج ٢ ص ٤٥٢

١٠٦٧ آل عمران : ٩٠

١٠٦٨ مختصر تفسير ابن كثير ..

١٠٦٩ النساء : ١١٩

١٠٧٠ تفسير القرطبي ، ج ١ ص ١٧٤

١٥ - التيه والحيرة :

أ - والذي يدل على هذا المعنى ، قوله تعالى « وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ! إني أراك وقومك في ضلال مبين »[١٥٧١] .

معني « في ضلال مبين » : أي تائهين ، لا يهتدون ، أين يسلكون ، بل في حيرة وجهل[١٥٧٢] .

ب - ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى : « ... قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله ؟ قالوا : ضلوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين »[١٥٧٣] .

المعنى « قالوا ضلوا عنا » : غابو عنا وتاهوا[١٥٧٤] .

١٦ - الشقـــــاء :

أ - ومنه قوله تعالى : « بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد »[١٥٧٥] .

المعنى « الضلال » : معناه الشقاء[١٥٧٦] .

ب - وورد هذا المعني كذلك في قوله تعالى : « إنا إذا لفي ضلال وسعر »[١٥٧٧] .

المعنى « ضلال » معناه الشقاء[١٥٧٨] .

١٧ - الاستدلال في الحكم :

ومنه قوله تعالى : « إذ همت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون ألا أنفسهم .. »[١٥٧٩] .

١٥٧١ الأنعام : ٧٤

١٥٧٢ مختصر تفسير ابن كثير ، للصابوني ، ج ١ ص ٥٩١

١٥٧٣ الأعراف : ٣٧

١٥٧٤ في ظلال القرآن ، ج ٣ ص ١٢٨٩

١٥٧٥ سبأ : ٨

١٥٧٦ نزهة الأعين النواظر < لابن الجوزي > ص ٤٠٨

١٥٧٧ القمر : ٢٤

١٥٧٨ نزهة الأعين النواظر < لابن الجوزي > ص ٤٠٨

١٥٧٩ النساء : ١١٣

وهنا معنى « يضلوك » : يذلوك .

يقال نزلت في أمر طعمة بين أبيرق ، وكان قد سرق درعا وتركها عند يهودي ، فلما رؤيت عند اليهودي ، أحال بها على طعمة . وانطلق قوم طعمة الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسألوه : أن يجادل عن صاحبهم ، لئلا يبرأ اليهودي ، ويفتضح أمره . فهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -أن يفعل ، فنزلت هذه الآية[١٥٨٠] .

١٨ - النسيـــــان :

ومنه قوله تعالي : « أن تضل إحداهما ، فتذكر أحداهما الأخرى »[١٥٨١]

معنى « أن تضل احداهما » : ان تنسى[١٥٨٢] .

١٩ - اليهـــــود :

ومن قوله تعالى : « ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل »[١٥٨٣] .

المعنى « قد ضلوا » : اليهود[١٥٨٤] .

« وضلوا عن سواء السبيل » أي قصد طريق محمد - صلى الله عليه وسلم - .

والمراد الاسلاف الذين سنوا سنن الضلالة ، وعملوا بها من رؤساء اليهود والنصاري[١٥٨٥] .

٢٠ - النصـــــارى :

قال تعالى : « غير المغضوب عليهم ولا الضالين »[١٥٨٦] .

١٥٨٠ نزهة الأعين النواظر ‹ لابن الجوزي › ص ٤٠٧

١٥٨١ البقرة : ٢٨٢

١٥٨٢ نزهة الأعين النواظر ‹ لابن الجوزي › ص ٤٠٩

١٥٨٣ المائدة : ٧٧

١٥٨٤ القرطبي ، ج ٣ ص ٢٥١ - مختصر الطبري ، ج ١ ص ٢٠٥

١٥٨٥ القرطبي ، ج ٣ ص ٢٥١

١٥٨٦ الفاتحة : ٧

معنى « الضالين » : النصارى[١٥٨٧] .

توضيح وبيـــــان :

لقد تكررت لفظة الضلالة أو ما يشتق منها في القرآن الكريم كثيرا ، وذلك لخطورتها ، لقد تكررت من مائة وخمسين مرة ، وبمعان مختلفة ، وكلها تدل على الانحراف[١٥٨٨] عن الطريق المستقيم ، ولهذه الانحرافات درجات متفاوتة ، تصل الى حد الكفر والخروج من الأمة الاسلامية ، ولأهمية هذه اللفظة وخطورتها ، وتشابك معانيها وملابساتها ، ودقة الفاظها ، مما يجعل اللبيب يحتار في تحديد المعاني .. ولذلك نحتاج الى توضيح ما يأتي :

١- لا يشترط ان المعاني التي وردت لكلمة ‹ الضلالة › في القرآن الكريم كلها بدعة ، ولكن يمكن ان تكون تلك المعاني بدعة من طريق أخر ، لان كل بدعة ضلالة .

٢ - ان البدع لا تكون كلها بدرجة واحدة ، وانما تتفاوت فتصل الى درجة الكفر ، وقد تكون بدرجة الغفلة والجهل ، ولذلك لا يمكن ان نزن أصحاب البدع بميزان واحد ، أو تكون لهم عقوبة واحدة ، وانما ينزل كل منهم بقدر البدعة التي يرتكبها ، ولذلك نجد كلمة الضلالة لها معان كثيرة .

٣ - ان جميع البدع في الدين تكون مخالفة للشرع ، ولا يمكن ان يتقرب بها الله بأي حال من الأحوال ، ولان كل بدعة ضلالة ، وان كل ضلالة تدل على شر كما مرت معانيها في القرآن الكريم-

٤ - ان اصحاب البدع تكون قلوبهم شتئ ، وأراؤهم مختلفة ، لان الضلالة لها معان كثيرة ومختلفة ، ولذلك يمكن ان تكون عدد البدع ، بعدد معاني الضلالة .

١٥٨٧ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٢٤ . الكشاف ‹ للزمخشري › ، ج ١ ص ٧١ . تفسير ابن جزي ، ص ١٠ . تفسير صفوة البياني لمعاني القرآن ‹ للشيخ حسنين محمد مخلوف › ، ص ٣ . تفسير البيضاوي ‹ للامام البيضاوي › ، ج ١ ص ٤٠ . صفوة التفاسير ، ج ١ ص ٢٦ . مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، للنسفي ، ج ١ ص ٦ . مختصر تفسير الامام الطبري ، ج ١ ص ٣٥ . مفحمات الأقران في مبهمات القرآن ‹ للسيوطي › ، ص ١٣ .

١٥٨٨ لقد وردت لفظة الضلالة في القرآن الكريم مما يدل على النسيان في موضع واحد ، وهذا لا يعتبر من الانحراف ، وانما هي فطرة الانسان وخاصة النساء ، قال الله تعالى : « ان تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » البقرة : ٢٨٢

٥ - ان البدعة تدعو الى التفرقة والتمزق والضعف ، وذهاب شوكة الأمة الاسلامية ، فهي مخالفة للاسلام ، لان الاسلام يدعو الى الاعتصام[١٥٨٩] .
٦ - ان البدعة تدعو للقضاء على الأصالة الاسلامية ، وتدعو الى وحدة الاديان المحرفة والاسلام ، لان جميع البدع كما رتبنا معانيها التي وردت في التفاسير ، تدل على انها رواسب جاهلية أو بقايا المجوسية أو الأديان المحرفة من اليهودية والمسيحية .
٧ - ان اكبر الروافد التي تمد البدعة من الديانات المحرفة هي المسيحية كما ورد ذلك في القرآن الكريم في تفسير كلمة الضالين في سورة الفاتحة ، فقد اتفق جميع المفسرين علي ان الضالين هم النصارى ، لانهم أصحاب أهواء وغلو في الدين .
وقال الله تعالى في النصارى[١٥٩٠] : « يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل »[١٥٩١] .

ومن أكبر ضلالات النصارى واليهود ، التي غذت البدعة ، وكانت شريانا لتنميتها ، ومن هذه الضلالات :
أ - جحد النصارى واليهود لرسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - :
لقد وقع ذكره[١٥٩٢] (الرسول - صلى الله عليه وسلم -) بنعته وصفته وعلاماته ودعوته ، وصفة أمته ، ووقت مخرجه ، ونحو ذلك ، فإن هذا يعينه ويميزه ، ويحصر نوعه في شخصه ، وهذا القدر مذكور في التوراة والانجيل ، وغيرهما من النبوات التى بأيدي أهل الكتاب[١٥٩٣] .
ولقد دعموا وغطوا خبث الجحود والنكران ، بستار أوهى من بيت العنكبوت ، ونريد من فضح خبثهم ، وكلما زادوا احكامه ودقته وذلك الستار .
ب - التحريف والكتمان لنعت الرسول - صلى الله عليه وسلم - :
وقد وبخهم الله سبحانه وتعالى وبكتهم على لسان رسوله

١٥٨٩ قال الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .. » آل عمران : ١٠٣

١٥٩٠ صفوة البيان لمعاني القرآن ، ص ٣

١٥٩١ المائدة : ٧٧

١٥٩٢ لقد ذكر اثنا عشر وجها تدل على انه مذكور في الكتب المنزلة < هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى > لابن قيم الجوزية ، ص ٧١

١٥٩٣ هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى ، ص ٦٦

بالتحريف والكتمان والاخفاء[١٥٩٤] ، قال تعالى : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون »[١٥٩٥] ، وقال تعالى : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »[١٥٩٦] ، وقال تعالى : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم »[١٥٩٧] .

ج - ومن ضلالاتهم في العبادة :
أن النصارى مخالفون للمسيح في كل فروع دينهم في الطهارة والصلاة والصوم وأكل الخنزير وتعليق الصليب ، ويقولون ان الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة ، لانها حينئذ أبعد من صلاة المسلمين ،أقرب الى مخالفة الامتين[١٥٩٨] .

د - وكذلك من ضلالاتهم الاخلاقية : ليس عند النصارى على زنى أو لاط أو سكر حد في الدنيا أبدا ، ولا عذاب في الآخرة ، لأن القس أو الراهب يغفر لهم[١٥٩٩] .

ولقد أدخل أهل الكتاب الضلال والبدع في كل جوانب حياتهم ، ومن أكبر تلك الضلالات فساد العقيدة ، وهي عقيدة التثليث التي يدين بها النصارى ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وعلى كثرة الضلالات التي شملت جميع نواحي الحياة عند أهل الكتاب وخاصة النصارى ، اتفق أهل التفسير على ان الضالين هم النصارى لكثرة بدعتهم . والله أعلم .

١٥٩٤ المصدر السابق ، ص ٧٤

١٥٩٥ آل عمران : ٧١

١٥٩٦ البقرة : ١٥٩

١٥٩٧ المائدة : ١٥ - ١٦

١٥٩٨ هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى ، ص ١٩٤

١٥٩٩ المصدر السابق ، ص ١٩٥

تنبيهات هامة على خطر البـــدع

أ - الخطر الأول : تسرب البدع في التفاسيـــــــــــــر .
ب - الخطر الثاني : أهل البدع ووضع الحديث النبوي الشريف .

أ - الخطر الأول - تسرب البدع في التفاسير :

لم يترك أهل البدع شيئا من التعاليم الاسلامية ، الا وبثوا سمومهم فيها ، فمنهم من أول الاحاديث النبوية وفسرها حسب أهوائه ورغباته فكفر المسلمين ، ومن انكر العمل بالاحاديث النبوية ، ادعاءً بعدم جواز الأخذ بخبر الآحاد ، ومنهم من أنكر صحة الحديث الذي لا يناسب هواه ، ولم يقفوا الى هذا الحد بل زحفوا الى الآيات القرآنية ، ولكنهم لم يستطيعوا الزيادة فيه أو النقصان أو التحريف ، لأن الله تكفل بحفظه ، قال تعالي : « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »[١٦٠٠] ، ولكن بدعهم ادخلوها بطريقة التفسير ، على ما يناسب فكرتهم وعقيدتهم ، بادخال الرأي ومحاولة الابتعاد عن الاحاديث التي لا تناسب رأيهم ، بالطعن في ذلك الحديث ، ومن تلك التفاسير ، تفاسير المعتزلة ، كتفسير أبي مسلم محمد بن الاصفهاني . وتفسير على بن عيسى الرماني ، وتفسير ابي علي محمد بن عبدالوهاب الجبائي ، وغيرها من التفاسير التي تكثر فيها البدع .

ومن أهم البدع التي في التفاسير هي :

١- <u>نفي الرؤية عن الله سبحانه وتعالى :</u>

قال تعالى : « ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم ، لننظر كيف تعملون »[١٦٠١] .

قال الزمخشري : فإن قلت كيف جاز النظر على الله تعالي ؟ وفيه معنى المقابلة ! قلت : هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجود ا شبه بنظر الناظر ، وعيان المعاين في تحققه . قلت : حاصل كلامه نفي النظر عن الله تعالى ، بدعوى استلزامه المقابلة ، وهي في حقه ممتنعة .

فالله سبحانه وتعالى متصف بالسمع والبصر لجميع الموجودات بدون حاسة أو آلة ، فيعلم تعالى المبصرات والمسموعات تمام العلم

١٦٠٠ الحجر : ٩

١٦٠١ يونس : ١٤

وتنكشف له وتنجلي تمام الانكشاف والتجلي[١٦٠٢] .. وقبل البصر الذي يبصر ما تحت الثرى[١٦٠٣] .. وقيل : إذا عصيت مولاك فاعصه في موضع لا يراك[١٦٠٤] .

ومعنى هذا ان الله لا تخفى عليه خافية ، يعلم ويسمع ويرى وهو كامل الصفات ، وقد أراد سيدنا ابراهيم - عليه الصلاة والسلام ، تقري السمع والبصر حين قال لأبيه : « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ، ولا يغني عنك من الله شيئا »[١٦٠٥] .

ولو كان لا يعتقد ان عدم السمع والبصر نقص لخاف ان ينقل الدليل عليه في معبوده ، فيقال له : وأنت تعبد ما لا يسمع ولا يبصر . أضف الى ذلك أن اهل اللغة لا يفهمون في ‹ سميع ، وبصير › الا ذاتا قد ثبت لها السمع والبصر[١٦٠٦] .

والنص الصريح في الكتاب والسنة يرد هذه البدعة ، قال تعالى : « إنني معكما أسمع وأرى »[١٦٠٧] ، « إن الله سميع بصير » ، وقوله تعالى : قد نرى تقلب وجهك في السماء »[١٦٠٨] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

والرؤية والنظر واحد ، ودعوى استلزامهما للمقابلة[١٦٠٩] باطلة ، لان الله تعالى منزه عن الجسمية ولوازمها ، فكما انه تعالى موجود لا في مكان ولا في جهة ، كذلك يرى وينظر من غير جارحة ولا مقابلة ، ونفي النظر عنه ، ينافي كماله المطلق سبحانه وتعالى .

٢ - <u>التفسير بغرائب هي أشبه بالخرافة من الحقيقة :</u>

أ - قال تعالى : « إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم » . سكينة : سكون وطمأنينة .

والمعنى : انهم اذا رأوا التابوت سكنت قلوبهم وأطمأنت .

١٦٠٢ أسماء الله الحسنى ‹ حسنين محمد مخلوف › ، ص ٤٨

١٦٠٣ شرح أسماء الله الحسنى ‹ الامام الرازي › ، ص ٢٤٧

١٦٠٤ المصدر السابق .

١٦٠٥ مريم : ٤٢

١٦٠٦ شرح جوهرة التوحيد ‹ للباجوري › ص ١١٩

١٦٠٧ لقمان : ٢٨

١٦٠٨ البقرة : ١٤٤

١٦٠٩ المقابلة : لقيه مواجهة ، الشيء بالشيء : عارضه به يرى وجه الشبه أو الاختلاف بينهما ، قابل الكتاب بالكتاب ‹ الرائد › ج ٢ ص ١١٤١

ومن بدع التفاسير ما حكاه الزمخشري ، ولم يتعقبه : أن السكينة صورة من زبرجد أو ياقوت ، كانت في التابوت ، لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه ، وجناحان ، فيزف[١٦١٠] التابوت نحو العدو ، وهم يمضون معه ، فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ، ونزل النصر .

فهذه الأوصاف الغريبة ، وتلك التشكيلة في هذا الكائن ، مما يثير الدهشة ، ويلفت النظر ، ويبعث الى الشك .

ب - ومن العجائب ،الغرائب الأخرى ، قوله تعالى : « ويسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته » .

تسبيح الرعد : اما ان يراد به : تسبيح معية ، فيكون في مجاز الحذف ، أو يراد به : دلالته على قدرة الله تعالى ، مكتسبة بدلالته على نعمة المطر التي يحمد عليها ، فيكون من قبيل الاستعارة . أو : انه يسبح حقيقة ، وان كنا لا نفقه تسبيحه .

قال الزمخشري : ومن بدع المنصوفة ، الرعد : صفعات الملائكة ، والبرق : زفرات أفئدتهم ، المطر : بكاؤهم .

فهذا التفسير فيه السذاجة التي تبعث الى السخرية ، مما يفتح للأعداء ثغرة يتسللون منها لبث سمومهم .

ج - ومن الغرائب المكشوفة قوله تعالى : « وأوحى ربك الى النحل »[١٦١١] .

قال الزمخشري : ومن بدع تأويلات الرافضة أن المراد بالنحل : علي وقومه ، وعن بعضهم قال انه قال - عند المهدي الخليفة - : إنما النحل : بنو هاشم ، يخرج من بطونهم العلم[١٦١٢] ..

فهذه التأويلات المضحكة ، لا تتحملها اللغة ، ولا يقبل بها أي مفسر ، فالعلم لا يكون في البطن في بني آدم ، وانما يكون في الصدور .

د - ومن الغرائب والخرافات التي تدهش السامع ، تفسير قوله تعالى : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا ، لا يتكلمون الا من أذن له

١٦١٠ الريح تزف : وهو هبوب ليس بالشديد ، ولكنه في ذلك ماضٍ < العباب الزاخر واللباب الفاخر ، ص ٢٤٦ ، حرف الفاء > ويقال زفيف الظليم ابتداء تحنوه ، يقال : زف الظليم ويزف بالكسر زفيفا : أي أسرع < العباب الزاخر ، ص ٢٤٥ > . ومنه قوله تعالى : « فانقلبوا اليه يزفون » الصافات : ٩٤ ، أي : يسرعون اليه في المشي < تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، ص ٣٧٢ > . وكذلك الزّف ، وانشد أبي دريد :

فطالما سقنا المطيَّ زفّا ليلاً تعر عني الدُفّا < الجمهر : ١/٩٠ >

١٦١١ النحل : ٦٨

١٦١٢ بدع التفاسير ، ص ٧٧ - ٧٨

الرحمن وقال صوابا »[١٦١٣] .

ومن بدع التفاسير : ما جاء عن وهب بن منبه ، قال : أشرف ذو القرنين ، على جبل قاف ، فرأى تحته جبالا صغارا ، فقال له : ما أنت ؟ قال : أنا قاف ، قال : فما هذه الجبال حولك ؟ قال : هي عروقي ، وما من مدينة الا وفيها عرق من عروقي . فإذا أراد الله ان يزلزل مدينة ، أمرني ، فحركت عرقي ذلك ، فتزلزلت تلك الارض ، فقال له : يا قاف ، أخبرني بشيء من عظمة الله . قال : ان شأن ربنا لعظيم ، وان ورائي أرضا مسيرة خمسمائة عام ، في خمسمائة من جبال ثلج ، يحطم بعضها بعضا ، لولا هي لاحترقت من خرجتهم . قال زدني ، قال : إن جبريل - عليه السلام - واقف بين يدي الله تعالي ترتعد فرائصه ، يخلق الله من كل رعدة ألف ملك . فهؤلاء الملائكة واقفون بين يدي الله تعالى ، منكسون رؤوسهم ، فإذا أذن الله لهم في الكلام ، قالوا : لا إله إلا الله ، وهو قوله تعالى : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا »[١٦١٤] .

فهذه خرافات وأساطير يترفع عنها أدنى صاحب معرفة ، فهي خرافات مكشوفة ، مع عدم تنسيقها ، وترتيبها .

٣ - الاتيان بتحريف لا تحتمله الآية :

أ - قال تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه »[١٦١٥] .

حرف بعض المتصوفة هذه الآية الى : (من ذل ذي - يعني نفسه - يشفع عنده —) ، يقصد ان من أذل نفسه يشفع عند الله . وغفل عن الاستثناء[١٦١٦] .. فهذا تحريف مناف لأصول القواعد في التفسير ، لانه غير مبني على قواعد اللغة السليمة ، وهذا عمل فيه تطاول على الحق ، والقول بغير علم ، مما يفتح لاهل الباطل مجالا للدخول على المنهج الاسلامي من هذه الأبواب .

ب - تحريف آخر في قوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » ، معنى الآية : ان الله تعالى أسمع موسى - عليه السلام - كلامه ، وأكد بالمصدر ، لينفي عنه احتمال المجاز ، ولذا سمي موسى كليم الله[١٦١٧] .

١٦١٣ النبأ : ٣٨

١٦١٤ النبأ : ٣٨

١٦١٥ البقرة : ٢٥٥

١٦١٦ بدع التفاسير ، ص ٢٩

١٦١٧ المصدر السابق ، ص ٤٠

ومن بدع التفاسير كما قال الزمخشري : ان كلم من الكلم بسكون اللام ، وان المعنى : وجرح موسى بأظفار المحن ، ومخالب الفتن . هذا التفسير خاطيء ، لان صاحبه تعمد تحريف معنى الآية ، حتى لا يضطر الى الاعتراف بنسبة الكلام الى الله تعالى .

ج – تحريف ثالث : في قوله تعالى : « من شر ما خلق » قرأه بعض المغالين في الاعتزال ، من شرٍ بتنوين شر ، وجعل « ما » نافية . والمعنى : قل أعوذ برب الفلق من شرٍ ما خلقه ، بل خلقه فاعله . بناء على قولهم ان العبد يخلق أفعاله . وهذا تحريف يدل على انحراف عن صفاء العقيدة ، وبعد عن حقيقة الاسلام .

٤ – تفاسير فيها طعـــن :

أ – منها قوله تعالي : « وعصى أدم ربه فغوى » من الغي ، ضد الرشد . وكان أكله من الشجرة نسيانا ، بدليل قوله تعالي : « ولقد عهدنا الى أدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما »[١٦١٨] .

ومن بدع التفاسير : قول بعضهم : فغوى فبشم من كثرة الأكل .

قال الزمخشري : وهذا – وان صح – على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا ، فيقول في فني وبقي : فنا وبقا ، وهم بنوطي .

وهذا تفسير خبيث ، لوصف أدم بالشره ، والأنبياء – عليهم السلام – معصومون من كل خلق دنيء .

وقع كثير من المفسرين عن قصد أو غير قصد بخطأ أودى بهم الى التحريف والتزييف بما يجافي سير الأنبياء وأخلاقهم ، وسلوكهم ، وفق ما أبانها القرآن الكريم ، الذي نزه رسل الله الذين يحلقون في مستوى من الكمال الخلقي لا يسف بهم الى مهاوى الخطأ والخطل[١٦١٩] .

ب – مطعن ثانٍ : في قوله تعالى : « وهل أتاك نبأ[١٦٢٠] الخصم إذ تسوروا المحراب[١٦٢١] »[١٦٢٢] . جاء هؤلاء الخصوم ، فتسوروا المحراب « إذ دخلوا على داود ففزع منهم »[١٦٢٣] حيث نزلوا من جهة السقف ، وظن انهم

١٦١٨ طه : ١١٥

١٦١٩ قصص الأنبياء في القرآن الكريم ، سميح عاطف ، ص ٥٨٣

١٦٢٠ نبأ الخصم : خبرهم .

١٦٢١ المحراب : محراب داود – عليه السلام – ، وهو المسجد الذي أعده للصلاة في بيته < بدع التفاسير > محمد صديق الغماري ، ص ١٠٧

١٦٢٢ ص : ٢١

١٦٢٣ ص : ٢٢

يريدون به شرا ، .. « قالوا : لا تخف »[١٦٢٤] لا نقصدك بشر ، نحن « خصمان » ، وبعد ان بينا السبب الذي من أجله حضرا ، واستمع الى الخصم ، وحكم بينهما بالحق .. « وظن » أيقن « داود أنما فتناه » ابتليناه بالفزع الذي حصل منه حين تسور الخصوم عليه المحراب . وماكان ينبغي له الفزع من المخلوق ، وهو في حضرة الخالق وعبادته « فاستغفر ربه » من فزعه الذي لا يليق به « وخر راكعا » ساجدا « وأناب » رجع الى الله تعالى .. فتبين من سياق القصة انه كانت خصومة بين شركاء في نعاج حقيقة ، وانه لم يحصل من داود - عليه السلام - قبلها ما يستوجب لومه أو عتابه . وكل ما حصل منه خوفه من الخصوم الذين تسوروا عليه المحراب"[١٦٢٥] .

ومن التفاسير ما ذكرت أشياء لا تليق بمقام النبوة ، والطعن بصفوة خلق الله ، الذين هم قدوة البشر ، الذين زهدوا بالحلال ، واتجهو الى الله ، فكيف يليق بإلصاق الكبائر بهم ، وهي لا تليق بالمؤمنين المخلصين ، فكيف بأنبياء الله .

فمن بدع التفاسير ما قيل عن ذنب داود - عليه السلام - ‹ انه نظر من طاقة في بيته ، فرأى إمرأة عريانه تغتسل ، فأعجبته ، فسأل عنها ؟ فقيل له : انها امرأة شخص يقال له : أوريا ، فبعثه الى حرب ، وأمر بأن يحمل التابوت - وكان حامل التابوت لا يحل له ان يرجع حتى ينتصر الجيش أو يقتل هو - فانتصر الجيش ، وعاد أوريا . فبعثه مرة ثانية وثالثة ، فقتل فتزوج امرأته ، وكان له تسع وتسعون امرأة ..

وقيل : بل كانت خطيبة أوريا ، فبعث داود يخطبها - ولم يعلم بخطبتها - فآثره أهله علي خطيبها الأول ، فزوجوها له ، وهي أم سليمان ، فبعث الله اليه ملكين في صورة رجلين يختصمان في نعاج ، كنبها عن الزوجات ، فلما قضى ، صعدا الى السماء وهما يقولان : قضي الرجل على نفسه ، فأدرك خطأه وتاب .

وهذه القصة لا تليق بمقام النبوة وعصمة الأنبياء ، وهي من الاسرائيليات .. وقال بعضهم في خطأ داود : انه قضى للخصم قبل ان يسمع كلام خصمه ، وبعد الحكم أدرك خطأه وتاب"[١٦٢٦] .

وهذا أيضا باطل ، لان من البديهيات في القضاء : ألا يحكم القاضي الا بعد سماع الخصمين ، وابداء حججهما ، والموازنة بينهما ، فكيف يخفى

١٦٢٤ ص : ٢٢

١٦٢٥ بدع التفاسير ، محمد صديق الغماري ، ص ١٠٨، ١٠٩

١٦٢٦ المصدر السابق ، ص ١٠٩

هذا عن نبي أتاه الله الملك والحكمة وفصل الخطاب[١٦٢٧] .

وعند النظر لهذه القصة وما حيك فيها من طعن يترفع عنها عامة الناس ، فكيف يمكن الصاقها بصفوة الناس ، الذين عصمهم الله .

وان الذي ذهب اليه عدد من المفسرين على ارتكاب الكبيرة من داود - عليه السلام - لا تثبت امام النقد العلمي النزيه ، للأسباب التالية :

١- ان الذي حكاه المفسرون عن داود - عليه السلام وهو انه عشق امرأة أوريا فاحتال حتى قتل زوجها فتزوجها ، لا يليق بالأنبياء[١٦٢٨] .

٢ - ان الدخول في دم أوريا أعضم من التزوج بامرأته ، فكيف ترك الله الذنب الأعظم واقتصر على ذكر الأخف[١٦٢٩] .

٣ - ان الله تعالى وصف داود - عليه السلام - في ابتداء القصة بأوصاف حميدة ، وذلك ينافي ما ذكره في الحكاية ، ومن ذلك الوصف :

أ - وصفه بالقوة :

قوله تعالي « ذا الأيد » والأيدِ القوة ، ولا شك ان المراد فيه القوة في الدين ، لان القوة في غير الدين كانت موجودة في الملوك والكفار ، وما استحقوا بها مدحا ، انما استحق للمدح هو القوة في الدين[١٦٣٠] .

ودليل قوة الدين : العمل بالطاعات وترك المحرمات ، وهذا ينافي البدع التي ذكرت في التفسير .

ب - تسخير الجبال له :

لم يكن هذا التسخير له الا انه على مستوى من التقوى والعمل الصالح ، ولم يناسب من تعطى له النعم يقدم الى الزنا والقتل . وقيل انه كان محرما عليه صيد كل شيء فكانت الطيور تأمنه ، فكيف يجوز ان تأمنه الطير ولا يأمنه المسلم على زوجته[١٦٣١] .

ج - شدة ملكه :

قال تعالى « وشددنا ملكه » ومحال ان يكون المراد منه شدة ملكه بالمال والعسكر مع كونه مسلما من طريق الدنيا لا من طريق الدين[١٦٣٢] .

د - أتاه الله الحكمة :

قال تعالى : « وآتيناه الحكمة » والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي

١٦٢٧ المصدر السابق .

١٦٢٨ عصمة الأنبياء < فخر الدين الرازي > ص ١٠٠

١٦٢٩ المصدر السابق .

١٦٣٠ المصدر السابق ، ص ١٠١

١٦٣١ اقتباس من كتاب عصمة الأنبياء - بتصرف - ص ١٠٢

١٦٣٢ عصمة الأنبياء < فخر الدين الرازي > ص ١٠٢

علما وعملا ، قال بعض أهل العلم ، الحكمة : ضرب من العلم يمنع من ركوب الباطل[١٦٣٣] .

وقال غيره : الحكمة خروج نفس الانسان الى كمالها الممكن لها في حدي العلم والعمل . فحينئذ تنال الخلق الذي يسمى العدالة ، وسميت حكمة الدابة بذلك ، لانها تمنعها من التصرف بما لا يريد راكبها . كما ان الحكمة تمنع صاحبها من ركوب ما لا يصلح[١٦٣٤] .

وقال ابن قتيبة : الحكمة ‹ العلم › و ‹ العمل › لا يكون الرجل حكيما حتى يجمعهما[١٦٣٥] .

وقال ابن فارس : أصل الحكم المنع . واحكمت وحكمته أخذت على يده[١٦٣٦] .

وقال جرير :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكـــم

إني أخاف عليكم ان اغضبـــا[١٦٣٧]

‹ وذكر أهل التفسير ان الحكمة في القرآن على ستة[١٦٣٨] أوجه ›[١٦٣٩] .

فجميع المعاني تدل علي الكمال ، ووصل صاحبها الى أعلى الدرجات ، فكيف يليق به ان يوصف بما وصفه المبتدعة .

هـ - اختياره للخلافة :

« جعلناك خليفة في الأرض » فتنصيب الخلافة في الارض يكون صاحبها بالمستوى اللائق والعمل الصالح ، ولا تناسب صاحب القتل والفسق .

و - الدليل العقلي ينفي كل إثم :

قال داود - عليه السلام - « وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم » .. فقد استثنى الذين آمنوا من هذا البغي ، فان كان هو الفاعل لذلك وجب ان

١٦٣٣ نزهة الأعين للنواظر ‹ لابن الجوزي › ص ٢٦٠

١٦٣٤ المصدر السابق ، ص ٢٦١

١٦٣٥ تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، ص ٣٢

١٦٣٦ المجمل ، ص ٢٢٧

١٦٣٧ ديوان جرير ، ٤٦٦/١

١٦٣٨ الستة أوجه هي : الموعظة ، السنة ، الفهم ، النبوة ، القرآن الكريم ، علوم القرآن .

١٦٣٩ الأشباه والنظائر ، ص ١١١ . الوجوه والنظائر ، ص ١٣ . نظائر القرآن ، ص ١٠٧ . وجوه القرآن ق/٤٣ . اصلاح الوجوه ، ص ١٤١ . كشف السرائر ، ص ١٤٣ .

يكون حاكما على نفسه بعدم الايمان[١٦٤٠] .. وهذا مستحيل بحق النبوة والأنبياء .

ز - بشارة الله سبحانه وتعالى لنبيه داود - عليه السلام - :

قال تعالى : « وان له عندنا لزلفى وحسن مآب »[١٦٤١] هذه البشارة لما أعد الله لنبيه داود ، لم تكن تمنح لأصحاب العشق والقتل ، وانما تمنح للأصفياء الاتقياء .

احتمالات ليست ببعيدة التفسير :

ان مقام النبوة عند الله مقام رفيع ، ومنزلة عند الله ، لا يدانيها منزلة ، لا يليق الطعن فيهم ، لا بل أن تنزلهم أقل من منزلتهم ، واني أحاجج من يحكم عليهم ، او يرضى بحكم من يحكم عليهم بهذا الحكم الجافي الغليظ ، ان يحكم على نفسه ، وعلى خير أهل زمانه ، بما حكم على نبي الله داود وعلى غيره من الأنبياء - عليهم السلام - .

وأنبياء الله خير من جميع الأحياء ، فلينظر بم يرجع من الندم والحسرة من نتيجة تلك الاحكام ..

وهذه الاحتمالات التي أريد ان أبينها دقيقة ، عميقة الغور ، لا تصدق الا على قادة العظماء ، الذين اصطفاهم الله من خيرة خلقه ، ورعاهم بعنايته ورعايته .. وعندما نحكم بهذه الاحكام ان نتذكر انه على قدر أهل العزم تأتي العزائم .

- **الاحتمال الأول :**

ان الذين تسوروا المحراب قاموا بمخالفة الأصول والاعراف ، وذلك بالدخول من الأبواب بعد الاستئذان ، فطريقة دخولهم تدخل الخوف والريبة من أن تلك الجماعة تريد الشر ، فظن بهم سوءا ، فلما أخبروه بقضيتهم واطمأن ، ندم على ظنه بهم سوءا ، واستغفر ربه ، لان منزلته العالية عند الله ، يؤاخذ على هذه الظنون ، والله أعلم .

- **الاحتمال الثاني :**

ان دخولهم عليه بطريقة غير مشروعة ، يحق له ان يؤدبهم ، وله القدرة على تأديبهم ، وعفى عنهم ، فانه يحتمل ان يدخل عليه شي من العجب على كمال حلمه ، فاستغفر ربه من ذلك العجب لانه من المهلكات[١٦٤٢] .

١٦٤٠ عصمة الأنبياء (فخر الدين الرازي) ص ١٠٣

١٦٤١ ص : ٢٥

١٦٤٢ اقتباس من كتاب (عصمة الأنبياء) بتصرف ، ص ١٠٨

- **الاحتمال الثالث :**

ان الذين تسوروا المحراب ارتكبوا اثم المخالفة ، فدعى لهم ان يغفر الله ذنوبهم ، وقد فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمن أذوه ، فاستغفر لهم .

- **الاحتمال الرابع :**

خوفه من عدم كمال العدل لما داخل سريرته من الخوف من تلك المداهمة ، والقاضي العادل يطلب منه ان يسوي بين الخصمين في لحظة ومجلسه واشارته[١٦٤٣] .

ويقرر الامام الشافعي أن القاضي ينبغي له ان يسوي بين الخصمين في خمسة أشياء : في الدخول عليه ، والجلوس بين يديه ، والاقبال عليهما ، والاستماع منهما ، والحكم عليهما[١٦٤٤] .

فالحالة التي كان عليها نبي الله داود من المباغتة التي فوجيء بها ، قد لا يستطيع ان يؤدي ذلك للخصمين ، فاستغفر ربه ، بما وقع منه من تقصير يكاد يكون فوق قدرته . ولقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يناجي ربه ويقول : (اللهم هذا قسمي[١٦٤٥] فيما أملك ، فاغفر لي ما تملك ولا أملك) .

- **الاحتمال الخامس :**

الخوف من عدم التحرر الوجداني : وهو مقياس دقيق يحتاج الى ظروف ملائمة من الراحة النفسية بابعاد الخوف والجوع ، ووجود المناخ الاجتماعي المناسب لاصدار الحكم .

يقول سيد قطب - رحمه الله - ‹ لن تتحقق عدالة اجتماعية كاملة ، ولن يضمن لها التنفيذ والبقاء ، ما لم تستند الي شعور نفسي باطن باستحقاق الفرد لها ، وبحاجة الجماعة اليها ، وبعقيدة في انها تؤدي الى طاعة الله ، والى واقع انساني أسمى ›[١٦٤٦] .

قد يقع احتمال بعيد التصور ، صعب الادراك من صاحب الحكم داود - عليه السلام - بانه لم يكن كامل التحرر الوجداني بالنسبة لمستواه ، عند

١٦٤٣ القاضي ابو يعلي الفراء وكتابه الأحكام السلطانية ، ص ١٢

١٦٤٤ أخلاق القرآن ‹ للشرباصي › ص ٢٣

١٦٤٥ يعني القسمة بين زوجاته ، والذي لا يملكه الجزئيات المتعلقة بوجد أثاث النفس كالحب والـــــــكره .. ‹ أخلاق القرآن › للشرباصي ، ص ٣٠

١٦٤٦ العدالة الاجتماعية في الاسلام ، سيد قطب ، ص ٣٦

اصدار الحكم في الظروف التي كانت تحيط به ، ولو كان الحكم عادلا كاملا ، لم تكن القناعة النفسية قد وصلت الي مستوى الكمال الذي حققه في الظاهر.

- **الإحتمال السادس :**

الخوف من عدم القدرة على استخدام اسلوب العدل الكامل : لكل شيء مظهر وجوهر ، والمظهر أشبه بالغلاف الذي يحمل الجوهر ، ومطلوب من المرء الذي يريد ان يصل الى مستوى الكمال ، الكمال بهما .. كثير من الكرماء لا يجيدون اسلوب العطاء ، وكثير من اصحاب العدل لا يكون مستوى اسلوب اصدار الحكم بمستوى ذلك العدل ، وهذا الاسلوب يؤلم السامع ، ولو نال كل حقه ، لان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : (كلمة طيبة خير من صدقة يتبعها أذى) .

والعدل كما يكون في الأمور العادية التي يسهل ضبطها وتحديدها ، يكون في الأمور العقلية والمعنوية التي يدق وزنها ، ويحتاج ضبطها الى معاناة ومشقة .

يقول الامام الرازي : < إن من العدل المطلوب عدل العلماء مع العوام ، بأن لا يحملوهم على التعصب الباطل ، بل يرشدونهم الى الأعمال التي تنفعهم في دنياهم وأخراهم >[١٦٤٧] .

وهذا العدل الذي يشير اليه يتطلب من العلماء أن يتعرفوا الى الحاجات العقلية والنفسية والدينية التي يحتاج اليها هؤلاء العوام ، ليستقيم أمرهم ويعتدل حالهم ، فلا يقدموا اليهم الا ما يزيدهم توفيقا ورشدا في أمور دينهم ودنياهم[١٦٤٨] .

ويرى الامام الغزالى ان قوة العدل الحقيقية هي ضبط الشهوة والغضب ، واخضاعهما تحت اشارة العقل والشرع ، وهو يرى ان العدل حالة للنفس ، وقوة بها تسوس الغضب والشهوة ، وتحملهما على مقتضى الحكمة ، وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها[١٦٤٩] .

والذي أعنيه بأسلوب العدل بالنسبة لنبي الله داود - عليه السلام - ان حالته قد ظهرت على اسلوب عند تصدير الحكم من ناحية تغير الوجه ، نبرة اللسان أو طريقة اسلوب الاجابة .. كل هذه قد رأى بعد اصدار يمكن تحسينها وتجميلها أحسن مما صدرت ، فاعتبرها تقصير يحتاج الى توبة وانابة .

١٦٤٧ أخلاق القرآن < للشرباصي > ص ٣٠

١٦٤٨ المصدر السابق ، ص ٣١

١٦٤٩ المصدر السابق .

- **الاحتمال السابع :**

عاقبة التقصير وخيمة : الأشياء المعنوية كالأشياء المادية ، وكما يقولون معظم النار من مستصغر الشرر، وكل شيء يبدأ من الصغير ثم ينمو حتى يصل الى الكمال ، وكذلك الأشياء التي يصيبها الدمار والخراب تبدأ بأعراض بسيطة ثم تتطور وتتضخم ، ثم تكون الدمار ، وكذلك الامراض الجسدية لها تدرج بالنمو ، قد تأخذ سنين طويلة لا يلتفت اليها إلا اصحاب المعرفة الدقيقة ، وعمق التجربة ، وقد يكون ذلك من ضرب الخيال ، لمن لم تعركه الحياة بتجاربها ، قد يلقى خبير ومجرب ومتخصص على جسد يلمح فيه بعض الصفات ، فيتصور ان ذلك الجسد سوف يتقبل بنزول المرض الفلاني بعد كذا من السنين ، استنادا على غذائه وحركته وتركيب بنيته ومسكنه ..

وهكذا كل شيء في الحياة سواء في الارتقاء او الانحدار ، ولا ينفع الندم بعد فوات الأوان ، فالذي يصدق على الماديات يصدق على المعنويات ، في الأشياء التي تبنى الضمير وتنير القلب ، أو عكس ذلك مما تميت الاحساس وتميت القلب .. فالعظماء نظروا على كل شيء مهما دق وصغر فيه نفع أو ضر نظرة دقيقة شغلت جوانب الضمير ، فاستهرت العيون من الخوف ، واقلقت الفكر من الاهتمام ، فالعظماء وعلى رأسهم الانبياء - عليهم الصلاة والسلام - شغلتهم دقائق أبكت عيونهم ، وأحزنت قلوبهم ، قد يعجز كثير من الناس عن إدراك تلك الدقائق ، لعمق تصورها .. ومن تلك الدقائق :

أ - النية والدوافع :

فكم من الأعمال أخذت العمر ، وهو مغمور في الجبر في الظاهر ، ولكن قد شوبت فكره أشياء كثيرة من المدح ومسايرة المجتمع ، أو الغفلة والشرود عند عمل الخير . هذه الدوافع مع امتزاج النية أقلقت العظماء من خوف التقصير ، مما دفع كثير منهم ذلك بشدة الاهتمام لتصفية السريرة من كل شائبة حتى يكون خالصا لله .

ويصدق على من يريد ان يكون خالصا لله ، قول القائل : ‹ ان يقبل مختارا جميع أوامر الشريعة ، وان يخضع نفسه لها كلية ، لدرجة ألا يجد شيئا يتردد في نفسه ›[١٦٥٠] .

فهذه الدقة لاجل اخلاص النية والتخلص من اختلاط البواعث التي لا حصر لها ازعجت العظماء . ولعله احد الاسباب الذي جعل نبي الله داود -

---

١٦٥٠ دستور الأخلاق في القرآن ‹ د. محمد دراز › ، ص ٤٣١

عليه السلام - يستغفر خوفا من ان تحول بعض البواعث لجعل العمل غير كامل الاخلاص .

ب - اعداد قوة الإيمان لرد هجوم البلاء :

فهذا الجانب لا يتأهب له ، ويستعد له الا الذين هم في قمة العظمة وهم الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، فلذلك كان شغلهم الشاغل في العمل الصالح خوف البيات وخوف الهجوم من الثغرات الضعيفة ، ولذلك كان تحصينهم لنفوسهم ليل نهار ، فكان سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - يقوم من الليل حتى تتورم قدماه ، وكان يستغفر الله في المجلس الواحد أكثر من سبعين مرة ، وكان كثير الدعاء ، ومن اكثر دعائه (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) ، ولقد بنى العظماء حاجزا من الخير لمقارعة الشر ، حيثما تدلهم الخطوات . وقال عبدالله بن مسعود : ‹ اجعلوا بينكم وبين الحرام حاجزا من الحلال ›[١٦٥١] .

وقيل : ‹ العاقل من تأهب للمخاوف قبل وقوعها › .

ومن كلام ابن الجوزي : ‹ كل من لا يتلمح العواقب ، ويستعد لما يجوز وقوعه ، فليس بكامل العقل ›[١٦٥٢] .

ج - الذنب ينمو تدريجيا :

فهذه الحالة تخيف العظماء وتشغلهم بتتبع الخواطر والوساوس ، والخلجات النفسية ، وتتبع المراتع والنظرات لنمو الذنب ، والتشجيع على ظهوره واستيطانه ، مما جعل عمالقة الخير ، في خوف وحزن وتتبع ، لكل خاطرة ، وغفلة ، وغضب ، من ان تستحكم في القلب ، فتنمو وتتحول الى ذنب ، يفسد على الصالح صلاحه ..

وما أحسن قول ابن الجوزي حيث يقول :

‹ ان الخطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها الى الفكر ، فيأخذها الفكر ، فيؤديها الي التذكر ، فيأخذها التذكر ، فيؤديها الى الارادة ، فتأخذها الارادة ، فتؤديها الي الجوارح والعمل ، فتستحكم ، فتصير عادة ، فردها من مبادئها أسهل من قصعها بعد قوتها وتمامها .. ›[١٦٥٣] .

ومن ذلك يتبين انه يسبق العمل بالجوارح مراحل تسري في القلب ، وتسلل في الفكر ، فاذا وجدت الجو المناسب ، فانها تظهر على الوجود ، وعند ذلك يكون استقرارها وتمكنها وأثرها ان كانت شرا فشر ، وان كانت خيرا فخير .

١٦٥١ الحكمة الخالدة ‹ لابن مسكويه › ، ص ١٢٤

١٦٥٢ صيد الخاطر ‹ لابن الجوزي › ص ٣٩٧

١٦٥٣ الفوائد ، للامام ابن قيم الجوزية ، ص ١٦٥

يقول الامام الغزالي : ‹ اعلم ان هاهنا أربعة أحوال للقلب قبل العمل بالجوارح : أحدها الخاطر ، وهو حديث النفس . ثم الميل . ثم الاعتقاد . ثم الهم ›[١٦٥٤] .

وعلى هذا الاســاس يحــتــاج الرجل الذي يريد ان يرتقي الى اعلى درجات السمو والسؤدد ، ان يحرك قوة من الخير لرد الشر في عقر داره ، وقبل ان يتحــرك الى قلاع القلب ، وهو في مرحلة ‹ الخاطر › فان فلت وتحرك ، فعليه ان يلاحقه ، ويقضي على أنفاسه في المرحلة الثانية وهــي ‹ الميل › ، فان تقدم ونجا فالخطر يكون أكثر ، ويحتاج الى قوة عسكرية كبيرة من الخير لضرب ذلك الشر وهو في المردحلة الثالثة وهو ‹ الاعتقاد › ، فان لم يستطع رد كيده وتقدم الى المرحلة الرابعة ، فان الخطر يكون عظيما ، والسيطرة على احساس الفرد وجوارحه ، تكون قاب قوسين أو أدنى ، فعند ذلك يحتاج المرء الى قوة اكثر من سابقتها لتقدمه واستحكام أمره ، واذا فشل المرء بكل تلك الاستحقاقات ،الاستعدادات ، وضرب جيش الخير ، ولم تبق له حيلة للرد وللكيد . فإن الذنب يحتل سويداء القلب ثم يظهر على الوجود وهو العمل بالجوارح ، وهو مرحلة الاستسلام والانقياد للشر .

ولذلك يتعب العظماء ، من شدة الحذر ، واليقظة الدائمة ، ودقة المحاسبة ، والشفافية الدقيقة ، لمعرفة الخواطر والهواجس الكامنة في النفس ، لسحقها وابادتها ، قبل ان تتحرك خطرة واحدة الى الامام ،

وهذه الاستعدادات تحتاج الى امكانيات ضخمة لا يملكها الا من يعيش في قمة العظمة ، وهم الأنبياء والرسل - عليهم السلام - ولذلك قد يكون استــغــفــار نبي الله - داود - عليــه الســلام - خــشــيــة الــتــقــصــيــر لتلك الاستــعــدادات في المستوى اللائق بمستوى عظمة النبوة للظروف التي أحاطت به .. والله أعلم .

١٦٥٤ روضة الطالبين وعمدة السالكين ، للامام الغزالي ، ص ١٣١

** اعتراضـــــات وردود :

قد يعترض من يطلع على هذه الاحتمالات التي ذكرتها للدفاع عن نبي الله داود – عليه السلام – ، ولمن وقع عليه طعن من اخوانه من الانبياء من أهل البدع ، أو من اعتقد بأهل البدع ، ويقول :

١) الاعتراض الأول :

ان ما ذكرته من هذه الاحتمالات بعيد التوقع والتصور ، لانها جوانب نفسية ، ولا يمكن اقناع الناس بها .

٢) الاعتراض الثاني :

ان الكلام الذي قيل عن نبي الله داود – عليه السلام – قد قاله علماء لهم وزنهم ، من سعة العلم ، وعمق التفكير ، ودقة التحليل ، مما يرد احتمالاتك ، ويرد تصورك .

- الرد على الاعتراض الأول :

أما بالنسبة الى ان الاحتمالات التي قلتها بعيدة التوقع والتصور ، فهذا شيء فيه حق نسبي ، وليس هو كل الحق ، لان السير في التفسيرات المادية ، وارتكاب الكبائر لنبي الله داود – عليه السلام – هو الذبح من الوريد الي الوريد ، ومن اعتقد ما قيل من قبل أهل البدع ، فانه الهلاك ، لان الأنبياء معصومون ..

وفي اثبات وجوب عصمة الانبياء – عليهم السلام – من الأدلة الآتية :

أ – ان كل من كانت نعمة الله تعالي عليه اكثر كان صدور الذنب منه أقبح وأفحش ، ونعمة الله تعالى على الأنبياء اكثر فوجب ان تكون ذنوبهم أقبح وأفحش من ذنوب كل الأمة ، وان يستحقوا من الزجر والتوبيخ فوق ما يستحقه جميع عصاة الأمة ، وهذا باطل فذاك باطل[١٦٥٥] .

ب – انه لو صدر الذنب منه لكان فاسقا ، ولو كان فاسقا لوجب أن لا تقبل شهادته ، لقوله تعالي : « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا »[١٦٥٦] ، واذا لم تقبل شهادته في هذه الأشياء الحقيرة ، فبأن لا تقبل في اثبات الأديان الباقية الى يوم القيامة كان أولى ، وهذا باطل فذاك باطـــــــل[١٦٥٧] .

١٦٥٥ اصول الدين ‹ معالم اصول الدين › للرازي ، ص ١٠٨

١٦٥٦ الحجرات : ٦

١٦٥٧ اصول الدين ‹ معالم اصول الدين › للرازي ، ص ١٠٩

ج - ان بتقدير إقدامه على الكبيرة يجب زجره عنها ، ولم يكن اذاؤه محرما ، لكنه محرم[١٦٥٨] لقوله تعالى : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله »[١٦٥٩] .

فأي تفسير يحمل الطعن وإنزال قدر الأنبياء فان صاحبه يعرض نفسه للخطر العظيم ، وللنجاة من هذا الخطر ، هو تفسير هذه الأشياء بما يجنب المسلم الخطر ، وذلك بأن يحمل التفسير عدم الطعن بالأنبياء مع حسن الظن بهم ، ولو سار على جسدك السعدات ، أو شبا الشوك ، أو حد السيف ، أولى له من ان يسلك سبيلا يؤدي به الي انحدار ينزلق به الي هاوية سحيقة تعرضه للانحراف في عقيدته .

- الرد على الاعتراض الثاني :

أما بالنسبة للقول بأن التفسير الذي فيه طعن قد قاله علماء لهم وزنهم وغزارة علمهم .. فالرد من وجوه :

أ - الرد الأول :

انه لا يقاس الحق بالرجال ، وانما يقاس الرجال بالحق ، وهو قاعدة منطقية للرد على منطقهم -

ب - الرد الثاني :

ان التقرب الي الله ، هو ان نعمل بما يرضى الله ، وان نتقرب اليه بما يريد الله ، وان الطعن بالأنبياء معصية لله ، وبعد عن الله سبحانه وتعالي .

ج - الرد الثالث :

لم تثبت أي رواية صحيحة عن قصة نبي الله داود وأوريا التي ذكرت سابقا في بدع التفاسير ، وقد رواها البغوي عن طريق الثعالبي ، والرواية منكرة مختلقة على الرسول - صلى الله عليه وسلم - . وفي سند هذه الرواية المختلقة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبي لهيعة ، وهو ضعيف في الحديث ، وفي سندها ايضا : يزيد بن ابان الرقاشي ، وكان ضعيفا في الحديث[١٦٦٠] .

وقال فيه النسائي ، والحاكم أبو احمد : انه متروك ، وقال فيه ابن حبان : كان من خيار عباد الله ، من البكائين بالليل ، غفل عن حفظ الحديث

١٦٥٨ محصل افكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين > للرازي ، ص ٣٢٠

١٦٥٩ الأحزاب : ٥٧

١٦٦٠ تفسير البغوي ، على هامش تفسير ابن كثير ، ج ٧ ص ١٩١ ، ١٩٢

تفسير الدر المنثور ، ج ٥ ص ٣٠٠ - ٣٠١

شغلا بالعبادة ، حتى كان يقلب كلام الحسن يجعله عن أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم ، فلا تحل الرواية عنه الا على جهة التعجب[١٦٦١]

وقال العلامة ابن كثير في تفسيره :

‹ وقد يكر المفسرون هنا قصة ، أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده ، لانه من رواية يزيد الرقاشي ، عن أنس - رضي الله عنه - ويزيد ،ان كان من الصالحين ، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة[١٦٦٢]

وبعد بيان ان هذا الطعن لم يثبت بطريق النقل ، وهو مردود جملة وتفصيلا عن طريق العقل ، وليس له دليل يسوغه من الأصول أو الفروع ، فإن التشبث بهذا الطعن تكون حجته أوهى من بيت العنبكوت ، وهو آثم على تمسكه .

٥ - حمل التفسير على مخالفة الأصول :

قال تعالي : « لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما »[١٦٦٣] .

مظاهر الآيتين تدلان على عموم قدرته ، ونفاذ أمره في مخلوقاته ، وهو يتصرف في ملكه يفعل ما يشاء فيرزق حسبما تقتضيه حكمته . ولكن اصحاب البدع أرادوا ان يصرفوا المعنى عن حقيقية المخالفة للأصول بدون اي دليل يقوي بدعتهم أو يؤيدها . وهو طعن يصرف الحقائق عن أصولها ، مما يجعل ضعفاء النفوس ، تمتد أقلامهم بالطعن على الشريعة عن طريق التفسير بدون الالتزام بالاصول المرعية .

ومن بدع التفاسير قولهم في قوله تعالي : « يهب لمن يشاء إناثا » يريد لوطا وشعيبا - عليهما السلام - لم يكن له لهما إلا البنات[١٦٦٤] ، « ويهب لمن يشاء الذكور » يريد ابراهيم عليه السلام لم يكن له إلا الذكور[١٦٦٥] ، « أو يزوجهم ذكرانا واناثا » يريد النبي - صلى الله عليه وسلم - كان له

١٦٦١ تهذيب التهذيب ، ج ١١ ص ٣٠٩

١٦٦٢ تفسير ابن كثير ، ج ٧ ص ١٨٩ ط المنار ‹ عن كتاب الاسرائيليات والموضوعات في كتب › محمد ابو شهبة ، ص ٣٧٢

١٦٦٣ الشورى : ٤٩ - ٥٠

١٦٦٤ بدع التفاسير ، ص ١٣٢

١٦٦٥ المصدر السابق

ذكور وبنات[١٦٦٦] ، « ويجعل من يشاء عقيما » يريد يحيى وعيسى - عليهما السلام[١٦٦٧] .

وهذا التأويل باطل ، لانه تخصيص العموم بدون أي دليل يدل على ذلك ، وهذه أحكام منافية للأصول الفقهية وبدون دليل .

وأما أصحاب التفاسير المعتبرة ، والذين رعوا الأصول المعتبرة فقد فسروا العموم على عمومه ، فذكروا المعاني التي تدل عليها الاتيان .. فمعنى قوله تعالى : « يهب لمن يشاء اناثا » أي يخص من شاء من عباده بالاناث دون التبني[١٦٦٨] ، « ويهب لمن يشاء الذكور » أي يخص من شاء بالذكور دون الاناث[١٦٦٩] ، « أو يزوجهم ذكرانا واناثا » أي يجعلهم ان شاء من النوعين فيجمع للانسان بين البنين والبنات[١٦٧٠] ، « ويجعل من يشاء عقيما » أي يجعل بعض الرجال عقيما فلا يولد له ، وبعض النساء عقيما فـــلا تلد[١٦٧١] .

قال البيضاوي : ‹ والمعنى يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة ، على مقتضى المشيئة ، فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر أو أنثى ، أو الصنفين جمعا ، ويعقم آخرين ›[١٦٧٢] .

وقال ابن كثير : ‹ جعل تعالي الناس أربعة أقسام : منهم من يعطيه البنات ، ومنهم من يعطيه البنين ، ومنهم من يعطيه النوعين الذكور والاناث ، ومنهم من يمنعه هذا وهذا فيجعله عقيما ، لا نسل ولا ولد ، فسبحان العليم القدير ›[١٦٧٣] .

فهذه البدع في التفاسير ، عاقبتها وخيمة وخطرها كبير ، حيث لم تجعل هبة الذكر والانثى من الله ، مما يأتي على هدم العقيدة من أساسها ، وكذلك هذه البدعة ، فتنة كبير بين الزوج والزوجة ، وذلك عندما يكون جميع ذريته بنات ، فيتصور ان هذه المرأة لا تلد إلا البنات ، وقد يؤدي هذا الاعقاد الى طلاقها ، أو كراهيتها وظلمها ، وكأن الامر يعود اليها .

١٦٦٦ المصدر السابق

١٦٦٧ المصدر السابق

١٦٦٨ صفوة التفاسير ، ج ٣ ص ١٤٦

١٦٦٩ المصدر السابق

١٦٧٠ المصدر السابق

١٦٧١ المصدر السابق

١٦٧٢ تفسير البيضاوي : ١٧٦/٢

١٦٧٣ مختصر تفسير ابن كثير ، ٢٨٣/٣

٦ - حمل التفسير على الشذوذ :

قال تعالى : « قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم »[١٦٧٤] .

فالمعنى : < أي فبسبب إغوائك واضلالك لي لأقعدن لآدم وذريته على طريق الحق وسبيل النجاة الموصل للجنة ، كما يقعد القطاع للسابلة >[١٦٧٥] .

هذا هو التفسير الذي تحتمله معاني اللغة العربية ، اما أهل البدع فلم يرق لهم سواء السبيل ، والسير في الطريق المستقيم ، فسلكوا الطريق الشاذ ، والمعاني الوعرة التي تشوه بلاغة القرآن ومتانة المعاني ، ومن قول أهل البدع في التفاسير :

< قول من جعل ما استفهامية < في كلمة فبما اغويتني > ، أي فبأي شيء أغويتني ؟ ثم ابتدأ لأقعدن (قال الزمخشري : واثبات الألف اذا أدخل الجر على ما الاستفهامية ، قليل شاذ (أي لا يصح تخريج القرآن عليه . ثم الاستفهام لا معنى له هنا >[١٦٧٦] .

فتحمل هذه البدعة بصرف المسلمين عن العمل بكتاب الله ، لانه بقدر قوة المعنى الذي تتذوقه النفوس السليمة ، يكن الانقداح في زناد الفكر لتحريك الطاقة البشرية ، اما اذا كان التفسير شاذا ولا معنى له ، فان النفوس تصاب بالعطب ، وتميل الى جعجعة الكلام ، وتتوقف الطاقة العملية المثمرة .

٧ - التفسير بالالغاز والمعميات :

ومن بدع التفاسير ما قيل في سورة « ق » : أن « ق » جبل محيط بالارض ، من زمردة خضراء ، اخضرت السماء منه ، وعليه طرفا السماء ، والسماء عليه مقبية ، وما أصاب الناس من زمردة ، كان مما تساقط من ذلك الجبل[١٦٧٧] .

هذا كلام باطل واه يترفع التفسير ان يكون فيه مثل هذه البضاعة الوضيعة ، والافكار المبنية على غير اساس ودليل ، مما تجعل التفسير الذي يشبه هذا من ضرب الخيال المبني على الرموز التي تزيد الموضوع تعقيدا .

١٦٧٤ الأعراف : ١٦

١٦٧٥ صفوة التفاسير ، ج ١ ص ٤٣٨

١٦٧٦ بدع التفاسير ، لأبي الفضل ، ص ٤٤

١٦٧٧ المصدر السابق ، ص ١٢٩

أما حقيقة تفسير هذه الحروف التي وردت في أوائل السور منها قولهم :

< وابتداء السورة بالحروف المقطعة « الم » وتصديرها بهذه الحروف الهجائية يجذب انظار المعرضين عن هذا القرآن ، اذ تطرق اسماعهم لأول وهلة الفاظ غير مألوفة في تخاطبهم ، فينتبهوا الى ما يلقى اليهم من آيات بينات ، وفي هذه الحروف وامثالها تنبيه على < اعجاز القرآن > فان هذا الكتاب منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ، فاذا عجزوا عن الاتيان بمثله ، فذلك اعظم برهان على اعجاز القرآن >[١٦٧٨] .

ويقول العلامة ابن كثير - رحمه الله - : < انما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور بيانا لإعجاز القرآن ، وان الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، مع انه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها ، وهو قول جمع من المحققين ، وقرره الزمخشري في تفسيره الكشاف ونصره أتم نصر ، واليه ذهب الامام ابن تيمية >[١٦٧٩] .

وفصل الامام الزمخشري في تفسيره عن هذه الحروف تفصيلا شافيا وافيا يروي النفوس المتعطشة لتلك الحروف ، ومما ذكره عن ذلك في أول سورة البقرة ، فقال : < الوجه الثاني ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مرده على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه ، وكالتحريك للنظر في أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ، ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ، ولم معجزتهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة ، وهم امراء الكلام وزعماء الحوار ، وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ، ولم يبلغ في الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ، ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ، ولم يقع وراء مطامع أعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر ، وانه كلام خالق القوى والقدر .. >[١٦٨٠] .

ولم يرق أصحاب الأهواء هذه التفاسير التي تشير الى اعجاز القرآن وعظمته ، فاتجه اصحاب البدع الى تغطية هذا الاعجاز بالمعميات والالغاز لذر الرماد في العيون ، وصرف الناس عن عظمة الاسلام وشريعته ، والعيش في ظل الخرافات والاساطير .

١٦٧٨ صفوة التفاسير ، ج ١ ص ٣١

١٦٧٩ المصدر السابق .

١٦٨٠ الكشاف ، للزمخشري ، ج ١ ص ٩٥ - ٩٧

٨ - حمل الحقيقة على المجاز :

قال تعالى : « حتى اذا ما جاءوها[١٦٨١] شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون »[١٦٨٢] .

ومن بدع التفاسير في هذه الآية : < ان شهادة الجوارح كناية عن ظهور أثر المعاصي عليها ، بأن يظهر الله عليها علامات دالة على ما كانت تعمله في الدنيا >[١٦٨٣] .

وان هذا التأويل فاسد ، وانما الآية تبقى على حقيقتها ، وهو النطق ولا يمكن صرفها الى المجاز ، من وجوه :

أ - ان الآية التي بعدها فسرتها بالنطق ، قال تعالى : « وقالوا لجلودهم لم شهدتهم علينا ، قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون »[١٦٨٤] .

ب - ان كثيرا من أصحاب التفاسير فسروها بنطق الجوارح ، فقيل في قوله تعالى : « شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون » أي نطقت جوارحهم وشهدت عليهم بما اقترفوه من اجرام وآثام [١٦٨٥]

ج - ان السنة النبوية تدل على ان الآية تحمل على الحقيقة ، وهي النطق .. عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : ضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم وتبسم ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : (ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت ؟) قالوا : يا رسول الله من أي شيء ضحكت ؟ ، قال - صلى الله عليه وسلم - : (عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة ، يقول : أي ربي أليس وعدتني أن لا تظلمني ، قال : بلى ، فيقول : فإني لا أقبل عليَّ شاهد الا من نفسي ، فيقول الله تبارك وتعالى : أوليس كفى بي شهيدا والملائكة الكرام الكاتبين . قال - فيردد هذا الكلام مرارا - قال - فيختم على فيه ، وتتكلم أركانه بما كان يعمل ، فيقول : بعدا لكن وسحقا ، عنكن كنت أجادل)[١٦٨٦] .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : ان يوم القيامة يأتي على

١٦٨١ الضمير جاءوها ، يعود على النار .

١٦٨٢ فصلت : ٢٠

١٦٨٣ بدع التفاسير ، للغماري ، ص ١٢١

١٦٨٤ فصلت : ٢١

١٦٨٥ صفوة التفاسير ، الصابوني ، ج ٣ ص ١٢٠

١٦٨٦ اخرجه الحافظ البزار ، ورواه مسلم والنسائي بنحوه < عن مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٢٦٠ > .

الناس منه حين لا ينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون ، حتى يؤذن لهم ، فيختصمون ، فيجحد الجاحد بشركة الله تعالى ، فيحلفون له كما يحلفون لكم ، فيبعث الله تعالي عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم ، جلودهم ،أبصارهم وأيديهم وأرجلهم ، ويختم على أفواههم ، ثم يفتح لهم الأفواه ، فتخاصم الجوارح ، فتقول : (انطقنا الله الذي انطق كل شيء ، وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) . فتقر الألسنة بعد الجحود[١٦٨٧] .

د – ان الأصل في اللفظ يحمل على الحقيقة ، ويرجع على المجاز ، فقد ورد في أصول الفقه ما يدل على اثبات ذلك ، فقيل : (حكم الحقيقة ، ثبوت المعنى الذي وضع له اللفظ وعدم انتفائه عنه . وتعلق الحكم به . وعلى هذا اذا اوصى شخص لولد زيد بألف دينار ، ثبتت الوصية له دون غيره لانه لا يمكن ان يقال لولد زيد انه ليس بولده . وقوله تعالى : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق » القتل حقيقة في ازهاق روح الانسان ، والنهي منصب على هذه الحقيقة ، فلا يجوز ارتكابها بغير حق)[١٦٨٨] .

وفي حكم الحقيقة ايضا رجحانها على المجاز ، ولهذا يثبت لها الحكم دون المجاز كلما أمكن حمل اللفظ على الحقيقة[١٦٨٩] .

وعلى هذا الأساس فلا يجوز حمل الحقيقة على المجاز ، ما لم تكن قرينة تمنع ارادة المعنى الحقيقي للفظ[١٦٩٠] .

فان حمل الحقيقة على المجاز بغير قرينة ، يسبب خطرا عظيما على الشريعة الاسلامية من قبل أهل البدع ، ولقد كون هؤلاء لهم عقائد فاسدة ، غيروا فيها جميع الحقائق في الفرائض والمعاملات ، وأولوها تأويلات تعطل الشريعة وتدعو الى الزندقة والكفر ونشر الفساد ، ومن هؤلاء الباطنية الذين قالوا بأن الصوم هو كتمان السر بعد استتار الامام خوفا عليه من الظلمة ، ويفسرون قوله تعالى « وإن كنتم جنبا فاطهروا » بقولهم : (ان كنتم جهلة بعلم الباطن فتعلموا)[١٦٩١] ، ويقولون ان القيامة : (هي ظهور الامام بعد استتاره)[١٦٩٢] .

١٦٨٧ رواه ابن ابي حاتم (عن مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٢٦٠) .

١٦٨٨ الوجيز في اصول الفقه ، د. عبدالكريم زيدان ، ص ٣٠٥

١٦٨٩ المصدر السابق .

١٦٩٠ المصدر السابق .

١٦٩١ الباطنيون والحركات الهدامة في التاريخ الاسلامي ، ص ٣٥

١٦٩٢ المصدر السابق .

ومن هذه البدع الكثيرة التي أدخلها الزنادقة الذين تستروا بالاسلام لهدم الاسلام ، بتلك التأويلات التي شوهت الشريعة .

٩ - ضعف لا يفيد السياق :

لقد أورد اصحاب البدع تفاسير لبعض الآيات الكريمة لا تناسب المعنى الذي تدل عليه ، وعلى سبيل المثال ، قوله تعالى : « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم »[١٦٩٣] .

فلقد فسر اصحاب البدع هذه الآية بما لا يناسب السياق الذي وردت فيه مما يجعل المعنى ضعيفا ، لا يفيد عملا ، لا بل يجعل الفكر فيه مضطربا ، والهمم خاملة ، هذا التفسير قاله الزمخشري :

‹ ومن بدع التفاسير : تفسير بعضهم ‹ السليم › باللديغ من خشية الله[١٦٩٤] ، واطلاق السليم على اللديغ في باب التفاؤل ، كما يقال للبرية المهلكة : مفازة ، وحمل الآية عليه ، غير سليم ›[١٦٩٥] .

فلا يوجد ترابط بين هذا المعنى وسياق الآية التي تدل على طهارة القلب وزكاته ، وبعده عن الكفر والفجور ، والاتجاه الى تقوى الله والعمل الصالح الذي ينور القلب ، ويزيد من بصيرته ، ومما يدل على هذا المعنى ما ورد في مختصر تفسير ابن كثير :

‹ فقال في قوله تعالى : « الا من أتى الله بقلب سليم » أي سالم من الدنس والشرك[١٦٩٦] .

قال ابن سيرين : القلب السليم ان يعلم ان الله حق ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور[١٦٩٧] .

وقال ابن عباس : القلب السليم ان يشهد أن لا إله إلا الله ›[١٦٩٨] .

فأقول ان ما أورده اصحاب البدع من ان السليم هو اللديغ ، لا يتناسب كلمة اللديغ نور الايمان ، الذي يزيد المسلم قوة وهمة وكثر عمل ، اما اللديغ ، مشغول بالألم ، فاتر الهمة ، ضعيف العزيمة ، عاجز عن العمل .

١٦٩٣ الشعراء : ٨٨

١٦٩٤ بدع التفاسير ، للغماري ، ص ٩٨

١٦٩٥ المصدر السابق .

١٦٩٦ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٦٥١

١٦٩٧ المصدر السابق .

١٦٩٨ المصدر السابق .

ب - الخطر الثاني - أهل البدع ووضع الحديث النبوي الشريف :

قامت جميع الفرق المبتدعة بوضع الأحاديث في السنة النبوية ، كل منهم وضع من الأحاديث ما يناسب مذهبه واعتقاده ، لأجل ان يعز بدعته ويروجها بين المجتمع الاسلامي[١٦٩٩] .

ولقد دأب أصحاب الأهواء في مختلف الأمان والعصور على الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، حتى قال عبدالله بن يريد المقريء :

< ان رجلا من أهل البدع رجع عن بدعته ، فجعل يقول : انظروا هذا الحديث عمن تأخذونه ، فإنا كنا إذا رأينا رأيا جعلنا له حديثا >[١٧٠٠] .

وقال حماد بن سلمة : اخبرني شيخ من الرافضة انهم كانوا يجتمعون على وضع الحديث[١٧٠١] .

لقد أراد أصحاب البدع افساد السنة ، وإطفاء نور الشريعة ، وطمس حقائقها ، بالافتراء على السنة ، ولكن الله سبحانه وتعالى هيأ فطاحل العلماء الذين وقفوا امام هذا الشر المستطير ، ورد كيدهم الى نحورهم ، بكشف خبثهم وشرهم .

ملخص عن ((مضار البدع)) :

بعد تلك الجولة المفصلة عن مضار البدع ، التي تدمي القلب وتجعل الحليم حيرانا ، مما أحدثه المسلمون الجهلة ، بقصد أو بغير قصد ، وكذلك ما أحدثه المتسترون بالدين وهم أعداء الاسلام والمسلمين ، وما أحدثه الزنادقة ، من الضلال لتشويه الاسلام وطمس حقائقه ، من كل هذا وذلك ورموا الدين الاسلامي والمسلمين بقوس واحدة ، أصابت منه طعنة لازال ينزف منها ، ولا يمكن تضميدها وشفاؤها الا بالرجوع الي الكتاب والسنة .

ومن تلك المضار التي ذكرتها هي أن الابتداع في الدين الثغرة التي يتسلل منها أعداء الاسلام ، على جهلة المسلمين ، وعن طريق الابتداع جاء الغلو في الدين والتنطع فيه وادخال الحرج والتعنت والآصار والاغلال ،

١٦٩٩ انظر تفصيل ذلك في الباب الثالث < اشهر الوضاعين > .

١٧٠٠ التدريب ، ص ١٠٣ < عن علوم الحديث ، ص ٢٦٧ > .

١٧٠١ المصدر السابق .

فكانت تلك الاشواك والسموم ، ان حدث التفرق والتمزق والخصومات[١٧.٢] ، فاصبحت الأمة شيعا واحزابا ، فكفر كل فريق الآخر ، فحدث للنفوس الضعيفة ولأصحاب البدع الابتعاد عن الاسلام ، والطعن فيه ، فجعلوا الاهواء مركبهم ، فكان التساهيل من فريق اسقط الفروض والسنن وحذف التفسير ووضع الأحاديث الموضوعة لدعم فساده وغوايته ، وسلك فريق آخر التشديد في الدين وتكفير[١٧.٣] المسلمين بغير علم ، فولدت تلك المبادىء المتناقضة من تساهل[١٧.٤] واباحة المحرمات ، وتشديد ، وتشبيه ، وتعطيل ، وجبر ، من تركيبة متنافرة ، متناقضة ، متصدعة البناء .. كل ذلك جعل الأمة تعيش في الشقاء والحيرة والتيه ، فكان الجهل لتلك الفرق والفساد والانحلال .

وعن طريق الابتداع ، حرم الغلاة ما أحل الله من الزينة والطيبات ، وعن طريق الابتداع حدث الطعن في الدين ، وتشويه جماله وطمس لمعالم السنن ، (وقد شكك المبتدعة في كثير من المسائل الاسلامية بانها مخالفة للعقل ، وكل ما هو مخالف له يجب رده أو تأويله ، كقولهم في عذاب القبر انه يكذبه الحس والعقل ، وقالوا في الحساب والصراط والميـــزان

١٧.٢ ومن هؤلاء الخوارج الذين احدثوا تمزيق المسلمين ، ومن فرقهم المتشددة الأزارق اتباع ابي نافع راشد الأزرق . ومن مذهبهم ان قتل من خالفهم جائز (عن اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للامام فخر الدين الرازي ، ص ٤٦) .

وكذلك من فرق الخوارج : الأخنسية – أصحاب أخنس بن قيس ، وهم يتبرأون من كل شيء لا يوافقهم (عن كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٤٩) .

نشأ الخوارج في الحرب ، وعاشوا على أطراف لستوف .. وقضى الخوارج زهاء خمسين سنة تتجاذبهم السيوف وتتخاطفهم (عن كتاب الخوارج في الاسلام ، ص ٥٥) .

١٧.٣ كما فعلت بعض فرق الخوارج التي مرت مثل الأزارق ، والنجدات (عن كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، للامام فخر الدين الرازي ، ص ٤٦ – ٤٧) .

١٧.٤ ومن هؤلاء الزنادقة الذين تستروا بالاسلام ، وبثوا بين المسلمين الفساد والالحاد ، وعلى سبيل المثال ما فعله علي ابن الفضل القرمطي الاسماعيلي ، عندما استولى على اليمن وادعى النبوة ، واستباح المحظورات ، واحل الخمر والزنى ، ونكاح البنات (عن كتاب الحسام المسلول على منتقضي اصحاب الرسول ، للامام محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي ، ص ١٠٣) .

ونحوا من ذلك ، فطفقوا يؤولون بتأويلات بعيدة ›[١٧٠٥] . حتى غطوا على معالم الاسلام ، ومزقوا الأمة ، وينطبق في حقهم قوله تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم »[١٧٠٦] ، وقوله تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء »[١٧٠٧] .

وعن مجاهد في قوله تعالى : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »[١٧٠٨] . قال : ‹ هي البدع والشبهات › [١٧٠٩]

فالبدع يكمن فيها كل شر وبلاء ، وهي سبل وعرة مهلكة ، لا خير فيها من قريب أو بعيد ..

١٧٠٥ ومن هؤلاء الباطنية ، الذين اولوا الاحكام والفروض والآيات القرآنية ، فعطلوا الشريعة ، وتأولوا الملائكة على دعاتهم ، وزعموا ان كبراءهم هم المسمون بجبرائيل وميكائيل واسرافيل . وتأولوا الشياطين على مخالفيهم ، وتأولوا الصلوات انها الثناء على الامام ، والصوم والامساك عن افشاء أسرارهم .. الخ . ‹ عن كتاب اصول الدين ، للبغدادي ، ص ٣٣٠ › .

١٧٠٦ آل عمران : ١٠٦

١٧٠٧ آل عمران : ١٦٠

١٧٠٨ الأنعام : ١٥٤

١٧٠٩ مناهج الشريعة الاسلامية ، ج ٣ ص ٢٨٨

أوهام لا حقيقة لهـا

البدعة الحسنة وهم من ضرب الخيــال

قد يتصور البعض ان البدعة على قسمين البدعة السيئة ، ونوع آخر البدعة الحسنة . .

وحقيقة الأمر لا توجد الا البدعة السيئة التي ذكرت في الحديث النبوي الشريف : (كل بدعة ضلالة) ، وكما ذكرنا ان هذا الحديث يدل على العموم ، وهو ان جميع البدع في الدين سيئة ، فقد استند الى قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في صلاة التراويح : ‹ نعمت البدعة هذه › .

فهذا الاستدلال لا يمكن ان يكون حجة على انه توجد بدعة حسنة ، وذلك من وجوه :

١- ان صلاة التراويح هي : سنة[١٧١٠] نبوية ، وهي عكس البدعة ، ومنافية للبدعة فكيف يمكن ان نسمي السنة بدعة ، وهي مردودة شرعا وعقلا .

٢- شدة محاربة ابن الخطاب للبدع : كان ابن الخطاب من أشد الناس لمحاربة البدع وملاحقتها والقضاء عليها في عقر دارها ، عن المور بن مخرمة ، ان عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام ، يقرأ سورة الفرقان ، فقرأ فيها حروفا لم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - أقرأنيها ، فأردت أستاوره ،انا في الصلاة ، فلما فرغ قلت : من أقرأك هذه القراءة ؟ . فقال : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقلت : كذبت والله ، ما أقرأك هكذا رسول الله - صلى الله عليه

١٧١٠ . عن عروة بن الزبير - رحمه الله - ان عائشة زوة النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبرته ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج ليلة في جوف الليل ، فصلى في المسجد ، فصلى رجال بصلاته ، فاصبح الناس يتحدثون بذلك ، فاجتمع اكثر منهم . فخرج في الليلة الثانية ، فصلى فصلوا بصلاته ، واصبح الناس يتحدثون بذلك . وكثر اهل المسجد في الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلى ، وصلوا بصلاته . فلما كانت الليلة الرابعة ، عجز المسجد عن أهله ، فلم يخرج اليهم ، فطفق رجال يقولون الصلاة ، فلم يخرج اليهم حتى خرج لصلاة الفجر ، فلما قضى الصلاة ، اقبل على الناس بوجهه ، ثم تشهد ، وقال : (أما بعد ، فانه لم يخف على شأنكم الليلة ، ولكني خشيت ان تفرض عليكم وتعجزوا عنها . . .) . عن كتاب مناقب امير المؤمنين عمر بن الخطاب - ، لابن الجوزي ، ص ٦٣ - ٦٤

وسلم - ، فأخذت بيده أقوده ، فانطلقت به الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقلت : يا رسول الله ، إنك أقرأتني سورة الفرقان ، واني سمعت هذا ، يقرأ فيها حروفا لم تكن أقرأتنيها ! ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إقرأ يا هشام) فقرأ كما كان يقرأ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (هكذا نزلت) ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف)[١٧١١] .

٣- محاسبته الشديدة لمن يقرأ غير كتاب الله : كان عمر - رضي الله عنه - يؤكد على التسمك بكتاب الله ، ويحاسب ويعاقب من يقرأ من الكتب القديمة خشية هجر القرآن الكريم ، وترك أحكامه ، والتمسك بغيره .. عن عمر بن ميمون عن أبيه قال : أتى عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، انا لما فتحنا المدائن ، أصبت كتابا فيه كلام معجب ، قال : أمن كتاب الله ؟ قال : لا ، فدعانا بالدرة ، فجعل يضربه بها ، فجعل يقرأ : « ألر تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » الى قوله تعالى : « وان كنتم من قبله لمن الغافلين »[١٧١٢] . ثم قال : انما هلك من كان قبلكم انهم أقبلوا على كتب علمائهم ، واساقفتهم ، وتركوا التوراة والانجيل ، حتى درسا ، وذهب ما فيهما من العلم[١٧١٣] .

٤- ومن شدة خوفه تعليل أعماله : كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - شديد الخوف من الله تعالى ، وكان يخشى ان تهبط النفوس الضعيفة من صفاء العقيدة وعزة الاسلام الي حضيض الجاهلية وذل الشرك ، وذلك بعدم تمييزها بين الحجر الأسود والحجارة التي يقبلونها في الجاهلية ، بفرق الجوهر ، ونية القصد ، وارضاء الرب ، باتباع سيد البشرية ، كما ورد عن عابس بن ربيعة ، قال : رأيت عمر نظر الى الحجر - أي الحجر الأسود - فقال : أما والله لولا اني رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقبلك ما قبلتك ، ثم قبله[١٧١٤] .

١٧١١ صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١٥٠ ، ج ٦ ص ١٠٠

١٧١٢ يوسف : ١ - ٣

١٧١٣ مناقب امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، لابن الجوزي ، ص ١٢٤

١٧١٤ مسند الامام احمد ، ج ١ ص ١٦ (عن مناقب عمر ، ص ١٢٢) .

٥ - الابتعاد عن جميع الاحتمالات التي يتوقع منها الخطر علي العقيدة : فقد كان ابن الخطاب - رضي الله عنه - بعيد الغور، طويل الباع ، يربط الأسباب التي افسدت عقيدة الأمم السابقة ، فيحسب لها كل حساب ، ليتجنبها ، وليحصن العقيدة الاسلامية ، من مزالقها ، وخاصة عن ضعف الايمان وانطفاء مصباحه ، ومما تشدد فيه وأمر المسلمين بالابتعاد عنه .. من ذلك :

أ - قال نافع : كان الناس ، يأتون الشجرة ، التي بايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحتها بيعة الرضوان ، فيصلون عندها ، فبلغ ذلك عمر ، فأوعدهم فيها ، وأمر بها فقطعت[١٧١٥] .

ب - ولقد قام الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بعزل القائد العظيم خالد بن الوليد - رضي الله عنه - خوف الفتنة في الدين ، واعتقاد المسلمين ان الاسلام ينتصر بالاشخاص ، فتقع الفتنة بتقديس هؤلاء العظماء ، وينسى المسلم ان النصر من عند الله .

ولقد ذكر هذا المعنى الاستاذ عبدالكريم الخطيب .. اذ يقول :

‹ إن عزل خالد لم يكن عن هوى في نفس عمر ، كما انه لم يكن عن انتقاص لفضل خالد ، وما أبلى في سبيل الاسلام .. ولكن مقتضيات الأمور ، ورعاية المصالح العامة كان لهما الشأن الأول في هذا الحدث ، وعنهما استملى عمر رأيه ، وأصدر حكمه .

فكانت النتيجة ان انتصر المسلمون بإيمانهم .. ولم ينتصروا بخالد الذي كاد يطغى الشعور به في بعض النفوس على الشعور بالدين الذي يدافعون عنه ويقاتلون في سبيله .. ثم سلم لخالد ايمانه ، فلم يفتتن بانتصاراته .. وحقق له انه وغيره من قواد المسلمين سواء[١٧١٦] ! وان النصر انما يكون تحت راية الاسلام ، قبل ان يكون الى بطولة الأبطال ›[١٧١٧] .

٦- عدم تناقض شخصية ابن الخطاب : كانت شخصية عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - شخصية ألمعية ، وصاحب علم غزير ، وعقل واسع ، وايمان عميق ، وشفافية قلب يدرك بها دقائق الأمور . فهو الذي قام بمحاربة البدع بكل أنواعها ، وسد جميع الثغرات ، التي قد يتوقع ان ينفذ

١٧١٥ اخبار عمر ص ٣١٠ ، ابن الجوزي ص ١٢٣

١٧١٦ لا أعني بذلك عدم الأخذ بالأسباب ، وانما أعني جانب الاعتقاد ان النصر من عند الله ، وان الأخذ بالأسباب هو أمر يأمرنا الله به والأمتثال لذلك الأمر طاعة لله تعالى .

١٧١٧ اقتباس عن كتاب عمر بن الخطاب الوثيقة الخالدة ، لعبد الكريم الخطيب ، مع التصرف ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣

منها البدع ، ومن كلامه - رضي الله عنه - في محاربته للبدع .. عن عبدالله بن حكيم قال : كان عمر يقول : ‹ إن أصدق القيل قيلُ الله ، وإن أحسن الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وشر الأمور محدثاتها[١٧١٨] ، وكل محدثة ضلالة ، ألا وإن الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم ، ولم يقم الكبير على الصغير ›[١٧١٩] .

وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - هو الذي يحذر الامة من العلماء المنحرفين عن الحق والمنافقين ، ويخشى على الأمة من الاقتداء بأصحاب الضلال .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : خطبنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال : ‹ إن أخوف ما أخاف عليكم تغير الزمان ، وزيغة عالم[١٧٢٠] ، وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون يضلون الناس بغير علم ›[١٧٢١]

وهو القائل : ‹ ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه ايمانه ، ولا من فاسق بين فسقه ، ولكن أخاف عليها رجلا قد قرأ القرآن حتي أذلقه بلسانه[١٧٢٢] ، ثم تأوله على غير تأويله ›[١٧٢٣] .

وبين - رضي الله عنه - ان اصحاب الرأي الذين لم ينوروا قلوبهم بعلم السنة هم أعداء الشريعة ، وهم الذين انحرفوا عن الصراط وحرفوا غيرهم ..

عن عبدالملك بن هارون بن عنترة عن أبيه ، عن جده ، قال " قال عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - على المنبر : ‹ ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث ان يحفوظها ، وثقلت منهم ان يعوها ، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا : لا ، فأفتوا برأيهم ، فضلوا وأضلوا ، ألا وإنا نقتدي ولا نبتدي ، ونتبع ولا نبتدع ›[١٧٢٤] .

١٧١٨ المحدثات : ما لم يكن معروفا في كتاب ولا سنة ولا اجماع ‹ عن حاشية كتاب خطب امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص ٨٣ › .

١٧١٩ كنز العمال : ٣٧٤/١ رقم ١٦٣٣‹ عن خطب امير المؤمنين ، ص ٨٣ ›

١٧٢٠ زيغة العالم : اي ميله عن الحق ‹ عن كتاب خطب امير المؤمنين ، ص ٨٦ › .

١٧٢١ سيرة عمر ، لابن الجوزي ، ص ٢٢٣ . كنز العمال : ٢٦٧/١٠ رقم ٢٩٤٠١ ‹ عن خطب امير المؤمنين ص٨٦ › .

١٧٢٢ أذلق بلسانه : اللسان الذلق : أي البليغ الحديد ‹ عن خطب أمير المؤمنين ، ص ٩٧ › .

١٧٢٣ كنز العمال : ٢٦٨/١٠ رقم ٢٩٤٠٤ ‹ عن خطب امير المؤمنين ، ص ٩٧ › .

١٧٢٤ سيرة عمر ، لابن الجوزي ص ١٤٥ . كنز العمال : ٢٦٨/١٠ و ٢٦٩ رقم الحديث ٢٩٤٠٦ ‹ عن كتاب الخطب ٩٩ › .

فنظرة عابرة الى أقوال ابن الخطاب ، يظهر لأبسط العقول انه اشد الناس محاربة للبدعة ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال ان يمدح البدعة في الدين .

٧- الشورى وطلب النصيحة التي يتبعها ابن الخطاب : كان الخليفة عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - يستشير الصحابة ، لكل أمر يقدم عليه ، وكان الصحابة يبدون رأيهم بكل صراحة ، ولا يجدون أي حرج أو خوف ، فكانت هذه الصفة ، لا تدع لابن الخطاب شيئا الا وتسلط عليه الأضواء ، ولا يمر أي قول أو فعل الا وقد نوقش ، وابدى كل صحابي ،جهة نظره .. ومما ورد عن استشارة عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - وقبوله للنصح قيل : < كان عمر - رضي الله عنه - لا يستأثر بالأمر دون المسلمين ولا يستبد عليهم في شأن من الشؤون العامة ، فإذا نزل به أمر لا يبرمه حتى يجمع المسلمين ، ويحيل الرأي معهم فيه ويستشيرهم >[١٧٢٥] .

ومن مأثور قوله : < لا خير في أمر أبرم من غير شورى >[١٧٢٦] .

< ولما خرج عمر - رضي الله عنه - الى الشام في احدى قدماته لقيه في سرع < قرب تبوك > أمراء الأجناد أبو عبيدة وأصحابه ، فأخبروه ان الطاعون وقع في الشام ، (قال ابن عباس) : فقال عمر : < ادع لي المهاجرين الأولين ، فدعاهم واستشارهم وأخبرهم ان الوباء وقع في أرض الشام ، فاختلفوا ، فقال بعضهم ، معك بقية الناس واصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا نرى ان تقدمهم على هذا الوباء ، وقال بعضهم : قد خرجت لأمر ولا نرى ان ترجع عنه ، فقال : ارتفعوا عني . ثم قال : ادع لي الأنصار ، فدعوتهم فاستشارهم ، فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم ، فقال : ارتفعوا عني . ثم قال : ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدوعتهم ، فلم يختلف منهم عليه رجلان ، فقالوا : نرى ان ترجع بالناس ، ولا تقدمهم على هذا الوباء .. فنادى عمر في الناس : اني مصبح على ظهر ، فاصبحوا عليها . قال أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - : أفرار من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم نفر من قدر الله الى قدر الله .. فجاء عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه - وكان متغيبا في بعض حاجته ، فقال : ان عندي في هذا علما ، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، واذا وقع بأرض وأنتم

١٧٢٥ الخلفاء الراشدون ، للنجار ، ص ٢٤٣

١٧٢٦ المصدر السابق .

بها ، فلا تخرجوا فرارا منه) فحمد الله عمر ثم انصرف[١٧٢٧] .

وكان الفاروق - رضي الله عنه - يطلب النصيحة ليستعين بها ، ومما قاله : (فاتقو الله عباد الله ، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني ، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، احضاري النصيحة ، فما ولاني الله من أمركم : أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم)[١٧٢٨] .

نرى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يضع ميزان الشورى لتدقيق أعماله وأقواله ، ولا يتردد في الأخذ بمن له حجة من كتاب أو سنة ، ويحاول ان يصل الى دقة الاصابة ، بتعميم الشورى ومناقشتها ، كما رأيناه فعل عندما أراد أن يدخل الشام ، وكان الوباء وقع فيها ، فاستشار المهاجرين الأولين ، ثم الانصار ، ثم مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، وكذلك استمع لمن له رأي ، ولم له الظروف بادلاء رأيه مع استشارتهم ، فمن مجموعة هذه الآراء ، استخلص الفاروق بنود فكرته على أقوى الحجج المستندة على الكتاب والسنة ، ومن كانت هذه طريقته ، فلا يمكن لفكره أو عمل يقوم به ، الا يتعرض للفحص الدقيق ، والنقد الموجع ، حتى انه ليصل به الأمر بشمول استشاره ، ان يستمع الى الصبيان والنساء .

قال يوسف بن الماجشون : قال لي ابن شهاب ولأخ لي وابن عم لي ، ونحن صبيان ، : لا تستحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم ، فإن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان اذا أعياه الأمر المعضل دعا الأحداث فاستشارهم لحدة عقولهم[١٧٢٩] ، وكان يشاور حتى المرأة[١٧٣٠] .

٨- شدة محاسبة عمر بن الخطاب لنفسه وللصحابة : كان ابن الخطاب - رضي الله عنه - شديد المحاسبة للصحابة الكرام ولنفسه ، وكانت تلك المحاسبة مبنية على الصراحة التامة والعدل ، فلا يخشى صاحب الحق من بطش عمر لان العدل يحميه ويقيه ، فكانت محاسبته الشديدة لولاته ولجميع الصحابة ولأهل بيته وأقربائه ، ومن تلك المحاسبة ما كتبه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الي أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - : (أما بعد ، فإن للناس نفرة عن سلطانهم ، فاحذر ان تدركني ، واياك عمياء

١٧٢٧ صحيح البخاري : ٢١/٧ . وموطأ مالك : ٧٧/٤ (عن اخبار عمر ، ص ٧٢) .

١٧٢٨ الخراج لأبي يوسف ، ص ١٤٠ . وحياة الحيوان : ٥٦/١ (عن كتاب اخبار عمر ، ص ٥٦) .

١٧٢٩ ألف باء : ٢٦/١ ، وابن الجوزي : ١٦٥ (عن اخبار عمر ، ص ١٦٢) .

١٧٣٠ ابن الجوزي ، ص ١٦٤ (عن اخبار عمر ، ص ١٦٢) .

مجهولة[١٧٣١] ، وضغائن[١٧٣٢] محمولة ، وأهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة[١٧٣٣] ، أقم الحدود ، وأجلس للظالم ولو ساعة من النهار ، وأخف الفساق واجعلهم يدا يدا ، ورجلا رجلا[١٧٣٤] ، واذا كانت بين القبائل ثائرة[١٧٣٥] فنادوا : يا لفلان فانما تلك نجوى[١٧٣٦] من الشيطان ، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا الى[١٧٣٧] أمر الله عز وجل ، وتكون دعواتهم الى الله والاسلام ، واستدم النعمة بالشكر ، والمقدرة بالعفو ، والنصرة بالتواضع ، والمحبة للناس ...وعد مرضى المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وباشر أمورهم بنفسك ، وافتح لهم بابك ، فإنما أنت رجل منهم ، غير ان الله قد جعلك أثقلهم حملا »[١٧٣٨] .

فإن هذه المحاسبة الشديدة للراعي والرعية ، مع أخذ الناس بالشدة والعدل ، كل ذلك يجعل المجتمع الاسلامي يتتبع أعمال عمر بن الخطاب ، ويعترض على كل شيء يصدر منه ولو كان النزول عن درجة الكمال ، لانه في موضع القدوة ، وشديد المحاسبة على غيره ، فمن الأولى ان يكون أشد محاسبة لنفسه عن كل شيء يقوم به ، وخاصة وقد جعل ميزان العدل يسري على الجميع ، فكيف يسكت الصحابة ، عن قول عمر - رضي الله عنه - وهو يحارب البدع أشد المحاربة ثم يمدحها ، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون المدح عن البدعة في الدين ، ولو ان الأمر غاب عن الصحابة ، وعن من يتبعون أعمال ابن الخطاب ويغربلونها ، وهو أمر مستحيل ومن ضرب الخيال ، فكيف يغيب الأمر طيلة عمره ، وهو يحاسب نفسه كل يوم ، ولا يجد حرجا في ان يتنازل عن أي فعل قام به ثم وجد رشده في غيره ، وهي كثيرة في حياة ابن الخطاب .. ومن أمثلة ذلك ، قال الأحنف :

« كنت مع عمر بن الخطاب - فلقيه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، انطلق معي فأعدني على فلان ، فانه قد ظلمني ، فرفع الدرة فخفق بها رأسه ، وقال : تدعون أمير المؤمنين ، وهو معرض لكم حتى اذا شغل في أمر من أمور المسلمين اتيتموه : أعدني أعدني .. فانصرف الرجل وهو

١٧٣١ عمياء مجهولة : فتنة « حاشية خطب امير المؤمنين ، ص ١١٦ » .

١٧٣٢ الضغائن : الاحقاد والعداوات .

١٧٣٣ دنيا مؤثرة : اي مفضلة على الآخرة « حاشية خطب امير المؤمنين ، ص ١١٧ » .

١٧٣٤ أي فرق بينهم « حاشية خطب امير المؤمنين ، ص ١١٧ » .

١٧٣٥ ثائرة : فتنة وعداوة « حاشية خطب امير المؤمنين ، ص ١١٧ » .

١٧٣٦ النجوى : أسرار الحديث « حاشية خطب امير المؤمنين ، ص ١١٧ » .

١٧٣٧ يفيئوا : يرجعوا « حاشية خطب امير المؤمنين ، ص ١١٧ » .

١٧٣٨ العقد الفريد : ١/٨٨ و ٨٩ « عن كتاب خطب امير المؤمنين ، ص ١١٦ » .

يتذمر ، فقال عمر : على بالرجل ، فألقى اليه المخفقة ، وقال : امتثل - أي اخفقني كما خفقتك . فقال : لا والله ، ولكن أدعها لله ولك . قال : ليس هكذا ، إما أن تدعها لله إرادة ما عنده ، أو تدعها لي ، فاعلم ذلك . قال : أدعها لله ... ›[1739] .

لقد كان عمر - رضي الله عنه - يحاسب نفسه ويطلب القصاص من نفسه ولا يجد حرجا في ذلك وهو الخليفة ، وكان يقول : ‹ فو الذي بعث محمدا - صلى الله عليه وسلم - بالنبوة ، لو ان عناقا[1740] ذهبت بشاطيء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة ›[1741] .

قيل لابن عباس : أي رجل كان عمر ؟ قال : ‹ كان كالطير الحذر الذي كان له بكل طريق شرك ›[1742] .

ان هذه الشخصية الفذة ، الحذرة ، اليقظة ، المحاسبة للنفس عن كل صغيرة وكبيرة ، المترصدة لعيوبها أشد من ترصد العدو لعدوه ، لن تسمح بأن تتفوه بلفظة دون ان تصفيها وتنقيها من كل شائبة تشين بصاحبها في المبنى أو المعنى أو بكليهما .

٩- شجاعة الصحابة : امتاز عصر الصحابة - رضوان الله عليهم - بالشجاعة المتفوقة على جميع العصور ، وهذه الصفة تجعلها لا تخشى في الله لومة لائم ، ولا تجد الحرج في قول الحق ، ومناقشة الخليفة ، عن كل ما يبدر منه ، لا بل تحاسبه على ان يسمو الى عظائم الامور لانه في موضع القدوة ، ومما ورد ما يدل على شجاعتهم ومحاسبتهم للخليفة :

أ - اعتراض امرأة على الخليفة : عن مسروق بن الأجدع ، قال : ركب عمر بن الخطاب ، منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخطب الناس ، فقال : يا أيها الناس ، ما اكثاركم في صدقات النساء[1743] ؟! ، وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، واصحابه يقللون ، وانما الصدقات ما بين أربعمائة درهم فما دون ذلك ، ولو كان الاكثار في ذلك تقوى أو مكرمه لم تسبقوهم اليها ، فلا اعرف ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم .

قال : ثم نزل ، فاعترضته امرأة من قريش ، فقالت : يا أمير المؤمنين

١٧٣٩ أخبار عمر ، ص ٣٠٢

١٧٤٠ عناقا : عنزا ‹ اخبار عمر ، ص ٣٠٦ › .

١٧٤١ ابن الجوزي ‹ عن كتاب اخبار عمر ، ص ٣٠٦ › .

١٧٤٢ النبر المسبوك ، ص ١٦ ‹ عن اخبار عمر ، ص ٣٠٦ › .

١٧٤٣ صدقات النساء : مهورهن ‹ حاشية خطب امير المؤمنين ، ص ٤٠ › .

أنهيت الناس ان يزيدوا في صدقاتهن عن أربعمائة درهم ؟! قال : نعم ، فقالت : أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟ قال : وأين ذلك ؟ قالت : أو ما سمعت الله يقول : « .... إحداهن قنطارا ، فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا واثما مبينا » . فقال عمر : < اللهم غفرا ! كل الناس أفقه من عمر !! ثم رجع فركب المنبر ، فقال : يا أيها الناس ، اني كنت نهيتكم ان تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم ، فمن شاء ان يعطي من ماله ما أحب وطابت به نفسه ، فليفعل >[١٧٤٤] .

ب - اعتراض صحابي من عدم سماع قول عمر حتى يتبين له ما أبهم عليه : بعث الى عمر بن الخطاب بحلل ، فقسمها ، فاصاب كل رجل ثوب ، فصعد المنبر وعليه حلة[١٧٤٥] ، فقال : < أيها الناس ، ألا تسمعون ، فقال سلمان : لا نسمع !! قال : ولم يا أبا عبد الله ؟ ! قال : لانك قسمت علينا ثوبا ثوبا ، وعليك حلة : فقال : لا تعجل يا أبا عبدالله - ثم نادى - يا عبدالله . فلم يجبه احد !! فقال : يا عبدالله بن عمر . فقال : لبيك يا أمير المؤمنين . فقال : نشدتك الله ، الثوب الذي إئتزرت به أهو ثوبك ؟! قال : اللهم نعم ! فقال سلمان : أما الآن ، فقل نسمع[١٧٤٦] .

ج - رد نواهي عمر بعد مناقشتها : مر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على حسان بن ثابت - رضي الله عنه - ينشد في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - < فانتهره > فقال حسان : قد أنشدت فيه من هو خير منك ، فانطلق عمر[١٧٤٧] .

د - تشجيع عمر لمن ينصحه : قال رجل لعمر : < اتق الله يا عمر - واكثر عليه - فقال له قائل : اسكت فقد اكثرت على أمير المؤمنين ، فقال له عمر - رضي الله عنه - دعه ، لا خير فيهم إن لم يقولوها لنا ، ولا خير فينا ان لم نقبل >[١٧٤٨] .

هـ - اكرام عمر لمن ينصحه ويخوفه : عن محمد بن سلام قال : أنشد سحيم عمر بن الخطاب قوله :

عمر ودع ان تجهزت غاديـــــا   كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

١٧٤٤ سيرة عمر بن الخطاب ، تفسير ابن كثير : ٢١٣/٢ . الدر المنثور: ١٣٣/٢ < عن كتاب خطب امير المؤمنين ، ص ٤١ > .

١٧٤٥ الحلة : ثوبان < عن كتاب خطب امير المؤمنين ، ص ٩٨ > .

١٧٤٦ نثر الدر : ٣٣/٢ < عن كتاب خطب امير المؤمنين ، ص ٩٧ - ٩٨ > . الرياض النضرة : ٥٦/٢ مع اختلاف في اللفظ .

١٧٤٧ الأغاني : ٦/٤ ، العمدة : ١٥/١ < عن كتاب اخبار عمر ، ص ٢٦٢ > .

١٧٤٨ الخراج ، ١٤ < عن كتاب اخبار عمر ، ص ٢٦٧ > .

فقال عمر : لو قلت شعرك كله مثل هذا لأعطيتك[١٧٤٩] .

ان هذه الشجاعة الفائقة ، والجبال الرواسي التي لا تعرف مجاملة ولا محاباة عن كل صغيرة وكبيرة ، عن قول وعمل ، رجالهم ونساؤهم ، جميعهم يسلط انوار الحق ، على الخليفة ، ليرى منه ، ما لا يقبل مما يخالف الكتاب أو السنة ، أو ما يزري بالخليفة ، لمركزه ، وهؤلاء الفرسان ، يثيرهم ويشجعهم عدل الخليفة وتشجيعه لهم ، واكرامه لمن يقدم له عيوبه ، مع محاسبته لهم على تقصيرهم ..

كل هذه الأسباب لا تسمح بأي حال من الأحوال بالسكوت الجماعي من قبل الصحابة الكرام ، لو كانت كلمة البدعة التي نطق بها الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يعني بها البدعة في الدين ، لان البدعة في الدين لم تدع جيلا من الأجيال الا واختلفوا فيها ، فكيف بجيل الصحابة يكون منه هذا السكون الشامل ؟! .

١٠- الذوق الأدبي والنحوي والبلاغي لابن الخطاب : لقد كان عمر بن الخطاب الأديب الذي لا يشق له غبار ..

< كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من أشراف قريش ، واليه كانت السفارات في الجاهلية ، وذلك ان قريشا كانت اذا وقعت بينهم حرب وبين غيرهم بعثوه سفيرا .. واذا فاخرهم مفاخر بعثوه مفاخرا >[١٧٥٠] .

ويقول صاحب أخبار عمر الشيخ على الطنطاوي - حفظه الله - :

< ولقد قرأت ما لا أحصيه من الصفحات ، لأدباء الشرق والغرب ، وأنا أؤكد القول ، ان قليلا جدا من الأدباء ، من يبلغ في < حياة > العرض ، و < دقة > الوصف وشموله ، مثل هذا المبلغ >[١٧٥١] .

ثم يقول بعد أن يأتي بأمثلة من خطبه .. فيقول :

< ويمتاز عمر فوق ذلك بانه كان صادقا فيما يقول ، لم يكن سياسيا مخادعا ، ، وانه جاء به في نمط من البيان يسمو على الأشباه والأمثال >[١٧٥٢]

وما أروع العبارة ، وقوة السبك ، ودقة الأسلوب ، وجزالة اللفظ في خطبه وأحاديثه ، التي تسحر في بيانها الفكر .. ومن الأمثلة على ذلك في تهوين المصائب ، وتخفيف الجزع ، والتذكير بالموت ، والاسعداد ليوم الحساب ، والتأهب لما لا بد منه ، فيقول :

١٧٤٩ الأغاني : ٣/٢ ، البيان والتبيين : ٧٥/١ < عن اخبار عمر ، ص ٢٦٢ >

١٧٥٠ الاستيعاب : ١١٤٥/٣ < عن كتاب خطب امير المؤمنين ، ص ١٥ > .

١٧٥١ اخبار عمر ، ص ٢٠٩

١٧٥٢ المصدر السابق ، ص ٢١٠

< أيها الناس ، إما الجزع مما لا بد منه ؟ وما الطمع فيما لا يرجى ؟ وما الحيلة فيما سيزول ؟ فما بقاء الفرع بعد أصله ؟ إنما الناس في هذه الدنيا أغراض تنتصل المنايا فيهم ، وهم نصب المصائب ، مع كل جرعة شرق ، وفي كل أكلة غصص ، لا ينالون الا بفراق أخرى ، ولا يستقبل معمر من عمره شيئا الا بهدم آخر من أجله ، وانتم اعوان الحتوف على أنفسكم ، فأين المهرب مما هو كائن ؟ وانما ينفت الهارب في قدرة الطالب ، فما أصغر المصيبة اليوم مع عظم الفائدة غدا ، جعلنا الله واياكم من المتقين > [١٧٥٣]

وكان يعرف طيب الشعر من خبيثه ، ويتذوق قيمته ، ويعرف أغراضه وأهدافه ويدعو بالأخذ بأحسنه ، وهو القائل : < أروا من الشعر أعفه ، ومن الحديث أحسنه ، ومن النسب ما تواصلون عليه وتعرفون به ، فرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت ، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق ، وتنهي عن مساوئها >[١٧٥٤] .

وقد كان الصحابة يسألونه عن الشعراء ومستواهم .. سأل العباس ابن عبدالمطلب عمر عن الشعراء ، فقال : امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عيي الشعر فافتقر[١٧٥٥] عن معان عور أصح بصر[١٧٥٦] .

وعمر الأديب - رضي الله عنه - كان ينتقد الشعراء ببصيرة وحصافة عقل ، وهو القائل : كذب الحطيئة اذ يقول :

وان جياد الخيل لا تستعزنـــــا

ولا جاعلات العاج فوق المعاصـــــم

وقال : < لو ترك هذا أحد لتركه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - > يعني لو ترك أحد السباق بالخيل[١٧٥٧] .

وكان يسأل الصحابة عن أعظم الشعراء ، وبيان سبب تلك العظمة بتحليله الدقيق لذلك الشاعر والأديب بموازين دقيقة يعجز عنها فطاحل رجال النقد .

قال عمر بن الخطاب لابن عباس : هل تروي لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

ولو أن حمدا يخلد الناس أخلـــدوا

١٧٥٣ مفتاح الافكار ، ص ٨٧ < عن كتاب اخبار عمر ، ص ٢٢٢ > .

١٧٥٤ جمهرة الاشعار ، ١٨ < عن كتاب اخبار عمر ، ص ٢٤٤ > .

١٧٥٥ افتقر : شق < عن كتاب اخبار عمر ، ص ٢٤٨ > .

١٧٥٦ الفائق : ١/١٧١ < عن كتاب اخبار عمر > .

١٧٥٧ البيان والتبيين : ٢/٢٣ < عن كتاب اخبار عمر ، ص ٢٥١ > .

يؤتيه من يشاء .

لقد أتى لتطبيق السنة بعبارة وجيزة ، تذهل العقل ، وتطمئن اليها النفوس . لما فيها من قوة السبك والجمال .

مع اسلوب الاغـراء والابعـاد عن كل خطر يؤدي الى الاحتمالات الضعيفة والتأويلات التي تكدر صفاء الاسلام ..

والأسلوب الذي استخدمه لهذا البناء المتين هو :

أ - الايجاز [١٧٦٠] :

لقد استخدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - اسلوب الايجاز ، وهو الاسلوب المناسب لمقتضى الحال ، والمقام ، لان الاطناب بهذه المواقف ، يخرج الموضوع عن مقتضى الحال ، فكان اسلوب الايجاز هو الاسلوب البليغ ، لانه يبعد النفوس عن الجدال والتساؤل ، مما يبعد الصحابة الكرام عن جوهر الموضوع ، وهو تطبيق السنة .

ب - المجاز [١٧٦١] :

لقد أتى بلفظة < البدعة > وأراد بها المجاز اللغوي ، ولم يرد منها البدعة في الدين .. وذلك لأسباب التالية :

١- الدليل على ذكاء المخاطب وقدرته على ادراك المطلوب : فاستخدام لغة المجاز تدل على سعة أفق المخاطب ، ودقة فهمه وعلمه ، وكذلك هو تقدير للمخاطبين والاحترام لهم ، مما يزيد وحدة الصف والشوق الى استماع الحديث ، وهمة التطبيق .. وقيل :

< انه كلما كان المخاطب اكثر ذكاءً ورغبة بتلبية الطلب ، كان اخفاء الاشارة الى الطلب في اسلوب القول الدال عليه لدى مخاطبته أعلى منزلة من الناحية البيانية ، واكثر بلتغة ، هذا في غير النصوص التي يقصد منها تثبيت احكام بعيدة عن الاحتمال الذي قد يفهم منه غير المراد > [١٧٦٢] .

١٧٦٠ الايجاز : < بانه وضع المعاني الكثيرة في الفاظ أقل منها ، وافية بالغرض المطلوب مع الابانة والافصاح < عن كتاب البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، علم المعاني ، ج ١ ص ١٩٦ > .

١٧٦١ المجاز < المجاز عند البلاغيين > : (كلمة استعملت في غير معناها الحقيقي لعلاقة مع قرينة بالغة في ارادة المعنى الحقيقي) ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، علم البيان ، ج ٢ ص ٧٦ .

وللعرب «المجازات» في الكلام ، ومعناها : طرف القول ومأخذه ، ففيها : الاستعارة ، والاظهار ، والتمثيل ، والافصاح ، والقلب ، والتقديم ، والتأخير ، والحذف والتكرار ، والاخفاء ، والكتابة .. الخ . < تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، ص ٢٠ > .

١٧٦٢ مباديء في الأدب والدعوة ، ص ٨٥

٢ - التنويع والتنقل والتلوين : فاسلوب المجاز يدل على التنويع والتنقل والتلوين ، لان اسلوب المجاز يدل على اكثر من معنى بالتصور الذوقي والشعور النفسي ، وان تلك الروافد في التصورات ، لها مصب واحد من المعنى وهو عدم الاختلاف في جوهر المعنى ، وعدم التنافر .

〈 إن هذه القدرة على هذا الاحساس ، مع القدرة على التكيف السريع والانتقال الى الاسلوب الأدبي الجديد الملائم ، هي الوسيلة البارعة الموصلة الى امتلاك الألباب والقلوب والنفوس بأدب رفيع 〉[١٧٦٣] .

٣ - تزيين الافكار المقصودة : فالمجاز يضيف على المعنى زينة ، تجعل النفوس تتوق الى الاستماع وتتشوق الى التطبيق ، بينما الحقيقة تحصر المعنى بلفظة واحدة ، لا مجال للفكر بان يتنزه في رياض تلك اللفظة التي تملي عليه نظاما عسكريا بالتطبيق ، ولذلك نجد في كتاب الله كثيرا من المجار وكله مشوق ، يجعل النفوس تطرب وتتلذذ بقراءة ذلك في أول وهلة وكأنه انفتحت أبواب الرغبة ، وأصغت كل أحاسيسه ، لالتهام كل لفظة .

ومن ذلك قوله تعالى : « فضربنا على أذانهم في الكهف سنين عددا »[١٧٦٤] . إن أردت ان تنقله بلفظه ، لم يفهمه المنقول اليه ، فان قلت : أنمناهم سنين عددا ، لكنت مترجما للمعنى دون اللفظ[١٧٦٥] .

وكذلك قوله تعالى : « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا »[١٧٦٦] ، ان ترجمته بمثل لفظه استغلق ، وان قلت : لم يتغافلوا أديت المعنى بلفظ آخر[١٧٦٧] .

فإن بين لفظه : أنمناهم سنين عددا ، وبين الآية : « فضربنا على أذانهم ... » فرق شاسع من ناحية التشويق والاصغاء ، فان لفظة أنمناهم : لا تحرك أشواق القلب ، بينما نجد الآية « فضربنا ... » توقظ الهمم ، وتبعث العزائم ، وهكذا نجد المجاز اللغوي له الأثر الكبير لاثارة الاشواق للعلم والعمل .

٤ - شحذ ذهن المخاطب ، وتحريك طاقاته الفكرية : فالمجاز اسلوب جذاب لاقط ، يحرك الطاقات ، وهو اسلوب يليق بمخاطبة الأذكياء ، وأهل التأمل ، وكبراء القوم ، لأن المجاز الى دقة التصور وعمق المعرفة ، لما فيه من التشعب والتفرع ، لان فيه : التمثيل ، والقلب ، والتقديم والتأخير ،

١٧٦٣ المصدر السابق ، ص ٩٠

١٧٦٤ الكهف : ١١

١٧٦٥ تأويل مشكل القرآن 〈 لابن قتيبة〉 ص ٢١

١٧٦٦ الفرقان : ٧٣

١٧٦٧ تأويل مشكل القرآن ، ص ٢٢

والحذف ... الخ .

وفي قوله تعالى : « واسأل القرية التي كنا فيها ... »[١٧٦٨] ، أي سل أهلها[١٧٦٩] .

وقوله تعالي : « بل مكر الليل والنهار ... »[١٧٧٠] أي مكرهم في الليل والنهار[١٧٧١] .

وقوله تعالى : « فأما الذين اسودت وجوههم ، أكفرتم ... »[١٧٧٢] ، والمعنى فيقال لهم : أكفرتم[١٧٧٣] .

فإن هذا الحذف والاختصار يحتاج الى ذكاء وعمق فكر ، وهذه لا تتوفر الا في عمالقة الفكر .

٥ - احترام فكر المخاطب وتقديره بترك استخدام الاسلوب المباشر : فمن باب الاحترام والتقدير للمخاطب ، بان يستخدم الاسلوب الغير مباشر ، وهو اسلوب المجاز ، وهو النظر الى رفعة فكره ونضج عقله ، على انه تكفيه الاشارة الخفيفة والخفية ، أو بترك التفصيل والبعد عن الاطناب ، واللجوء الى الايجاز ، ومن روائع التلويح الى المعاني بالاشارات التي لا تفهم الا بذكاء لماح ، استعمال لفظة « الكفار » المرادفة للفظة الزراع ، في قول الله تعالى : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما ، وفي الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان . وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور »[١٧٧٤] .

فقد استعملت هذه اللفظة « الكفار » المرادفة في معناها هنا للفظة الزراع بدل استعمال لفظة ‹ الزراع › تلويحا بأن مقابل الزراع في المثل هم الكفار في الممثل له ، فالمعجبون بزينة الحياة الدنيا ، المغرورون بها هم الكفار ، ويقابلهم في المثل ‹ الزراع › الذين يعجبهم النبات اذا نزل عليه الغيث فاخضر وانبت[١٧٧٥] .

١٧٦٨ يوسف : ٨٢

١٧٦٩ تأويل مشكل القرآن ، ص ٢١٠

١٧٧٠ سبأ : ٣٣

١٧٧١ تأويل مشكل القرآن ، ص ٢١

١٧٧٢ آل عمران : ١٠٦

١٧٧٣ تأويل مشكل القرآن ، ص ٢١٦

١٧٧٤ الحديد : ٢٠

١٧٧٥ مبادىء في الأدب والدعوة ، ص ١١٨

ولما كانت تطلق في اللغة لفظة « الكفار » على الزراع ، لأنهم بزرعهم يدفنون الحب في الأرض ، فيسترونه ، والكفر في اللغة هو الستر ، اختيرت لفظة « الكفار » هذه بالذات ، ليدل على الزراع في مكانها التي استعملت فيه ، ولتلوح بأن مقابلتهم في الممثل له هم الكفار بيوم الديـن[١٧٧٦] .

وفي المجاز ما جاءت له معان غير واحد ، مختلفة ، فتأولته الأئمة بلغاتها ..

ومنه قوله تعالى : « وغدوا على حرد قادرين »[١٧٧٧] ففسروه على ثلاثة أوجه :

- قال بعضهم : على قصد
- وقال بعضهم : علي منع
- وقال آخرون : على غضب وحقد[١٧٧٨] .

وقد يكون المجاز لكلمة ، يحتار العقل بمعرفتها لعلاقته البعيدة ، ولبعد المعنى بين الكلمة ومعناها المجازي ، وهذه المعرفة تحتاج من شدة الذكاء المعرفة بلغات العرب المختلفة .

ومما ورد من هذه المعاني استعمال ‹ اليسرة › بمعنى الجارية الرطبة البدن[١٧٧٩] ، والابل بمعنى الغيم[١٧٨٠] .

انما هو استعمال مجازي صرفت به اليسرة عن كونها ثمرة النخل غير الناضجة ، كما صرف الابل عن كونها جمع لذلك النوع من الحيوان[١٧٨١] .

٦ - تقريب الصور الغائبة بوضعها في صورة مشهودة النظير او متخيلة : من عناصر الجمال الأدبي في الكلام تقريب الصورة الغائبة ، وذلك بوضعها في صورة مشهودة النظير ، أو في صورة متخيلة في أذهان المخاطبين .

فمن تقريب الغائب بوضعه في صورة متخيلة في أذهان المخاطبين ، وصف طلع شجر الزقوم بانه يشبه رؤوس الشياطين . كما قال الله تعالى : « انها تخرج في أصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين » ..

١٧٧٦ المصدر السابق ، ص ١١٩

١٧٧٧ ن : ٢٥

١٧٧٨ اعجاز القرآن ‹ لأبي عبيدة معمر بن المثنى النيمي ، ج ١ ص ١٣ › .

١٧٧٩ اتفاق المباني وافتراق المعاني ‹ لسليمان بن بنين الدقيقي النحوي ، ص ٤٧ › .

١٧٨٠ المصدر السابق .

١٧٨١ المصدر السابق .

طلعها : أي ثمرها[١٧٨٢] .

ففي أخيلة الناس صورة بشعة مرعبة لرؤوس الشياطين ، فجاء تقريب صورة طلع هذه الشجرة الخبيثة ، بأنه يشبه أبشع واقبح صورة يتخيلونها ، وهي رؤوس الشياطين[١٧٨٣] .

١٧٨٢ مبادىء في الادب والدعوة ، ص ١٢٠

١٧٨٣ المصدر السابق .

الفصل الثالث

وفيه مبحثان :

المبحث الأول

أسباب الابتـــــــداع

للابتداع أسباب كثيرة ، وبواعث متعددة ، لا مجال لتحديدهـــا ، ولا طاقة لحصرها ، لانها تتحدد وتتغير ، وتظهر وتختفي ، حسب أهواء ورغبات الجهال واصحاب النفوس الضعيفة والسقيمة ، واصحاب المصالح ..

فكل من هؤلاء له سوق رائجة ، يبث فيها من سموم فكره ، ولا تكاد تتضح الا بدقة التحري ، وامعان البحث ، مع توفيق من الله سبحانه وتعالى ..

ومن تلك الأسباب :

ا - ترك الكتاب والسنة في التحكيم والعمل :

فإن الذي يترك الكتاب والسنة في التحكيم والعمل ، فإنه ينحرف الى الباطل ويضل الطريق ، ولا يوفق الى الحق .

قال أبو بكر - رضي الله عنه - :

< لست تاركا شيئا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعمل به ، الا عملت به . اني أخشى ان تركت شيئا من أمره أن أزيغ > .

وقد خطب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال :

< أيها الناس ، قد سنت لكم السنن ، وفرضت لكم الفرائض ، وتركتم على الواضحة ، إلا تميلوا بالناس يمينا وشمالا > [١٧٨٤].

١٧٨٤ العبادة في الاسلام ، ص ١٧٢

ولما بويع عمر بن عبدالعزيز بالخلافة ، صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

‹ أيها الناس ، إنه ليس بعد نبيكم نبي ، ولا بعد كتابكم كتاب ، ولا بعد سنتكم سنة ، ولا بعد أمتكم أمة ، ألا إن الحلال ما أحل الله في كتابه على لسان نبيه ، حلال الى يوم القيامة ، ألا وان الحرام ما حرم الله في كتابه على لسان نبيه ، حرام الى يوم القيامه ، ألا واني لست بمبتدع ، ولكني متبع ، ألا واني لست - بقاض[١٧٨٥] - ولكني منفذ ›[١٧٨٦] .

وقد وقف أئمة الاسلام في وجه كل بدعة يراد لها أن تظهر في عبادة الناس لله سبحانه ، وحتى وان بدت صغيرة في عين الرائي ، ولكن الصغيرة تجر الى كبيرة ، ومعظم النار من مستصغر الشرر .

٣ - مخالفة أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

إن مخالفة أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هي احباط العمل ، وعدم توفيقه الى الخير والاستقامة ، والمخالفة في عمله تدفعه الى الغرور والكبرياء ، ويتصور انه أتى بأمر عجز عنه من جاء قبله ، وأتى بما لم يأت به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

جاء رجل الى الامام مالك - رحمه الله - وهو بالمدنية المنورة ، وقال له : يا أبا عبدالله من أين أحرم ؟ قال : من ذي الحليفة - مكان احرام أهل المدينة . من حيث أحرم النبي - صلى الله عليه وسلم . فقال : إني أريد أن أحرم من المسجد ، فقال : لا تفعل . قال : إني أريد أن أحرم من المسجد ، من عند القبر[١٧٨٧] ، قال : لا تفعل ، فإني أخشى عليك الفتنة ! قال : وأي فتنة في هذا ، وإنما هي أميال أزيدها ؟ ! قال : وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت الى فضيلة قصر عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -[١٧٨٨] ؟ ، إني سمعت الله يقول : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »[١٧٨٩] .

وقال الامام مالك - رحمه الله - :

‹ من أحدث في هذه الأمة شيئا لم يكن عليه سلفها ، فقد زعم ان

١٧٨٥ يعني : لست بمشرع .

١٧٨٦ العبادة في الاسلام ، ص ١٧٣

١٧٨٧ قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - .

١٧٨٨ العبادة في الاسلام ، ص ١٧٣

١٧٨٩ النور : ٦٣

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد خان الدين[١٧٩٠] .. لأن الله سبحانه يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم .... »[١٧٩١] .

وان مخالفة أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو طعن في الدين وانحدار في الايمان .

٣ - **تصور النقص في الشريعة :**

هذا التصور فجوة كبيرة تعصف في الامة ، وتسمح لاعداء الاسلام بهدمه ، وادخال كل فكر فاسد من الثغرات الواسعة .

فان كان الدين قد أكمله الله ، واتم به النعمة ، فلا مجال فيه لاحداث زيادة ، لان الكامل لا يقبل الزيادة ، ومحاولة الزيادة عليه اتهام له بعدم الكمال .

٤ - **القول في الدين بغير علم :**

هذا الفعل من اكبر المحرمات ، وقد حذر الله سبحانه وتعالى من القول بغير علم ، فقال في كتابه العزيز : « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم ، والبغي بغير الحق ، وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على الله ما لا تعلمون »[١٧٩٢] .

فالقول في الدين بغير علم هو ظلم عظيم وافتراءً على الله .. وقال تعالى : « فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم »[١٧٩٣]

والسبب في ذلك : أن القول بغير علم كذب ، والكذب حرام واستجابة لدعوة الشيطان ، وقد حذرنا تعالي من اتباعه ، فقال : « يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين ، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون »[١٧٩٤] .

وقد وردت احاديث تحذر من الفتوى أو الحكم بغير علم ، خاصة فيما يتعلق بالأمور الدينية ، يقول – صلى الله عليه وسلم – : (القضاة ثلاثة : واحد في الجنة ، واثنان في النار . فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ، فقضى به . ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار . ورجل قضى

١٧٩٠ البدع والنهي عنها ، لابن وضاح ، ص ٤٠

١٧٩١ المائدة : ٣

١٧٩٢ الأعراف : ٣٣

١٧٩٣ الأنعام : ١٤٤

١٧٩٤ البقرة : ١٦٨ – ١٦٩

للناس على جهل فهو في النار)[١٧٩٥] .

وان القول بغير علم إضلال ، وان على من أضل إثم من وقع في الضلال بسبب إضلاله ، فضلا عن إثمه لوقوعه في الضلال .. قال تعالى : « واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم ، قالوا أساطير الأولين ، ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم »[١٧٩٦] .

وعلى من لا يعلم ان يقول : لا أدري ، أو ان يسأل غيره ، أو ان يطلب مهلة ليتبين وجه الحق .

فإذا مارس الجاهل العلم ، وأفتى في الدين وقع في البدعة قاصدا أو غير قاصد ، وكان مبتدعا بادعائه العلم وتعاليمه أولا ، وبما سيحدثه مما يخالف الشرع بعد ذلك ، وانتشار ذلك سبب في قبض العلم وكسوف الحق وانتشار الجهل والظلام .

يقول - صلى الله عليه وسلم - : (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساءً جهالا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا)[١٧٩٧] .

وأن الجهل ليس قاصرا على من ليس عنده علم مطلقا ، انه يشمل من عنده علم كثير ، ولكنه يتجاوز ما يعلم الى ما لا يعلم ، بلا دليل واضح ، أو اجتهاد مقبول .

وألوان الجهل كثيرة ، وصوره متعددة ، وكلها مسارب للابتداع ، ومسالك اليه .

ومن أهم هذه الصور :

أ- الجهل بأساليب اللغة أو تجاهلها : وقد تحدث العلماء عن لغة العرب وأسرارها ، وخصائصها ، ومزاياها ، وتعسر الاحاطة بها بما تحويه من تنوع التعبير ، وما تشتمل عليه من أسرار ..

يقول الامام الشافعي في رسالته :

‹ ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا واكثرها الفاظا ، ولا يحيط بجميع علمه - فيما نعلمه - انسان غير نبي ›[١٧٩٨] .

ويمكن تلخيص بعض ما ذكره الامام الشافعي :

- من القرآن ما هو هام يراد به العام وينقله الخصوص ، كقوله تعالى : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله

١٧٩٥ رواه ابو داود ، ج ٣ ص ٢٩٩ . جامع بيان العلم ، ج ٢ ص ٨٦ ، ٨٧ .

١٧٩٦ النحل : ٢٤ - ٢٥

١٧٩٧ رواه البخاري ، ج ١ ص ٢٠ . جامع بيان العلم ، ج ١ص ١٨٠ و ج ٢ ص ١٦٢

١٧٩٨ الرسالة ، ص ٢٧ تحقيق محمد سيد كيلاني .

ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه »[١٧٩٩] .

ففي هذه الآية الخصوص من حيث انه أريد بها من طاق الجهاد من الرجال دون غيرهم ، وفيها العموم حيث شملت كل من أطاق الجهاد دون تخصيص .

- وفيه ما هو عام الظاهر يراد به الخصوص مثل قوله تعالى : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم »[١٨٠٠] .

فالناس الذين قالوا : غير الناس الذين قيل لهم ، وغير الناس الذين جمعوا ، وصح التعبير عن كل من الطوائف الثلاث بلفظ الناس ، لانه يدل في اللغة على الثلاثة فما فوق -

- ومنه ما يدل لفظه على باطنه دون ظاهره ، كقوله تعالى : « واسأل القرية التي كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها »[١٨٠١] .

فالمقصود بلفظ القرية أهلها ، لان أخوة يوسف - عليه السلام - خاطبوا بذلك أباهم ، الأب لا يسأل القرية ، وانما يسأل أهلها ليتعرف على صدقهم .

وقد وقع كثير من الناس في بدع من الرأي بسبب الجهل بلسان العرب أو تجاهله .. منها :

ذكر الرازي في تفسير قوله تعالى : « أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله »

< أن بعضهم زعم ان لله سبحانه وتعالي جنبا ، واستدل بهذه الآية . وهو استدلال باطل ، لا تحتمله اللغة >

وقد ذكر الامام الرازي ما قاله السابقون في معنى الآية ، كابن عباس حيث قال : < أي ما ضيعت من ثواب الله .. ومقاتل حيث قال : في ذكر الله .. وقال مجاهد : في أمر الله .. وقال الحسن : في طاعة الله .. وقال ابن جبر : في حق الله >[١٨٠٢] .

ويقول الشيخ رشيد رضا :

< إن اقامة دين الاسلام متوقفة على لغة كتابه المنزل ، وسنة نبيه المرسل ، سواء في ذلك هداتيه الروحية ، وروابطه الاجتماعية ، وحكومته العادلة المدنية ، وان المسلمين لم يكونوا في عصر من العصور أحوج الى الوحدة المفروضة عليهم المتوقفة على هذه اللغة منهم في هذا العصر الذي

١٧٩٩ التوبة : ١٢٠

١٨٠٠ آل عمران : ١٢٣

١٨٠١ يوسف : ٨٢

١٨٠٢ تفسير الرازي ، ج ٧ ص ٦

تمزقوا فيه كل ممزق .. › [١٨.٣] .

ب – الجهل بالسنة : فالجهل بالسنة يؤدي الى الويلات ، حيث يؤدي الى عدم التمييز بين الحديث الصحيح والضعيف والموضوع ، فالجهل بقانون التمييز بين المقبولة وغير المقبولة ، فقد نشأ عن الأخذ بالأحاديث المردودة المكذوبة والضعيفة والاعتماد عليها كمصدر من مصادر التشريع الحكم على الدين بالتعارض والاختلاف وعدم الانسجام والتناسب بين تعاليم الدين ، مما يؤدي الى التمزق والتفرق بين الأمة الاسلامية .

وقد اتفق العلماء على طرح الأحاديث الموضوعة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعدم الأخذ بها ، لانها ليست من الشرع .

قال الامام مسلم في مقدمة صحيحه :

‹ واعلم وفقك الله ان الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها ، وثقات الناقلين لها من المتهمين ، ان لا يروي منها الا ما عرف صحة مخارجه .. في ناقليه ، وان يتقي ما كان منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع › [١٨.٤] .

ج – الجهل بمكانة السنة من التشريع : إن الجهل بمكانة السنة من التشريع قد أدى الى الخروج عن حد الاتباع ، التي ارشدت اليه الآيات القرآنية ،الأحاديث النبوية الصحيحة ، وذلك تحت دعوى موافقة العقل ونحو ذلك .

ومن أظهر المواقف الشائعة فيما يتصل بهذا الموضوع ، موضوع انكار ما ثبت بالسنة الصحيحة صريحا واضحا تحت زعم موافقة العقل

والسير تبعا لما تقتضيه انكار من أنكر رؤية الله في الآخرة [١٨.٥] ، أو نزول المسيح [١٨.٦] ، أو عذاب القبر [١٨.٧] ، أو نحو ذلك .

٥ – **اتباع المتشابـــــه :**

والمتشابه أصله ‹ التماثل › ، وهو ان يكون الشيء مشابها لشيء أخر ..

‹ ويطلق التشابه على خفاء الدلالة ، لان في تطرق الاحتمالات تعذرا

١٨.٣ تفسير المنار ، ج ٩ ص ٣١٣

١٨.٤ مقدمة مسلم شرح النووي ، ص ٦

١٨.٥ صحيح البخاري ، ج ٨ ص ١٠٠

١٨.٦ صحيح البخاري ، ج ٤ ص ١٣٤ ، ١٣٥

١٨.٧ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٣٢ ، ٣٣

للتمييز ، وهو من لوازم المتشابه ›[١٨٠٨] .

وقيل المحكم :

‹ ما لا تختلف فيه الشرائع كالتوحيد ، وتحريم الفواحش › .

وقيل المحكم :

‹ ما لم ينسخ ، والمتشابه ما نسخ ›[١٨٠٩] .

وقال ابن تيمية في قوله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ... »[١٨١٠] .

حيث قال : ‹ في المتشابهات ، قولان :

أ - انها آيات بعينها تتشابه علي كل انسان[١٨١١] .

ب - ان المتشابه أمر نسبي ، فقد يتشابه عند هذا ما لا يتشابه عند غيره ..

وتلك المتشابهات اذا عرف معناها صارت غير متشابه ، بل القول كله محكم ›[١٨١٢] .

ومن المتشابه الذي ساعد على نشر البدعة ، ونتج عن ذلك بدع مذمومة زادها التعصب ظلاما فوق ظلام ، واثما فوق اثم ، وهذا النوع هو ما ورد بلفظ معناه ظاهر ، ولكن النصوص منعت حمله على الظاهر ، أو ما يعرف بالصفات النقلية ، كما في قوله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم »[١٨١٣] .

وقوله تعالى : « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام »[١٨١٤]

يقول الآلوسي في هذا النوع من المتشابه :

‹ أعلم أن كثيرا من الناس جعل الصفات النقلية من الاستواء واليد والنزول والضحك ونحو ذلك من المتشابه › .

ومذهب السلف : ‹ أنها صفات ثابتة وراء العقل ، ما كلفنا إلا اعتقاد ثبوتها ، مع اعتقاد عدم التجسيم والتشبيه لئلا يضاد النقل العقل ›[١٨١٥] .

١٨٠٨ البدعة ، ص ٢٧٤

١٨٠٩ المصدر السابق ، ص ٢٧٥

١٨١٠ آل عمران : ٧

١٨١١ البدعة ، ص ٢٧٦

١٨١٢ مجموع فتاوى ابن تيمية ، ج ١٣ ص ١٤٣

١٨١٣ الفتح : ١٠

١٨١٤ الرحمن : ٢٦ ، ٢٧

١٨١٥ البدعة ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١

وان التمسك بظواهر هذه النصوص على ما هو معهود فيما يختص بالآدميين بدعة مكفرة ، اذ فيه تشبيه الاله بخلقه ، وتجاهل للنصوص الأخرى الدالة على التنزيه .

< كما ان حملها علي معنى آخر معين والتمسك به والقول بأنها لايراد بها غيره تعصب وبدعة مذمومة ، اذ التأويل أمر مظنون باتفاق ، والقول في صفات الباري سبحانه بالظن غير جائز ، فربما أولنا الآية على غير مراد الباري سبحانه ، فوقعنا في الزيغ >[١٨١٦] .

٦ - **اتباع الهــــوى :**

والهوى يطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء ، ثم استعمل في الفعل المذموم والانحراف ، فيقال : اتبع هواه وهو من أهل الأهواء ، لأنهم لم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار اليها والتعويل عليها حتى يصدرو عنها .

وقد روي عن ابن عباس انه قال : < ما ذكر الله عز وجل الهوى في موضع من كتابه الا ذمه >[١٨١٧] .

وقال الشعبي : < انما سوء هوى ، لانه يهوي بصاحبه >[١٨١٨] .

< والأصل في الأحكام الشرعية انه لا يؤخذ منها شيء الا عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - سواء كان ذلك عن طريق القرآن أو الحديث ، أو الاجتهاد ، في حدود ما أشار اليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - عند عدم وجود نص محدد >[١٨١٩] .

وقد ذم الله سبحانه من يتبعون الهوى ويعرضون عن الحق الذي جاء به الشرع ، حيث تركوا سبيل الاستدلال الصحيح في كثير من الآيات :

قال تعالى : « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى »[١٨٢٠] .

وقال تعالى : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله »[١٨٢١] .

١٨١٦ المصدر السابق ، ص ٢٨٢

١٨١٧ ذم الهوى ، لابن الجوزي ، ص ١٢

١٨١٨ المصدر السابق .

١٨١٩ البدعة ، ص ٢٨٤

١٨٢٠ النجم : ٢٣

١٨٢١ الجاثية : ٢٣

وقال تعالى : « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله »[١٨٢٢] .

وقال تعالى : « ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ، وكان أمره فرطا »[١٨٢٣] .

وقال تعالى في التحذير من اتباع الأهواء وأهلها : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون »[١٨٢٤] .

وقال تعالى عن الرسول - صلي الله عليه وسلم - : « وما ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحي يوحى »[١٨٢٥] .

وجعل السبب الأكبر في عدم استجابة الكفار لدعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو اتباع الهوى ، فقال تعالى : « فان لم يستجيبوا لك ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله »[١٨٢٦] .

ولا يقتصر ضلال من يتبع الهوى على نفسه ، انه يتجاوز ذلك الى اضلال غيره ، يقول تعالى : « وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ، إن ربك هو أعلم بالمعتدين »[١٨٢٧] .

ومن هنا كان التحذير من اتباع الهوى ، حتى للأنبياء .. قال تعالى : « يا دواو ، إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله »[١٨٢٨] .

والناظر في أساس البدع وأسبابها يجد الهوي محور ارتكاز ومصدر وجودها .

وسئل ابراهيم النخعي عن الأهواء .. أيها خير ؟ .

فقال : ‹ ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير ، وما هي الا زينة الشيطان ، وما الأمر الا الأمر الأول ›[١٨٢٩] يعني ما كان عليه السلف الصالح

وعن الثوري ، ان رجلا أتى الى ابن عباس - رضي الله عنهما - فقال : ‹ أنا على هواك › ، فقال ابن عباس : ‹ الهوى كله ضلالة ، أي شيء

١٨٢٢ القصص : ٥١

١٨٢٣ الكهف : ٢٨

١٨٢٤ الجاثية : ١٨

١٨٢٥ النجم : ٣ - ٤

١٨٢٦ القصص : ٥٠

١٨٢٧ الأنعام : ١١٦

١٨٢٨ ص : ٢٦

١٨٢٩ البدعة ، ص ٢٩٠

أنا على هواك › [١٨٣٠] .

ان المبتدع يركب متن الضلال ، فيقدم هوى نفسه على هدي الله ، فيكون بذلك أضل الناس ، وأبعدهم عن الحق ..

فالهوى سبيل الشر والفساد ، وسبب غضب الله وعذابه ، ومخالفة الهوى سبيل الخير ، والفلاح ، وسبب الفوز بنعيم الجنة .

عن أبي قلابة قال :

‹ لا تجالسوا أهل الأهواء ، ولا تجادلوهم ، فإني لا آمن أن يغمروكم في ضلالهم ، ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون › [١٨٣١] .

٧ - التسليم لغير المعصوم ، والأخذ بغير ما اعتبره الشرع طريقا لثبوت الأحكام :

لقد اعتقدت بعض الفرق ان زعماءها وكبار علمائها لهم العصمة كالأنبياء ، وانه يمكن أخذ التشريع منهم ،والعتماد عليهم ، وهذا خطأ كبير لأن العصمة لا تكون إلا للرسل والأنبياء .

قالت الشيعة بأن الأئمة معصومون كالأنبياء عن الصغائر والكبائر .. يقول الشيخ محمد الحسيني آل كاشف الغطاء :

‹ إن الامامية تعتقد ان الله سبحانه لا يخلي الأرض من حجة على العباد ، من نبي أو وصي ظاهر مشهود ، أو غائب مستور › [١٨٣٢] .

وقد عبر الامام الغزالي عن هذه الفكرة - فكرة القول بالامام المعصوم - في معرض حديثه عن الباطنية .. فقال :

‹ اتفقوا انه لابد في كل عصر من امام معصوم ، قائم بالحق ، يرجع اليه في تأويل الظواهر وحل الاشكالات في القرآن والأخبار والمعقولات .. وان ذلك جار في نسبهم لا ينقطع أبد الدهر ، ولا يجوز ان ينقطع اذ يكون فيه اهمال الحق وتغطيته على الخلق ، واتفقوا على ان الامام يساوي النبي في العصمة والاطلاع على حقائق الحق في كل الأمور ، الا انه لا ينزل عليه الوحي ، وانما يتلقى ذلك من النبي ، فانه خليفته ، وبازاء منزلته ، ولا يتصور في زمان واحد إمامان ، كما لا يتصور نبيان تختلف شريعتهما › [١٨٣٣] .

وقد رد الامام الغزالي بقوله : ما الذي دعاك الى تصديق الامام المعصوم بزعمك ، ولا معجزة له ، وصرفك عن تصديق محمد بن عبدالله -

---

١٨٣٠ الاعتصام ، ج ٢ ص ١٥٢ ، ١٥٣

١٨٣١ مناهج الشريعة ، ج ٣ ص ٢٩٩

١٨٣٢ أصل الشيعة وأصولها ، لمحمد الحسيني ، ص ١٢٨

١٨٣٣ فضائح الباطنية ، ص ١١

صلى الله عليه وسلم - مع المعجزات والقرآن .

وارجع الامام القاضي أبو بكر بن العربي فكرة الامام المعصوم الى القول : < بالحلول ، لان حقيقة مذهب الباطنية ، ان الله سبحانه يحل في كل معصوم فيبلغ عنه ، فالمبلغ هو الله ، لكن بواسطة حلوله في أدمي >[١٨٣٤]

وهذه الفكرة ، أي فكرة الامام المعصوم فكرة باطلة ، لانها تنافي قول الله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا »[١٨٣٥] .

وقد سرى القول بتقليد الامام المعصوم ، والتسليم لكل ما يأتي به ، واعتباره أساس فهم النصوص والتعرف على الأحكام الى بعض المسلمين في موقفهم من بعض مشايخهم ، فقلدوهم بغير تبصر ، وتعصبوا لكل ما يصدر عنهم في صورة تتنافى وما ينبغي على المسلم من البحث عن الحق ، والتوقف فيما يشك فيه ..

لقد تحول بعض العلماء بسبب ذلك - وان لم يريدوا - الى مشرعين ، يعتبر اختلافهم في الرأي تناقضا في الشرع ، اختلافا في الدين ، يتعصب لكل منهم متعصبون .

ولقد ولدت هذه الأفكار الغريبة من هذه البدع الشنيعة عداوة شديدة فرقت الأمة ، مزقت أوصالها ، وفرقت جماعتها ، وانتشرت الاحقاد والبغضاء ، مما جعل كل منهم يدافع ويقاتل عما اقتنع به ، وان خالف النصوص ، فحل بالأمة التأخر وانهارت قواها ..

وهذا اللون من التقليد هو الذي جاء القرآن بالزجر عنه ، والتنبيه على فساده .. قال تعالى : « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه أباءنا ، أو لو كان أباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون »[١٨٣٦] .

وقال تعالى : « واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ، قالوا حسبنا ما وجدنا عليه أباءنا ، أو لو كان أباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون »[١٨٣٧] .

ومن هذا المنطلق أخذ الأئمة الاتقياء الذين يخشون ربهم ، ويخافون العقاب ، يحذرون الأمة من الاقتداء الأعمى بهم ، أو التعصب لأرائهم ، واعلنوا ذلك صراحة ، بأن الحديث الصحيح مقدم على كل ما رأوه ، وانهم

١٨٣٤ العواصم ، ص ٤٣ ، ٤٧

١٨٣٥ المائدة : ٣

١٨٣٦ البقرة : ١٧١

١٨٣٧ المائدة : ١٠٤

رجال وغيرهم رجال ، وأجمعوا انه ليس أحد معصوما في ما أمر به ونهي عنه الا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ولقد اعلن كل منهم براءته من هذه البدع..

يقول أبو حنيفة - رحمه الله - :

< هذا رأيي ، وهذا أحسن ما رأيت ، فمن جاء برأي خير منه قبلناه >

وكان الامام مالك - رحمه الله - يقول :

< إنما أنا بشر أخطىء واصيب >

وقال الامام الشافعي - رحمه الله - :

< اذا صح الحديث بخلاف قولي ، فاضربوا بقولي الحائط ، ،اذا رأيت الحجة موضوعة على طريق فهو قولي > .

ومن الأصول الأصيلة في ذلك قول ابن مسعود :

< لا يقلدن أحدكم دينه رجلا ، فان آمن آمن ، وان كفر كفر ، وان كنتم لا بد مقتدين ، فاقتدوا بالميت ، فان الحي لا يؤمن عليه الفتنة >[١٨٣٨] .

٨ - **عوامل غير مباشرة تعين على البدعة :**

توجد عوامل كثيرة تساعد على انتشار البدعة ، منها جانب نفسي أو اجتماعي أو مصلحي أو الشعور بالخوف أو الحياء أو اطالة السكوت على بدعة مما يجعل جذورها عميقة ، وقلعها صعب ، فترسخ في العقول والنفوس .. ومن هذه البدع .

أ - عمل العالم بالبدعة ، وتقليد الناس له ، لوثوقهم بانه لا يفعل الا ما فيه الصواب .

ب - سكوت العلماء عن بيان وجه الابتداع في البدعة ، فيعد العامة سكوتهم اقرار منهم على ذلك .

ج - تبني الحكام للبدعة وعملهم على انتشارها لموافقتها أهواءهم ، كما حدث للمأمون ومن بعده في القول بخلق القرآن ، أو سكوتهم عن الانكار ، وتركهم الحبل على غاربه لأهل البدع .

د - انتشار البدعة بين الناس وتحولها الى عادة يصعب الانصراف عنها الا بعد جهد كبير .

هـ - موافقة البدعة لأهواء النفوس وغرائز الناس التي حرص الدين على تنظيمها ، والحد من الانطلاق معها ، وعدم وجود مقاومة فعالة تمنع من انتشارها ، وامتداد خطاها ، وتغلغلها في النفوس .

١٨٣٨ مجموع الزوائد ، ج ١ ص ١٨٠

٩ - تفسير الأشياء التي لا قدرة للعقل في معرفتها وادراكها :

توجد كثير من الأشياء لا يستطيع العقل ان يحيط بكنهها ، ولا يستطيع ان يعرف سرها .. فعند ذلك يكون السير في هذا الطريق خطر ، وقد يؤدي الى انزلاق يكون فيه الكسر أو الهلاك .. فمن تلك الأشياء : عالم الغيب من جنة ونار وقبر .. الخ ، مما لم يرد فيها نص شرعي ، فعند خوض العقل فيها فاننا نكلفه ما لا طاقة له في ذلك الخوض ، مما يؤدي به الى الدمار والهلاك ، ولذلك لم يتجرأ السلف الصالح بالتقرب لتفسير هذه الأشياء .

قال الميزيني : < سألت الشافعي عن مسألة من الكلام ، فقال : < سلني عن شيء اذا أخطأت فيه قلت أخطأت ، ولا تسألني عن شيء اذا أخطأت قلت كفرت > .

١٠- الأخذ بالآراء التي لم ترد في كتاب ولا في سنة :

ان المسلم يكون ابتعاده عن الدين الاسلامي بقدر ابتعاده عن تطبيق الكتاب والسنة ، ويتعرض للوقوع في الذنوب بقدر بعده عن الكتاب والسنة ، ويكون فريسة للشيطان والغواية والضلال والانحراف ، لأن الحفظ بيد الله .. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس : (يا غلام ، احفظ الله يحفظك ...)[١٨٣٩] .

فان الله سبحانه وتعالي يحفظ عباده اذا عملوا بما يوافق الكتاب والسنة ، وانهم بقدر ابتعادهم عن الكتاب والسنة ، فان الشيطان يزين لهم السيئات ، ويوقعهم في الحرام والضلال ، قال تعالى : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »[١٨٤٠] .

روى ان ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : خط لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خطوطا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : (وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه)[١٨٤١] .

عن حذيفة بن اليمان ، قال : < كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلا تعبدوها >[١٨٤٢] .

١٨٣٩ رياض الصالحين ، ص ٥٩

١٨٤٠ الأنعام : ١٠٣

١٨٤١ احمد ، ج ١ ص ٤٣٥ ، وابن حبان ، ج ١ ص ١٤١ ، ومجمع الزوائد ، ج ٧ ص ٢٢

١٨٤٢ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ج ١ ص ٣٧٤

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - < اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم ، عليكم بالأمر العتيق >[١٨٤٣] .

١١- التشديد في الدين :

ان هذه الصفة تساعد على انتشار البدع ، وذلك ان البشر يختلف في القدرات والوعي والادراك والتحمل ، ولا يستطيع مسلم ان يقدر الامكانيات التي يملكها الآخر لا بل يكون التفاوت في نفس المرء في صغره وشبابه وكهولته ، وان الذي يعلم طاقة البشر والرحيم بهم هو الله سبحانه وتعالى ، لذلك جعل هذا الدين كله يسر .

ولقد ضل أقوام بسبب التشديد على أنفسهم ..

عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول : (لا تشددوا على أنفسكم ، فيشدد عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار « رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم »..)[١٨٤٤] .

١٢- إهمال النص وتقديم التفكير العقلي عليه :

إن تقديم التفكير العقلي على النص هو نوع من الانحراف في الدين وقلة الورع ، وعدم الالتزام بالشريعة ، هذا النوع من نشر البدع يولد الغرور والغفلة ، ويجعل المسلم يتأول كثيرا من الأشياء ، على حسب ادراكه وعقله ، وهذا النوع من الفكر يعرض المسلم لترك العمل وكثرة الجدل ، فيوقع المسلم في الضلال والانحراف .

عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لم يزل أمر بني اسرائيل معتلا حتى بدا فيهم أبناء سبايا الأمم ، فأفتوا بالرأي ، فضلوا وأضلوا)[١٨٤٥] .

وعن عمر - رضي الله عنه - انه قال ، وهو على المنبر : < يا أيها الناس ، إن الرأي انما كان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مغيبا ، لأن الله كان يريه ، وانما هو منا الظن والتكلف >[١٨٤٦] .

وروى ابو داود بسند حسن عن علي - رضي الله عنه - قال : < لو

١٨٤٣ المصدر السابق .

١٨٤٤ ابو داود ، ج ٢ ص ٢٨٧ رقم ٤٩٠٤

١٨٤٥ مجمع الزوائد ، ج ١ ص ١٨٠ . جامع بيان ، ج ٢ ص ١٦٨

١٨٤٦ ابو داود ، ج ٢ ص ١١٥

كان الدين بالرأي ، لكان أسفل الخفين أولى بالمسح من أعلاه >[١٨٤٧] .

إن كثيرا من البدع الواضحة ، فضلا عن غيرها ، نجد أن أساسها الأخذ بالرأي مع وجود النص .

إن الرأي الذي يهدم السنة ، وينشىء البدع هو الرأي في مواجهة النص ، أو كما قال ابن بطال : < الرأى المجرد عن استناد الي أصل >[١٨٤٨] .

ولقد أشار ابن عبد البر في تخليصه لآراء العلماء في المراد بالرأي المذموم الى ان المراد به القول في الاعتداد بما يخالف السنن .. حتي ما بلغ منها مبلغ التواتر كأحاديث الشفاعة والحوض والميزان وغيرها[١٨٤٩] .

١٨٤٧ ابو داود ، ج ١ ص ٢٦

١٨٤٨ فتح الباري ، ج ١٧ ص ٤٩

١٨٤٩ فتح الباري ، ج ١٧ ، ص ٥١ ، ٥٢

المبحث الثاني

كيف نقضي على البـــــدع

أ - وسائل الوقاية من البدع :

١ - نشر الكتاب والسنة :

إن نشر علوم الكتاب والسنة وبيان أحكامهما ، والعمل بذلك ، خير وقاية من الوقوع في البدع ، وقد حث الله سبحانه وتعالى على قراءة القرآن الكريم ، وتعلم علومه وأحكامه ، وكذلك حث على السنة .

قال تعالى : « كتاب أنزلناه اليك ليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب »[١٨٥٠] .

وقال تعالى : « إن الذين يتلون كتاب الله ، وأقاموا الصلاة ، وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ، يرجون تجارة لن تبور »[١٨٥١] .

وقال تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا »[١٨٥٢] .

ومن الأحاديث التي وردت في الحث على قراءة القرآن الكريم ، والتمسك به ..

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لا حسد الا في اثنتين ، رجل علمه الله القرآن ، فهو يتلوه آناء الليل ، وآناء النهار ، فسمعه جار له فقال : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان ، فعملت مثل ما يعمل ..)[١٨٥٣] .

وعن عثمان - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[١٨٥٤] .

وروى أبو داود بسنده عن سعد بن عباده قال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه الا لقي الله

١٨٥٠ ص : ٢٩

١٨٥١ فاطر : ٢٩

١٨٥٢ فاطر : ٣٢

١٨٥٣ البخاري ، ج ٦ ص ١٥٧ ، ومسلم رقم ٨١٥

١٨٥٤ البخاري ، ج ٦ ص ١٥٨

عز وجل يوم القيامة أجزم)[١٨٥٥] .

وقال- صلى الله عليه وسلم - : (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم ، الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده)[١٨٥٦]

وقد بنى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وجوب تبليغ السنة ونشرها على أوسع نطاق ..

قال - صلي الله عليه وسلم - : (بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)[١٨٥٧] .

٢ - تطبيق السنة في سلوك الفرد والمجتمع :

إن تطبيق السنة لتكون منهج حياة ، وتكون مبادىء وتعاليم ، تسترشد بها الأمة في جميع مجالات حياتها ، وتقنن القوانين والمبادىء ، وتخطيط الحياة الاجتماعية والاخلاقية والمالية والسياسية والعسكرية والتعليمية على أساس هذا المعنى الصافي من السنة المطهرة ، فيرتوي المجتمع منها عند ذلك ، عند ذلك يتقزز من بشاعة وقباحة البدعة التي تكشف امام نور السنة ، فتكون بيئة نظيفة منافية للبدعة .. والله سبحانه وتعالى يقول : « قل ان كنتم تحبون الله ، فاتبعوني ، يحببكم الله »[١٨٥٨] .

٣ - القضاء على أسباب البدع :

يمكن القضاء على أسباب البدع بعد الاستعانة بالله والتوكل عليه باتباع ما يأتي :

أ - عدم قبول الاجتهاد ممن لا يتأهل له ، ورد الاجتهاد غير المقبول في نظر الدين ، مهما كان مصدره .

ب - الرد على ما يوجه الى الدين من حملات ظاهرة ، او خفية ، وكشف مظاهر الابتداع ، وتسليط الأضواء عليها من الكتاب والسنة النبوية .

١٨٥٥ ابو داود ، ج ١ ص ٢٣٢

١٨٥٦ مسلم بشرح النووي ، ج ١٧ ص ٢١

١٨٥٧ احمد ، ج ٢ ص ١٥٩ . البخاري ، ج ٤ ص ١٣٦ . الدارمي رقم ٥٤٨

١٨٥٨ آل عمران : ٣١

ج - نبذ التعصب لرأي من الآراء أو اجتهاد من الاجتهادات باعتبار قائله ، والاهتمام بالوصول الى الحق من أي طريق .

د - الاحتراز من كل خروج عن حدود السنة مما قل أثره أو صغر أمره .

هـ - منع العامة من القول في الدين ، وعدم اعتبار آرائهم مهما كانت مناصبهم .

و - صد تيارات المبادىء الهدامة المفرقة للأمة والمشتتة للهمم ، المربكة للعقول ، والتي لا حاجة للمسلمين بها .

وقد حذر الله سبحانه وتعالى من ذلك ، وبين خطره ..

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين »[1859] .

وقال تعالى : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق »[1860] .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم) قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ ! قال : (فمن ؟)[1861] .

٤ - النصيحة :

من الواجب على المسلم ان يتقدم بالنصيحة لأصحاب البدع ، ويبين لهم الخطر الذي هم فيه ، ولان التناصح والتوادد من أصول الدين الاسلامي ، لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : (الدين النصيحة ..)[1862] .

وواجب المسلمين عند تناصحهم ان يكون ذلك بالتراحم والتعاطف ، لان معنى النصيحة كما قيل : ‹ حيازة الحظ للمنصوح له .. وقيل : اخلاص النية من الغش للمنصوح له ›[1863] .

١٨٥٩ آل عمران : ١٠٠

١٨٦٠ البقرة : ١٠٩

١٨٦١ البخاري ، ج ٩ ص ٨٣

١٨٦٢ أربعون حديثا من رواية شيخ الاسلام ابن تيمية ، ص ٦

١٨٦٣ مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، ص ١٤٩

٥ - **الترهيب من الابتداع :**

ولقد وردت أخبار كثيرة تحذر من البدعة .. عن أبي الحجاج بن جبير المكي[١٨٦٤] - وهو من كبار التابعين وامام المفسرين - في قوله تعالي : « ولا تتبعوا السبل ... » قال : البدع والشبهات[١٨٦٥] .

وروى الدارمي عن عبدالله ، قال : ‹ تعلموا العلم قبل ان يقبض ، وقبضه ذهاب أهله ، ألا واياكم والتنطع والتعمق والبدع ، وعليكم بالعتيق › .

٦ - **عدم مجالسة أهل البدع :**

إن هجر أهل البدع وعدم مجالستهم ونصحهم وبيان ضلالتهم ، فانه سلاح مؤلم ومؤدب لهم .. وقال الشاطبي - رحمه الله - :

‹ ... فإن فرقة النجاة وهم أهل السنة : مأمورون بعداوة أهل البدع والتشريد بهم والتنكيل الي جهتهم ... ، وقد حذر العلماء من فصاحتهم ومجالستهم ... ›[١٨٦٦] .

عن أيوب عن أبي قلابة ، قال : ‹ لا تجالسوا أهل الأهواء ، فاني لا آمن ان يغموكم في ضلالتهم ، أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون ›[١٨٦٧] .

عن سفيان الثوري قال : ‹ من جالس صاحب بدعة لم يسلم من احدى ثلاث ، اما ان يكون فتنة لغيره ، واما ان يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار ، واما ان تقول والله ما أبالي ما تكلموا ،اني واثق بنفسي ، فمن أمن على دينه طرفة عين سلبه اياه ›[١٨٦٨] .

فأهل البدع سموم تصيب من يقترب منهم ، وكذلك تشجعهم علي الاصرار على بدعتهم .

٧ - **بغض المبتـــــدع :**

إن البغض في الله والحب في الله من كمال الايمان ، وهو سلاح فتاك لردع أهل السوء في البغض ، وجمع القلوب في المحبة ، وان الاسلام هو الحب في الله والبغض لله .

١٨٦٤ هو الامام : سعيد بن جبير .

١٨٦٥ اصلاح المساجد من البدع والعوائد ، ص ١٠

١٨٦٦ البدعة وأثرها السيء في الأمة ، ص ٥٢

١٨٦٧ الاعتقاد : ١١٨

١٨٦٨ البدع والنهي عنها ، لابن وضاح ، ص ٤٧

‹ ومن أحب بسبب فبالضرورة يبغض لضده ، وهذان متلازمان ، لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، الا بجهل او اختلال موازين الايمان ، فعلامة الحب المقاربة والموافقة ، وعلامة البغض هى المباعدة والمخالفة › .

وللبغض آثار عملية يظهر لصاحبها منها : الاعراض والتباعد وقلة الالتفاف ، أو في الاستخفاف ، وتغليظ القول ، او قطع المعونة ، والرفق والنصرة .

فعلى المسلم الذي يريد ان يحافظ على صفاء عقيدته ودينه ، ويسد أبواب الضلال ، من البدع ، فالأولى اظهار بغضه ومعاداته ، والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه .

ان البدعة اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها ..

ب - وسائل الهجوم على البدع ومحاربتها :

١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

وهذا السلاح باب واسع يحتاج الى علم وسعة أفق ، ومعرفة بعادات الناس وطبائع البشر ، مع وجود الشفقة والرحمة والاخلاص ، والصبر والتحمل .

المعروف :

‹ ما جاء به الشرع ، أو ما وافق السنة ، بمعناها الشامل للشريعة ›

والمنكر :

‹ هو ما خالف الشرع ، أو خالف السنـــــة › .

وقد حث الاسلام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نصوص كثيرة منها ما يبين حكمه ، ومنها ما يبين طريقته ، ومنها ما يبين عاقبة التفريط فيه .

** أما حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيدل عليها ما يأتي :

قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون »[١٨٦٩] .

قال الغزالي في الآية بيان الايجاب ، فان قوله تعالى : « ولتكن » أمر وظاهر الامر الايجاب ، وفيها بيان ان الفلاح منوط به اذ حصر « وأولئك هم المفلحون » وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين[١٨٧٠] .

١٨٦٩ آل عمران : ١٠٤

١٨٧٠ احياء علوم الدين ، ج ٣ ص ٢٦٩

وقال ابن تيمية : بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه ، بل هو على الكفاية مستدلا بهذه - أي - « ولتكن »[١٨٧١] وتأكيدا لأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان الأمرالالهي للرسول - صلى الله عليه وسلم - فضلا عن غيره في قوله تعالى : « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، واعرض عن الجاهلين »[١٨٧٢] .

وقد أرشد الرسول - صلى الله عليه وسلم - في عدة أحاديث الى عموم هذا الأمر ، والنهي وشموله لكل مسلم ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : (من رأى منكم منكرا ، فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان)[١٨٧٣] .

وقيل يجري النهي فيما خالف الحديث الصحيح ، فضلا عن القرآن مهما كانت درجة القائل[١٨٧٤] .

وجاء الأمر بالصبر عقب الأمر بالدعوة الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال تعالى في وصية لقمان لابنه : « يا بني ، اقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر علي ما اصابك »[١٨٧٥] .

وان الذي يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعرض نفسه لسخط الله وغضبه .

قال - صلى الله عليه وسلم - : (لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، ثم يدعوا خياركم ، فلا يستجاب لهم)[١٨٧٦] .

ان السكوت علي انكار من يفعل المنكر ، أو يهجر ما ينبغي التمسك به كسلا او استهتارا يغري من في قلبه مرض او من لا يجد حلاوة الايمان بالتحلل وتقليد المفسدين .

٣ - مهاجمة أهل البدع وعقوبتهم :

الواجب على أهل الايمان ، ان يكون في قلوبهم شدة وقسوة لأهل البدع ، حتي تلي تلك الشدة الى طردهم وضربهم ، ان لم تنفع الوسائل السابقة ، ولقد سلك السلف الصالح هذا الطريق ، شدد على أهل البدع

١٨٧١ مسألة الحسبة ، ص ٥٣

١٨٧٢ الأعراف : ١٩٩

١٨٧٣ رواه مسلم رقم ٤٩ - وابن ماجه رقم ١٢٧٥

١٨٧٤ قواعد التحديث ، ص ٨٧

١٨٧٥ لقمان : ١٧

١٨٧٦ الاعتصام ، ج ١ ص ١٠٩

وحاسبهم حسابا شديدا .. ومن أمثلة ذلك ما يأتي :

أ - روى عمر بن المهلب الأزدي قال :

‹ كان لا يحدث أحدا حتى يمتحنه ، فان كان غريبا قال له : من أين أنت ؟ وان من أهل البلد ، قال : أين مصلاك ؟ ويسأل كما يسأل القاضي عن البينة . فاذا قال له سأل عنه ، فان كان صاحب بدعة ، قال : لا تعودن الى هذا المجلس ، فان بلغه عنه خير أدناه وحدثه ، فقيل له : يا أبا الصلت لم تفعل هذا ؟ قال : أكره أن يكون العلم عندهم ، فيصيروا أئمة يحتاج اليهم ، فيبدلوا كيف شاؤوا ›[١٨٧٧].

ب - كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حازما في مواجهة الفتن ، ومبادرا الى غلق ابوابها ، وسد منافذها ، والوقوف في وجه الابتداع .. وليس أدل على ذلك من موقفه من صبيغ بن عسل ..

روى الامام الدارمي بسنده عن نافع مولى ابن عمر ، ان صبيغا العراقي جعل يسأل عن أشياء في أخبار المسلمين ، حتى قدم مصر ، فبعث به عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - ... فلما أتاه الرسول بالكتاب ، فقرأه ، قال : أين الرجل ؟ فقال : في الرحل ... قال عمر - رضي الله عنه : أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجعة ، فأتاه به ، فقال عمر - رضي الله عنه - تسأل محدثه ؟ فأرسل عمر - رضي الله عنه - الى رطائب من جريد ، فضربه بها ، حتى ترك ظهره دبره ، ثم تركه حتى برأ ، ثم عاد له ، ثم تركه حتى برأ ، فدعا به ، فقال صبيغ : ان كنت تريد قتلي ، فاقتلني قتلا جميلا ، وان كنت تريد ان تداويني ، فقد والله برئت . فأذن له الى أرضه ، وكتب الى أبي موسى الأشعري ان لا يجالسه أحد من المسلمين ، فاشتد ذلك على الرجل ، فكتب أبو موسى الى عمر - رضي الله عنهما - : أن قد حسنت توبته . فكتب عمر - رضي الله عنه - : ان يأذن للناس بمجالسته[١٨٧٨] .

وهذا العلاج من الخليفة الفاروق لصاحب البدعة هو الدواء الشافي للعلاج ، وما أحوج الأمة لمثل هذا العلاج الناجح من أمثال أولئك الأفذاذ العظماء كأمثال الفاروق - رضي الله عنه - وعن جميع الصالحين والأتقياء ..

١٨٧٧ المحدث الفاصل ، ص ١٤٢

١٨٧٨ البدعة : ٤٥

الباب الثالث

الوضع وأنواعه في العهد الأموي والعباسي

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : أ- تعريف الحديث الموضوع .
ب - كيفية معرفة الأحاديث الموضوعة .
ج - متى بدأ الوضع .

الفصل الثاني : طرق القضاء على الوضع .. وفيه مبحثان :
المبحث الأول : طريقة الوقاية من الوضع ، وهي الاعتصام بالكتاب والسنة .
المبحث الثاني : طريقة مقاومة الوضع .. وهي :
أ - جهود العلماء لمقاومة الوضع .
ب - الطرق التأديبية :
١) المنع ٢) العقوبة .

الفصل الثالث : أهم أنواع الوضع في العهد الأموي والعباسي :
القسم الأول : تنزيه سيد الأنام مما علق في سنته - صلى الله عليه وسلم - الكذب في الصلاة .
القسم الثاني : المناقب والمثالب ‹ لغمان › للإفتراء .
القسم الثالث : الوضع في مدح العقل .

الفصل الأول

أ - تعريف الحديث الموضوع :

* تعريف الوضع في اللغـة :

قـال ابن منظور : < الوضع ضد الرفع ، والوضع أيضا : الموضوع ، يقال : وضع الشيء من يده يضعه وضعا ، اذا ألقاه ووضع الشيء وضعا : اختلقه >[١٨٧٩] .

قال الفيروزأبادي : < وضعه : حصه ، ومنه خط من قدره ، والأحاديث الموضوعة : المختلقة >[١٨٨٠] .

وقال السخاوي : < وضع فلان على فلان كذا : أي ألصقه ، وهو ايضا : الحط والاسقاط >[١٨٨١] .

وقال السخاوي أيضا : < والأليق بهذه الخبيثة : هو الملصق >[١٨٨٢] .

وقال ابن فارس : < وضع : الواو والضاد والعين أصل واحد ، يدل على الخفض للشيء وحطه >[١٨٨٣] .

١٨٧٩ لسان العرب ، ج ٣ ص ٩٤١

١٨٨٠ القاموس المحيط ، ج ٤ ص ٥٦٣

١٨٨١ فتح المغيث ، ج ١ ص ٢٣٤

١٨٨٢ المصدر السابق .

١٨٨٣ معجم مقاييس اللغة ، ج ٦ ص ١١٧

* تعريف الوضع في الاصطلاح :

١ - التعريف الأول : ‹ أنه المختلق المصنوع المكذوب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ›[١٨٨٤] .

وهذا التعريف اتفق عليه جماهير علماء المصطلح ، ويكون خاصا في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

٢ - التعريف الثاني: ‹ هو الخبر المختلق المكذوب المنسوب الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - افتراء عليه ، أو الى الصحابي ، أو التابعي ›[١٨٨٥] .

وهذا الرأي يجعل الوضع شاملا للمرفوع والموقوف والمقطوع .. وقد تشددت الشريعة الاسلامية على من يكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

١٨٨٤ ورد هذا التعريف أو ما في معناه في كتب كثيرة من كتب علم الحديث منها :

١) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، ص ١٩ ، د . اكرم العمري .

٢) علوم الحديث ، ص ٢٦٣ ، د . صبحي الصالح .

٣) تفسير مصطلح الحديث ، ص ٨٨ ، د . محمد الطحان .

٤) منهج النقد في علم الحديث ، د . العتر .

٥) لمحات في أصول الحديث ، ص ٣٠٥ ، د . محمد اديب صالح .

٦) اصول الحديث ، ص ٤١٥ ، د . محمد عجاج الخطيب .

٧) حسن الحديث ، ص ٧٢ ، المحلاوي .

٨) المصباح في أصول الحديث ، ص ٩٦ ، السيد قاسم الاندجاني .

٩) توجيه النظر ، ص ٢٥٢ ، الجزائري .

١٠) قواعد التحديث ، ص ١٥٠ ، القاسمي .

١١) جواهر الأصول ، ص ٥٨ ، ص الفارسي .

١٢) توضيح الأفكار ، ج ٢ ص ٦٩ ، الصنعاني .

١٣) شرح نخبة الفكر ، ص ١٢٣ ، القاري .

١٤) فتح المغيث ، ج ١ ص ٢٣٤ ، السخاوي .

١٥) مختصر علوم الحديث ، ص ٧٨ ، ابن كثير .

١٦) التقريب بشرحه التدريب ، ج ١ ص ٢٧٤ ، النووي .

١٧) مقدمة ابن صلاح ، ص ١٣٠

١٨) الباعث الحثيث ، ص ٨٠ ، الشيخ احمد شاكر .

١٨٨٥ المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف ، ص ٤٩ ، د . محمد علوي المالكي .

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من قال عليَّ ما لم أقل ، فليبتوأ مقعده من النار)[١٨٨٦] .

وللدارقطني وابن الجوزي عن أم أيمن[١٨٨٧] ولفظهما : (من كذب عليَّ متعمدا ، فليبوأ مقعده من النار) .

قال الحافظ السيوطي : روى هذا الحديث أكثر من مائة من الصحابة ، وجمع طرقه جمع من أهل النجابة .

وقل نقل ابن الجوزي عن أبي بكر محم بن أحمد بن عبدالوهاب الاسفراييني : أنه ليس في الدنيا حديث اجتمع عليه العشرة المشهود لهم ، غير حديث : (من كذب عليَّ متعمدا ...) .

قال شيخ مشايخنا الحافظ جلال الدين السيوطي : لا أعلم شيئا من الكبائر قال أحد من أهل السنة بتكفير مرتكبه الا الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

فإن الشيخ أبا محمد الجويني من أصحاب الشافعي ، وهو والد إمام الحرمين ، قال : إن من تعمد الكذب عليه - الصلاة والسلام - يكفر كفرا ، يخرجه من الملة .

وقال النووي ‹ في شرح مسلم › :

‹ يحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعا ، أو غلب على ظنه وضعه . وقد اجمع أهل الحل والعقد على تحريم الكذب على آحاد الناس ، فكيف على من قوله شرع ، وكلامه وحي ، والكذب عليه كذب عليه تعالى ›[١٨٨٨] .

ب - كيفية معرفة الأحاديث الموضوعة :

أ - (معرفة الوضع من ناحية السند) :

السند في اللغة : المعتمد ، مأخوذ من قولهم : فلان سند : أي معتمد[١٨٨٩]

١٨٨٦ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ، ص ٣٢

١٨٨٧ أم أيمن مولاة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، واسمها : بركة بنت ثعلبة ، اعتقها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ماتت في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - .

١٨٨٨ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ، ص ٤١

١٨٨٩ التدريب ، ج ١ ص ٤١

وكل شيء اسندت اليه شيئا فهو مسند ، وأسند الحديث : رفعه[١٨٩٠] .
فسمي سندا لاعتماد الحفاظ في صحة الحديث وضعفه عليه[١٨٩١] .
والجمع : اسناد ، لا يكسر على غير ذلك[١٨٩٢] .

* تعريف السند من ناحية الاصطلاح :
< هو الطريق الموصل الى متن الحديث >[١٨٩٣] .
أو السند : < الطريق الموصلة الى المتن ، أي أسماء رواته مرتبة >[١٨٩٤] .

علامة رقم (١) من ناحية معرفة الوضع من ناحية السند :
< اعتراف الواضع بكذبه >[١٨٩٥] : أن عددا من الرواة اعترفوا أنهم كذبوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . وقد عد علماء الجرح والتعديل ذلك من أقوى الأدلة على الحكم بوضع الحديث .

وتوجد دوافع ساقت الوضاع لذلك الاعتراف والاعلان .. منها :
١) التوبة والندم :
لقد ندم جماعة من الكذابين على ما فرطوا في جنب الله من ارتكاب ذنوب كبائر من وضع الاحاديث على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاعترفوا بشناعة فعلتهم ، يرجون مغفرة الله ، ويخافون عذابه .
وقال ابن لهيعة : < دخلت على شيخ وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ، فقال : وضعت أربع مائة حديث .. فلا أدري كيف أصنع >[١٨٩٦] .
٢) الاحراج في السؤال والامتحان :
< لقد باغت بعض العلماء الوضاع بمضايقتهم ببعض الأسئلة عن الأحاديث التي رووها ، فما كان منهم الا ان يفصحوا عن سريرتهم بما سول الشيطان لهم من الوضع : قيل لأبي عصمة : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة ، وليس عند اصحاب عكرمة هذا ؟

١٨٩٠ لسان العرب ، لابن منظور ، ج ٢ ص ٢١٥
١٨٩١ المختصر في علوم الحديث ، لابن جماجه ، ج ٣ ص ١
١٨٩٢ لسان العرب ، لابن منظور ، ج ٢ ص ٢١٥
١٨٩٣ كشاف اصطلاحات الفنون : ٤٤١/٣
١٨٩٤ قواعد في علوم الحديث ، للتهانوي ، ص ٢٦
١٨٩٥ اصول الحديث ، د . محمد عجاج الخطيب ، ص ٤٣٢
١٨٩٦ الموضوعات ، ج ١ ص ٤٩

فقال : اني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن اسحاق ، فوضعت هذا الحديث حسبة »[1897] .

٣) ادخال الريبة والشك في سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - :

لقد اعترف جماعة كثيرة من أصحاب النفوس المريضة خبثا وحقدا بوضع كثير من الأحاديث الموضوعة ليزدادوا اثما على اثمهم ، وقالوا أن تلك الأحاديث تدور بين الناس ، ولها أثرها على حياتهم .

قال حماد بن زيد فيما أخرجه العقيلي ، انهم وضعوا أربعة عشر ألف حديث - يعني الزنادقة - وقال عبدالكريم بن أبي العوجاء الذي قتل وصلب في زمن المهدي ، قال ابن عدي : « لما أخذ ليضرب عنقه ، قال :

وضعت فيكم أربعة آلاف حديث ، أحرم فيها الحلال ، وأحلل الحرام »[1898] .

علامة رقم (٢) من ناحية معرفة الوضع في السند :

أن يكشف كذبه التاريخ : مثل ما وقع للمأمون بن أحمد انه ذكر بحضرته للخلاف في كون الحسن سمع منْ أبي هريرة أو لم يسمع منه ، فساق في الحال اسنادا الى النبي - صلى الله عليه وسلم - انه قال : « سمع الحسن عن أبي هريرة »[1899] .

وكما « إدعي مأمون بن أحمد الهروي » انه سمع من هشام بن عمار ، فسأله بن حبان متى دخلت الشام ؟ قال : سنة خمسين ومائتين ، فقال له : ان هشاما الذي تروي عنه مات سنة خمس وأربعين ومائتين . فقال : هذا هشام بن عمار آخر[1900] .

علامة رقم (٣) من ناحية معرفة الوضع في السند :

أن تحف بالراوي قرائن تدل على كذبه : وأسند الحاكم عن سيف بن عمر التيميم ، قال : كنت عند سعد بن طريف ، فجاء ابنه من الكتاب يبكي ، فقال : مالك ؟ قال : ضربني المعلم ، قال : لأخزينهم اليوم ، حدثني عكرمة عن ابن عباس مرفوعا : « معلمو صبيانكم شراركم ، أقلهم رحمة

١٨٩٧ منهج النقد في علوم الحديث ، د . عتر ، ص ٣١٠ .

١٨٩٨ حاشية لقط الدرر بشرح متن نخبة الفكر ، ص ٨٤ .

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، ج ١ ص ٢٨٤ .

١٨٩٩ شرح النخبة ، ص ٣١

١٩٠٠ الميزان ، ج ٣ ص ٤٢٩ . وتوضيح الافكار : ٩٣/٢ . الباعث الحثيث ، ص ٨١ .

لليتيم ، وأغلظهم على المسكين › [١٩٠١] .

علامة رقم (٤) من ناحية معرفة الوضع في السند :

ان يكون الراوي رافضيا ، والحديث في فضائل أهل البيت ، وذلك كالاحاديث التي فيها الوصي لعلي - رضي الله عنه - بالخلافة أو في ولد العباس أو في تحريم ولد العباس على النار [١٩٠٢] .

علامة رقم (٥) من ناحية معرفة الوضع في السند :

أن يتفرد راو معروف بالكذب برواية حديث ، ولا يرويه ثقة غيره ، فيحكم على روايته بالوضع ، وقد استقصى جهابذة الأمة الكذابين ، وبينوا ما كذبوا فيه حتى لم يخفق منهم أحد [١٩٠٣] .

ب - (معرفة الوضع من ناحية المتن) :

تعريف المتن في الاصطلاح :

‹ هو الفاظ الحديث التي تتقوم بها المعاني › [١٩٠٤] .

علامة الوضع في المتن رقم (١) ما يناقض نص الكتاب أو السنة المتواترة أو الاجماع :

أ - فمن يخالف صريح القرآن الكريم حديث : ‹ مقدار الدنيا وانها سبعة آلاف سنة › [١٩٠٥] .

فهذا غير صحيح ، لانه لو صح لكان كل واحد عالما كم سيبقى ليوم القيامة ، والله عز وجل قول : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ قل : إنما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها إلا هو . ثقلت في السموات والأرض ، لا تأتيكم إلا بغتة . يسألونك كأنك حفي عنها ، قل إنما علمها عند الله » [١٩٠٦]

وقال تعالى : « إن الله عنده علم الساعة » .

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (ولا يعلم متى تقوم الساعة ،

١٩٠١ المجروحين ، ج ٣ ص ٤٥ . منهج النقد في علوم الحديث ، د . عتر ، ص ٣١١

١٩٠٢ المنار المنيف ، ص ١١٧

١٩٠٣ أصول الحديث ، د . عجاج ، ص ٤٣٣

١٩٠٤ قواعد في علوم الحديث ، للتهانوي ، ص ٢٦

١٩٠٥ المنار المنيف ، لابن قيم الجوزية ، ص ١ . والأسرار المرفوعة ، ص ٤٥٢ . اللؤلؤ المرصوع ، ص ١٠٩

١٩٠٦ الأعراف : ١٨٧

إلا الله تعالى)[١٩٠٧] .

ب - ومما وضع يناقض السنة :

مدح من اسمه محمد وأحمد ، وان كل من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار ، هذا مناقض لما هو معلوم من الشريعة ، أن النار لا يجار منها بالأسماء ، وانما النجاة منها بالايمان والعمل الصالح[١٩٠٨] .

قال ابن القيم : فكل حديث يشتمل على فساد أو ظلم أو عبث أو مدح باطل أو ذم حق أو نحو ذلك ، فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - منه بريء .

ج - ان يكون مناقضا للاجماع القطعي :

ومما ورد في الأحاديث الموضوعة : ‹ من قضى صلاة من الفرائض في آخر جمعة من شهر رمضان ، كان ذلك جابرا لكل صلاة فاتته في عمره الى سبعين سنة ›[١٩٠٩] باطل قطعا ، لانه مناقض للاجماع على ان شيئا من العبادات لا يقوم مقام من فائتة سنوات[١٩١٠] .

علامة الوضع في المتن رقم (٢) : ركاكة اللفظ في المروي :

فالركاكة ليست صفة أفصح من نطق بالضاد ، هذا ليس من فصاحة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، هذا اذا صرح الراوي بأن ما يرويه هو لفظ النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فان لم يصرح بذلك فمدار الركة على ركة المعنى ، فحيثما وجدت دلت على الوضع ، ولو لم تنضم اليها ركة اللفظ ، لان الدين كله محاسن ، والركة ترجع الى الرداءة ، كما صرح بذلك ابن حجر[١٩١١] .

ومن أمثلة ذلك : ‹ ان لله ملكا من حجارة ، يقال له : عمارة ، ينزل على حمار من حجارة كل يوم ، فيسعر الأسعار ثم يعرج ›[١٩١٢] والمتهم بن الزهري[١٩١٣] وآخرون .

١٩٠٧ المنار المنيف ، ص ٨٠ . . الحديث أخرجه البخاري في صحيحه :٦٦/٨ عن حديث عمر - رضي الله عنه -

١٩٠٨ المنار ص ٢٢

١٩٠٩ المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ، ص ١٥٦ - ١٥٧ . والأسرار المرفوعة ، ص ٣٥٦

١٩١٠ المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ، ص ١٥٦ - ١٥٧ . الأسرار المرفوعة ، ص ٣٥٦ .

١٩١١ الباعث الحثيث ، ص ٩٠

١٩١٢ الموضوعات : ٢٣٩/٢ . المنار المنيف ، ص ١٠١ . الأسرار المرفوعة ، ص ٤٦٣ . وتاريخ بغداد : ٩٢/١٢ . اللؤلؤ المرصوع ، ص ٢٨

١٩١٣ هو : علي بن محمد بن عبيد الله بن ابراهيم ابو الحسن الزهري الضرير ، قال الخطيب : وكان كذابا .

علامة الوضع في المتن رقم (٣) : فساد المعنى :

وردت أحاديث موضوعة كلها لا يدل على شيء يليق ذكره ، فكيف يجوز ان يكون هذا القول ،هذه المعاني ينطق بها من هو خير البرية ، فمن هذه الأحاديث التي يترفع عنها أبسط البسطاء حديث : ‹ الباذنجان شفاء من كل داء ›[١٩١٤] ، ومنها سماجة الحديث وكونه مما يسخر منه كحديث : ‹ من اتخذ ديكا أبيض لم يقربه شيطان ولا سحر ›[١٩١٥] .

وكل ما يدل على اباحة المفاسد ، والسير وراء الشهوات[١٩١٦] ، وكل ما اشتمل على مجازفات لا تصدر عن العقلاء[١٩١٧] ، وكل حديث قامت الشواهد الصحيحة على بطلانه[١٩١٨] . هو من الموضوع الذي لا يعتد به .

علامة الوضع في المتن رقم (٤) : ان يكون الحديث مخالفا للعقل ، ولا يقبل التأويل ، أو اشتمل على أمر يدفعه الحسن والمشاهدة ، أو الواقع التاريخي ، ومن أمثلة هذا الصنف حديث : ‹ خلق الورد من عرقي › قال الذهبي باطل[١٩١٩] .

وحديث : ‹ تختموا بالعقيق لانه ينفي الفقر › وهذا باطل[١٩٢٠] ، وبطلانه ظاهر جدا فكم من فقير تختم ولم يستغن .

١٩١٤ المنار ، لابن القيم ، ص ١٩ .

١٩١٥ المصدر السابق ، ص ٢١

١٩١٦ كحديث : ‹ ثلاثة تزيد البصر : النظر الى الخضرة ، والماء الجاري ، والوجه الحسن › وحديث : ‹ النظر الى الوجه الجميل عبادة › . المنار ، ص ٢٤

١٩١٧ كحديث : ‹ المجره التي في السماء من عرق الأفعى التي تحت العرش › . وحديث ‹ المؤمن حلو يحب الحلاوة › المنار ، ص ٢٣ ، ٢٥ .

١٩١٨ كحديث عوج بن عنق الطويل ، الذي قصد واضعه الطعن في أخبار الأنبياء ، فان في هذا الحديث :‹ أن طوله كان ثلاثة آلاف ذراع ، وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين وثلث ، وأن نوحا لما خوفه الغرق قال له : احملني في قصعتك ، وان الطوفان لم يطل الى كعبة ، وانه كان يأخذ الحوت من قرار البحر فيشويه في عين الشمس › . المنار ، ص ٢٩ — ٣٠

١٩١٩ المغني ، للذهبي ، ٥٨٨٣

١٩٢٠ المصدر السابق ، ١٥٠٤

وكذلك حديث : < ان سفينة نوح طافت بالبيت ، وصلت خلف المقام ركعتين >[١٩٢١] والمتهم به عبدالرحمن بن اسلم[١٩٢٢] .

علامة الوضع في المتن رقم (٥) : الافراط بالوعيد الشديد على الأمر اليسير ، أو بالوعد العظيم على الفعل اليسير .

فهذا النوع من الأحاديث الموضوعة عليها ظلمه ومجازفات باردة تنادي على وضعها واختلاقها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فمن تلك الأحاديث : < من صلى الضحى كذا وكذا ركعة أعطي ثواب سبعين نبيا >[١٩٢٣] ، وكأن هذا الكذاب الخبيث لم يعلم ان غير النبي لو صلى عمر نوح - عليه السلام - لم يعط ثواب نبي واحد .

وكذلك من تلك المجازفات : < من اغتسل يوم الجمعة بنية وحسبه ، كتب الله له بكل شعرة نورا يوم القيامة ، ورفع له بكل قطرة درجة في الجنة من الدر والياقوت والزبرجد ، بين كل درجتين مائة عام .. >[١٩٢٤] وهو من عمل عمر بن صبح الكذاب الخبيث ، ومن بلايا الوضاعين من تشويه الشريعة الاسلامية ، وتشكيك الناس فيها كحديث : < من صام آخر يوم من ذي الحجة وأول يوم من المحرم ، فقد ختم السنة الماضية بصوم وافتتح السنة المقبلة بصوم ، فقد جعل الله كفارة خمسين سنة >[١٩٢٥] والمتهم به الجويباري ، ووهب بن منبه[١٩٢٦] .

١٩٢١ ميزان الاعتدال ، للذهبي : ١٠٦/٢ ، والتهذيب ، للحافظ : ١٧٩/٦ ، تنزيه الشريعة ، لابن عراق : ٢٥٠/١

١٩٢٢ هو : عبدالرحمن بن زيد بن اسلم العمري ، المتوفي سنة ١٨٢هـ ، قال الحاكم وابو نعيم : روى عن ابيه أحاديث موضوعة ، وقال ابن الجوزي : أجمعوا على ضعفه ، وقال الساجي : منكر الحديث ، وقال ابن معين : بنو زيد بن أسلم ليسوا بشيء ، وضعفه ابن المديني جدا ، وضعفه النسائي .. ترجمته في الضعفاء الصغير للبخاري ، ص ٧١ ، والمتروكين للنسائي ، ص ٦٧ ، والمجروحين لابن حبان : ٥٧/٢ ، والضعفاء ، للعقيلي ، ص ٨١٩ .

١٩٢٣ المنار المنيف ، ص ٥٠

١٩٢٤ المصدر السابق .

١٩٢٥ تنزيه الشريعة : ١٤٨/٢ ، وتذكرة الفتني ، ص ١٨

١٩٢٦ هو : وهب ابن منبه أبو البختري ، يضع الحديث .

علامة الوضع في المتن رقم (٦) : التهكم والاستهزاء والسخرية :

لم يترك الوضاعون بابا من الوضوع الا طرقوه : مثل حديث : ‹ لو كان الأرز رجلا لكان حليما ، ما أكله جائع الا أشبعه ›[١٩٢٧] فهذا كلام يصان عنه العقلاء ، فضلا عن سيد الأنبياء .

ومن ذلك حديث : ‹ الجوز دواء ، والجبن داء . فاذا صار في الجوف صار شفاء ›[١٩٢٨] فلعن الله واضعه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وحديث : ‹ عليكم بالملح ، فانه شفاء من سبعين داء ›[١٩٢٩] .

علامة الوضع في المتن رقم (٧) : أن يدعي على النبي - صلى الله عليه وسلم - انه فعل أمرا ظاهرا بمحضر من الصحابة كلهم ، وانهم اتفقوا على كتمانه ، ولم ينقلوه ، كما زعم أكذب الطوائف :

انه - صلى الله عليه وسلم - أخذ بيد على بن أبي طالب - رضي الله عنه - بمحضر من الصحابة كلهم ، وهم راجعون من حجة الوداع ، فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع ، ثم قال : ‹ هذا وصيي وأخي والخليفة من بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا ، ثم اتفق الكل على كتمان ذلك › فلعنة الله على الكاذبين[١٩٣٠] .

علامة الوضع في المتن رقم (٨) : اعترف الواضع نفسه ، باختلاقه الأحاديث[١٩٣١] ، كما فعل أبو عصمة نوح بن أبي مريم ، الملقب بنوح الجامع ، فانه أقر بوضعه على ابن عباس أحاديث في فضائل القرآن سورة سورة[١٩٣٢]

علامة الوضع في المتن رقم (٩) : أن يكون خبرا عن أمر جسيم تتوفر أسباب نقله ، كحصر العدو للحجاج عن البيت ، ثم لا ينقله منهم الا واحد ،

١٩٢٧ المنار المنيف ، ص ٥٤ .

١٩٢٨ المصدر السابق .

١٩٢٩ انظر لزيادة الوقوف على الأحاديث الموضوعة في فضل الملح ، كتاب المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ، لعلي القاري ، ص ٤٦ ، ١٩٠ .

١٩٣٠ المنار المنيف ، ص ٥٧ . اللؤلؤ المرصوع ، ص ١٠٦ . الأسرار المرفوعة، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

١٩٣١ شرح النخبة ، ص ٢٠

١٩٣٢ التدريب ، ص ١٠٢ . . ومن ذلك اقرار عمر بن أبي صبيح بن عمران التيمي بأنه وضع خطبة للنبي - صلى الله عليه وسلم - . واقرار ميسرة بن عبد ربه الفارسي بأنه وضع في فضل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - سبعين حديثا .

لان العادة جارية بتظاهر الأخبار في مثل ذلك[١٩٣٣] .

قال الصنعاني : قلت : ويمثله الأصوليون بقتل الخطيب على المنبر ، لا ينقله الا واحد من الحاضرين[١٩٣٤] .

علامة الوضع في المتن رقم (١٠) : الأحداث والزمن :

أ - ذكر أحداث تقع بتواريخ معينة فلم تتحقق : مثل حديث : < اذا كان سنة كذا وكذا وقع كيت وكيت[١٩٣٥] ، واذا كان شهر كذا وكذا وقع كيت وكيت > . ، وكقول الكذاب الأشر : < اذا انكسف القمر في المحرم : كان الغلاء والقتال وشغل السلطان ، واذا انكسف في صفر كان كذا وكذا ... > وأحاديث هذا الباب كلها كذب مفترى .

ب - تحديد أعمال ، ومنع أعمال في أزمنة معينة : فمن هذه الأحاديث التي تتكلم عن التواريخ المستقبلة حديث : < أنا وأصحابي أهل ايمان وعمل الى اربعين ، وأهل بر وتقوى الى الثمانين ، وأهل تواصل وتراحم الي العشرين ومائة ، أهل تقاطع وتدابر الى الستين ومائة ، ثم الهرج الهرج[١٩٣٦] ، الهرب الهرب >[١٩٣٧] .

وكذلك حديث : < اذا أتت على أمتي ثلاث مائة وثمانون سنة ، فقد حلت الغربة[١٩٣٨] والترهب على رؤوس الجبال >[١٩٣٩] .

فهذه الأحاديث منبطة للاعمال الصالحة ، وتدعو الي الفساد والانحدار التي تترفع الشريعة عنها .. والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : (يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء) .

علامة الوضع في المتن رقم (١١) : كل حديث يخالف الحقائق التاريخية التي جرت في عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو اقترن بقرائن تثبت بطلانه . مثل حديث وضع الجزية عن أهل خيبر ، فكذبه واضح من عدة وجوه منها : انه فيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد توفى

١٩٣٣ أصول الحديث ، د . عجاج ، ص ٤٣٦ . وتوضيح الأفكار : ٩٦/٢ . المحصول : ٤١٤/١/٢ .

١٩٣٤ توضيح الأفكار : ٩٦/٢

١٩٣٥ المنار المنيف ، ص ٦٤

١٩٣٦ الهرج هنا : الفتنة والاختلاط وشدة القتل وكثرته .

١٩٣٧ المنار المنيف ، ص ١١١

١٩٣٨ العزبة : ترك الزواج .

١٩٣٩ المنار المنيف ، ص ١١١

سعد – رضي الله عنه – قبل ذلك في غزوة الخندق ، ومعروف أن الجزية لم تكن قد شرعت آنذاك ، وانما نزلت بعد عام تبوك حين وضعها النبي – صلى الله عليه وسلم – على نصارى نجران ، ويهود اليمن[١٩٤٠] .

وذكر ابن القيم كذب هذا الحديث[١٩٤١] .

علامة الوضع في المتن رقم (١٢) : أن يكون الحديث بوصف الأطباء والظرفية أشبه وأليق[١٩٤٢] ..

من هذه الأحاديث ، حديث : ‹ الهريسة تشد الظهر › ، وحديث ‹ أكل السمك يوهن الجسد ›[١٩٤٣] .

وحديث :‹ الذي شكا الى النبي – صلى الله عليه وسلم – قلة الولد فأمره بأكل البيض والبصل ›[١٩٤٤] .

علامة الوضع في المتن رقم (١٣) : أحاديث العقل كلها كذب ، كقوله : ‹ لما خلق الله العقل ، قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، فقال : ما خلقت اكرم على منك ، بك آخذ وبك أعطي ›[١٩٤٥] .

وحديث : ‹ لكل شيء معدن ، معدن التقوى قلوب العاقلين ›[١٩٤٦] .

وقال ابو الفتح الأزدي : ‹ لا يصح في العقل حديث ... ›[١٩٤٧] .

ان العقل بمفهوم الناس يختلف اختلافا واسعا ، فالكافر والفاسق والمجرم كلهم لهم عقول ، وكثير منهم يتصور انه أعقل الناس عند ذلك قياسا على عقولهم ، نقر بالدي يقبلون عليه من الافعال وانهم محقون ، اما اذا نظرنا الى العقل من الجانب الاسلامي فانه سوف تكون له صورة غير الصورة التي تكون في ذهن الكافر والفاسق والمجرم .

أما مفهوم العقل في الاسلام هو الايمان والعمل والاخلاص ، ومن أمثلة ذلك شرح : « لعلكم تعقلون » : ‹ أي لعلكم تدركون أسرار وجود

١٩٤٠ اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ٤٣٦

١٩٤١ المنار المنيف ، ص ١٠٢

١٩٤٢ المصدر السابق ، ص ٦٤

١٩٤٣ الموضوعات ، لابن الجوزي : ٣/١٥ . وتنزيه الشريعة : ٢/٢٣٩ . وتذكرة الفتني ، ص ١٥٣ . والأسرار المرفوعة ، ص ٤٣٨ .

١٩٤٤ المنار المنيف ، ص ٦٤

١٩٤٥ المصدر السابق ، ص ٦٦

١٩٤٦ المصدر السابق .

١٩٤٧ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ، ص ٤٤٢

الانسان وتعرفون عظمة تركيبه ، فتثوبوا الي الرشد وتؤمنوا بالله > [١٩٤٨] .

علامة الوضع في المتن رقم (١٤) : ان الخبر الذي يروى وقد استقرت الاخبار ، فاذا فتش عنه فلم يوجد في بطون الكتب ، ولا في صدور الرواة ، علم انه لا أصل له .. كما ذكر الرازي [١٩٤٩] في كتابه المحصول .

اما في عصر الصحابة - حين لم تكن قد استقرت الاخبار ، فانه يجوز ان يروى احدهم ما لم يوجد عند غيره [١٩٥٠] .

قال الحافظ العلائي [١٩٥١] - وهذا انما يقوم به - الحافظ الكبير الذي قد احاط حفظه بجميع الحديث ، او بمعظمه كالامام احمد ، وعلي بن المديني ، ويحيى بن معين ، ومن بعدهم البخاري ، وابن أبي حاتم ، أبي زرعة .. الخ

علامة الوضع في المتن رقم (١٥) : ان يكون الحديث مخالفا لقواعد النحو الثابتة :

ومن أمثلة ذلك : < الناس كلهم موتى الا العالمون ، والعالمون كلهم هلكى الا العاملون ، والعاملون كلهم غرقى الا المخلصون ، والخلصون على خطر عظيم > [١٩٥٢] .

قال الصنعاني : هذا الحديث مفتر ملحون ، والصواب في الاعراب : العالمين والعاملين والمخلصين [١٩٥٣] ، لان المستثنى بألا يجب نصبه ان وقع بعد كلام تام [١٩٥٤] موجب [١٩٥٥] ، وذها لا خلاف فيه عند علماء قواعد النحو قاطبة .

وقال ابن عقيل في شرحه للخلاصة : حكم المستثنى بالا النصب ، ان

١٩٤٨ مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ، د ٠ محمد علي ، ص ٦٦

١٩٤٩ هو : الامام محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبو عبدالله فخر الدين الرازي ، المتوفي سنة ٦٠٦ هـ ، ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي : ٨١/٨ ٠

١٩٥١ هو : الحافظ الامام الفقيه المحدث صلاح الدين ابو سعيد بن كيكلدي العلائي الشافعي ، المتوفي صنة ٧٦١هـ ٠ ترجمته في الدرر الكامنة :١٧٩/٢ ، وشذرات الذهب : ١٩٠/٦ ٠ وطبقات المفسرين ، للداودي : ١٦٥/١

١٩٥٢ الموضوعات ، للصنعاني ، ص ٥

١٩٥٣ المصدر السابق ٠

١٩٥٤ تام : أي أن يكون المستثنى منه موجودا ٠

١٩٥٥ موجب : مثبت ، أي لا يكون منفيا ٠

وقع بعد تمام الكلام الموجب سواء كان متصلا[١٩٥٦] أو منقطعا[١٩٥٧] ، نحو اقام الناس الاسعيدا ، قام الناس الا حصانا .

وذكر ابن هشام[١٩٥٨] في اوضح المسالك[١٩٥٩] والاشموني[١٩٦٠] في شرح الخلاصة[١٩٦١] لابن مالك ، ان الحديث الذي ورد مرفوع ،هذا خطأ في اسلوب اللغة ، والصحيح ان يقوع منصوبا على حسب قواعد اللغة العربية الصحيحة ، فكان الحديث من هذه الناحية موضوع ، لان رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - هو سيد البلغاء ، سأل ابوبكر - رضي الله عنه - الرسول - صلى الله عليه وسلم - : لقد طفت في العرب ، وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك ؟ ، قال - عليه الصلاة والسلام - : (أدبني ربي ، فأحسن تأديبي)[١٩٦٢] .

ج - متى بدأ الوضـــــع :

علاقة الصحابة - رضي الله عنهم - بوضع الحديث .. نتعرف علي ذلك بعد ان نتعرف على شيء قليل من حياتهم من التعريف .

فالصحابي عند المحدثين :

< هو كل مسلم رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - >[١٩٦٣] .

عند بعض الأصوليـــين :

< من طالت مجالسته على طريق التتبع ، والأخذ عنه > .

١٩٥٦ الاستثناء المتصل : أن يكون من جنس المستثنى منه .

١٩٥٧ الاستثناء المنقطع : أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه .

١٩٥٨ هو : احمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن هشام شهاب الدين بن تقي الدين النحوي ، ترجمته بغية الوعاة : ٣٢٢/١ .

١٩٥٩ أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك : ٦١/٢

١٩٦٠ هو : الامام العامل الصدر الكامل المقريء الأصولي ابو الحسن علي نور الدين بن محمد بن محمد بن عيسى الاشموني الشافعي ، المتوفي سنة ٩٢٩ هـ ، انظر ترجمته في مقدمة شرح الاشموني للشـيخ محي الدين عبدالحميد : ٣/١ .

١٩٦١ شرح الاشموني : ٢٢٧/١

١٩٦٢ أدب الحديث النبوي ، د . بكري شيخ أمين ، ص ١٠٣

١٩٦٣ الخلاصة في أصول الحديث ، للطيبي ، ص ١٢٣

وعند سعيد بن المسيب : < هو من صحب سنة ، أو غزا غزوة >[١٩٦٤]
وهو ضعيف ، لان كثيرا من الصحابة الكرام لم تسمح لهم ظروف الحياة بهذه الصحبة ، لعيشهم بعيدا عن المدينة .

وقال الحافظ :

< الصحابي من لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - مؤمنا به ، ومات على الاسلام ، ولو تخللت ردة في الأصح >[١٩٦٥] .

وقال الحافظ ابن كثير ، وقد نص علي ان مجرد الرؤية كاف اطلاق الصحبة .

ولا يدخل من رآه في المنام في الصحبة ، كما جزم به البلقيني[١٩٦٦] .

والقول الراجح - والله أعلم - ما ورد في عرف العلماء وأئمة الحديث : < هو من لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - ومنا به ، ومات علي ذلك ، فمن ارتد ومات على ردته بطلت صحبته ، ومن تاب وعاد الي الاسلام عادت اليه الصحبة على الأصح ، وكذلك من أظهر الاسلام وبطن الكفر من أهل النفاق بمعزل عن شرف الصحبة >[١٩٦٧] .

* (عدالة الصحابة) :

بعد أن درسنا آراد العلماء والفقهاء والمحدثين ، وما قالوا فيهم من الخير والاستقامة والعمل الصالح من الجهاد والبذل والتضحية والاخلاص ، يتبين لنا :

< الصحابة كلهم عدول عند جمهور الفقهاء من المحدثين والفقهاء والأصوليين ، ومعنى عدالتهم استقامتهم على الدين وإئتمارهم بأوامره ، وانتهاؤهم عن نواهيه ، وانهم لا يتعمدون الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذلك لما اتصفوا به من قوة الايمان والتزام التقوى >[١٩٦٨] .

وعدالة الصحابة - رضي الله عنهم - ثابتة بأقوى الأدلة ، وأوضح البراهين ، ألا وهي القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وكلام من يعتد به من العلماء وأئمة الدين من السلف الصالح ، ومن جاء بعدهم :

١٩٦٤ المصدر السابق .

١٩٦٥ نزهة النظر للحافظ ، ص ٥٥ . الاصابة : ٧/١ . وليس فيه ولو تخللت ردة في الأصح ، ولكنه ذكر ذلك في الشرح .

١٩٦٦ شرح النخبة ، للقاري ، ص ١٨٠ - ١٨١

١٩٦٧ دفاع عن السنة ، د . أبو شهبة ، ص ١٠٨

١٩٦٨ الوسيط في علوم ومصطلح الحديث ، د . أبو شهبة ، ص ٤٩٩

أ - **الدليل الأول ‹ القرآن الكريم › :**

قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »[١٩٦٩] .. والوسط هم : الخيار العدول ، اذ الوسط من كل شيء خياره .

وقال سبحانه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »[١٩٧٠] .. ففي الآية شهادة لهم بالخيرية ، وهي خيرية الدين ، فيها شهادة لهم بالعدالة .

وقال تعالي : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري من تحتهم الأنهار خالدين فيها أبدا ، ذلك الفوز العظيم »[١٩٧١] .

وقوله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا »[١٩٧٢] ، وهم أهل بيعة الرضوان ، وكانوا زهاء ألف وخمسمائة .

وقال عز شأنه : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود » .

هذه الآيات البينات للدفاع على صدق الصحابة - رضي الله عنهم - فهذا تعديل من الله سبحانه وتعالى ، ولا يحتاج احد منهم مع تعديل الله له الى تعديل أحد من خلقه .

ب - **الدليل الثاني ‹ السنة النبوية › :**

لقد تحدثت السنة النبوية عن الجيل الأول ، جيل الصحابة الكرام ، وبينت السنة منزلتهم ، ودعت الى معرفة حقوقهم ، وانزالهم منازلهم .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم)[١٩٧٣] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : (لا تسبوا أصحابي ، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ، ما أدرك مد أحدهم ولا

١٩٦٩ البقرة : ١٤٣

١٩٧٠ آل عمران : ١١٠

١٩٧١ التوبة : ١٠٠

١٩٧٢ الفتح : ١٨

١٩٧٣ اخرجه البخاري : ٥/١٩٩ ، ومسلم : ٧/١٨٤ - ١٨٥ ، ابن ماجه : ٢/٦٣ - ٦٤ .

نصيفه)[1974] .

ج - الدليل الثالث ‹ منزلة الصحابة عند أهل السنة والجماعة › :

لقد عرف للصحابة فضلهم كبار أئمة الفقه والأصول والرواية ..

روى الحافظ البيهقي عن الامام الشافعي ، انه ذكر الصحابة في رسالته القديمة واثنى عليهم بما هم أهله ، ثم قال : ‹ وهم فوقنا في كل علم واجتهاد ، وورع وعقل ، وأمر استدرك به علم واستنبط به ، وآراؤهم لنا أحمد ، وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا ›[1975] .

رأي المازني : قال المازني في شرح البرهان : ‹ لسنا نعني بقولنا : الصحابة عدول كل من رآه - صلى الله عليه وسلم - يوما ما أو زاره يوما ما ، أو اجتمع به لغرض وانصرف عن كثب .. وانما نعني به الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون › .

وقد رد هذا الكلام كثير من العلماء ولم يوافقوا عليه :

قال الحافظ صلاح الدين العلائي :

‹ هو قول غريب ، يخرج كثيرا من المشهورين بالصحبة والرواية عن الحكم بالعدالة كوائل بن حجر ... ›[1976] .

الرأي الثالث :ان الصحابة كغيرهم في لزوم البحث عن عدالتهم مطلقا ، ويرد هذا القول بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية .

الرأي الرابع : انهم عدول الى وقت وقوع الفتن ، واما بعد ذلك فلا بد من البحث عمن ليس ظاهر العدالة منهم .

الرأي الخامس : قول المعتزلة : انهم كلهم عدول ، الا من قاتل علي بن أبي طالب منهم ، فانه ليس بعدل .

رأي آخر يقول : كلهم عدول الا من داخل الفتنة مقاتلا او مقاتلا ..

وكل هذه الأقوال التي تحدد أو تقيد عدالة الصحابة ليست بصواب ، احسانا للظن بهم ، وحملا لهم فيما شر بينهم من خلاف وحروب .

١٩٧٤ اخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - . ومسلم في فضائل الصحابة : ١٨٨/٧ ، باب تحريم سب الصحابة - رضي الله عنهم - - وأبو داود في السنة : ٢٩٧/٤ - ٢٩٨ ، باب النهي عن سب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . والترمذي في المناقب ، باب عمن سب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - . وقال : حسن صحيح : ٣٦٣/١٠ . والخطيب في الكفاية ، ص ٩٥ .

١٩٧٥ مقدمة ابن الصلاح ، ص ٢٦٣

١٩٧٦ التدريب ، ص ٢٠٤

وقول المعتزلة : < قول باطل مرذول ومردود ، وقد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انه قال عن ابن بنته الحسن بن علي - رضي الله عنهما - وكان معه على المنبر : (إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) .. وظهر مصداق ذلك في نزول الحسن لمعاوية عن الأمر بعد موت أبيه علي - رضي الله عنهم - أجمعين >[١٩٧٧] .

فسمي الجميع < مسلمين > وقال تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ... »[١٩٧٨] ، فسماهم < مؤمنين > مع الاقتتال .

إن قوة ايمان الصحابة وكثرة أعمالهم الخيرية ، ما بذلوه من تضحيات في سبيل الله يدل على الاخلاص والنزاهة والصدق والعدالة .. قوم هذه صفاتهم يستبعد الكذب منهم ان لم يكن مستحيلا .

وذكر أنس حديثا فقال له رجل : < أنت سمعت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ ، قال : نعم ، أو حدثني من لا يذكب ، والله ما كنا نكذب ، ولا ندري ما الكذب >[١٩٧٩] .

وقال البراء بن عازب[١٩٨٠] : < ليس كل ما تحدثكم به سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا انا لا نكذب >[١٩٨١] .

ولهذا أطبق علماء السنة على أنهم عدول ، وقالوا بمن ينقضهم زنديق .

وقال الامام أبو زرعة الراوي : < اذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاعلم انه زنديق .

* **متى بدأ الوضع في الحديث :**

بعد الاستشهاد بالأدلة القاطعة التي تقف أمام النفوس المريضة الذين في قلوبهم مرض ، ان الصحابة الكرام هم المجتمع المثالي الذين حفظهم الله من الكذب بدليل شهادة القرآن الكريم والسنة المطهرة ..

١٩٧٧ الوسيط في علوم ومصطلح الحديث ، د . أبو شهبة ، ص ٥٠٤

١٩٧٨ الحجرات : ٩

١٩٧٩ الكامل ، لابن عدي : ٥١/١

١٩٨٠ هو : الصحابي البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الأوسي أبا عمارة ، نزل الكوفة وابتنى فيها دارا ، توفى سنة ٧٢ هـ ، له ترجمة في الاستيعاب : ١٣٩/١ .

ولا بد أن نجيب على سؤال متى بدأ الوضع في الحديث ؟ .

فقد اختلف الباحثون والعلماء ، كل قد أدلى بدلوه على حسب الحجج التي يتمسك بها ، ويدافع بها عن رأيه ، فمنهم صاحب الدليل القوي والحجة الدامغة ينهل من نهر صاف رقراق ، يكون الدليل نورا يضيء له السبيل ، ومنهم من لا دليل ولا حجة له ويريد ان يعرف بالمخالفة كما قيل ‹ خالف تعرف › ، او استند على حجة لا تسعفه للدفاع عن نفسه ، وبقدر مبرراته ينكشف ضعفه ، والآراء التي تشعبت على أقسام مختلفة هي :

(ا) الرأي الراجـــح :

ان الوضع وقع قبيل منتصف القرن الهجري الأول بقليل :

أ – وممن قال بذلك د . عجاج[1982] ، فقد قال :

‹ ويجدر بنا ان نبين وضع الحديث لم يطغ ولم يصل الى ذروته في القرن الأول والثاني . لان أسباب الوضع لم تنشأ الا قبيل منتصف القرن الهجري الأول بقليل ، ولم تكن هذه الأسباب كثيرة ، ولم تزدد الأحاديث الموضوعة الا بازدياد البدع والفتن ، وقد كان الصحابة وكبار التابعين وعلماؤهم في معزل عنها ، ولهذا فانا نستبعد ظهور الوضع قبل الفتنة .

ب – ان الوضع بدأ سنة احدى واربعين بعد الهجرة على عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – حين تنازع المسلمون شيعا واحزابا ، وانقسموا سياسيا الى جمهور وخوارج وشيعة ›[1983] .

ج – ان الوضع بدأ سنة أربعين للهجرة ، وكان ذلك في عصر صغار الصحابة وكبار التابعين[1984] .

ولقد أيد هذا الرأي كثير من العلماء ، وهو ان الوضع قوع بعد الفتنة التي نشبت بين المسلمين ففرقت كملتهم ، ومزقت جمعهم ، ومن هؤلاء الدكتور مصطفى السباعي[1985] – رحمه الله – ، والدكتور أبو زهو[1986] ، والدكتور النازي[1987] ، والدكتور أبو شهبة[1988] .

١٩٨٢ المختصر الوجيز في علوم الحديث ، د . عجاج ، ص ٢٥٠

١٩٨٣ المصدر السابق .

١٩٨٤ علوم الحديث ومصطلحه ، د . صبحي ، ص ٢٦٦

١٩٨٥ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، د . مصطفى السباعي ، ص ٧٦

١٩٨٦ الحديث والمحدثون ، ابو زهو ، ص ٤٨٠

١٩٨٧ محاضرات في علوم الحديث : ١/٤٨٣ – ١٨٤

١٩٨٨ الاسرائيليات والموضوعات ، ص ٣٢ – ٣٣

وقد استشهد بعض هؤلاء العلماء بتحديد هذا التاريخ بقصة عبدالله ابن سبا اليهودي ، حيث قال : < انه كان الف نبي ، ولكل نبي وصي ، وكان علي وصي محمد - صلى الله عليه وسلم ، ومحمد خاتم الأنبياء ، وعلي خاتم الأوصياء ... أن عثمان أخذها - أي الخلافة - بغير حق ، وهذا وصي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانهضوا في هذا الأمر فحركوه >[١٩٨٩] .

من هذا يتبين انه وضع حديث : < لكل نبي وصي ، ووصي محمد علي > .

وهذا هو الدليل الراجح الذي يقدم على جميع الأدلة من ناحية تحديد الوضع ، وهو الصحيح ، الذي تؤيده الأدلة النقلية من الكتاب والسنة .

ولقد كان السلف الأول لا يعرف الكذب ، وكانت الثقة تامة بينهم ، ثم دخلت الشكوك بينهم بعد وقوع الفتنة ، ومن الأدلة على ذلك :

- قال ابن سيرين[١٩٩٠] أو ابن عباس : < لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر الى أهل السنة ، فيؤخذ حديثهم ، وينظر الى أهل البدع ، فلا يؤخذ حديثهم >[١٩٩١] .

هذا التحفظ الشديد والحيطة تدل على ان الأمر تغير ، وان الكذب أخذ يسري في الناس ، لينصر أصحاب البدع بدعهم .

- قال طاووس[١٩٩٢] : جاء هذا الى ابن عباس - يعني بشير بن كعب[١٩٩٣] - فجعل يحدثه ، فقال ابن عباس : عد لحديث كذا وكذ ، فعادله ، ثم حدثه ، فقال له : عد لحديث كذ وكذا فعادله ، فقال له : لا أدري أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا ، أم أنكرت حديثي كله ، وعرفت هذا . فقال ابن عباس -

١٩٨٩ تاريخ الطبري : ٣٤٠/٤ - ٣٤١ . والكامل في التاريخ ، لابن الأثير : ٧٧/٣ . والبداية والنهاية : ١٧٣/٧

١٩٩٠ هو : محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر أبي عمرة البصري ، المتوفي سنة ١١٠ هـ ، بعد موت الحسن البصري بمائة يوم ، وهو ثقة ، ثبت ، مأمون ، عالي القدر ، كثير العلم والمعرفة ، له ترجمة طبقات الحفاظ : ٣١/٤ - ٣٢ .

١٩٩١ أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه : ١١/١ ، واللفظ له . المجروحين لابن حبان : ٨٢/٢ . المحدث الفاصل للرامهرمزي ، ص ٢٠٩ . تاريخ ابن معين : ٣٣٨/١ . الكفاية ، لخطيب ، ص ١٩٧ . واللسان : ٧/١ .

١٩٩٨ ابن عديس : هو عبدالرحمن بن عديس الذي اشترك في مقتل عثمان. تاريخ الطبري : ٤٩/١

: < ألا إن عثمان أضل من عبيده على بعلها >[١٩٩٩] ، فأخبرت عثمان ، فقال : كذب والله ابن عديس ما سمعها من ابن مسعود ولا سمعها ابن مسعود من رسول الله - صلي الله عليه وسلم - قط[٢٠٠٠] .

فلعل ابن عديس هذا كان أول من وضع في الحديث ، وقد حدث ذلك في خلافة عثمان - رضي الله عنه -[٢٠٠١] .

هذا الحديث يدل علي ان بذور الوضع غرست في زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، ثم غذيت هذه البذور وسقيت من قبل أصحاب النفوس الضعيفة والمريضة من المنافقين والحاقدين والجهلة ، فأبت ان تنصهر في البناء الاسلامي الجديد او تأخذ سبيلها في اطاره ، فكانت النتيجة ان اثمرت وأتت اكلها .. ولقد تناول هذا الحديث العلماء بالتحقيق والتحليل والتمحيص ، وقد أدلى كل منهم بدلوه .. فقال :

- الحافظ بن عراق قال : < وصدق عثمان - رضي الله عنه - ان هذا من تخرص ابن عديس >[٢٠٠٢] .

- قال الذهبي : < لا يدري فمن أخذه ابن أبي الدنيا ، وابن لهيعة مع ضعفه فيه تشيع قوي ، او قد افتراه ابن عديس >[٢٠٠٣] .

- وقال ابن الجوزي : < هذا حديث لا نشك في انه كذب ، ولسنا نحتاج الى الطعن في الرواة ، وانما هو من تخرص ابن عديس >[٢٠٠٤] .

- وقال الامام السيوطي : < صدق عثمان هذا من كذب ابن عديس >[٢٠٠٥] .

بعد ان تحدث العلماء عن ابن < عديس > وقالوا فيه قولتهم ، وكذلك نظر العلماء الى سند الحديث فقال :

ان في السند عبدالله بن لهيعة فقال كل عالم عنه ما يعرف بالآتي :

- قال ابن مهدي : < لا أعتد بشيء سمعته من حديث ابن لهيعة الا سماع ابن المبارك ونحوه >[٢٠٠٦] .

١٩٩٩ في اللآلىء : ٣١٨/١ . الموضوعات ، لابن الجوزي : ٣٣٥/١ عيبة على فعلها . وفي تنزيه الشريعة : ٣٤٩/١ . تلخيص الموضوعات ، للذهبي : ١٠٧/١ عيبة على قفلها .

٢٠٠٠ اخرجه ابن الجوزي في الموضوعات : ٣٣٥/١ . وابن عراق في تنزيه الشريعة : ٣٤٩/١ . تلخيص الموضوعات ، للذهبي : ١٠٧/١

٢٠٠١ بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، ص ٢١

٢٠٠٢ تنزيه الشريعة ، ص ٣٥٠

٢٠٠٣ تلخيص الموضوعات : ١٠٧/١

٢٠٠٤ الموضوعات : ٣٣٥/١

٢٠٠٥ اللآلىء المصنوعة : ٣١٨/١

٢٠٠٦ الميزان : ٤٧٦/٢ . التهذيب : ٣٧٥/٥ . الجرح والتعديل : ١٤٦/٢٢ .



- ضعفه النسائي[٢٠٠٧] . وقال الجوزجاني[٢٠٠٨] : < لا نور على حديثه ، ولا ينبغي ان يحتج له >[٢٠٠٩] .

- وقال ابن معين : < ضعيف قبل ان تحترق كتبه ، وبعد احتراقها .. وقال : ليس بقوي[٢٠١٠] ، وقال : لا يحتج بحديثه >[٢٠١١] .

- ويحيى بن سعيد القطان : < انه كان لا يراه شيئا >[٢٠١٢] .

- وقال ابن وهب : < كان ابن لهيعة صادقا . وفي رواية انه قال : حدثني الصادق البار ، والله ، عبدالله بن لهيعة >[٢٠١٣] .

- قال احمد بن صالح[٢٠١٤] : < كان ابن لهيعة صحيح الكتاب ، طالبا للعلم >[٢٠١٥] .

- قال ابو عبدالله الحاكم : < لم يقصد الكذب ، وانما حدث من حفظه ، بعد احتراق كتبه ، فاخطأ >[٢٠١٦] .

- وقال ابن خزيمة : < وابن لهيعة ، لست مما أخرج حديثه في هذا الكتاب ، اذا انفرد ، وانما أخرجته لان معه جابر بن اسماعيل >[٢٠١٧] .

- قال ابو حاتم : < ضعيف مضطرب ، أمره يكتب حديثه على الاعتبار >[٢٠١٨] .

بعد هذه الجولة السريعة في طرق سند الحديث ، ورأي العلماء فيه ، نجده لا يرتقى الى الصحة ، وعند النظر الى جميع طرائقه نجده ضعيفا ،

٢٠٠٧ المتروكين ، ص ٢٩٥

٢٠٠٨ هو : الحافظ ابو اسحاق ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، شيخ النسائي ، المتوفي سنة ٢٤٢ هـ ، له ترجمة في التقريب : ١/٥٥

٢٠٠٩ التهذيب : ١/٥٥ ، الميزان : ٢/٤٧١

٢٠١٠ التهذيب : ٥/٣٧٨

٢٠١١ الميزان : ٢/٤٧٥ ، التهذيب : ٥/٣٧٨ ، وتاريخ ابن معين : ٢/٣٢٧

٢٠١٢ التهذيب : ٥/٣٧٤ ، الجرح والتعديل : ٢/٢/١٤٦ ، الميزان : ٢/٤٧٦ ، البخاري في التاريخ الكبير : ١/٣/١٨٢ ، والصغير ، ص ١٩٥ ، الضعفاء الصغير : ص ٢٢٦

٢٠١٣ الميزان : ٢/٤٧٥

٢٠١٤ هو : احمد بن صالح أبو جعفر ، الحافظ ، الثقة ، تكلم فيه النسائي ، واتفق الحافظ علي ان كلامه فيه تحامل ولا يقدح كلام أمثاله فيه ، كذا قال الجليل في الأرشاد : ٣/٥٥ ، توفي سنة ٢٤٨هـ ، له ترجمة في طبقات الحفاظ ، ص ٢١٦

٢٠١٥ الميزان : ٥/٤٧٥

٢٠١٦ الميزان : ٢/٤٧٨

٢٠١٧ التهذيب : ٥/٤٧٧

٢٠١٨ التهذيب : ٥/٣٧٨

وعلى هذا الاساس لا يمكن ان نعتمد على هذا الحديث باثبات الوضع في زمن الخليفة عثمان - رضي الله عنه - وانما نستشف ، ان ضعفا في النفوس قد سرا ، وان الوازع الايماني قد قلت شفافيته لرؤية الحقائق الايمانية على مستوى الصفاء الاول .

(٣) **الرأي المـــــردود :**

ان الوضع حدث في عهد الصحابـــة ..

أصحاب هذا الرأي لا سند لرأيهم ، ولا دليل يسعفهم ، وانما هو قول يدل على التعصب او الجهل ، او الحقد والخبث ، او على تأويل حديث لا يدرك ابعاد تفسيره .

ومن هؤلاء الذين قالوا بذلك : الشيعة[٢٠١٩] ، والاستاذ احمد امين[٢٠٢٠] ، والامام ابن تيمية[٢٠٢١] ، والامام ابن حزم[٢٠٢٢] ، والدكتور ابو زهو[٢٠٢٣] ..

ولقد قال هؤلاء بأن الكذب في الحديث بدا في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - واستدلوا بحديث : (من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) .. وقالوا ان هذا الحديث يدل على حادثة زور وقعت .

ولقد استند هؤلاء على حجج وردت من طرق منها :

- الأول : طريق الوازع بن نافع بن أبي سلمة عن أسامة بن زيد[٢٠٢٤] قال : (من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) ذلك انه بعث رجلا في حاجة ، فكذب عليه ، فدعا عليه ، فوجده ميتا لم تقبله الأرض[٢٠٢٥] .. وفي رواية : (من يقول عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار) وذلك انه بعث رجلا فكذب عليه ، فدعا عليه ، فوجده ميتا قد انشق بطنه ، ولم تقبلـــــه الأرض[٢٠٢٦] .

يسلم السند في الروايتين ثلاث علل قادحة :

٢٠١٩ الموضوعات في الآثار والأخبار ، هاشم معروف الحسيني ، ص ٩٣

٢٠٢٠ فجر الاسلام ، ص ٢١١ . السنة ومكانتها ، ص ٢١٥ - ٢١٨

٢٠٢١ الصارم المسلول ، ص ١٦٥ - ١٧٤

٢٠٢٢ الأحكام في أصول الاحكام : ٢/١٣٥

٢٠٢٣ الحديث والمحدثون ، ص ٤٨٠

٢٠٢٤ ترجمة حياة اسامة بن زيد : هو الصحابي اسامة بن زيد بن حارثة الكلبي ، أمه أم أيمن حاضنة النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو وأيمن اخوان لأم ، وهو مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وكان يسمى حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . الاستيعاب : ١/٣٤ . الاصابة : ١/٤٦

٢٠٢٥ الموضوعات ، لابن الجوزي : ١/٨٣ - ٨٤ . الصارم المسلول ، ص ١٦٧ .

٢٠٢٦ التقريب : ١/٤٧٩

١ - عبدالرحمن بن رافع التنوخي قاضي افريقية ضعيف[٢٠٢٧] .
٢ - على بن ثابت الجزري صدوق ، ربما أخطأ ، وقد ضعفه الأزدي[٢٠٢٨] .
٣ - الوازع بن نافع بن أبي سلمة ، قال فيه البخاري منكر الحديث[٢٠٢٩] ، وقال ابن حبان : كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات على قلة روايته[٢٠٣٠] ، وقال النسائي : متروك الحديث[٢٠٣١] ، وقال ابن معين : ليس بثقة[٢٠٣٢] ، وكذا الامام احمد[٢٠٣٣] .

فالحديث درجته بين الضعيف والمتروك ومنكر وموضوع ..

وعلى هذا الاساس ، فان الحديث لا تقوم به حجة لاثبات الوضع في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

- الطريقة الثانية : عن طريق عبدالله بن محمد بن الحنفية[٢٠٣٤] ، وقال : انطلقت مع أبي صهر لنا من اسلم من اصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم ، فسمعته يقول : (سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (أرحنا بها يا بلال ، الصلاة)[٢٠٣٥] قال ، قلت : أسمعت هذا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ فغضب وأقبل يحدثهم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث رجلا الى حي من أحياء العرب ، فلما أتاهم ، قال لهم : ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمرني ان احكم في نسائكم بما شئت ، فقالوا : سمعا وطاعة لامر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعثوا رجلا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ان فلانا جاءنا فقال : ان النبي - صلى الله عليه وسلم - أمرني ان احكم في نسائكم ، فان كان من امرك فسمعا وطاعة ، وان كان غير ذلك فاحببنا

٢٠٢٧ المصدر السابق .

٢٠٢٨ التقريب : ٣٢/٢

٢٠٢٩ التاريخ الكبير : ١٨٣/٤/٢ . الضعفاء الصغير ، ص ١١٧ . الميزان : ٢٦٦/٣

٢٠٣٠ المجروحين : ٨٣/٣

٢٠٣١ المتروكين ، ص ١٠٣ . الميزان : ٢٦٦/٣

٢٠٣٢ المجروحين ، لابن حبان : ٨٣/٣ . الميزان : ٢٦٦/٣ .

٢٠٣٣ الضعفاء ، للعقيلي ، ص ٢٢٥

٢٠٣٤ ابن الحنفية : هو عبدالله بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ابن الحنفية كنيته أبو هاشم ، ثقة ، المتوفي سنة ٩٩ هـ ، وابو محمد بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهو ابن الحنفية ، كنيته ابو القاسم ، المتوفي سنة ٨٠ هـ ، وهو ثقاة ، عالم ، له ترجمة في تاريخ ابن معين : ٥٣١/٢ . والتقريب : ١٩٢/٢

٢٠٣٥ المسند ، للامام احمد : ٣٦٤/٥ . تاريخ بغداد ، للخطيب : ٤٤٤/١٠

ان نعلمك ، فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعث رجلا من الانصار وقال : اذهب فاقتله واحرقه في النار ، فانتهى اليه ، وقد مات وقبر ، فامر فنبش ثم احرقه بالنار ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من كذب عليٌ متعمدا ، فليبتوأ مقعده من النار) ، قال : تراني كذبت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد هذا ›[٢٠٣٦] أ.هـ.

في هذا الطريق : أبو حمزة الشمالي ، واسمه ثابت بن أبي صفية ، اسم أبيه دينار ، أطبق علماء الجرح والتعديل على وهيه . وقال الامام احمد كان ضعيف الحديث ليس بشيء[٢٠٣٧] ، وقال الذهبي في الكاشف ضعفوه[٢٠٣٨] ، وقال في المغني : واهي جدا[٢٠٣٩] ، وقال الجوزجاني : واهي الحديث[٢٠٤٠] ، وقال ابن حبان : كثير الوهم في الاخبار .. حتى خرج عن حد الاحتجاج به ، اذا انفرد مع علو في تشيعه[٢٠٤١] ، وقال ابو حاتم : لين الحديث[٢٠٤٢] ، وقال النسائي : ليس بثقة[٢٠٤٣] ، ومرة قال : ليس بالقوي[٢٠٤٤] . وقال ابن معين : ليس بشيء[٢٠٤٥] ، ومرة قال : ليس بذاك[٢٠٤٦] ، ومرة قال : وكان ضعيفا[٢٠٤٧] ، قال الحافظ : كوفي ضعيف رافضي[٢٠٤٨] ، وقال يزيد بن هارون : كان يؤمن بالرجعة[٢٠٤٩] .

هذه الرواية ضعيفة جدا ولا يجوز الاستشهاد بها على ان الكذب على حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد وقع في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

٢٠٣٦ اخرجه الطبراني في الكبير ، وفيه ابو حمزة الثمالي ، وهو ضعيف واهي الحديث . الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٤٥/١

٢٠٣٧ الميزان : ١٦٩/١ . التهذيب : ٧/٢

٢٠٣٨ الكاشف ، للذهبي : ١٧١/١

٢٠٣٩ المغني ، للذهبي : ١٢٠/١

٢٠٤٠ التهذيب : ٧/٢

٢٠٤١ المجروحين ، لابن حبان : ٢٠٦/١ . التهذيب : ٨/٢

٢٠٤٢ الميزان ١٦٩/١ . التهذيب : ٧/٢

٢٠٤٣ الميزان : ١٦٩/١ . التهذيب : ٧/٢

٢٠٤٤ المتروكين ، للنسائي ، ص ٢٧

٢٠٤٥ تاريخ ابن معين : ٦٩/٢ . التهذيب : ٧/٢

٢٠٤٦ الضعفاء ، للعقيلي لوجه ٣٣

٢٠٤٧ المجروحين ، لابن حبان : ٢٠٦/١

٢٠٤٨ تقريب التهذيب : ١١٦/١

٢٠٤٩ التهذيب : ٧/٢ . معرفة علوم الحديث ، للحاكم ، ص ١٣٧

وكل رواية وردت لاثبات الوضع انه قد وقع في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا تثبت عند التحليل العملي عند وزنها بميزان الجرح والتعديل ..

واقول اخيرا كما قلت أولا في العنوان < الرأي المردود > انه هذا الرأي مردود جملة وتفصيلا .. والحمد لله رب العالمين .

- - - - - - - - - - -

الفصل الثانـــي

طرق القضاء على الوضـــــــع

المبحث الأول

طريقة الوقاية من الوضع :

(الاعتصام بالكتاب والسنـــة)

إن الاعتصام بالكتاب والسنة هو الحبل المتين والنور المبين ، وهو الواقي والحافظ من كل الاعمال السيئة ، فهو سد منيع ، يعيش المسلم في ظله بأمان واستقرار ، بعيدا عن تلوث النفس بالآثام ، فالله سبحانه وتعالى هو يحمي عبده عندما يكون العبد ملتزما بأوامره ، ومنتهيا عن نواهيه ، وقد جعل الله سبحانه وتعالي لهذه الوقاية والحماية ، مخازن للتزود منها ، وهي التقوى والعمل الصالح .

قال تعالي : « يا أيها الذين أمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ، ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم »[٢٠٥٠] .

وقال تعالي : « إن الذين أمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ، تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم »[٢٠٥١] .

وان مصادر التقوى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وان على من يحب ان يلتزم بالخير ويعمل الصالحات ان يدخل البيوت من أبوابها .. فالقرآن الكريم مصدر هداية ونور .. قال تعالى : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم »[٢٠٥٢] .

فالهداية حاجز متين لا تستطيع الأكاذيب ان تتخطاه ، وقال تعالـــى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن ، نقيض له شيطانا فهو له قرين ، وانهم ليصدونهم عن السبيل ، ويحسبون أنهم مهتدون »[٢٠٥٣] .

٢٠٥٠ الأنفال : ٢٩

٢٠٥١ يونس : ٩

٢٠٥٢ الإسراء : ٩

٢٠٥٣ الزخرف : ٣٦

فكل انسان يبتعد عن ذكر الرحمن والصلة بالله يكله الى نفسه الى ضعف وعجز وهوان .. ولهذا قيل : ‹ من طابت نفسه طاب عمله › ، ومن لم يكن طاهر النفس ، لم يكن طاهر القول والفعل ، فكل إناء بالذي فيه يرشح[٢٠٥٤] .

ولقد اهتم الجيل الأول بتربية أنفسهم على الكتاب والسنة ، فنور الله قلوبهم ، والهمهم التوفيق والسداد في عملهم ، وبارك الله بأعمارهم .. فإن الامام البخاري خطط لجامعه العظيم وكتب أصوله في الروضة النبوية الشريفة ، فكان وهو في ذلك المناخ الروحي الرفيع يستلهم التوفيق من الله كي لا يخرج المجروح[٢٠٥٥] .

فهذه التقوى بشمولها وكمالها ونقائها وصفائها لها روافدها ..هي :

١ - **الاستقامة :**

معناها المداومة ، وقيل الاستقامة ان لا تختار على الله شيئا[٢٠٥٦] .

قال العلماء ، معنى الاستقامة : لزوم طاعة الله تعالي ، قالوا : وهي من جوامع الكلم ، وهي نظام الأمور ، وبالله التوفيق[٢٠٥٧] .

والآيات التي وردت عن الاستقامة كثير .. منها :

قال الله تعالى : « فاستقم كما أمرت »[٢٠٥٨] .

وقال تعالي : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون[٢٠٥٩] ، نزلا من غفور رحيم »[٢٠٦٠] .

وقال تعالى : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون »[٢٠٦١] .

٢٠٥٤ الذريعة ، ص ٣٦

٢٠٥٥ الجرح والتعديل ، ابو لبابة حسين ، ص ١٠٧

٢٠٥٦ التعريفات ، للجرجاني ، ص ١٣

٢٠٥٧ رياض الصالحين ، للنووي ، ص ٧٢

٢٠٥٨ هود : ١١٢

٢٠٥٩ تدعون : تطلبون .

٢٠٦٠ فصلت : ٣٠ - ٣٢

٢٠٦١ الأحقاف : ١٣ - ١٤

قال بعض العارفين : مرجع الاستقامة الى أمرين ، صحة الايمان بالله ، واتباع ما جاء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ظاهرا وباطنا[٢٠٦٢] .

وقال عمر - رضي الله عنه - الاستقامة ان تقوم على الأمر والنهي ولا تروغ عنه روغان الثعلب[٢٠٦٣] .

والمراد الاستقامة على التوحيد الكامل ، واتباع الكتاب والسنة .. ومن الأحاديث النبوية التي وردت عن الاستقامة :

- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لابن عباس - رضي الله عنه : (يا غلام ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ... الخ)[٢٠٦٤] .

- وعن أبي عمرو ، وقيل أبي عمرة سفيان بن عبدالله - رضي الله عنه - قال : قلت يا رسول الله ، قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك ؟ قال : (قل : أمنت بالله ثم استقم)[٢٠٦٥] .

فمن النظر الى الآيات القرآنية التي تبشر اصحاب الاستقامة بجنات ، وعدم الخوف ، وأن الله وليهم في الحياة الدنيا ، ومن أن الله سبحانه وتعالي يحفظهم ، فكل هذه الصفات التي يتمتعون فيها تكون لهم حصنا مانعا من الكذب في الأحاديث النبوية ، لان الكذاب لا حماية له .

٢ - الإخلاص في العمل :

قال تعالى : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة »[٢٠٦٦] .

وقال تعالى : « قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله »[٢٠٦٧]

وقال تعالى : « فمن كان يرجو لقاء ربه ، فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »[٢٠٦٨] .

٢٠٦٢ دليل الفالحين ، للصديقي ، ج ٢ ص ٣٧

٢٠٦٣ المصدر السابق .

٢٠٦٤ رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح (دليل الخيرات ، ص ١٢٢) .

٢٠٦٥ رواه مسلم ، ٣٨

٢٠٦٦ البينة : ٥

٢٠٦٧ آل عمران : ٢٩

٢٠٦٨ الكهف : ١١٠

والاخلاص : التعري عما دون الله تعالى ..

وقال الاستاذ ابو القاسم القشيري : (الاخلاص افراد الحق سبحانه وتعالي في الطاعات بالقصد ، وهو ان يريد بطاعته التقرب الى الله دون شيء أخر من تصنع لمخلوق ..)[٢٠٦٩] .

ويقال : الاخلاص تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين ، واحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة – أي الظاهرة – ، والأعمال والأقوال والأحوال الخفية .

وقال عمر – رضي الله عنه – : اللهم اجعل عملي كله صالحا ، واجعله لوجهك خالص ، ولا تجعل لاحد فيه شيئا[٢٠٧٠] .

والعمل الصالح هو الاحسان ، وهو فعل الحسانا ، وهو ما أمر الله به ، وهو الذي شرعه الله ، والموافق لكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – .

فقد أخبر الله تعالى انه من اخلص قصدا لله ، وكان محسنا في عمله ، فانه مستحق للثواب ، سالم من العقاب ، فمن كان هذا حاله وتلك صفته فلن يلوث بوضع الحديث ، ويكون سالما من هذا المرض .

وان صادق النية لوجه الله اذا دعا الله سبحانه يستجيب له .. والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها أصحاب الغار .. نصها :

(انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا الى غار فدخلوه ، فانحدرت عليهم صخرة ، فسدت عليهم الغار ... الخ)[٢٠٧١] .

والحديث بطوله ان مجمل ما فيه أن كل نفر دعا الله متوسلا بخالص عمله ، فانفجرت الصخرة لكل واحد واستطاعوا الخروج .. فالله سبحانه وتعالى يستجيب لصاحب العمل الخالص ، لوجه الله ، وينجيه من كل سوء .

٣ - التوكل على الله :

قال الله تعالى : « وعلي الله فليتوكل المؤمنون »[٢٠٧٢] ..

وقال تعالى : « فإذا عزمت فتوكل على الله »[٢٠٧٣] ..

٢٠٦٩ دليل الفالحين : ٣٤/١/١

٢٠٧٠ الاستقامة ، لابن تيمية ، ج ٢ ص ٣٠٨

٢٠٧١ رواه البخاري : ٢٤٠/٤ ، ٣٦٩ و ١٢/٥ و ٣٦٧/٦ ، ٣٣٨/١٠ ، وورواه مسلم ٢٧٤٣

٢٠٧٢ ابراهيم : ١١

٢٠٧٣ آل عمران : ١٥٩

وقال تعالي : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه »[٢٠٧٤] ..

ويقال عن قوله تعالي : « حسبنا الله ونعم الوكيل »[٢٠٧٥] : فإن قائلها ينقلب بأربع خصال :

الأولى : تفاض عليه النعم .

الثانية : يعطى الفضل .

الثالثة : يحفظ من كل سوء .

الرابعة : يهدى الى اتباع رضوان الله وصراطه المستقيم .

كما قال الله تعالي : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبو بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم »[٢٠٧٦] .

والأحاديث النبوية في هذا الباب كثيرة .. منها :

عن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : من قال عندما يخرج من بيته : (بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة الا بالله . يقال له : هديت ، وكفيت ، ووقيت ، وتنحى عنه الشيطان)[٢٠٧٧] .

عن أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان اذا خرج من بيته قال : (بسم الله ، توكلت على الله ، اللهم اني اعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل عليَّ)[٢٠٧٨] .

وقالت طائفة عن التوكل : ‹ هو الثقة بالله ، والايقان بأن قضاءه نافذ ، واتباع سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ›[٢٠٧٩] .

وقال سهل بن عبدالله : ‹ التوكل في الاسترسال مع الله على ما يريد › .

وقال ابو عثمان الحيري : ‹ التوكل : الاكتفاء بالله تعالي ، مع الاعتماد عليه ›[٢٠٨٠] .

٢٠٧٤ الطلاق : ٣

٢٠٧٥ آل عمران : ١٧٣

٢٠٧٦ آل عمران : ١٧٣

٢٠٧٧ رواه ابو داود ، رقم ٥٠٩٥ ، والترمذي ، رقم ٣٤٢٢ ، والنسائي وغيرهم .

٢٠٧٨ رواه ابو داود ، رقم ٥٠٩٤ ، والترمذي ، رقم ٣٤٢٣

٢٠٧٩ دليل الفالحين : ٤/٢/١

٢٠٨٠ المصدر السابق .

وقيل عن معنى : (لا حول ولا قوة الا بالله) أي : لا حول عن معصية الله ، ولا قوة على طاعة الله ، إلا بعون الله[٢٠٨١] .

وأقول ان التوكل على الله يكفيه الله سبحانه وتعالى كل شيء ، أي ان يوفقه الى الخير ، ويمنع عنه كل شر . والله على كل شيء قدير ..

٤ - كثرة الذكـــــر :

قال الله تعالي : « فاذكروني اذكركم »[٢٠٨٢] .

وقال سبحانه وتعالى : « واذكر الله كثيرا لعلكم تفلحون »[٢٠٨٣] .

وقال جل شأنه : « والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »[٢٠٨٤] .

والآيات القرآنية كثير عن فضل الذكر ..

واما الأحاديث النبوية ، منها :

- قال - عليه الصلاة والسلام - : (من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو علي كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب[٢٠٨٥] ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر منه)[٢٠٨٦] متفق عليه .

- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)[٢٠٨٧] .

قيل معني كفتاه : ‹ أجزأتاه عن قيام الليل ، وقامتا مقامه › ، أو دفعتا عنه كل شر وآفة ومصيبة قد تكون في تلك الليلة . أو أن فيهما من الثواب والأجر ما يكتفي به لعظمه وجزالته ، أو كفتاه من شر الشياطين أو شر الثقلين أو أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد لما اشتملت عليه من الايمان والاعمال[٢٠٨٨] .

اجمالا : ‹ ولا مانع من ارادة هذه الأمور جميعها ، لما تقرر في علم

٢٠٨١ المصدر السابق : ٣٤/٢/١

٢٠٨٢ البقرة : ١٥٢

٢٠٨٣ الجمعة : ١٠

٢٠٨٤ الأحزاب : ٣٥

٢٠٨٥ عدل عشر رقاب ، أي : في ثواب عتقها .

٢٠٨٦ رواه البخاري : ١١/١٦٨ - ١٦٩ . ومسلم ٢٦٩١ ،وأخرجه مالك في الموطأ : ٢٠٩/١ . والترمذي ٣٤٦٤

٢٠٨٧ اخرجه البخاري ومسلم عن كتاب الأذكار وأثرها في حياة المؤمن ، د . عبدالرحمن ، ص ٤٢

٢٠٨٨ الأذكار وأثرها في حياة المؤمن ، د . عبدالرحمن ، ص ٤٢

المعاني من أن حذف المتعلق مشعر بالتعميم ›[٢٠٨٩] .

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان الي الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم)[٢٠٩٠] متفق عليه .

- وعن عثمان - رضي اله عنه - قال : قال رسول الله - صلي الله عليه وسلم - : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[٢٠٩١] .

قال الرازى المراد بذكر اللسان : ‹ الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والذكر بالقلب والتفكر في أدلة الذات والصفات ... ›[٢٠٩٢] .

وقال سعيد بن جبير : ‹ فكل من لازم الطاعات من الذاكرين الله كثيرا ›[٢٠٩٣] .

فالذكر سلاح بتار للقضاء على الوضع ، لان فيه الفلاح والاطمئنان ، ونور القلب ، وحماية الرب ، والمغفرة والرضوان ، فكيف يستطيع الشيطان ان ينفذ اليه .

٥ - **كثرة الدعــــاء :**

ففي القرآن الكريم ورد الحث على الدعاء والترغيب على فعله .. قال تعالى : « ادعوني استجب لكم »[٢٠٩٤] .

وقال تعالى : « ادعو ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين »[٢٠٩٥] .

وقال تعالى : « واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان »[٢٠٩٦] .

٢٠٨٩ التحفة ، ص ٧٧

٢٠٩٠ رواه البخاري : ١١/١٧٥ ، ومسلم ٢٦٩٤ ، وأخرجه الترمذي رقم ٣٤٦٣

٢٠٩١ رواه البخاري ، رقم ٥٠٢٧

٢٠٩٢ دليل الفالحين ، ج ٧ ص ٢٢٦

٢٠٩٣ المصدر السابق .

٢٠٩٤ غافر : ٦٠

٢٠٩٥ الأعراف : ٥٥

٢٠٩٦ البقرة : ١٨٦

والأحاديث في هذا الباب كثير .. منها :

وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم قال : (الدعاء هو العبادة)[٢٠٩٧] .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - ، ان النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول : (اللهم اني أسألك الهدى ، والتقى ، العفاف ، والغنى)[٢٠٩٨] .

وعن عائشة - رضي الله عنها - ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول في دعائه : (اللهم اني اعوذ بك من شر ما عملت ، ومن شر ما لم أعمل)[٢٠٩٩] .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال ، كان من دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (اللهم اني أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل اثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار)[٢١٠٠] .

لقد من الله على المؤمنين بمناعة يقاوم بها العبد الأهواء والضلالة والشر والفساد وهو الدعاء ، ووعد الله عباده بالاجابة ، وهو القادر والعادل .

٦ - كثرة الاستغفار :

فقد ورد الاستغفار في القرآن الكريم ، وحث سبحانه عباده عليه :

قال تعالى : « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات »[٢١٠١] .

وقال تعالى : « واستغفر الله ، ان الله كان غفورا رحيما »[٢١٠٢] .

وقال تعالى : « فسبح بحمد ربك واستغفره ، انه كان توابا »[٢١٠٣] .

وقال سبحانه وتعالى : « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما »[٢١٠٤] .

٢٠٩٧ رواه ابو داود ، رقم ١٤٧٩ . والترمذي ، رقم ٢٩٧٣

٢٠٩٨ رواه مسلم ، ٢٧٢١

٢٠٩٩ رواه مسلم ، ٢٧١٦

٢١٠٠ رواه الحاكم في المستدرك : ٥٢٥/١ . وقال حديث صحيح على شرط مسلم .

٢١٠١ محمد : ٩

٢١٠٢ النساء : ١٠٦

٢١٠٣ النصر : ٣

٢١٠٤ النساء : ١١٠

وقال جل شأنه : « ... وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ، وما كان معذبهم وهم يستغفرون »[٢١٠٥] .

وأما الأحاديث التي تخص الموضوع كثيرة .. منها :

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال ، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (والله اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة)[٢١٠٦] .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من لزم الاستغفار ، جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب)[٢١٠٧] .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه قال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من قال : استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب اليه ، غفرت ذنوبه ، وان كان قد فر من الزحف)[٢١٠٨] .

وعن شداد بن أوس - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (سيد الاستغفار ان يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني ، وأنا عبدك ، وأنا علي عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليَّ ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فانه لا يغفر الذنوب الا أنت .. من قالها من النهار موقنا بها ، فمات من يومه قبل ان يمسي ، فهو من أهل الجنة . ومن قالها من الليل ، وهو موقن بها ، فمات قبل ان يصبح ، فهو من أهل الجنة)[٢١٠٩] .

يتبين لنا من الآيات القرآنية ،الأحاديث النبوية أن الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب ، ويرفع البلاء والعذاب ، لمن يكثر الاستغفار ، لا بل انه يكون من أهل الجنة اذا قرأ سيد الاستغفار في النهار وجاء أجله في النهار ، وكذلك اذا قرأ ذلك في الليل ومات فهو من أهل الجنة .

فالذي هو على هذه الشاكلة ، فان الله سوف يحميه من الكذب في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

٢١٠٥ الأنفال : ٣٣

٢١٠٦ رواه البخاري ، رقم ٦٣٠٧

٢١٠٧ رواه ابو داود ، رقم ١٥١٨

٢١٠٨ رواه ابو داود ، رقم ١٥١٧ . والترمذي ، رقم ٣٥٧٧ . والحاكم في المستدرك ٥١١/١ . وقال حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم .

٢١٠٩ رواه البخاري ، رقم ٦٣٠٦

٧ - **كثرة الصلاة والسلام على نبينا ورسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - :**

قال الله تعالى : « إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما »[٢١١٠] .

وقال تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فان تولوا فقل : حسبي الله ، لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم »[٢١١١] .

ووردت أحاديث تحث على الصلاة والسلام على سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - .. منها :

عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - انه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (من صلى عليَّ صلاة ، صلى الله عليه بها عشرا)[٢١١٢] .

وعن أبي بردة بن دينار - رضي الله عنه - قال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من صلى عليَّ من أمتي صلاة مخلصا من قلبه ، صلى الله عليه بها عشر صلوات ، ورفعه بها عشر درجات ، وكتب له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات)[٢١١٣] .

عن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالي عنه - قال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (البخيل من ذكرت عنده ، فلم يصلِّ عليَّ)[٢١١٤] .

فالآية القرآنية « ان الله وملائكته ... » ، فالصلاة من الله سبحانه وتعالى الرحمة ، وبالنسبة الى الملائكة الاستغفار ، والعباد دعاء بعضهم لبعض ، « وسلموا تسليما » أي قولوا : الصلاة والسلام على سيدنا محمد ، أو انقادوا لأوامره[٢١١٥] ..

٢١١٠ الأحزاب : ٥٦

٢١١١ التوبة : ١٢٨ - ١٢٩

٢١١٢ رواه مسلم ، رقم ٣٨٤

٢١١٣ الترغيب والترهيب : ٤٩٦/٢ . ومجمع الزوائد : ١٦٢/١٠ . وقال رواه البزار ، ورجاله ثقات . والمعجم الكبير ، رقم ٥١٣ . ورواه اسحاق بن راهوية في مسنده : ١٧٢/٢ . المطالب العالية النسخة المسندة ، والنسائي في اليوم والليلة ، رقم ٦٥ ص ١٦٧ . والبزار : ٢٩٩/١ . كشف الاستار ، ورواه ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - .

٢١١٤ تحفة الأحوذي : ٥٣١/٩ ، والمسند : ٢٠٢/١ . والنسائي في الكبرى . كما في تحفة الاشراف : ٦٦/٣ . والمستدرك : ٥٤٩/١ . وصححه ووافقه الذهبي . وموارد الظمآن رقم ٢٣٨٨

٢١١٥ دليل الفالحين ، ج ٧ ص ٢١١

ثم فائدة الصلاة تعود عليه - صلى الله عليه وسلم - بالزيادة على ما هو فيه ، لان الكامل يقبل الكمال ، وعلى المصلي بالثواب والامداد ، في الحال والمآب[٢١١٦] .

عند النظر الى الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي ترغب في الصلاة على الرسول - صلى الله عليه وسلم - يستنتج المتمعن بدقة ان الذي يصلي على الرسول بكثرة ، بعيدا عن وضع الأحاديث المكذوبة على الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأن نور القلب وظلمة الكذب لا تجتمعان ، لأن الذي يصلي على الرسول - صلى الله عليه وسلم - يكون قريبا من الله ، والكذاب يكون بعيدا من الله سبحانه وتعالى .

اعتراضات والاجابة عليها :

لا بد من التساؤلات الكثيرة للقارىء الذي يطلع على طريقة الوقاية من الوضع ، لا يقتنع بذلك قناعة كلية ، ويقول : ان كثيرا من الناس قد التزموا بما ذكر ، ولكنهم لم يفلحوا ؟ !!

أقول وبالله التوفيق : ان الذي لم ينجو من الوقوع بالكذب بعد أخذ هذه الوقاية .. ترجع لأسباب .. منها :

١ - انه لم يستخدم السلاح الصحيح ، وهو الوارد بالكتاب والسنة .
٢ - انه لم يكن بذاته صالح لسبب من الأسباب ، اما لأنه لم يأكل الحلال ، ومن شرط اجابة الدعوة ان يبتعد عن الحرام ، كما ورد في الحديث الشريف : (أطب مطعمك ، تستجب دعوتك) .
٣ - أو أن الداعي كل يدعو بظلم أو قطيعة رحم ، فسد ذلك باب الاجابة .
٤ - التعجل في الاجابة ، بان يدعو ثم يقول : < قد دعوت ، فلم يستجب لي >[٢١١٧] .
٥ - ان يعرف الله في الرخاء ، لقوله - صلى الله عليه وسلم - : (من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب ، فليكثر الدعاء في الرخاء)[٢١١٨] .
٦ - أن لا يسأل غير الله : فقد قال - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس : (يا غلام : اني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ...)[٢١١٩] .

٢١١٦ دليل الفالحين ، ج ٧ ص ٢١٢

٢١١٧ كتاب الدعاء ، حسين العوايشة ، ص ٨

٢١١٨ رواه الترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، وهو في صحيح الجامع برقم ٦١٦٦ المجلد الخامس .

٢١١٩ رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح . من كتاب الدعاء ، ص ٩

٧ - ان يسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسني ، قال الله عز وجل : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها »[٢١٢٠] .

٨ - الاعتراف بالذنب : عن شداد بن أوس- رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :(سيد الاستغفار ان يقول العبد : اللهم انت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وانا عبدك ...)[٢١٢١] .

٩ - الدعاء بصالح الأعمال : وقد ورد هذا في حديث الثلاثة ، الذين دخلو الغار ، فانطبقت عليهم الصخرة ، فتوسلوا الى الله بأخلص أعمالهم ، فاستجاب الله دعاءهم .

١٠- ان يراى بذلك الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء[٢١٢٢] ، وكذلك الأماكن[٢١٢٣] .

٢١٢٠ الأعراف : ١٨٠

٢١٢١ رواه البخاري ، عن كتاب الدعاء ، ص ١١

٢١٢٢ سهام الاصابة ، للسيوطي ، ص ١٥

٢١٢٣ المصدر السابق ، ص ٢٦

المبحث الثاني

طريقة مقاومة الوضع :

أ - جهود العلماء لمقاومة الوضـــــــع

لقد هيأ الله سبحانه وتعالى جهابذة من العلماء المخلصين ، وقفوا سدا منيعا امام الوضاعين ، لقد تركوا لذة الدنيا ، وتضلعوا في معرفة السنن الصحيحة ، وخلطت بلحمهم ودمهم ، وصارت لهم فيها ملكة شديدة يعرفون ما يجوز ان يكون من ألفاظ النبوة وما لا يجوز .

وقد روى الخطيب عن الربيع بن خيثم التابعي الجليل قال : ‹ إن للحديث ضوء كضوء النهار يعرف ، وظمة لظلمة الليل تنكر ›[٢١٢٤] .

لقد وصل أحدهم من الدقة لكثرة ممارسته ، حتى قال ابن الجوزي : ‹ الحديث المنكر ، تقشعر منه جلد طالب العلم ، وينفر منه قلبه ›[٢١٢٥] .

ولقد انتاب الناس الخوف والهلع ، وجاؤا الي عبدالله بن مبارك بشأن الأحاديث الموضوعة !! قال : يعيش لها الجهابذة[٢١٢٦] .

ولما أحس الدارقطني بحركة الوضع نادى بأعلى صوته في بغـــداد : ‹ يا أهل بغداد ، لا تظنون أن احدا يقدر ان يكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا حي ›[٢١٢٧] .

ولقد سلك العلماء أساليب عديدة لمحاربة الوضع .. منها :

١ - الإسنــــــاد :

يقول ابن المبارك : ‹ الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء ›[٢١٢٨] .

ويقول ابن المبارك ايضا : ‹ بيننا وبين القوم القوائم ›[٢١٢٩] يعني الاسناد .

٢١٢٤ قواعد التحديث ، ص ١٤٨ . الاسرار المرفوعة ، ص ٤١٦

٢١٢٥ قواعد التحديث ، ص ١٤٨

٢١٢٦ اللآليء المنثورة : ٢/٣ . ومقدمة الموضوعات ، لابن الجوزي : ٤٦/١

٢١٢٧ مقدمة الموضوعات ، لابن الجوزي : ٤٥/١ - ٤٦

٢١٢٨ معرفة علوم الحديث ، ص ٦ . المحدث الفاصل ، ص ٩ . الجرح والتعديل : ١٦/١/١ . وشرف أصحاب الحديث ، ص ٤١ . التدريب : ٣٥٩/١ . العلل الصغير ، للترمذي ، ص ٤٧٦

٢١٢٩ السنة ومكانتها ، د . السباعي ، ص ٩٠

وقال الحاكم : فلولا الاسناد ، وطلب هذه الطائفة له ، وكثرة مواظبتهم علي حفظه لدرس منار الاسلام ، ولتمكن اهل الالحاد والبدع فيه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد ، فان الأخبار اذا تعرت عن وجوه الاسانيد فيها كانت بترا [٢١٣٠] .

ولقد خاص الله سبحانه وتعالي هذه الأمة دون سائر الأمم بعلم الاسناد ، قال ابن حزم : ‹ نقل الثقة عن الثقة مع الاتصال حتى يبلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - ، خص الله به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها ، وابقاه عندهم غضا جديدا › .

تاريخ علم الاسناد :

لم يكن هذا العلم موجودا في الصدر الأول لوجود الثقة بين المسلمين وعدم وجود الكذب ، ولم يكن التابعون يتوقفون عن قبول أي حديث يرويه صحابي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، حتى وقعت الفتنة . وقام اليهودي الخاسر عبدالله بن سبأ بدعوته .. وأخذ الدس على السنة يربو عصرا بعد عصر ، عندئذ بدأ العلماء من الصحابة والتابعين يتحرون في نقل الأحاديث ولا يقبلون منها الا ما عرفوا طريقها وروايتها ، واطمأنوا الى ثقتهم وعدالتهم .

يقول ابن سيرين : ‹ لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر الى أهل السنة ، فيؤخذ حديثهم ، وينظر الى أهل البدع ، فلا يؤخذ حديثهم › [٢١٣١] .

وقد ابتدأ هذا التثبت منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم ، فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن مجاهد أن بشيرا العدوي [٢١٣٢] جاء الى ابن عباس فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كذا ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كذا ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر اليه ، فقال : يا ابن عباس مالي أراك لا تسمع لحديثي ، احدثك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس : انا كنا مرة اذا سمعنا رجلا يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا اليه بآذاننا .

٢١٣٠ معرفة علوم الحديث ، ص ٦

٢١٣١ مسلم ، في المقدمة : ١١/١

٢١٣٢ هو : أبو أيوب البصري بشير بن كعب بن أبي الحميدي العدوي ، ثقة ، مخضرم ، ترجمته في الكاشف : ١٦٠/١ ، والتدريب : ٣٥٨/١

وورد الانكار عن الامام الزهري على اسحاق بن أبي فروة[٢١٣٣] في رواية أحاديث أرسلها ، قال له : قاتلك الله يا ابن أبي فروة ، ما أجرأك على الله لا تسند حديثك ، تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم[٢١٣٤] ولا أزمة[٢١٣٥] .

٢ - القيام بجمع الأحاديث النبوية :

لم يقم السلف الصالح من الجيل الأول من الصحابة - رضي الله عنهم - بتدوين الأحاديث لأسباب :

أ - خشية اختلاط القرآن الكريم في الحديث النبوي .

ب - قوة الحفظ والذاكرة عندهم مما أغنتهم عن الكتابة .

ج - المحافظة على قوة الذاكرة في الحفظ ، وعدم اضعافها بالاتكال على الكتابة .

لم تكن كتابة الحديث معدمة في ذلك العصر ، وانما كان بقدر يسير لا يجوز ان نطلق عليه تدوينا[٢١٣٦] ..

وسارع العلماء واقبلوا على الجمع اقبالا منقطع النظير ، بحيث لم يكد ينتهي القرن الثالث حتى كانت الأحاديث والسنن مجموعة في كتب معتمدة ، كالموطأ للامام مالك ، والمسند للامام احمد بن حنبل ، وصحيح ابن خزيمة ، وصحيح البخاري ، وكذا مسلم ، وسنن ابي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وتهذيب السنن ، والآثار لابن جرير[٢١٣٧] .

ولقد قال ابن شهاب عن نفسه في تدوين علم الحديث ، فقال : ولم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني[٢١٣٨] .

٢١٣٣ هو : ابو سليمان علي بن اسحاق بن أبي فروة آل عثمان بن عفان المدني ، المتوفي سنة ١٤٤ هـ ، كان احمد بن حنبل ينهى عن حديثه ، وقال ابن معين لا يكتب حديثه . انظر ترجمته في المجروحين : ١/١٣١ . والكامل لابن عدي : ١/٢/١١٦ .

٢١٣٤ الخطم : جمع خطام ، وهو الزمام (مختار الصحاح : ص ١٨١) .

٢١٣٥ الأزمة : مفردها زمام ، الزمام : الخيط الذي يشد في البره أو في الخشاش ، ثم يشد في طرفه المقود . وقد يسمى المقود زماما ، كذا في مختار الصحاح ، ص ٢٧٥ .. والمراد : ليس لها ما يثبتها . والأثر ، اخرجه الحاكم في المعرفة ، ص ٦ . وابن حبان في المجروحين : ١/١٣١ - ١٣٢ . وابن عدي في الكامل : ١/٢/١١٦ . ونحوه في الكفاية ، ص ٥٥٦

٢١٣٦ انظر : الرسالة المستطرفة ، ص ٣

٢١٣٧ أصول الحديث ، ص ١٠٠

٢١٣٨ الرسالة المستطرفة ، ص ٤

٣ - الرحلة في طلب الحديث ، والتثبت في الرواية :

ولقد حرص التابعون ، لا بل بعض الصحابة على التنقيب والتتبع لعلم الحديث ، ورحلوا الى مناطق متعددة ، تحملوا المشقات ليسمعوا الأحاديث الثابتة من الرواة الثقاة ..

ويقول سعيد بن المسيب : اني كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد .

ويقول بشر بن عبدالله الحضرمي : < ان كنت لأركب الي المصر من الأمصار في طلب الحديث الواحد لأسمعه >[٢١٣٩] .

ويقول جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - < بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاشتريت بعيرا ، ثم شددت عليه رحلي ، فسرت اليه شهرا ، حتى قدمت عليه الشام ، فاذا عبدالله بن أنيس ... الخ >[٢١٤٠] .

وان يحيى بن يحيى البربري الأصل ، الأندلسي النشأة ، رحل الى المشرق ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، فسمع من مالك بن أنس في المدينة ، ورحل الى مكة ، فسمع من سفيان بن عيينة ، ورحل الى مصر فسمع من الليث بن سعد وعبدالله بن وهب ، وعبدالرحمن بن القاسم[٢١٤١] .

ورحل مسلم بن الحجاج - صاحب الصحيح - رحل الي الحجاز والعراق والشام ومصر ، ومات بنيسابور[٢١٤٢] .

ورحل البخاري - صاحب الصحيح - في طلب الحديث الي اكثر من مدني الأمصار ، وكتب بخراسان ، ومدن العراق ، والحجاز ، والشام ، ومصر ، وقدم بغداد واجتمع اليه اهلها ، ورحل الى مرو ونيسابور[٢١٤٣] .

ورحل الرشيد بولده الأمين[٢١٤٤] والمأمون[٢١٤٥] لسماع الموطأ على مالك - رحمة الله -[٢١٤٦] .

٢١٣٩ السنة ومكانتها ، ص ٩١

٢١٤٠ اخرجه احمد في المسند : ٤٩٤/٣

٢١٤١ ابن خلكان : ٣٢١/٢

٢١٤٢ ابن خلكان : ١٣٣/٢ ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٧١

٢١٤٣ ابن خلكان : ١ /٦٤٩ ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٧١

٢١٤٤ هو : محمد بن هارون بنالمهدي ، أحد الخلفاء العباسيين ، قتل سنة ١٩٨هـ ، ترجمته في المعارف ، ص ٣٨٤

٢١٤٥ هو عبدالله بن هارون بن المهدي ، المتوفي في بلاد الروم سنة ٢١٠ هـ ، خلافته منذ قتل أخيه محمد ، انظر ترجمته في المعارف ، ص ٣٨٧ .

٢١٤٦ تاريخ الخلفاء ، للسيوطي ، ص ٤٦٨

٤ - المؤلفات في الموضوعات :

الموضوعات لابن الجوزي[٢١٤٧] ، وتذكرة الموضوعات للمقدسي[٢١٤٨] ، ومنها كتاب المغني عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصح شيء في هـــذا الباب[٢١٤٩] للموصلي[٢١٥٠] ، الجد الحثيث في بيان ما ليس حديث[٢١٥١] للسنوسي[٢١٥٢] ، وكتاب < الفوائد المجموعة[٢١٥٣] في بيان الأحاديث الموضوعة >[٢١٥٤] للشامي[٢١٥٥] ، و < تذكرة الموضوعات > للفتني[٢١٥٦] .

وكتاب < الكشف الالهي عن شديد الضعف والموضـــوع والواهي >[٢١٥٧] للسندروسي[٢١٥٨] ، و < الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة >

٢١٤٧ هو : ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي < ٥٠٨ - ٥٩٧ هـ > والكتاب في أربع مجلدات ، تناول فيه ما ورد من الأحاديث في كتاب الكامل لابن عدي ، والضعفاء لابن حبان ، والعقيلي والازدي ، وتفسير ابن مردوية ، ومعاجم الطبراني الثلاثة ، وتصانيف الخطيب ، ومصنفات ابي نعيم ، وغيرها من الكتب ، وتساهل في الحكم على تلك المرويات بالوضع ، وقد طبع بالهند والقاهرة ٠قال الذهبي : ربما ذكر ابن الجوزي في الموضوعات أحاديث حسانا قوية ٠ وقال شيخ الاسلام ابن حجر : غالب ما في كتاب ابن الجوزي موضوع والذي ينتقد عليه بالنسبة الي ما لا ينتقد قليل جدا ، والف السيوطي < القول الحسن في الذب عن السنن > و < التعقيبات على الموضوعات > ، وقد طبع بالهند ، ولابن الجوزي العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ٠

٢١٤٨ ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي < ٤٤٨ - ٥٠٧ هـ > رتبه على حروف المعجم ، وفيه يذكر الحديث ، ويذكر من جرح راويه من الأئمة ، طبع بمصر سنة ١٣٢٣هـ ٠

٢١٤٩ الرسالة المستطرفة ، ص ١٥٢

٢١٥٠ هو : ضياء الدين ابو حفص عمر بن بدر بن سعيد الموصلي ، الحنفي ، المتوفي سنة ٦٢٣ هـ ، انظر ترجمته في الرسالة المستطرفة ، ص ١٥٢ ٠ وتاج التراجم ، ص ٤٦

٢١٥١ الكتاب مخطوط في المكتبة السليمانية في اسطانبول ، قسم أسعد أفندي ، رقم ٣١٠

٢١٥٢ هو : محمد بن يوسف السنوسي ، المتوفي سنة ٨٩٥ هـ ، انظر ترجمته في الرسالة المستطرفة ، ص ١٥٢

٢١٥٣ الرسالة المستطرفة ، ص ١٥١

٢١٥٤ المصدر السابق ٠

٢١٥٥ هو : خاتمة المحدثين ابو عبدالله شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الشامي الدمشقي الصالحي المتوفي سنة ٩٤٢ هـ ٠

٢١٥٧ الرسالة المستطرفة ، ص ١١٤

٢١٥٨ هو : محمد بن محمد بن محمد الحسيني الطرابلسي السندروسي الحنفي ، المتوفي سنة ١١٧٧هـ ، انظر ترجمته في الرسالة المستطرفة ، ص ١١٤

٢١٥٩ الكتاب مطبوع في هامش الرفع والتكميل ، ص ٢٠

[٢١٥٩] للامام اللكنوي[٢١٦٠] ، وكتاب ‹ تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين ›[٢١٦١] للأزهري[٢١٦٢] .

ومنها كتاب ‹ اللآلىء المنثورة في الأحاديث المشهورة ›[٢١٦٣] للزركشي ، ومنها ‹ المنار المنيف في الصحيح والضعيف ›[٢١٦٤] لابن القيم ، وكتاب ‹ تحذير الخواص من أكاذيب القصاص › للامام السيوطي[٢١٦٥] ، وكتاب ‹ اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ›[٢١٦٦] للامام السيوطي ، وكتاب ‹ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ›[٢١٦٧] لابن عراق[٢١٦٨] ، وكتاب ‹ تذكرة الموضوعات ›[٢١٦٩] للفتني .

٥ - كتب التراجم :

أ - تراجم الثقات والحفاظ :

منها ‹ تذكرة الحفاظ ›[٢١٧٠] للامام الذهبي[٢١٧١] ، و‹ طبقات الحفاظ ›[٢١٧٢]

٢١٦٠ هو : ابو الحسنات محمد عبدالحي بن محمد عبدالحليم اللكنوي الهندي ، المتوفي سنة ١٣٠٤ هـ . انظر ترجمته في الرسالة المستطرفة .

٢١٦١ الكتاب مطبوع في دمشق وفي المدينة المنورة ، بتصحيح محيي الدين مستو ، عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٢١٦٢ هو : ابو عبدالله محمد البشير ظافر المالكي الأزهري ، المتوفي في طريق الحج سنة ١٣٢٥هـ ، ترجمته في الرسالة المستطرفة .

٢١٦٣ وهو مخطوط .

٢١٦٥ هو : الحافظ جلال الدين السيوطي ، ولد عام ٨٤٩ هـ ، وتوفي عام ٩١١هـ ، وقد طبع كتاب السيوطي سنة ١٣٥١هـ بمصر .

٢١٦٦ طبع الكتاب في مجلدين بمصر سنة ١٣١٧هـ ، وله ذيل اللآليء المصنوعة ، والتعقيبات على الموضوعات .

٢١٦٧ وهو كتاب جامع زاد فيه على السيوطي في لآلئه ، واستدرك عليه ، وطبع الكتاب سنة ١٣٧٨هـ بمصر .

٢١٦٨ هو : ابو الحسن علي بن محمد ‹ ابن عراق › الكتاني ، المتوفي سنة ٩٦٣هـ . انظر ترجمته في الرسالة المستطرفة ، ص ١١٣ .

٢١٦٩ وله أيضا : ‹ قانون الأخبار الموضوعة › ، و ‹ الرجال الضعفاء › طبعا سنة ١٣٤٣هـ في مجلد واحد .

٢١٧٠ تذكرة الحفاظ ، ترجم فيه رواة الحديث من الصحابة والتابعين واتباعهم ومن تلاهم الى عصره ، وجعلهم على احدى وعشرين طبقة ، طبع في أربعة أجزاء بالهند ، ثم طبع ببيروت ، وقال الذهبي في مقدمته هذه تذكرة بأسماء معدلي جملة العلم النبوي .

٢١٧١ هو : الحافظ شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قيماز التركماني الفارقي ، توفي سنة ٧٤٨ هـ ، انظر ترجمته في الرسالة المستطرفة ،ص ١٧

٢١٧٢ طبع الكتاب بأوربا ، سنة ١٨٣٣م .

للسيوطي ، و ﴿ حيلة الأولياء وطبقات الأصفياء ﴾ لابي نعيم ، و ﴿ الثقات ﴾[٢١٧٣] لابن المديني ، و ﴿ الثقات ﴾[٢١٧٤] لابن حبان ، و ﴿ الثقات للعجلي وترتيبه﴾[٢١٧٥] للهيثمي ، وكتاب ﴿ أسماء الثقات ﴾ لابن شاهين[٢١٧٦] ، و ﴿ الثقات ﴾ لابن قطلوبغا[٢١٧٧] .

ب - تراجم فيها الوضاعون والضعفاء والثقات :

منها ﴿ تاريخ ابن أبي خيثمة ﴾[٢١٧٨] ، و ﴿ تاريخ بغداد ﴾ للخطيب البغدادي ، وكتاب ﴿ ذكر الرواة المختلف فيهم ، وما ذكره الأئمة فيهم ﴾[٢١٧٩] للمنذري[٢١٨٠] ، و ﴿ الكمال في أسماء الرجال ﴾[٢١٨١] للمقدسي[٢١٨٢] ، و ﴿ تهذيبه ﴾ للمزي[٢١٨٣] ، وتهذيبه للحافظ ، و ﴿ تذهيب[٢١٨٤] تهذيب الكمال ﴾ للذهبي ، و ﴿ الجرح والتعديل ﴾ لابن ابي حاتم ، و ﴿ التواريخ الثلاثة ﴾ للبخاري (الصغيروالأوسط والكبير) .

٢١٧٣ معرفة علوم الحديث ، للحاكم .

٢١٧٤ مخطوط ، وتوجد منه نسخة في مكتبة جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة .

٢١٧٥ مخطوط .

٢١٧٦ هو : الحافظ الامام محدث العراق ابو حفص عمر بن احمد بن عثمان البغدادي المعروف بابن شاهين ، المتوفي سنة ٣٨٥هـ ، انظر ترجمته في طبقات الحفاظ ، ص ٣٩٢

٢١٧٧ هو : الشيخ ابو العدل زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي ، المتوفي سنة ٨٧٩هـ ، ترجمته البدر الطالع : ٤٥/٢

٢١٧٩ مخطوط وتوجد منه نسخة في المكتبة المركزية في جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة .

٢١٨٠ هو الحافظ الكبير : عبدالعظيم بن عبدالقوي زكي الدين ابو محمد المنذري الشامي ثم المصري ، المتوفي سنة ٦٥٦ هـ ، انظر ترجمته في البداية والنهاية : ١٢/١٣ ، وطبقات الحفاظ ، ص ٥٠١

٢١٨١ مخطوط ، وتوجد منه صورة في مكتبة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

٢١٨٢ هو : الحافظ عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي الجماعيلي الحنبلي ، المتوفي سنة ٦٠٠ هـ ، انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ : ١٣٧٠/٤

٢١٨٣ هو : الحافظ محدث الشام جمال الدين ابو الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف القضاعي الشافعي ، المتوفي سنة ٧٤٢هـ . انظر ترجمته في طبقات الحفاظ ، ص ٥١٧ ، والتذكرة .

٢١٨٤ طبع في مصر .

ج - تراجم عن الوضاعين والضعفاء والمتروكين :

منها ‹ الضعفا ›[٢١٨٥] للازدي[٢١٨٦] ، و ‹ الضعفاء ›[٢١٨٧] للجوزجاني ، و ‹ المفتي › في الضعفاء ، و ‹ ديوان الضعفا والمتروكين › كلاهما[٢١٨٨] للذهبي ، ‹ الضعفاء ›[٢١٨٩] للعقيلي ، و ‹ المجروحين › لابن حبان ، و ‹ الضعفاء والمتروكين ›[٢١٩٠] للدار قطني ،و ‹ الضعفاء والمتروكين › لابن الجوزي[٢١٩١] ، و‹ الضعفاء الصغير[٢١٩٢] والكبير › للبخاري .

د - تراجم الوضاعين :

منها : كتاب ‹ تنزيه الشريعة › لابن عراق ، فقد ضمن مقدمته فصلا عن الوضاعين ، و كتاب ‹ الكشف الحثيث عمن عرف بوضع الحديث ›[٢١٩٣] للسليماني[٢١٩٤] ، وكتاب ‹ قانون الموضوعات ›للفتني .

٦- كتب التخريجات :

وهي كتب قصد مؤلفوها بها بيان درجة الأحاديث في كتب أخرى عزوها الى مخرجيها ، منها ‹ مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ›[٢١٩٥]

٢١٨٥ الرسالة المستطرفة ، ص ١٤٤

٢١٨٦ هو : الحافظ ابو الفتح محمد بن الحسين بن احمد الموصولي ، المتوفي ٣٧٤هـ ، انظر ترجمته في طبقات الحفاظ ، ص ٣٨٦

٢١٨٧ انظر : الرسالة المستطرفة ، ص ١٤٤

٢١٨٨ الكتابان مطبوعان .

٢١٨٩ طبع عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، في بيروت ، بتحقيق د . عبدالمعطي امين قلعجي .

٢١٩٠ طبع مع المجموع في الضعفاء والمتروكين ، بتحقيق الشيخ عبدالعزيز عز الدين ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، وطبع مستقلا عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م في بيروت ، بتحقيق السيد صبحي البدري السامرائي .

٢١٩١ مخطوط .

٢١٩٢ كتاب الضعفاء الصغير طبع عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، الطبعة الأولى في بيروت ، تحقيق بوران الضناوي .

٢١٩٣ مطبوع بمطبعة العاني ، بغداد ، عام ١٤٠٢هـ ، بتحقيق صبحي السامرائي .

٢١٩٤ هو : الحافظ المحدث المعمر ابو الفضل احمد بن علي بن عمرو البيكندي البخاري ، شيخ ما وراء النهر ، المتوفي سنة ٤٠٤هـ ، انظر ترجمته في طبقات الشافعية ، للسبكي : ٤/٤١ ، وطبقات الحفاظ ، ص ٤٠٩ ، وشذرات الذهب : ٣/١٧٢

٢١٩٥ مطبوع ، ص ٤٣٨

، و ‹ تخرية شرح السد › للتفتازاني[2196] ، و تخريج أحاديث ‹ المحلى › لابن حزم ، وتخريج أحاديث ‹ تفسير الطبري › وكلاهما للعلامة الشيخ احمد شاكر - رحمه الله - ، و ‹ ترتيب السند على الاطراف ›[2197] للحافظ ، حيث شرح احاديث المسند وعزاها لمن خرجها غير الامام احمد ، و‹ تخريج الأحاديث والآثار على الكافية ›[2198] - للرضي ، لعبد القادر البـــــغدادي ، و ‹ تحفة الراوي في تخرية احاديث البيضاوي › لابن همات الدمشقي[2199] .

٧ - تأليف كتب في معرفة الأسماء والكنى والألقاب :

كما صنف العلماء تراجم الرواة واحوالهم ، أو أن يصنفوا ما يضبط أسماء الرواة لدفع الالتباس ومنع الوقوع في الخطأ بسبب تشابه أسماء الرجال وكناهم وانسابهم .. ومن أشهر الكتب : ‹ الأسامي والكنى › للمديني[2200] ، وكتاب ‹ الكنى والاسماء › للنيسابوري[2201] ، وكتاب ‹ الأسماء والكنى ›[2202] للحاكم النيسابوري[2203] ، وكتاب ‹ فتح الباب في الكنى والألقاب ›[2204] للأصبهاني[2205] ، وكتاب ‹ المؤتلف والمختلف في أسماء نقلة الحديث › ، وكتاب ‹ المشتبه في النسبة ›[2206] للامام عبدالغني الآمدي[2207] .

٢١٩٦ هو : سعد الدين التفتازاني مسعود بن عمر بن عبدالله أحد أئمة العربية والبيان والمنطق ، المتوفي سنة ٧٩٣هـ . انظر ترجمته في الدرر الكامنة : ٥/١١٩ . والبدر الطالع : ٢/٣٠٣ . وشذرات الذهب : ٦/٣١٩ . بغية الوعاة : ٢/٢٨٥ .

٢١٩٧ مخطوط في مجلدين كبيرين ، وتوجد منه نسخة مصورة في مركز البحث العلمي في مكة المكرمة .

٢١٩٩ هو : محمد بن حسن المعروف بابن همات الدمشقي ، من علماء الحديث ، تركماني الأصل ، المتوفي سنة ١١٧٥هـ ، ترجمته في معجم المؤلفين : ٩/٢٢٥

٢٢٠٠ هو : علي بن عبدالله بن جعفر المديني ، ولد سنة ١٦١هـ ، وتوفي سنة ٢٣٤هـ .

٢٢٠١ هو : الامام بن الحجاج النيسابوري ، ولد سنة ٢٠٤هـ ، وتوفي سنة ٢٦١هـ .

٢٢٠٢ الأسماء والكنى ، كتاب قيم كثير النفع . يتكون من أربعة عشر مجلدا .

٢٢٠٣ هو : الحاكم الكبير ابو احمد بن احمد النيسابوري ، الحافظ ، المحدث ، ولد عام ٢٨٥ هـ ، وتوفي عام ٣٧٨هـ .

٢٢٠٤ نشر الكتاب وعلق عليه ‹ وي دونج › بألمانيا ، سنة ١٩٧٧م .

٢٢٠٥ هو : أبو عبدالله محمد بن اسحاق بن مندة الأصبهاني ، ولد سنة ٣١٠هـ ، وتوفي سنة ٣٩٥هـ .

٢٢٠٦ طبع الكتابان في مجلد واحد في ‹٢١٦› صفحة بالهند ، سنة ١٣٢٦هـ .

٢٢٠٧ هو : ابو محمد عبدالغني بن سعيد الأسدي المصري ، شيخ حفاظ الحديث بمصر في عصره ، ولد سنة ٣٣٢ هـ ، وتوفي سنة ٤٠٩هـ .

٨ - في تواريخ الرجال :

ومن هذه الكتب ما يأتي : ‹ تاريخ الرواة ›[٢٢٠٨] للامام يحيى بن معين ، وكتاب ‹ التاريخ › لابن خياط[٢٢٠٩] ، و ‹ كتاب التاريخ الكبير ›[٢٢١٠] للامام البخاري[٢٢١١] . وكتاب ‹ تاريخ نيسابور ›[٢٢١٢] للحاكم النيسابوري[٢٢١٣] ، وكتاب ‹ تاريخ بغداد ›[٢٢١٤] للخطيب البغدادي[٢٢١٥] ، وكتاب ‹ الجمع بين رجال الصحيحين ›[٢٢١٦] للامام المقدسي[٢٢١٧] ، وكتاب ‹ تاريخ دمشق ›[٢٢١٨] للحافظ ابن

٢٢٠٨ هو كتاب كثير النفع ، رتبه على حروف المعجم ، وذكر مصنف « معجم المصنفين » له ‹ معرفة الرجال › و ‹ التاريخ والعلل › . . انظر : الرسالة المستطرفة ، ص ٩٦ . ومعجم المؤلفين ، ج ١٣ ص ٢٣٢

٢٢٠٩ هو : المحدث النسابة الأخباري خليفة بن خياط الشيباني العصفري ، توفي سنة ٢٤٥هـ ، انظر ترجمته في الرسالة المستطرفة ، ص ١٠٤

٢٢١٠ وهو تاريخ عظيم ، ذكر فيه أسماء من روى عنه الحديث ، وكأنه حاول استيعاب الرواة من الصحابة فمن بعدهم الى طبقة شيوخهم ، فبلغ عددهم قريبا من أربعين ألفا ، بين رجل وإمرأة ، وضعيف وثقة . . وصنف هذا التاريخ الحافل حين طعن ، في ثماني عشرة . وقال : صنفت التاريخ في المدينة المنورة عند قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - وكنت اكتبه في الليالي المقمرة ، وقال : وقلّ اسم في التاريخ الا وله عندي قصة ، الا اني كرهت ان يطول الكتاب .

وقال التاج السبكي : انه لم يسبق اليه في الاستيعاب ، ومن ألف بعده في التاريخ أو الأسماء فعيال عليه .

٢٢١١ هو : أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري ، سيد الحفاظ ، أمير المؤمنين في الحديث ، انظر ترجمته في الرسالة المستطرفة ، ص ٩

٢٢١٢ وله فوائد كثيرة ، قال فيه السبكي : وهو عندي من أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة ، ومن نظره عرف تفنن الرجل في العلوم جميعها .

٢٢١٣ هو : محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، المعروف بابن البيع ، ولد سنة ٣٢١هـ ، وتوفي سنة ٤٠٥هـ .

٢٢١٤ تاريخ بغداد من أجل الكتب ، وأعودها فائدة ، ذكر فيه رجالها ومن ورد اليها ، وضم اليه فوائد جمة . وقد رتبه على حروف المعجم ، وذكر فيه الثقاة والضعفاء والمتروكين ، وعليه ذيولات متعددة ، وطبع بالقاهرة سنة ١٣٤٩هـ ، ١٩٣١م في أربعة عشر جزأ ويضم ٧٨٣١ترجمة،انظر لمزيد الترجمة الرسالة المستطرفة ص ٤٠

٢٢١٥ هو : أبو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد البغدادي الشافعي ، المعروف بالخطيب البغدادي ، ولد سنة ٣٩٢هـ ، وتوفي سنة ٤٦٣هـ . انظر ترجمته في الرسالة المستطرفة ، ص ٤٠

٢٢١٦ جمع هذا الكتاب بين كتابي أبي نصر الكلا باذي وأبي بكر احمد بن علي الأصبهاني في رجال البخاري ومسلم ، وطبع هذا الكتاب بالهند سنة ١٣٢٣هـ ، في مجلدين .

عساكر[٢٢١٩] ، وكتاب ‹ تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ›[٢٢٢٠] للحافظ الذهبي[٢٢٢١] ، وكتاب ‹ تهذيب التهذيب ›[٢٢٢٢] للامام ابن حجر العسقلاني[٢٢٢٣] .

٩ – كتب الأنساب :

منها كتاب ‹ اقتباس الانوار والتماس الازهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار ›[٢٢٢٤] للرشاهي[٢٢٢٥] ، وكتاب ‹ الأنساب ›[٢٢٢٦] للسمعاني[٢٢٢٧] ، وكتاب ‹ اللباب ›[٢٢٢٨] للشيباني[٢٢٢٩] ، وكتاب ‹ نسبة المحدثين الى الآباء والبلدان ›[٢٢٣٠] لابن النجار[٢٢٣١] ، وكتاب ‹ الانساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط ›[٢٢٣٢] للشيخ المقدسي .

٢٢١٩ هو : الامام الحافظ المؤرخ أبو القاسم علي بن الحسين ‹ ابن عساكر › الدمشقي ، ولد سنة ٤٩٩هـ وتوفي سنة ٥٧١هـ ، انظر الترجمة في الرسالة المستطرفة ، ص ٤٣

٢٢٢٠ فهو كتاب جم الفوائد ، جمع فيه بين الحوادث والوفيات ، ورتبه على السنين ، فابتدأ من الهجرة النبوية ، وانتهى فيه الى أخر سنة ٧٥٥ هـ ، وقسمه الى سبعين طبقة ، على ترتيب حروف المعجم ، والحوادث على السنين في ست وثلاثين مجلدا ، انظر مزيدا من الترجمة في الرسالة المستطرفة ، ص ١٧

٢٢٢١ هو : الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قيمار التركماني ، توفي بدمشق سنة ٧٤٨هـ ، انظر ترجمته في الرسالة المستطرفة ، ص ١٧

٢٢٢٢ كتاب عظيم الفوائد ، وفيه لخص تهذيب الكمال للمزي ، وزاد عليه فوائد كثيرة ، وقد طبع بالهند ، صنة ١٣٢٥هـ في اثني عشر مجلدا .

٢٢٢٤ هو كتاب قيم ، قد احسن فيه وأجاد ، وتلقاه الناس بالقبول .

٢٢٢٥ هو : أبو محمد عبدالله بن علي اللخمي الأندلسي ، المعروف بالرشاهي ، توفى سنة ٥٤٣هـ .

٢٢٢٦ ذكر المؤلف في كتابه أنساب الرجال ، وذكر لمن يترجم له سيرته ، وقول الناس فيه من جرح أو تعديل ، وشيوخه ومن روى عنه ، ورتبه على حروف المعجم ، طبع الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م في بيروت .

٢٢٢٧ هو : تاج الاسلام ابو سعيد عبدالكريم بن محمد بن أبي المظفر السمعاني ، توفى سنة ٥٦٢ .

٢٢٢٨ يحتوي على ثلاثة مجلدات ، اختصر به أنساب السمعاني وزاد به ، وقد طبع في مصر سنة ١٣٥٩هـ .

٢٢٢٩ هو : علي بن محمد الشيباني الجزري ، توفي سنة ٦٣٥هـ .

٢٢٣٠ انظر الترجمة في الرسالة المستطرفة ، ص ٤٥

٢٢٣١ المصدر السابق .

٢٢٣٢ وذيل تلميذه محمد بن ابي بكر عمر بن عيسى الاصبهاني ، المتوفي سنة ٥٨١هـ ، عليه ، وطبعا معا في مجلد واحد بليدن ، صنة ١٨٦٥م .

١٠ - كتب العلل :

معرفة علل الحديث من أجل علوم الحديث ، لانه يحتاج الى كشف العلل الغامضة الخفية التي لا تظهر إلا للجهابذة في علوم الحديث[٢٢٣٣] .

والطريق الى معرفة العلل ، هو جمع طرق الحديث ، والنظر في اختلاف رواته وضبطهم واتقانهم ، فيقع في نفس العالم الماهر بهذا الشأن ان الحديث معلول[٢٢٣٤] .. ومن كتب العلل ما يأتي :

< العلل >[٢٢٣٥] للدارقطني ، و < العلل > لأبي حاتم الرازي ، و < العلل المتناهية >[٢٢٣٦] لابن الجوزي ، وكتاب < علل الحديث ومعرفة الرجال > [٢٢٣٧] للمديني ، وكتاب < شرح علل الترمذي >[٢٢٣٨] للحافظ ابن رجب[٢٢٣٩] ، و < كتاب العلل ومعرفة الرجال >[٢٢٤٠] للامام احمد بن حنبل[٢٢٤١] ، وكتاب < العلل في الحديث >[٢٢٤٢] د.همام[٢٢٤٣] ، و < المسند المعلل >[٢٢٤٤] للسدوسي ، و < التاريخ

٢٢٣٣ علل الحديث ومعرفة الرجال ، للمديني ، ص ١١

٢٢٣٤ شرح علل الترمذي ، للحافظ ابن رجب ، ص ١٥

٢٢٣٥ مخطوط ، ويقع في ٥ مجلدات كبيرة ، توجد منه صورة في مركز البحث العلمي في جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة .

٢٢٣٦ العلل المتناهية ، مطبع في بيروت ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ، قدم له وضبطه الشيخ خليل الميس .

٢٢٣٧ علل الحديث ومعرفة الرجال : مطبوع ، الطبعة الأولى ربيع الإول ١٤٠٠هـ ، كانون الثاني ١٩٨٠م ، حققه وعلق عليه د . عبدالمعطي أمين قلعجي .

٢٢٣٨ الكتاب مطبوع ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م ، حققه وعلق عليه صبحي السامرائي .

٢٢٣٩ هو : الحافظ زين الدين ابو الفرج ، عبدالرحمن بن احمد الحسين بن محمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي المعروف بـ < ابن رجب > ، المتوفي سنة ٧٩٥هـ .

٢٢٤٠ الكتاب مطبوع ، ويتكون من مجلدين ، طبع في استانبول سنة ١٩٨٧م ، نشره وعلق عليه د . طلعت فوج ، د . اسماعيل جراح

٢٢٤٢ مطبوع ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .

٢٢٤٣ هو : الدكتور همام عبدالرحيم سعيد ، مدرس الحديث الشريف وعلومه في الجامعة الأردنية ، الترجمة عن غلاف كتاب العلل في الحديث .

٢٢٤٤ عن كتاب علل الحديث ومعرفة الرجال ، للمديني ، ص ١١

والعلل >[٢٢٤٥] لابن معين[٢٢٤٦] .

ب - الطرق التأديبيـــــــــة

الكذب صفة ذميمة اذا كانت على غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وان صاحبها منافق كما ورد في الحديث النبوي الشريف ، قال - عليه الصلاة والسلام - : (أية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ... الخ) .

أما الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانه من أشنع الذنوب ، وأشدها ، ولا بد من ايقافه بكل الوسائل العلمية والطرق التأديبية مهما كان الثمن ، ومهما كانت التضحيات والخسائر .. والأولى ان يسك المسلمون المخلصون الطرق التدريجية ثم التصعيد في التأدب حتي تصل العقوبة الى القتل ..

من هذه الطرق التأديبية التي سلكها الاسلاف ما يأتي :

(١) المنــــــع

١- الاستهزاء والسخرية بهم :

هؤلاء الكذابون يجب ان ينظر اليهم نظرة استخفاف وعدم احترام ، وهو سلاح نفسي ، يحطم أعصابهم ، ويذهب بريحهم .. عند ذلك لا يجدوا لهم قيمة ولا وزن ، فيضطروا ان يتوبوا أو يغيبوا عن المجتمع ، فترتاح منهم الأمة الاسلامية .

ومما ورد من هذه الطرق لمحاربة الكذابين على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

٢٢٤٥ المصدر السابق .

٢٢٤٦ هو : المحدث الحافظ الأصولي علي بن عبدالله المديني شيخ البخاري ، توفي سنة ٢٣٤هـ . انظر ترجمته في الرسالة المستطرفة ، ص ٩٥

< عن الطرطوش ، لما دخل سليمان بن مهران الأعمش البصرة ، نضر الى قاص يقص في المسجد ، فقال : حدثنا الأعمش عن أبي اسحاق عن أبي وائل ، فتوسط الأعمش الحلقة ، وجعل ينتف شعر أبطه ، فقال له القصاص : يا شيخ ألا تستحي ؟ ، نحن في علم ، وأنت تفعل مثل هذا ؟ فقال الأعمش : الذي أنا فيه خير من الذي أنت فيه . قال : كيف ؟ قال : لأني في سنة وأنت في كذب ، أنا الأعمش ، وما حدثتك مما تقول شيئا > .

٢ - منع الكذابين من التحدث :

يجب ان يمنع الكذاب نشر أكاذيبه ، وذلك من منعه في التحدث الى الناس ، ومما يروى في ذلك أن : < ابن عمر - رضي الله عنه - جاء المسجد فوجد قاصا يقص ، فوجه الى صاحب الشرطة : ان أخرجه من المسجد فأخرجه > .

ولما دخل على - رضي الله عنه - مسجد البصرة ، أخرج القصاص منه ، وقال : لا يقص في المسجد[٢٢٤٧] .

٣ - فضح الكذابين واعلان حالهم :

يجب على كل مسلم ان يحذر المسلمين عن حال الكذابين ، ويفضحهم على الأشهاد ، حتى يسلم المسلمون من خبثهم وشرهم .

قال يحيى بن سعيد[٢٢٤٨] : سألت شعبة[٢٢٤٩] وسفيان الثوري[٢٢٥٠] ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة[٢٢٥١] عن الرجل يتهم في الحديث أو لا يحفظه ؟ قالوا : بين أمره للناس[٢٢٥٢] .

٢٢٤٧ تحذير الخواص ، ص ٢١٣

٢٢٤٨ هو : يحيى بن سعيد بن حيان أبو حيان التيمي الكوفي العابد ، من تيم الرباب ، المتوفي سنة ١٤٥هـ ، انظر تهذيب التهذيب ، ج ١١ ص ٢١٤

٢٢٤٩ شعبة بن حجاج : ابن ورد ابي بسطام الأزدي العتكي مولاهم الواسطي ، نزيل البصرة ومحدثها الحافظ أمير المؤمنين في الحديث ، المتوفي سنة ١٧٠هـ ، انظر الرسالة المستطرفة ، ص ٨٥

٢٢٥٠ سفيان الثوري : هو أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروف الثوري ، نسبة الى ثور أبي قبيلة من مضر الكوفي ، شيخ الاسلام وسيد الحفاظ ، المتوفي في البصرة ، سنة ١٦١ أو ١٦٠هـ ، انظر ترجمته في الرسالة المستطرفة ، ص ٣١.

٢٢٥١ سفيان بن عيينة : أبو محمد بن ميمون الهلالي ، مولاهم الكوفي ، ثم المكي ، المتوفي بها سنة ١٩٨هـ . انظر : الرسالة المستطرف ، ص ٣١

٢٢٥٢ الكفاية ، ص ٤٣

وقال حماد بن زيد[٢٢٥٣] : < كلمنا شعبة بن الحجاج أنا وعباد بن عباد[٢٢٥٤] وجرير بن حازم[٢٢٥٥] في رجل ، قلنا : لو كففت عن ذكره ، فكآنه لان وأجابنا ، ثم مضيت يوما أريد الجمعة ، فإذا شعبة يناديني من خلفي ، فقال : ذاك الذي قلت لكم فيه لا أراه يسعني[٢٢٥٦] .

وكان جعفر بن الزبير وعمران بن حدير في مسجد واحد مصلاهما ، وكان الزحام على جعفر بن الزبير ، وليس عند عمران أحد ، وكان شعبة يمر بهما ، فيقول : يا عجبا للناس ، اجتمعوا على اكذب الناس ، وتركوا أصدق الناس ، فما أتى عليه قليل ، حتى رأيت الزحام على عمران ، وتركوا جعفر ، وليس عنده أحد .

(٢) العقوبـــــــة

٤ - الزجر والهجر والضرب :

فالذي يتمادى في غيه ولا ينفع معه الاستهزاء والتوبيخ ، فلا بد ان يوقف عند حده ، بسلاح قوي ، حتى يرجع الى رشده ، ويترك كذبه ، ولقد ذكر صاحب كتاب < تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة > على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما نصه :

< ان من أقدم على رواية الأحاديث الباطلة يستحق الظرب بالسياط ، ويهدد بما هو اكثر من ذلك ، ويزجر ويهجر ولا يسلم عليه ، ويستعدى عليه عند الحاكم ، ويحكم عليه بالمنع عن رواية ذلك ويشهد عليه >[٢٢٥٧] .

٥ - القتل والتشريد :

اذا كانت الوسائل التي دون القتل لا تنفع بايقاف أصحاب المعاول الهدامة عن فعلتهم الشنيعة ، والسم الزعاف ، والعضو الفاسد ، عند ذلك لا بد من تشمير السواعد القوية من بتر الأيادي العابثة ، وقطع دابر

٢٢٥٣ حماد بن زيد : ابن درهم الأزدي الجهضمي ابو اسماعيل البصري الأزرق ، المتوفي سنة ١٧٩هـ ، انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج ٣ ص ٩

٢٢٥٤ عباد بن عباد بن علقمة المازني البصري المعروف بابن أخضر ، وهو زوج أمه < تهذيب التهذيب > ، ج ٥ ص ٩٦

٢٢٥٦ الكفاية ، ص ٤٤

٢٢٥٧ تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين ، ص ٦٤

الملحدين ، الذين لا ذمة لهم ولا ضمير ، ولا أمانة ولا صدق .

‹ والأقوال الواردة عنهم في كتب الجرح والتعديل ، والتي صرحوا فيها اباحة دم الكذابين على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، ومن المعلوم انه لم يصرح أحد من العلماء بأن الكاذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حده القتل ، فدل صنيعهم على ان اباحة دمائهم اقتضاء لتكفيرهم ›[٢٢٥٨] .

‹ ولقد أحسن الخلفاء صنيعا حينما – أخذوهم[٢٢٥٩] – وقعدوا لهم كل مرصد ، وأراحوا الأمة الاسلامية منهم ، بانزال أشد العقوبة بهم ، وكفوا المسلمين شرهم ، فقد سنَّ الوالي خالد بن عبدالله القسري سنة حسنة فيهم ، حينما ضحى بالجعد بن درهم سنة ١٥٢ هـ ، ثم سار خلفاء بني العباس على سنته ، لما أحسوا بخطرهم على كيان الاسلام فتعقبوهم قتلا وتشريدا ، وأشهر من أعمل في رقابهم التأديب الخليفة المهدي[٢٢٦٠] الذي انشأ ديوانا خاصا للزنادقة يتتبع فيه أوكارهم ، ويقضي على رؤسائهم › [٢٢٦١] .

هذا جزاء المجرمين ، بما كسبت أيديهم ، مما فعلوه من الكذب على سيد البشرية الصادق الأمين – عليه أفضل الصلاة والتسليم – ..

وان الحمد لله رب العالميـــــن .

٢٢٥٨ الوضع في الحديث ، ج ١ ص ٣١٩

٢٢٥٩ أي الزنادقة .

٢٢٦٠ الخليفة المهدي : محمد بن عبدالله ، وكنيته أبو عبدالله ، توفي سنة ١٦٩هـ ، وصلى عليه الرشيد ، وله ثلاث وأربعون سنة . تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي :٥/٤٠١ . تاريخ الخلفاء ، محمد بن يزيد ، ص ٣٧

٢٢٦١ الوضع في الحديث ، ج ١ ص ٢٢٣

الفصل الثالث

أهم أنواع الوضع في العهد الأموي والعباسي

المبحث الأول

تنزيه سيد الأنـــــام
مما علق في سنته من الكذب في الصلاة

لقد وجه أعداء الاسلام في جميع العصور طعنات كبيرة على الاسلام ، واتخذوا وضع الحديث اكبر معول للهدم ، ووجهوا الضربات على العقيدة والعبادة ، ومنها الصلاة ، لان الصلاة هي العلاقة التي يميز بها المسلم عن الكافر ، والصلاة عماد الدين ، ورأس القربات ، وغرة الطاعات ، وزهرة العبادات ، وبها مناجاة الله سبحانه وتعالى في الجماعات والخلوات ، ومن تركها فقد هدم الدين .

‹ وما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب اليه من الصلاة ، ولو كان شيء أحب اليه منها لتعبد به ملائكته ، فمنهم راكع ، ومنهم ساجد ، ومنهم قائم ، وقاعد ، وما قصد الله بعبادته غير الوصول اليه والقـــرب منه ›[٢٢٦٢] .

قال الله تعالى : « واقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، واطعيوا الرسول ، لعلكم ترحمون »[٢٢٦٣] .

ومن خطر الوضع الذي وقع في الصلاة ما يأتي :

١ - الطرد من رحمة الله :

وهذا الوضع له خطره الجسيم .. ومن ذلك :

أ - حديث : ‹ من ترك العشاء ، قال له ربه ، لست ربك ، فاطلب ربا سواى ›[٢٢٦٤] الحديث موضوع .

٢٢٦٢ الملل والنحل ، ج ١ ص ٢٣١ - ٢٣٢

٢٢٦٣ النور : ٥٦

٢٢٦٤ تذكرة الموضوعات ، ص ١٠٦

ب - وحديث : < من تكلم بكلام الدنيا في المسجد أحبط الله عمله ، وفي رواية أعماله أربعين سنة >[٢٢٦٥] الحديث موضوع .

ج - وحديث : < من تكلم عند الأذان خيف عليه زوال الايمان >[٢٢٦٦] الحديث موضوع .

٢ - الحرمان من الشفاعة :

وهذه خسارة كبيرة لا تعوض ، ومن ذلك حبيث : < من لم يداوم على أربع قبل الظهر لم تنله شفاعتي > الحديث موضوع[٢٢٦٧] .

قال ابن حجـــــر : لا أصل له[٢٢٦٨] .

٣ - ابطال الصلاة بابطال شرط الطهارة :

وهو حديث يدعو اهمال المسلم لنفسه من ناحية النظافة ، من ذلك :

أ - حديث : < الماشي الحافي في طاعة الله ، يدخل الجنة ، وليس عليه حطيئة يطالبه بها >[٢٢٦٩] .

ب - حديث : < من مشى الى خير حافيا ، فكأنما مشى على أرض الجنة ، تستغفر له الملائكة ، وتسبح أعضاؤه >[٢٢٧٠] موضوع .

ج - حديث : عن عائشة - رضي الله عنها - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يصلي في الموضع الذي يبول فيه الحسن والحسين ، فقلت له : ألا تخص لك موضعا من الحجرة ، أنظف من هذا ! فقال : يا حميراء ، أما علمت ان العبد اذا سجد لله سجدة طهر الله موضع سجوده الى سبع أرضين >[٢٢٧١] موضوع .

٢٢٦٥ الصنعاني ، ص ٢٤ ، كشف الخفاء ، ج ٢ ص ٢٤٠

٢٢٦٦ كشف الخفاء ، ج ٢ ص ٢٤٠

٢٢٦٧ تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ١٢٧

٢٢٦٨ المصدر السابق .

٢٢٦٩ رواه ابن شاهين عن ابن عباس مرفوعا باسناد فيه وضاع ومتروك .ورواه الطبراني باسناد فيه وضاع ايضا . ورواه الحاكم باسناد فيه وضاع ايضا .. انظر الفوائد ، ص ٢٧٥

٢٢٧٠ رجاله مجهولون ، ولا يعرف جعفر بن نسطور في الصحابة ، قال الذهبي في الميزان ، ج ٤ ص ١٨٣ منصور بن الحكم عن جعفر بن نسطور غريب متهم بالكذب . وان النسخة المكتوبة عن منصو عن جعفر سمعت ببغداد ، انظر ميزان الاعتدال ، ج ٤ ص ١٨٤

٢٢٧١ تفرد به بزيغ ، وهو متروك ، انظر اللآليء المصنوعة ، ج ٢ ص ١٦

د - حديث : < لا بأس ببول الحمار >[٢٢٧٢] موضوع .
وفي رواية: < لا بأس ببول الحمار ، وكل ما أكل لحمه >[٢٢٧٣] موضوع .

٤ - التشكيك بتحريم ما أحل الله :
ومنه حديث : < ماء البحر لا يجزيء من جنابه ، ولا يتوضأ منه ، لان تحت البحر نارا ، وتحت النار بحرا ، حتى عد سبعة أبحر وسبعة نيار ، وفي التنزيه نيران >[٢٢٧٤] باطل ، تفرد به محمد بن مهاجر[٢٢٧٥] .

٥ - اضعاف فرض الصلاة بوضع أنواع من الصلاة :
* أ - ما وضع في أيام الأسبوع :
١) حديث : < من صلى ليلة السبت أربع ركعات ، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد خمسا وعشرين مرة ، حرم الله جسده على النار >[٢٢٧٦] موضوع .
٢) حديث : < من صلى يوم الاثنين أربع ركعات ، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة ، وآية الكرسي مرة .. الخ >[٢٢٧٧] الحديث موضوع .
٣) حديث : < من صلى ليلة الاثنين ست ركعات ، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وعشرين مرة قل هو الله أحد ، ويستغفر بعد ذلك سبع مرات ، أعطاه الله يوم القيامة ثواب ألف صديق وألف عابد وألف زاهد ، ويتوة يوم القيامة بتاج من نور يتلألأ لا يخاف اذا خاف الناس ، ويجر على

٢٢٧٢ هذا حديث موضوع ، ومحمد بن موسى وأبوه مجهولان ، والمتهم بوضعه اسحاق بن محمد النخعي . قال ابوبكر الخطيب سمعت عبد الواحد الأسدي يقول : كان اسحاق رديء الاعتقاد ، خبيث المذهب ، يقول ان عليا هو الله ، وتعالى الله عن ذلك < انظر الموضوعات ، ج ٢ ص ٧٥ > .

٢٢٧٣ تذكرة الموضوعات ، ص ٣٣ . اللآليء المصنوعة ، ج ٢ ص ٢ ، الأسرار المرفوعة ، ص ٣٨٠

٢٢٧٤ تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ٦٨ . اللآليء المصنوعة ، ج ٢ ص ٣

٢٢٧٥ محمد بن مهاجر عاش في فترة ٢٦٠هـ < ميزان الاعتدال ، ج ٤ ص ٤٩ > . قال الجوزقاني < عن محمد > : كان يضع الحديث ، واستدركه السيوطي بانه أخرجه ابن أبي شيبة < انظر الفوائد للشوكاني ، ص ٦ >

٢٢٧٦ رواه الجوزقاني عن أنس مرفوعا ، وهو موضوع ، ورجال اسناده بين مجهول ومتروك < انظر الفوائد ، ص ٤٤ رقم ٨٧ > . وتنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ٨٤ . واللآليء المصنوعة ، ج ٢ ص ٤٨ . ومن رجال الاسناد : احمد الجويباري وغيره من الضعفاء < انظر تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ٨٤ > .

٢٢٧٧ رواه الجوزقاني ، عن ابن عمر وهو موضوع . الفوائد ، ص ٤٥ رقم ٩٣ . الأسرار المرفوعة ، ص ٤٢٢ تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ٨٦ رقم ٣٤ .وكشف الخفاء ، ج ٢ ص ٤١٢ . اللآليء المصنوعة ، ج ٢ ص ٥١

الصراط كالبرق الخاطف »[٢٢٧٨] .

* ب - صلوات مقيدة بأيام الشهور وبليال منها :

١) حديث : « من صلى يوم عاشوراء ، ما بين الظهر والعصر أربع ركعات ، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة ، وآية الكرسي عشر مرات ... أعطاه الله في الفردوس قبة بيضاء .. »[٢٢٧٩] .

٢) « ما من عبد يصلي ليلة العيد ست ركعات ، الا شفع في أهل بيته كلهم ، وقد وجبت لهم النار »[٢٢٨٠] .

٣) حديث : « من صلى ليلة النصف من رجب ، أربع عشرة ركعة ، يقرأ في كل ركعة الحمد مرة ، وقل هو الله أحد عشرين مرة ، وقل أعوذ برب الفلق ثلاث مرات ، وقل أعوذ برب الناس ثلاث مرات . فإذا فرغ من صلاته صلى عليّ عشر مرات ... الخ »[٢٢٨١] الحديث موضوع ، رواه الجوزقاني عن أنس مرفوعا ، وهو موضوع ورواته مجاهيل ، وكذلك صلاة نصف شعبان باطل[٢٢٨٢] .

ان هذه الصلوات كلها موضوعة ، ولقد أثرت تأثيرا كثيرا على العوام ..

« بل هذه عند العوام أعظم وأجل من صلوات التراويح ، فانه يحضرها من لا يحضر الجماعات ، وكذلك صلوات تفعل لاغرا : مثل صلاة التوبة »[٢٢٨٣] .

٦ - ادخال الفتنة في الصلاة :

وهو حديث له أثره البعيد علي الأخلاق التي اهتم بها الاسلام كل الاهتمام ، وحماها بكل الطرق التربوية والعقوبات التأديبية ، وقد كان رسولنا الكريم - عليه الصلاة والسلام - في القمة في الاخلاق ، وشهد له

٢٢٧٨ هذا الحديث موضوع ، وفي اسناده يزيد والهيثم وبشر ، وكلهم مجروح ، واحمد بن عبدالله هو الجويباري الكذاب « انظر الموضوعات ، ج ٢ ص ١١٧ . قال في المختصر لا يصح في صلاة الأسبوع شيء « انظر الفوائد ، ص ٤٦ » .

٢٢٧٩ رواه الجوزقاني مرفوعا ، وهو موضوع ، ورواته مجاهيل . اللآلئ المصنوعة ، ج ٢ ص ٥٤ . الفوائد ، ص ٤٧ رقم ١٠٢ . تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ٨٩ رقم ٤٦

٢٢٨٠ فيه اسماعيل ، كذاب « انظر تذكرة الموضوعات ، ص ٤٧ » .

٢٢٨١ الفوائد ، ص ٥٠ رقم ١٠٥

٢٢٨٢ تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ٩٢ ، ٩٣ رقم ٥٢ . الفوائد ص ٥١ . تذكرة الموضوعات ، ص ٤٥

٢٢٨٣ الموضوعات ، ج ٢ ص ١٣٤

رب العالمين بذلك ، فقال : « وانك لعلى خلق عظيم »[٢٢٨٤] ..

ومن هذه الأحاديث : حديث ‹ يوم القوم أحسنهم وجها ›[٢٢٨٥] حديث موضوع ، رواه الجوزقاني عن عايشة مرفوعا ، وهو في اسناده : الحضرمي مجهول . محمد بن مروان السدي كذاب . قال يحيى عن محمد ابن مروان السدي : ‹ ليس بثقة ، والحضرمي مجهول ›[٢٢٨٦] .

٧ - القضاء على الخشوع في الصلاة :

هذه هوة سحيقة تقضي على الأعمال الصالحة ، لان المسلم يحاسب ، وينال من الاجر على قدر خشوعه ، واذا ضعف الخشوع ، قل الخوف من الله

ومن ذلك : حديث ‹ صلاة بخاتم تعدل سبعين بغير خاتم ›[٢٢٨٧] موضوع .قال السخاوي : حديث بخاتم تعدل سبعين بغير خاتم ، موضوع ، وكذلك قاله العسقلاني .

٨ - القضاء على العبادة بتفضيل المباح عليه :

وهذا من قبيل تقديم الأدنى على الأعلى ، وهذا يولد اختلال في موازين القيم ، مما يجعل نظام المجتمع ينحد الي الهاوية ، من ذلك :

- حديث ‹ نظرة الى وجه العالم ، احب الى الله من عبادة ستين سنة صياما وقياما ›[٢٢٨٨] .

في نسخة سمعان[٢٢٨٩] وغيره عن أنس - رضي الله عنه - مرفوعا به ، ولا يصح ، قاله السخاوي .

- حديث ‹ النظر الى وجه الاخوان على الشوق احب من الف ركعة تطوعا ›[٢٢٩٠] من حديث ابن عباس ، وفيه محمد بن سعيد البورق[٢٢٩١] .

٢٢٨٤ ن : ٤

٢٢٨٥ تذكرة الموضوعات ، ص ٤٠٠ . اللآليء المصنوعة ، ص ٢١

٢٢٨٦ الموضوعات ، ج ٢ ص ١٠٠

٢٢٨٧ تذكرة الموضوعات ، ص ١٥٩ . كشف الخفاء ، ج ٢ ص ٢٥ . الغماز على اللماز ، ص ١٢٨ . الأسرار المرفوعة ، ص ٢٣٢ . تمييز الطيب من الخبيث .

٢٢٨٨ الأسرار المرفوعة ، ص ٣٧١

٢٢٨٩ هو : سمعان بن المهدي ، أحد الوضاعين ، وقد قال الذهبي فيه : لا يعرف ‹ انظر الميزان : ٢/٢٣٤ › .

٢٢٩٠ تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ٣١٤

٢٢٩١ محمد بن سعيد البورق : كان أحد الوضاعين بعد الثلاث مائة ، قال حمزة السهمي عنه : ‹ كذاب حدثه بغير حديثه › . وكذا قال الحاكم ، توفي سنة ٣١٨هـ . انظر ميزان الاعتدال ، ج ٣ ص ٥٦٦

٩ - تفصيل الأقوال على الأعمال :

وهذه الصفة من الوضع تعلم الانسان النفاق والحيل ، وتنزله من معالى الجد والعمل والاخلاص ، وتهوي به الى واد سحيق من الكسل والاهمال فتنزع من ذلك صفات ذميمة خبيثة من الكذب والسرقة والغش والتفرق وعدم الثقة وسوء الظن ، فتتفجر في المجتمع هذه السموم ، فيكون وبالها وخيما من فقر وحرب وجهل .

ومن هذه الأحاديث : حديث ‹ من تعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به ، كان أفضل من صلاة ألف ركعة ، فان هو عمل به أو علمه كان له ثوابه ، وثواب من عمل به الى يوم القيامة ›[٢٢٩٢] . من حديث ابن عباس ، وفيه محمد بن زياد البشكري[٢٢٩٣] .

١٠- احباط العمل بالرياء :

وهى أفة تقضي على الاخلاص ، وتحبط الاعمال .. من هذه الطامات حديث ‹ اذا قمت تصلي ، فارفع صوتك قليلا ، تفزع الشيطان ، توقظ الجيران ، ترضي الرحمن ›[٢٢٩٤] . من حديث أنس عن طريق أبي هدبة[٢٢٩٥] .

١١- مبالغة الجزاء على الأعمال اليسيرة :

هذا النوع من الوضع يجعل خللا في موازين الأعمال فيتساوى التبر والتراب ، والثرى والثريا ، فتتقاعس النفوس للتسابق الي المعالى فتنحدر الهمم ، وتضعف الطاقات ، فتتخلف الأمة ، وتبنى كيانها علي توافه الأشياء من لعب ولهو .

ومن هذه الأحاديث .. حديث ‹ من قدم لأخيه أبريقا فكأنما قدم له

٢٢٩٢ تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ٢٧٨

٢٢٩٣ قال أحمد : كذاب أعور يضع الحديث ، وروى ابراهيم بن جنيد وغيره عن ابن معين : كذاب . وقال ابن معين : كذاب . وقال ابوزرعة : كان يكذب . قوال الدارقطني : كذاب ‹ ميزان الاعتدال ، ج ٣ ص ٥٥٢ . وقال عمرو بن زراعة : كان محمد بن زياد متهم بالكذب ‹ التاريخ الكبير ، للبخاري ، ج ١ ص ٨٣ › .

٢٢٩٤ كتاب : تنزيه الشريعة المرفوعة ، ج ٢ ص ١٢٧

٢٢٩٥ أبو هدبة : هو ابراهيم بن هدبة الفارسي ثم البصري حدث ببغداد وغيرها ، وكان رقاصا بالبصرة ، وقال النسائي وغيره : متروك . وقال الخطيب : حدث عن أنس بالأباطيل . وقال أحمد : لا شيء . بقي الى سنة مائتين هـ ‹ انظر كتاب ميزان الاعتدال ، ج ١ ص ٧١ › .

جوادا ›[٢٢٩٦] موضوع ، عن طريق الحسين بن علوان[٢٢٩٧] .

وحديث ‹ من سمى في وضوئه لم يزل ملكان يكتبان له الحسنات ، حتى يحدث من ذلك الوضوء ›[٢٢٩٨] عن طريق الحسين بن علوان .

١٢- اضعاف العبادات الأخرى عن طريق الصلاة :

هذا النوع من الوضع يعرض ضعاف النفوس الى ترك بعض الفروض ، ما دام يوجد شيء بسيط يعوض عنها ، وقد يصل هذا الداء بصاحبه الي الكفر ، من ذلك :

حديث ‹ من صلى الفجر في جماعة ، فكأنما حج خمسين حجة مع أدم ›[٢٢٩٩] موضوع ، فيه نوح بن ذكوان[٢٣٠٠] ليس بشيء .

١٣- التضييق والحرج :

كما في الحديث ‹ لا تتوضئوا في الكنيف الذي تبولون فيه ، فان وضوء المؤمن يوزن مع حسناته ›[٢٣٠١] وضعه يحي بن عنبسة[٢٣٠٢] .

وحديث ‹ اغتسلوا يوم الجمعة ، ولو كأسا بدينار ›[٢٣٠٣] من حديث ابي هريرة ، وفيه ابراهيم بن حيان .

وحديث ‹ اغتسل كل جمعه ، ولو ان تشتري الماء بقوت يومك ›[٢٣٠٤] وفيه ايضا ابراهيم بن حيان .

وحديث ‹ من رفع يديه في الركوع ، فلا صلاة له ›[٢٣٠٥] المتهم به محمد

٢٢٩٦ تذكرة الموضوعات ، ص ٣١

٢٢٩٧ قال يحيى عن الحسين بن علوان : كذاب . وقال علي : ضعيف جدا ‹ لم أعرف أي ترجمة عن علي › . وقال ابو حاتم والنسائي والدارقطني : متروك الحديث ‹ انظر ميزان الاعتدال ، ج ١ ص ٥٤٢ › .

٢٢٩٨ تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ٧٠ . تذكرة الموضوعات ، للفتني ، ص ٣١

٢٢٩٩ تذكرة الموضوعات ، ص ٣٩

٢٣٠٠ قال ابو حاتم : نوح ليس بشيء . وقال ابن عدي : أحاديثه ليست محفوظة . وقال ابن حبان : منكر الحديث جدا ‹ انظر تذكرة الموضوعات ، ص ٣٩ › .

٢٣٠١ تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ٧٤ . المصنوع ، ص ١٦٨ . كشف الخفاء ، ج ٢ ص ٣٤٩

٢٣٠٢ ‹ ترجمة يحيى بن عنبسة › قال ابن حبان : دجال وضاع . وقال ابن عدي : منكر الحديث مكشوف الأمر . وقال الدارقطني : دجال يضع الحديث ‹ ميزان الاعتدال ، ج ٤ ص ٤٠٠ › . وذكره الخطيب في تاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٦١ : ليس بشيء كذاب .

٢٣٠٣ تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ١٠٤ . اللآليء المصنوعة ، ج ٢ ص ٢٦

٢٣٠٤ تذكرة الموضوعات ، ص ٣٣ . تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ٧٤

٢٣٠٥ اللآليء المصنوعة ، ج ٢ ص ١٩ . الفوائد ، للشوكاني ، ص ٢٩

بن عكاشة الكرماني[٢٣٠٦] .

وحديث ‹ من رفع يديه في الصلاة ، فلا صلاة له ›[٢٣٠٧] موضوع ، فيه مأمون بن احمد الهروي ، دجال يضع الحديث .

وحديث ‹ قال رجل : يا رسول الله اني تركت الصلاة ؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاقض ما تركت ، فقال يا رسول الله كيف اقضي ؟ ، فقال : صلى مع كل صلاة مثلها، قال يا رسول الله قبل أو بعد ، قال : لا بل قبل ›[٢٣٠٨] هذا الحديث موضوع ، والمتهم بوضعه سلمة بن عبدالله .. ولا يجوز لمن فاتته صلاة ان يؤخر قضائها ، بل يقضي ما استطاع .

إن الصلوات التي وضعها الدجالون ، أصحاب النفوس المريضة ، الذين يتربصون للاسلام كل كيد ، فقد وضعوا أحاديث موضوعة تدعو الى نقض الأحاديث الصحيحة التي وردت عن فضائل الصلاة من تهذيب النفس ، ورفع مستوى الأمة ، والمحافظة على قوتها ، ووحدتها ، وطهارتها .. نجد عكس ذلك في الأحاديث الموضوعة ، من الطرد من رحمة الله وشفاعة رسوله – عليه الصلاة والسلام – وتفضيل الأقوال على الأعمال ، واحباط العمل بالرياء ، والتشكيك بتحريم ما احل الله سبحانه وتعالي ، ووضع التضييق والحرج .

فالصلوات الموضوعة تريد ان تمسح الفروض الخمسة من الوجود ، لانها تهذب النفس والضمير ، وهي تتكرر كل يوم خمس مرات ، فلا تدع المسلم يغفل عن تزكية نفسه وتهذيبها .. قال تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »[٢٣٠٩] .

ومن الأحاديث التي ودرت عن الصلاة .. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (مثل الصلوات الخمس ، كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات)[٢٣١٠] .

٢٣٠٦ ترجمة محمد بن عكاشة الكرماني : قال الدارقطني : يضع الحديث ‹ كشف الحثيث ، ص ٣٩٠ › . وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، ج ١ ص ٤٣ . وفي ميزان الاعتدال ، ج ٣ ص ٤٧٧ كذاب .

٢٣٠٧ كشف الخفاء ، ج ٢ ص ٢٤١

٢٣٠٨ الموضوعات ، ج ٢ ، ص ١٠٢

٢٣٠٩ العنكبوت : ٤٥

٢٣١٠ رواه مسلم ، رقم ٦٦٨

ونسأل الله سبحانه وتعالى ان يعصم من الزلل والانحراف ، وتثبيتها علي السنة الصحيحة .. وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

المبحث الثاني

المناقب والمثالب < لغمان > للإفتـــــراء

أ - لغم المناقـــــــب

١ - مناقب الخلفاء :

أ - حديث < وصيتي وموضع سري ، وخليفتي في أهلي ، وخير من أخلف من بعدي : علي بن أبي طالب >[٢٣١١] من طريق اسماعيل بن زياد[٢٣١٢] .

ب - حديث < من لم يقل : على خير الناس ، فقد كفر >[٢٣١٣] رواه الخطيب عن علي مرفوع ، وهو موضوع ، والمتهم به محم بن كثيـــر الكوفي .

ج - حديث < النظر الى علي عبادة ... >[٢٣١٤] المتهم به محمد بن اسماعيل الرازي[٢٣١٥] .

د - حديث عبدالله بن أبي أوفى < رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - متكئا على علي ، واذا أبو بكر وعمر أقبلا ، فقال : يا أبا الحسن أحبهما ، فبحبهما تدخل الجنة >[٢٣١٦] . عن طريق أبي بكر الاشناني ، وهو من عمله .

٢ - مناقب أهل العلم :

أ - حديث < اللهم اغفر للمعلمين ثلاثا ، كيلا يذهب القرآن ، وأعز العلماء ، كيلا يذهب الدين > موضوع ، ورد عن طريقين الأول اصرم بن حوشب ونهشل بن سعيد ، وفيه محمد بن علي .

ب - حديث < خيار أمتي علماؤها ، وخيار علمائها رحماؤها ، ألا وإن الله يغفر للعالم أربعين ذنبا قبل ان يغفر للجاهل ذنبا واحدا ، ألا وان العالم الرحيم يحيا يوم القيامة ، وأن نوره قد أضاء يمشي فيه بين المشرق

٢٣١١ المصنوع ، ص ١٦٧ . تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ٣٥٦

٢٣١٢ قال العقيلي : لا يتابع عليه ، وكان له مذهب سوء .

٢٣١٣ تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ٣٥٣

٢٣١٤ الفوائد ، ص ٣٥٩

٢٣١٥ قال الذهبي في الميزان : محمد الرازي كذاب ، يروي الموضوعات < عن كتاب الفوائد ، ص ٣٥٩ > .

٢٣١٦ تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ٣٤٧

والمغرب ، كما يضيء الكوكب الدري >[٢٣١٧] الحديث باطل[٢٣١٨] ، المتهم به محمد بن اسحاق السلمي[٢٣١٩] .

ج - حديث < عالم قريش يملأ الأرض علما >[٢٣٢٠] يعني الشافعي ، وهو موضوع ، تفرد به مروان بن سالم[٢٣٢١] .

د - حديث < سراج أمتي أبو حنيفة >[٢٣٢٢] موضوع ، باتفاق المحدثين موضوع[٢٣٢٣] .

هـ - حديث < اذا جلس المتعلم بين يدي العالم ، فتح الله عليه سبعين بابا من الرحمة ولا يقوم من عنده إلا كيوم ولدته امه ، وأعطاه الله بكل حرف ثواب ستين شهرا وكتب الله بكل حديث عبادة سنة >[٢٣٢٤] موضوع .

٣ - مناقب الأسماء :

حديث < لا يدخل الفقر بيتا فيه إسمي >[٢٣٢٥] رواه بن عدي . وفي اسناده وضاع[٢٣٢٦] . وان واضعه عثمان بن عبدالرحمن[٢٣٢٧] .

٤ - مناقب الألوان :

أ - حديث < اتخذوا السودان ، فان فيهم ثلاثة من سادات أهل الجنة ، لقمان الحكيم والنجاشي وبلال >[٢٣٢٨] . والمتهم بهذا الحديث أبين بن سفيان

٢٣١٧ اللآلىء المصنوعة : ٢٢٥/١ . سلسلة الأحاديث الضعيفة ، ج ١ ص ٣٦٨

٢٣١٨ اتفق الذهبي والعسقلاني على بطلان هذا الحديث < انظر كتاب اللآلىء المصنوعة : ٢٢٥/١ > .

٢٣١٩ قال الخطيب هذا الخبر باطل ، والسلمي فيه جهالة .

٢٣٢١ مروان : هالك ، رمي بالوضع ، قاله الصنعاني < انظر الفوائد ، ص ٤٢٠ > .

٢٣٢٢ تذكرة الموضوعات ، ص ١١١ . الأسرار ، ص ٧٦

٢٣٢٣ الأسرار المرفوعة ، ص ٧٦

٢٣٢٤ تذكرة الموضوعات ، للفتني ، ص ١٩

٢٣٢٥ الفوائد ، ص ٤٧١

٢٣٢٦ المصدر السابق .

٢٣٢٧ عثمان بن عبدالرحمن ، وشيخه كان يضع الحديث .

٢٣٢٨ تذكرة الموضوعات ، للفتني ، ص ١١٣ . تنزيه الشريعة : ٣٧/٢ . والموضوعات ، لابن الجوزي : ٢٣٢/٢ . والمجروحين ، لابن حبان : ١٧٠/١ . تذكرة الموضوعات ، للمقدسي ، ص ٣ . واللآلىء المصنوعة : ٤٣٨/١ .

٢٣٢٩ قال أبو جعفر النفيلي ، كتب عن أبين بن سفيان ،ثم حرقت ما كتبت عنه ، كان مرجئا ، وقال الدارقطني : ضعيف ، له مناكير < انظر ميزان الاعتدال ، ج ١ ص ٧٨ > .

[٢٣٢٩] ب - حديث ‹ ان الله تعالي لا يعذب حسان الوجوه سود الحدق › [٢٣٣٠] موضوع ، علة هذا الحديث من الرقاشي [٢٣٣١] - عبدالله بن محمد - .

٥ - التعصب للانساب :

حديث ‹ من أدخل بيته حبشيا أو حبشية ، أدخل الله بيته البركة › [٢٣٣٢] من حديث ابن عمر ، وفيه خالد بن يزيد المكي [٢٣٣٣] .

٦ - مناقب الفقر :

حديث ‹ اتخذوا عند الفقراء أيادي ، فان لهم دولة يوم القيامة ، فاذا كان يوم القيامة نادى مناد : سيروا الى الفقراء ، فيعتذر اليهم كما يعتذر احدكم الى أخيه في الدنيا › [٢٣٣٤] .

قال العسقلاني : لا أصل له ، وقال السخاوي بعد ايراد أحاديث بمعناه << كل هذا باطل >> [٢٣٣٥] .

٧ - مناقب الزيارة :

حديث ‹ من زارني وزار أبي ابراهيم في عام واحد دخل الجنة › [٢٣٣٦] قال ابن تيمية والنووي انه موضوع لا أصل له ، قال السنعاني : موضوع ، وقال الزركشي في اللآليء : هو ضعيف ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات .

٨ - مناقب البلدان :

أ - حديث ‹ مصر خزائن الله في أرضه ، والجيزة روضة من رياض

٢٣٣٠ اخرجه الديلمي ، اورده السيوطي في اللآليء : ١/١١٣ - ١١٤ ، وسلسلة الأحاديث ، ج ١ ص ١٦٣

٢٣٣١ ترجمة الرقاشي : هو عبدالملك بن محمد من البصرة ، وانتقل عنها وسكن بغداد ، وكان مذكورا بالصلاح والخير . قال الدارقطني : هو صدوق كثير الخطأ في الأسانيد والمتون ، كثير الأوهام فيه ، لانه يحدث من حفظه ، توفي سنة ٢٧٦هـ .

٢٣٣٢ تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ٣٧ . التذكرة ، ص ١١٣

٢٣٣٣ شيخ كان يسكن مكة ، قال ابن حبان في المجروحين : ١/٢٨٤ ‹ منكر الحديث ، لا يشتغل بذكره ، لانه يروي الموضوعات عن الاثبات › مات سنة ٢٢٩ هـ ‹ الميزان ، ج ١ ص ٦٤٦ › .

٢٣٣٤ الأسرار المرفوعة ، ص ٧٨

٢٣٣٥ المصدر السابق .

٢٣٣٦ تذكرة الموضوعات ، ص ٧٦

الجنة ›[٢٣٣٧] والمتهم به ابن شريط[٢٣٣٨] .

ب - حديث ‹ أربعة أبواب من أبواب الجنة ، مفتحة في الدنيا ، أولهن الاسكندرية ، وعسقلان ، وقزوين ، وفضل جدة على هؤلاء كفضل بيت الله الحرام على سائر البيوت ›[٢٣٣٩] المتهم به عبدالملك بن هارون[٢٣٤٠] .

ج - ‹ حديث ‹ ستفتح عليكم الآفاق ، وستفتح عليكم مدينة يقال لها (قزوين) من رابط فيها أربعين يوما أو أربعين ليلة كان له في الجنة عمود من ذهب على زبرجدة خضراء عليها قبة من ياقوته حمراء لها سبعون ألف مصراع ، على كل مصراع زوجة من الحور العين ›[٢٣٤١] .المتهم به داود بن المحبر[٢٣٤٢] ، ويزيد الرقاشي[٢٣٤٣] .

د - حديث ‹ اذا ذهب الايمان من الأرض وجد ببطن الأردن ›[٢٣٤٤] ، المتهم به احمد بن كنانة[٢٣٤٥] .

٢٣٣٧ الميزان : ١٨٢/١ ، تنزيه الشريعة : ٥٧/٢ ، تذكرة الموضوعات ، للفتني ، ص ١١٩

٢٣٣٨ هو : احمد بن اسحاق بن نبيط بن شريط ، قال الذهبي : لا يحل الاحتجاج به ، لانه كذاب ‹ انظر الميزان : ٨٢/١ › .

٢٣٣٩ الميزان : ٦٦٦/٢ ، اللآليء المصنوعة : ٤٦٠/١ ، تنزيه الشريعة : ٤٦/٢ ، المجروحين ، لابن حبان : ١٣٣/٢ ، الموضوعات ، لابن الجوزي : ٥١/٢ - ٥٢ ، العلل المتناهية : ٣٠٦/١ ، تذكرة الموضوعات ، للمقدسي ، ص ٩ .

٢٣٤٠ هو : عبدالملك بن هارون بن عنترة بن عبدالرحمن الشيباني ، ويقال له عبدالملك بن أبي عمرو حتى لا يعرف ، كان كنيته هارون أبو عمرو ، قال ابن حبان في المجروحين ١٣٣/٢ : كان ممن يضع الحديث ، وكذبه ابن معين في تاريخه : ٣٧٦/٢ ، والجوزقاني ، كما في الميزان :٦٦٦/٢ ، قال ابو حاتم : متروك ذاهب الحديث ‹ الميزان : ٦٦٦/٢ › .

٢٣٤١ الموضوعات ، لابن الجوزي : ٥٦/٢ ، وتنزيه الشريعة : ٥٠/٢ ، وسلسلة الأحاديث رقم ٣٧١ ، والميزان : ٢٠/٢ ، واللآليء : ٤٦٤/١ ، والحديث أخرجه ابن ماجه في سننه : ٩٢٩/٢ .

٢٣٤٢ هو : داود بن المحبر بن حذم ابو سليمان البصري الطائي ، المتوفي في بغداد سنة ٢٠٦هـ ، كذاب وضاع ‹ انظر ترجمته في الجرح :٤٢٤/١/٢ ، والميزان :٢٠/٢ ، والمجروحين : ٢٩١/١ › .

٢٣٤٣ هو : يزيد بن أبان الرقاشي البصري ، أبو عمرو الزاهد العابد ، كان قاصا يقص بالبصرة ، قال ابن حبان في المجروحين ٩٨/٣ : لا تحل الرواية عنه الا على سبيل التعجب ، وقال النسائي وغيره : متروك ، وضعفه ابن معين والدارقطني - وقال احمد : منكر الحديث ، وكذا في الميزان : ٤١٨/٤ ‹ وانظر ترجمته في تاريخ بغداد : ٨ /٣٥٩ › .

٢٣٤٤ تنزيه الشريعة : ٥٧/٢ ، والميزان : ١٢٩/١ ، والعلل المتناهية : ٣١١/١ .

٢٣٤٥ هو : احمد بن كنانه الشامي ، قال ابن عدي : منكر الحديث ‹ انظر في الميزان : ١٢٩/١ ، والعلل المتناهية : ٣١١/١ › .

٩ - مناقب الشهور :

حديث < فضل رجب على الشهور ، كفضل القرآن على سائر الكلام >[٢٣٤٦] قال ابن حجر موضوع[٢٣٤٧] .

قال العطاء في رسالة له : إن ما روى من فضل صيام رجب كله موضوع وضعيف لا أصل له ، يقول عبدالله الانصاري : لم يصح في ذلك شيء ، وكذا ما يفعل في هذه الأزمان من اخراج الزكاة في رجب دون غيره لا أصل له في علمي ، وقال : ومما احدث العوام صيام أول خميس من رجب وكله بدعة ، ومما أحدثوا في رجب وشعبان اقبالهم على الطاعات فيهما واعراضهم في غيرهما[٢٣٤٨] .

١٠ - مناقب الأيام :

أ - حديث < من أصبح يوم الجمعة صائما ، وعاد مريضا ، وأطعم مسكينا ، وشيع جنازة ، لم يتبعه ذنب أربعين سنة >[٢٣٤٩] موضوع[٢٣٥٠] .

ب - حديث < صيام عرفة كصوم ستين سنة >[٢٣٥١] موضوع ، وفيه محمد ابن تميم[٢٣٥٢] .

ج - حديث < في أول ليلة من ذي الحجة ولد ابراهيم ، فمن صام ذلك اليوم كان كفارة ستين سنة >[٢٣٥٣] . وفيه محمد بن سهل يضع[٢٣٥٤] .

د - حديث < صيام أول يوم من العشر يعدل مائة سنة ، واليوم الثاني يعدل مائتي سنة ، فاذا كان يوم التروية يعدل ألف عام ، وصيام

٢٣٤٦ الفوائد ، ص ٤٤٠ . تمييز الطيب من الخبيث .

٢٣٤٧ المصدر السابق .

٢٣٤٨ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، ص ٤٤٠

٢٣٤٩ اخرجه بن عدي في الكامل : ١٢٢/٢ . وابن الجوزي في الموضوعات : ١٠٧/٢ . وسلسلة الأحاديث الموضوعة ، ج ٢ ص ٨٦

٢٣٥٠ الحديث وارد عن عمرو بن حمزة البصري يقول حدثنا خليل بن مرة عن اسماعيل بن ابراهيم عن عطاء بن أبي رباح . قال ابن الجوزي : ان عمرو وخليل واسماعيل كلهم ضعفاء مجروحين . وقال البخاري : منكر الحديث < سلسلة الأحاديث ، ج ٢ ص ٨٦ > اسماعيل ولد سنة ١١٠هـ .

٢٣٥١ تذكرة الموضوعات ، ص ١١٩ . تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ١٦٥

٢٣٥٢ كان يضع الحديث < ميزان الاعتدال ، ج ٣ ص ٤٩٤ > .

٢٣٥٣ تذكرة الموضوعات ، ص ١٢٩

٢٣٥٤ ميزان الاعتدال ، ج ٣ ص ٥٧٦

يوم عرفة يعدل ألفي عام ›[٢٣٥٥] . فيه محم بن المحرم كذاب[٢٣٥٦] .

هـ - حديث ‹ من صام آخر يوم من ذي الحجة ، وأول يوم من المحرم ، فقد ختم السنة الماضية بصوم وافتتح السنة المستقبلة بصوم ، فقد جعل الله كفارة خمسين سنة ›[٢٣٥٧] موضوع فيه كذابان[٢٣٥٨] .

و - حديث ‹ من أفطر عنده يوم عاشوراء ، فكأنما افطر عنده جميع أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ›[٢٣٥٩] . وفيه حبيب بن أبي حبيب[٢٣٦٠] .

ز - حديث ‹ من قلم أظفاره يوم السبت خرج منه الداء ودخل فيه الشفاء ، ومن قلم أظفاره يوم الاثنين خرجت منه الفاقة ، ودخل فيه الغنى ، الى آخر فوائد كل يوم ... ›[٢٣٦١] موضوع .

١١- النفاق والتزلف للمصالح الشخصية والطمع المادي :

حديث ‹ ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يطير الحمام ›[٢٣٦٢] موضوع ، وان واضعه ابو البختري عندما دخل على الرشيد وهو قاضٍ ، وهارون الرشيد يطير الحمام ، فوضع هذا الحديث . فعرض على الرشيد[٢٣٦٣] ، قال : أخرج عني ، فطرده عن بابه[٢٣٦٤] .. وفي رواية انه قال له : لولا انك من قريش لعزلتك[٢٣٦٥] .

٢٣٥٥ تذكرة الموضوعات ، ص ١١٩

٢٣٥٦ المصدر السابق .

٢٣٥٨ الكذابان هما :

أ - احمد بن عبدالله الهروي الجويباري

ب - وهب بن وهب .. ‹ اللآلىء المصنوعة ، ج ٢ ص ١٠٨ ›

٢٣٥٩ تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ١٦٥

٢٣٦٠ قال ابن حبان وغيره : حبيب بن أبي حبيب كان يضع الحديث ‹ ميزان الاعتدال ، ج ١ ص ٤٥١ › .

٢٣٦١ تذكرة الموضوعات ، ص ١٦٠

٢٣٦٢ تاريخ بغداد ، ج ١٣ ص ٤٥١

٢٣٦٣ هو : الخليفة العباسي هارون الرشيد ابن المهدي يكنى أبا جعفر ، أفضت اليه الخلافة سنة ١٧٠هـ . وحج بالناس ست حجج ، وغزا سنة ١٩٠هـ الروم ، فافتتح هرقل. مات في خراسان في مدينة طول سنة ١٩٣م . له ترجمة في المعارف لابن قتيبة ، ص ٣٨١ - ٣٨٣

٢٣٦٤ تاريخ بغداد : ١٣/٤٥٣ . وفتح المغيث : ١/٢٤٠ . وتنزيه الشريعة : ٢/٢٣٩ . وتذكرة الموضوعات ، للفتني ، ص ١٥٢ .

٢٣٦٥ تاريخ بغداد : ٢/٣٢٣ . والباعث الحثيث ، ص ٨٦

١٢ - مدح الأطعمة :

حديث ‹ قدس العدس على لسان سبعين نبيا ، أخرهم عيسى - عليه السلام - ›[٢٣٦٦] باطل .

هذه الأحاديث التي وردت عن المناقب جاءت بكل الويلات من الفتن والتمزق والتفرق ، فعصفت بريح الامة ، فأضعفها ، فنشرت التعصب والنفاق ، ثم هجمت على النصوص الصحيحة لتعتم عليها ، وتحول بينها وبين تطبيقها ، ولقد نظم هذا الوضع بدقة وتخطيط وتنسيق ، ويجعل الظلم يحل بمكان الحق ، وترفع موازين العدل والمساواة ، وتوزع الخيرات على حسب الاهواء ، والله سبحانه وتعالي يقول مهددا ومتوعدا الذين ينحرفون عن هديه ، ويتبعون رغباتهم وأهواءهم ، بقوله : « لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا ، أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون »[٢٣٦٧] . ويقول تعالى : « من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا »[٢٣٦٨] .

اعترضات وردود :

قد يعترض بعض الناس على الرد ، لمن يعترض على هذه المناقب على انه لا مانع من ذلك ، وقد وردت نصوص بذلك .

فأقول وبالله التوفيق : إن المناقب على قسمين :

أ - مناقب باطلة ، لم تبن على الحق ، وانما مبنية على الفخر والكبرياء والظلم ، وهذه التي تمزق الامة وتفرقها ، والله سبحانه وتعالى يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »[٢٣٦٩] .

ب - النوع الثاني من المناقب : وهو مبني على التسابق في الخير ، وذكر المآثر على سبيل القدوة ، مثلا ذكر مناقب الخليفة عثمان - رضي الله عنه - ان نقول انه انفق أمواله في سبيل الله ، وانه صاحب حياء ، وان أخلاقه عالية ، فذكر المناقب باسلوب ذكر المآثر للاقتداء غير طريقة الكذابين التي تفرق الأمة ، وتمزق الوحدة .. فالوقانين الاسلامية قوانين عمل وعدل واخلاص متمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

٢٣٦٦ اللآلئ المصنوعة ، ج ٢ ص ٢١٢

٢٣٦٧ المجادلة : ١٧

٢٣٦٨ النساء : ١٢٣

٢٣٦٩ آل عمران : ١٠٣

من هذه القوانين قول الله سبحانه وتعالى : « من جاء بالحسنة فله خير منها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون »[٢٣٧٠] .

وقوله تعالى : « ووفيت كل نفس ما عملت ، وهو أعلم بما يفعلون »[٢٣٧١]

وقوله تعالى : « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد »[٢٣٧٢] .

القسم الثاني :

ب - لغم المثالــــب

١ - مثالب الخلفاء :

حديث ‹ اذا رأيتم معاوية يخطب على المنبر فاقتلوه ›[٢٣٧٣] المتهم به عباد ابن يعقوب[٢٣٧٤] ، وهو رافضي كذاب ، ومتهم به غيره[٢٣٧٥] .

٢ - مثالب أهل العلم :

حديث ‹ شراركم معلموا صبيانكم ، اقلهم رحمة على اليتيم ،

٢٣٧٠ القصص : ٨٤

٢٣٧١ الزمر : ٧٠

٢٣٧٢ فصلت : ٤٦

٢٣٧٣ تذكرة الموضوعات ، للمقدسي ، ص ٧ والمتهم به عنده : الحكم بن ظهير ابو محمد الغزاوي الكوفي ، كذاب وضاع : انظر في المجروحين ، لابن حبان : ٢/١٧٢ . والضعفاء ، لابن الجوزي ، ٤٥/أ . ونحوه في الكامل ، لابن عدي : ٢/٦٣ . الموضوعات ، لابن الجوزي : ٢/٢٤ - ٢٦ . واللآلىء ، للسيوطي : ١/٤٢٤

٢٣٧٤ قال ابن حبان : عباد بن يعقوب كان رافضيا ، داعية ، يروي المناكير عن المشاهير ، فاستحق الترك ‹ الموضوعات ، ج ٢ ص ٢٦ › مات عباد سنة ٢٥٠هـ ‹ ميزان الاعتدال ، ج ٢ ص ٣٧٩ › .

٢٣٧٥ محمد بن اسحاق الفقيه وابن الزبير ، قال الخطيب : كثير المناكير .

وأغلظهم على المسكين »[٢٣٧٦] موضوع ، المتهم في وضعه سعد بن طريف الاسكافي[٢٣٧٧] ، وسيف بن عمر .

٣ - مثالب الألوان :

أ - حديث « دعوني من السودان ، انما الأسود لبطنه وفرجه »[٢٣٧٨] والمتهم به : يحيى بن أبي سليمان المديني[٢٣٧٩] .

ب - حديث « ان الاسود اذا جاع سرق ، واذا شبع زنى »[٢٣٨٠] . المتهم به عنبسة البصري[٢٣٨١] .

٤ - مثالب التعصب للانساب :

أ - حديث « اتركوا لترك ما تركوكم »[٢٣٨٢] والمتهم به سلمة بن حفص [٢٣٨٣]

ب - حديث « اتقوا الهنود ولو بسبعين بطنا »[٢٣٨٤] .

ج - حديث « ان الحبشة نجداء أشحياء ، وان فيهم يمنا ، فاتخذوهم

٢٣٧٦ اللآلىء المصنوعة : ١٩٩/١ . والأسرار المرفوعة ، ص ٢٢٦ . تذكرة الموضوعات ، للفتني ، ص ١٩ . كشف الخفاء ، ج ٢ ص ٧ . تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ٢٥٣

٢٣٧٧ قال ابن حبان : سعد بن طريف يضع على الفور « اللآلىء المصنوعة ، ج ١ ص ١٩٩ » .

٢٣٧٨ تنزيه الشريعة : ٣١/٢ . الأسرار المرفوعة ، ص ٤٦٤ . وتذكرة الموضوعات ، للفتني ، ص ١١٤ . تاريخ بغداد ، للخطيب : ١٠٨/١٤ . المنار المنيف ، ص ١٠١ . واللآلىء المصنوعة : ٤٤٣/١ .

٢٣٨٠ اللآلىء : ٤٤٤/١ . والأسرار المرفوعة ، ص ٤٦٤ . المنار المنيف ، ص ١٠١ . وعقد بن القيم في المنار ، ص ١٠١ فصلا في أحاديث ذم الحبشة والسود ، وقال كلها كذب . وانظر الحديث الموضوع في تذكرة الموضوعات ، للفتني ، ص ١١٣

٢٣٨١ هو : عنبسة بن سعيد البصري القطان . قال ابن حبان في المجروحين ١٧٨/٢ : منكر الحديث جدا ، لا يجوز الاحتجاج اذا لم يوافق الثقات . وضعفه ابن معين في تاريخه :٤٥٨/١ . ووثقه أبو داود

٢٣٨٢ الأسرار المرفوعة ، ص ٤٦٤ . تاريخ بغداد : ١٣٥/٩ . وأشار ابن القيم في المنار الى ان أحاديث ذم الترك موضوعة ، ص ١٠١ . واللآلىء : ٤٤٥/١ . وتنزيه الشريعة : ٢٩/٢ . وتذكرة الموضوعات ، للفتني ، ص ١١٤

٢٣٨٣ هو : سلمة بن حفص أبو بكر السعدي ، شيخ كوفي مات في بغداد ، قال ابن حبان في المجروحين ٣٣٩/١ : كان يضع الحديث « انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ١٣٤/٩ . في الميزان : ١٨٩/٢ » .

٢٣٨٤ تذكرة الموضوعات ، للفتني ، ص ١١٤ . الموضوعات ، للصغاني ، ص ٧

وامتهنوهم ، فانهم أقوى شيء ›[٢٣٨٥] . والمتهم فيه : حبيب بن أبي حبيب[٢٣٨٦] .

٥ - مثالب النساء :

حديث ‹ طاعة المرأة ندامة ›[٢٣٨٧] موضوع ، المتهم به عنبسة بن عبدالرحمن[٢٣٨٨] .

٦ - مثالب الحرف :

أ - حديث ‹ يخرج الدجال ومعه سبعون الف حائك ›[٢٣٨٩] ، والمتهم فيه اسماعيل بن يحيى التميمي[٢٣٩٠] .

ب - حديث ‹ لا تشاوروا الحجامين ، ولا الحاكة ، ولا تسلموا عليهم ›[٢٣٩١] موضوع ، فيه احمد بن عبدالله[٢٣٩٢] من أكذبهم .

ج - حديث ‹ ان الله عز وجل أوحى الى نبي من أنبياء بني اسرائيل ان قل لقومك لا يتجروا بالقمح ، فمن اتجر بالقمح فانما تعرض لارواح خلقي ، فانما أراد قتلهم ، ومن أراد قتلهم لم يكن له قاتل غيري ›[٢٣٩٣] من

٢٣٨٥ تنزيه الشريعة : ٢٩/٢ . اللآلىء المصنوعة : ٤٤٣/١

٢٣٨٦ هو : حبيب بن أبي حبيب ، كاتب مالك بن أبي أنس ، واسم أبي حبيب زريق أصله من خراسان المتوفي سنة ٢١٠هـ ، وهو كذا وضاع ، انظر الميزان : ٤٥٢/١ . المجروحين : ٢٦٥/١ .

٢٣٨٧ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ج ١ ص ٤٣٣

٢٣٨٨ قال اب عدي : منكر الحديث ، وقال ابو حاتم : كان يضع الحديث . والحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات من رواية ابن عدي هذه ، وقال : لا يصح ، عنبسة ليس بشيء . سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ج ١ ص ٤٣٣ .

٢٣٨٩ تذكرة الموضوعات ، ص ١٣٧

٢٣٩٠ هو : اسماعيل بن يحيي التيميم ، يحدث بالأباطيل ، وهو كذاب روى عن سفيان الأحاديث ‹ تذكرة الموضوعات ، ص ١٣٧ › .

٢٣٩١ تذكرة الموضوعات ، ص ١٣٧ . تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ١٩٩

٢٣٩٢ هو : احمد بن عبدالله ، كان يدخل المناكير على حديث عبدالرزاق ، وكذبه احمد ‹ ميزان الاعتدال ، ج ١ ص ١٠٩ › .

٢٣٩٣ تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ١٩٧

حديث ابن عباس ، وفيه محمد بن السائب الكلبي[٢٣٩٤] .

لقد وجه الوضاعون الطعن على العمل واحتقار أصحاب الحرف ، وهي مهن شجع الاسلام عليها ، وامر المسلمين بالجد والسعي .. والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الصحيحة تحث الجميع على المثابرة والجهد وترك الكسل ووعد العاملين على الثواب الجزيل .

٧ - مثالب اللغات :

أ - حديث < اذا غضب الله تعالى أنزل الوحي بالفارسية ، واذا رضي أنزله بالعربية >[٢٣٩٥] .

ب - حديث < أبغض الكلام الى الفارسية ، وكلام الشيطان الخوزية ، وكلام اهل النار النجارية ، وكلام اهل الجنة العربية >[٢٣٩٦] . والمتهم به اسماعيل بن زياد[٢٣٩٧] .

ج - حديث < لا يبغض العرب الا منافق >[٢٣٩٨] . والمتهم به زيد بن جبيرة[٢٣٩٩] .

د - حديث < ان الله عز وجل اذا غضب أنزل الوحي بالعربية ، اذا

٢٣٩٤ قال الثوري : اتقوا الكلبي . وقال البخاري : قال الكلبي كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب . وقال يزيد بن زريع : حدثنا الكلبي وكان سبائيا . وقال ابن معين : الكلبي ليس بثقة . وقال الجوزجاني وغيره : كذاب . وقال الدارقطني وغيرهما : متروك < ميزان الاعتدال ، ج ٣ ص ٥٥٦ > . مات الكلبي سنة ١٤٠هـ < المجروحين ، ج ٢ ص ٢٥٣ > .

٢٣٩٥ المنار المنيف ، لابن القيم ، ص ٥٩

٢٣٩٦ الميزان ، للذهبي : ٢٣٠/١ . والمجروحين ، لابن حبان : ١٢٩/١ . والموضوعات ، لابن الجوزي : ١١١/١

٢٣٩٧ هو : اسماعيل بن زياد أو ابن أبي زياد الكوفي ، قاضي الموصل . قال ابن حبان في المجروحين ١٢٩/١ : شيخ دجال ، لا يحل ذكره في الحديث ، الا على سبيل القدح فيه . وقال ابن عدي منكر الحديث كذا في الميزان : ٢٣٠/١

٢٣٩٨ ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية : ٢٩٥/١ . أخرجه عبدالله ، كما في مجمع الزوائد : ٥٣/١٠ من حديث علي - رضي الله عنه - .

٢٣٩٩ هو : زيد بن جبيرة بن محمد بن جبيرة الأوسي ، من بني عبد الأشهل ، كنيته أبو جبيرة الأنصاري . قال ابن حبان : منكر الحديث ، يروي المناكير عن المشاهير ، فاستحق التنكب عن روايته . وقال ابن معين : ليس بشيء < انظر المجروحين ، لابن حبان : ٣١٠/١ > . وقال البخاري في التاريخ الكبر : ٣٩٠/٢/١ : منكر الحديث . وقال ابو حاتم كما في الجرح : ٥٥٩/٢ ضعيف الحديث ، منكر .

رضي انزله بالفارسية >[٢٤٠٠] المتهم به : جعفر بن الزبير[٢٤٠١] ، وعمر بن موسى[٢٤٠٢] .

٨ - مثالب الشهور :

أ - حديث < ما أهلك الله أمة من الأمم ، الا في أذار ، ولا تقوم الساعة الا في أذار >[٢٤٠٣] المتهم أبو شيبة القاضي[٢٤٠٤] .

ب - حديث < آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر >[٢٤٠٥] . فيه مسلمة بن الصلت[٢٤٠٦] .

٩ - مثالب الأيام :

حديث < لو سافر جبل يوم السبت من مشرق الى مغرب ، لرده الله عز وجل الى موضعه >[٢٤٠٧] موضوع .

إن مثالب الأيام والشهور أخطارها جسيمة ، لا يعلم مداها وخطرها الا الله سبحانه وتعالى . لان هذا الاعتقاد يولد فسادا في العقيدة ، لانه اذا اعتقد ان الايام تضر او تنفع ، وهي لا حول لها ولا قوة ، فقد يعرض نفسه للانحراف عن التوحيد والوقوع في الشرك ، كذلك تتولد في نفس المعتقد بهذه الموضوعات أمراض نفسية كثيرة تشتت فكره وتقضي على معنوياته

٢٤٠٠ الموضوعات ، لابن الجوزي : ١/١١١

٢٤٠١ هو : من أهل الشام ، سكن البصرة ، قال شعبة : وضع على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربعمائة حديث ، وتركه احمد كذا في الميزان : ٤٠٦/١ ، وهو الذي وضع حديث : < الذين يحملون العرش يتكلمون بالفارسية > كما في الميزان : ١/ ٤٠٦

٢٤٠٢ هو : عمر بن موسى بن وجيه التميمي الوجيهي الحمصي ، وهو الذي يقال له عمر بن موسى بن وجيه الأنصاري الشامي . قال ابن حبان في المجروحين : ٨٦/٢ كان ممن يروي المناكير عن المشاهير ، فلما كثر في روايته خرة عن حد العدالة الي الجرح فاستحق الترك . وقال البخاري : منكر الحديث < كما في التاريخ الكبير ، ١٩٧/٣/٢ > .

٢٤٠٣ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة ، ج ٢ ص ٥٥

٢٤٠٤ قال ابن الجوزي : هو متروك . وقال الأزدي : هذا كذاب . قال يحيى بن معين : ليس بثقة < انظر ميزان الاعتدال ، ج ٤ ص ٥٣٧ > .

٢٤٠٥ كشف الخفاء ، ج ١ ص ١٢ . تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ٥٥

٢٤٠٦ قال احمد بن حنبل عن مسلمة بن الصلت : خبره منكر . وقال السيوطي : سنده ضعيف . وقال ابو حاتم : متروك < الميزان ، ج ٤ ص ١٠٩ > .

٢٤٠٧ الفوائد ، ص ٤٣٨ رقم ٢٧ . تذكرة الموضوعات ، ص ١١٥ . تنزيه الشريعة ، ج ٢ ص ١٨٣

وهمته ، فتتوزع النفس ، وينتابها الهلع ، من كثرة التردد والخوف ، لان اكثر الايام والشهور يسودها التشاؤم مما يجعل المرء عندما يريد ان يقدم على عمل في شهر من الشهور أو يوم من الأيام ، فان قلبه يخفق من شدة الخوف ، ان لغما من هذه الويلات سوف تنفجر عليه ، فيعيش متوجسا مترددا ، كسولا ، كثير الشكوك والظنون .

ولا يمكن للمسلم ان يعيش حياة سعيدة الا بالصلة مع الله كما يريد الله سبحانه وتعالى ، كما في قوله تعالى : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم لذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب »[٢٤٠٨] .

فالمسلم الذي يستعين بالله ، ويعلم ان الله يعلم سره وجهره ، فانه سوف يستقيم ويسعد عندما يفكر في قوله تعالي : « وهو الله في السموات وفي الأرض ، يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون »[٢٤٠٩] .

تعقيب على المثالب :

فالمثالب التي وردت في الأحاديث الموضوعة هي ألغام في المجتمع الاسلامي ، تنفجر بين الحين والآخر ، فيكون وبالها عظيما ، والواضعون لهذه المثالب ، هم مخططون بوعي وادراك للقضاء على الشريعة الاسلامية بهدمها وقلعها من جذورها ، حيث أتت المثالب بكل أنظمة الجاهلية . منها :

١ - نشر الظلم في الأمة الاسلامية لطمس حقائق العدل التي تتمثل في قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون »[٢٤١٠] .

وقوله تعالى : « ما يبدل القول لدي ، وما أنا بظلام للعبيد »[٢٤١١]
وقوله تعالى : « ومن يؤمن بالله يهدي قلبه ، والله بكل شيء عليم »[٢٤١٢]

٢ - الطعن : فقد جاءت الأحاديث الموضوعة في المثالب بالطعن واللعن والشتائم والسب ، وهذه سلوك مخالفة للسنة الصحيحة والأخلاق .. صاحبها الذي يشهد له رب العالمين بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم »[٢٤١٣] .

٢٤٠٨ الرعد : ٢٨

٢٤٠٩ الأنعام : ٣

٢٤١٠ النحل : ٩٠

٢٤١١ ق : ٢٩

٢٤١٢ التغابن : ١١

٢٤١٣ ن : ٤

فالسنة الصحيحة كلها تحارب الأخلاق السيئة .. ومما ورد في السنة :

قوله - صلى الله عليه وسلم - : (ليس المؤمن بطعان ، ولا لعان ، ولا فاحش ، ولا بذيء)[٢٤١٤] .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : (سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر »[٢٤١٥] .

وقوله - عليه الصلاة والسلام - : (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)[٢٤١٦] .

وقوله - عليه الصلاة والسلام - : (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وان الله تعالى يبغض الفاحش البذيء)[٢٤١٧] .

٣ - التمزق والتفرق : جميع الأحاديث الموضوعة في المثالب تدعو الى التمزق والتفرق ، وهي تريد ان تقضي على صفاء الحق في نصوص الكتاب والسنة للدعوة على الاتحاد والترابط والتواد .كما في قوله تعالي : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا »[٢٤١٨] .

ومن ذلك حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضا ، وشبك بين أصابعه)[٢٤١٩] .

وقوله - عليه الصلاة والسلام - : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[٢٤٢٠] .

فالوضع بالحديث عصف بالأمة الاسلامية بأعاصير كدرت حياتهم ، وحيرت عقولهم .. فحولت الاعتصام فرقة ، والمحبة عداوة ، والألفة وحشة

<< ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم >>

٢٤١٤ جمع الفوائد من جامع الأصول ، ج ٢ ص ٢٥٨

٢٤١٥ للشيخين والترمذي والنسائي (جمع الفوائد ، ج٢ ، ص ٢٧٦) .

٢٤١٦ جمع الفوائد ، ج ٢ ص ٢٥٨

٢٤١٧ المصدر السابق .

٢٤١٨ آل عمران : ١٠٣

٢٤١٩ للشيخين والترمذي (جمع الفوائد من جامع الأصول ، ج ٢ ص ٢٥٤)

٢٤٢٠ جمع الفوائد من جامع الأصول ، ج ٢ ص ٢٥٥

المبحث الثالث

الوضع في مدح العقـــــــــل

** نبذة مختصرة عن العقل :

فقد ورد في ‹ لسان العرب › :

العقل : الحجر والنهى[٢٤٢١] ، ضد الحمق ... عقل يعقل عقلا ومعقولا ..

وهو مصدر سماعي ، وقال سيبويه هو : صفة .

قال ابن الأنباري : رجل عاقل ، وهو الجامع أمره ورأيه ، مأخوذ من عقلت البعير ، اذا جمعت قوائمه .

وقيل العاقل : الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها ، أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه ، اذا حبس ومنع الكلام .

والعقل : التثبت في الأمور .

والعقل : القلب .

وسمى العقل عقلا ، لانه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أو يحبسه[٢٤٢٢] .

وجاء في القاموس المحيط :

العقل : العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقائصها[٢٤٢٣] .

فالوضع في العقل خطره جسيم ، لانه لا حدود لذلك ، لان الجميع يمكن ان ينحرفوا باسم العقل والتعقل ، ويهربوا من تكاليف العمل والجد الى الجدل الفارغ والعبارات الرنانة والتحليلات الخيالية التي لا خير فيها ولا نفع .

ولقد وضع أهل السوء لمدح العقل كل جانب من جوانب الحياة ، وتوجوه بالسيادة والقيادة والكمال والخير ، وجعلوه حكما ومحاسبا ومدققا لكل شيء ، ويجب ان يمر عليه كل شيء وحكمه الفصل .

٢٤٢١ لسان العرب ، ج ٩ ص ٣٢٦

٢٤٢٢ المصدر السابق .

٢٤٢٣ القاموس المحيط ، ج ٤ ص ١٨

ومن تلك الموضوعات في مدح العقل .. ما يأتي :

١ - أساس التقوي العقل :

ومن ذلك : حديث ‹ إن لكل شيء معدنا ، ومعدن التقوى قلوب العاقلين ›[٢٤٢٤] رواه الخطيب عن عمر - رضي الله عنه - وفي اسناده كذابان[٢٤٢٥] .

مع ان الحديث كذب وافتراء من ناحية السند فيه كذابان ، فان معنى الحديث من ناحية المتن غير صحيح ، لان العقل لا علاقة له بمعدن التقوى ، فكثير من العلماء وأصحاب العقول وطبقات مثقفة هي بعيدة كل البعد عن التقوى .

٢ - المرء يكتب له من الأعمال الصالحة بقدر عقله :

حديث ‹ ان الرجل ليكون من أهل الجهاد ، ومن أهل الصلاة والصيام ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وما يجزى يوم القيامة ، الا على قدر عقله ›[٢٤٢٦] . رواه الخطيب عن ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعا ، وفي اسناده : منصور بن شقير[٢٤٢٧] ، وهو لا يحتج به . وقد روى له ابن ماجه ، وقال ابن معين : هذا الحديث باطل ، وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات .

هذا الحديث باطل في معناه ، قبل ان يكون باطل في سنده ، لان الجزاء والاجر لم يوزع على العقل ، ولم يرد نص يؤيد ذلك من كتاب أو سنة ، وانما الجزاء يكون على العمل الموافق للكتاب والسنة مع الاخلاص ، فالله سبحانه وتعالى يقول : « يا أيها الناس ، انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقالكم ، ان الله عليم خبير »[٢٤٢٨] .

٢٤٢٤ الفوائد ، ص ٤٧٩ . وتنزيه الشريعة ، ج ١ ص ١٧٥ . اللآلئ المصنوعة ، ج ١ ص ١٢٤ . المنار المنيف ، ص ٦٦ .

٢٤٢٥ لا يصح فيه ‹ وثيمة بن موسى › و ‹ ابن سمعان › ، واتهم الحافظ بن حجر في اللسان ابن سمعان خاصة (قدم ابن سمعان الى بغداد أيام المهدي ، وحدث بها) تاريخ بغداد ، ج ٩ ص ٤٥٥ .

٢٤٢٦ الفوائد ، ص ٤٧٥ ، رقم ٤١ . وتنزيه الشريعة ، ج ١ ص ٢٠٣ . اللآلئ المصنوعة ، ج ١ ص ١٢٥

٢٤٢٧ قال ابن حبان : يروي المقلوبات ، ولا يجوز الاحتجاج به ‹ الموضوعات ، ج ١ ص ١٧٢ › . وقال ابن معين : باطل .. وان منصور من اهل بغداد ، ومات بها ‹ تاريخ بغداد ، ج ١٣ ، ص ٧٩ › .

٢٤٢٨ الحجرات : ١٣

٣ - الذنوب لا تضر صحاب العقل :

حديث < من كانت له سجية من عقل ، وغريزة من يقين لم تضره ذنوبه شيئا ، قيل وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : لانه كلما أخطأ ، لم يلبث ان يتوب ، توبة تمحو ذنوبه ، ويبقى له فضل يدخل به الجنة . فالعقل نجاة للعاقل بطاعة الله ، وحجة على أهل معصية الله >[٢٤٢٩] رواه العقيلي عن أنس مرفوعا ، وهو موضوع ، أفته ميسرة بن عبد ربه[٢٤٣٠] ، وقد رواه الحكيم الترمذي عن طريقه .

هذا الحديث واضح من ناحية وضعه ، فالذنوب تضر كل انسان ، لا يغفرها الا الله سبحانه وتعالي ، وان كل نفس بما كسبت رهينة ، وسوف يجزي الله كل انسان بعمله ، قال تعالى : « ووفيت كل نفس ما عملت ، وهو أعلم بما يفعلون »[٢٤٣١] .

٤ - أقرب الناس الى الله أحسنهم عقلا :

أ - حديث < ان ابن عباس قال لعائشة : يا أم المؤمنين الرجل يقل قيامه ، ويكثر رقاده ، وآخر يكثر رقاده ويقل قيامه ، أيهما أحب اليك ؟ قالت : سألت رسول الله - صلي الله عليه وسلم - فقال : أحسنهما عقلا >[٢٤٣٢]

رواه الحارث في مسنده ، وهو موضوع[٢٤٣٣] .

فالحديث عار عن الصحة ، وهو يفضح نفسه بنفسه ، لان العقل كلما كان مدركا للأشياء تقام عليه الحجة ويحاسب أشد من غيره ، قال عز وجل : « وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة »[٢٤٣٤] يعني : عقولا .. ثم قال : « فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون

٢٤٢٩ الفوائد ، ص ٤٧٧ . تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ١٧٦

٢٤٣٠ قال ابن عيسي بن الطباخ : قلت لميسرة بن عبدربه من أين جئت بهذه الأحاديث : من قرأ كذا له كذا . قال : وضعته أرغب الناس . قال ابن حبان : كان ممن يروي الموضوعات عن الاثبات ، ويضع الحديث ، وهو صاحب فضائل القرآن الطويل < الكشف الحثيث ، ص ٤٣٦ > قال الدارقطني : ميسرة متروك < الموضوعات ، ج ٣ ص ٨ > .

٢٤٣١ الزمر : ٧٠

٢٤٣٢ الأسرار المرفوعة ، ص ٤٤٢ . الفوائد ، ص ٤٧٧ . تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ١٧٦ . الموضوعات ، ج ١ ص ١٧٦

٢٤٣٣ قال الدراقطني : كتاب العقل وضعه أربعة أولهم ميسرة < تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ١٧٦ > .

٢٤٣٤ الأحقاف : ٢٦

بآيات الله »[٢٤٣٥] .

فالآية القرآنية هنا تدين صاحب العقل وتحاسبه ، وتحصي عليه الأعمال ، وتحمله المسئولية والتبعات جزاء فعله السيء ، وهو نكرانه لآيات الله مع عدم انتفاعه بما ركب الله فيه من الحواس والعقل .

ب - حديث < ان النبي - صلي الله عليه وسلم - كان اذا بلغه عن احد من أصحابه شدة عبادته ، سأل : كيف عقله ؟ فان قالوا : حسن . قال : أرجوه ، وان قالوا غير ذلك . قال : لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون >[٢٤٣٦] رواه ابن عدي عن أبي الدرداء مرفوعا ، وفي اسناده ، مروان بن سالم الجزري[٢٤٣٧] متروك .

٥ - العقل هو القائد لجوامع الخير كله :

أ - حديث < لما خلق الله العقل ، قال له : قم ، فقام . ثم قال له : ادبر ، فأدبر ، ثم قال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أقعد ، فقعد ، فقال : ما خلقت شيئا هو خير منك ، ولا أفضل منك ، لا أحسن منك ، ولا أكرم منك ، بك أخذ ، وبك أعطي ، وبك أعرف ، وبك أعاقب ، وبك الثواب ، وعليك العقاب >[٢٤٣٨] .

فالعقل ليس هو القائد لجوامع الخير أو الشر ، وانما هو يستطيع ان يميز بين الخير والشر ، ويتأثر بالخير او الشر ، حسب التربية التي يتلقاها في جو تربيته .

ب - حديث : < قال رجل ، يا رسول الله : أرأيت الرجل يقوم الليل ويصوم النهار ويحج البيت ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويصل الرحم ويتبع الجنائز ويقري الضيف ، حتي عد هذه العشرة خصال ، فما منزلته عند الله يوم القيامة ؟ قال : انما ثوابه يوم القيامة في كل ما كان منه في ذلك على قدر عقله >[٢٤٣٩] .

٢٤٣٥ الأحقاف : ٢٦

٢٤٣٦ الفوائد ، ص ٤٧٧ ، وتنزيه الشريعة ، ج ١ ص ٢٠٣

٢٤٣٧ قال الحافظ : متروك ، رماه الساجي وغيره : بالوضع < تقريب التهذيب ، ج ٢ ص ٢٣٩ > ، وقال احمد : ليس بثقة ، وقال الدارقطني : متروك ، وقال البخاري ومسلم وابو حاتم : منكر الحديث ، قال النسائي : مروان بن سالم : متروك الحديث ، وقال ابن عدي : عامة أحاديثه لا يتابعه الثقات عليه < ميزان الاعتدال ، ج ٤ ص ٩ > .

٢٤٣٨ الفوائد المجموعة ، ص ٤٧٨ ، تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ٢٠٤ ، الأسرار المرفوعة ، ص ١٢٤ .

٢٤٣٩ تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ٢١٤

٦ - العقل أول مخلوق :

حديث ‹ أول ما خلق الله العقل ... ›[٢٤٤٠] وفيه كذاب[٢٤٤١] ، وقال شيخنا الوارد : أول ما خلق الله العلم ، وهو أثبت من العقل .

وهنا الواضع للحديث يريد ان يجعل له أهمية كبيرة بان يجعل تاريخ ميلاد العقل في أول الخلق ، وهي صفة رفيعة تعلو على غيرها من المخلوقات ، فالواضع قدر الجوانب النفسية والتربوية وأثرها في التطبيق ، وهذا نسج وسبك متين يسحر الالباب ، ويجلب النفوس للطاعة والانقياد

٧ - العقل كله خير ، والجاهل كله سوء :

حديث ‹ ان الجاهل لا تكشفه الا عن سوءة ، وان كان حصيفا عن الناس ، والعاقل لا تكشفه الا عن فضل ، وان كان عييا مهينا عن الناس › من حديث أبي الدرداء ، وفيه ميسرة بن عبد ربه .

في هذا الحديث يريد الواضع ان يجعل العقل لا يقع في الخطأ ، هذه طامة كبرى ، تؤدي بصاحبها الي الوقوع في الكفر والالحاد ، لانه في هذه الحالة يستغني عن تعاليم الرسل والأنبياء الذين عصمهم الله سبحانه وتعالى عن الخطأ ، لان العقل معصوم كذلك .

وهذا كلام لا يقبله عاقل ، فكيف نقبل ان يكون من صفة العقل . وما أحسن قول الامام ابي حاتم البستي ‹ والعاقل لا يخفى عليه عيب نفسه ، لان من خفى عليه عيب نفسه ، خفيت عليه محاسن غيره ، وان من اشد العقوبة للمرء ان يخفى عليه عيبه ، لانه ليس بمقلع عن عيبه من لم يعرفه ، وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها › .

٢٤٤٠ الأسرار المرفوعة ، ص ١٣٧ . تذكرة الموضوعات ، ص ٢٨

٢٤٤١ الكذاب هو : داود بن المحبر ، قاله السخاوي ‹ الأسرار المرفوعة ، ص ١٣٧ › . فقد وردت أحاديث عديدة في فضل العقل ، وقد جمعها داود بن المحبر في كتاب العقل ، قال الحافظ بن حجر : كلها موضوعة . وقال ابن القيم في المنار : أحاديث العقل كلها كذب ‹ الأسرار المرفوعة ، ص ١٣٧ – ١٣٨ › ، وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، للشيخ ناصر الدين الألباني ، ج ١ ص ١٣

٨ - حسن الخلق على قدر العقل :

حديث ‹ ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ، ولا يتم لرجل حسن خلقه حتي يتم عقله ، فعند ذلك تم ايمانه ، وأطاع ربه ، وعصى عدوه يعني ابليس ›[2442] من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما .

(١) لا يمكن بأي حال من الأحوال ان نفرد حسن الخلق على قدر العقل ، لان الأخلاق جوانب عملية تطبيقية ، فمن قام بها يرتفع بأخلاقه الى أعلى عليين ، وعلى رأس تلك القدوة سيدنا ورسولنا وحبيبنا محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي يقول (وأنا عليَّ جمع الحطب) ، وكان - عليه الصلاة والسلام - ‹ يرقع ثوبه › و ‹ يحلب شاته › ، وكان يحفر في الخندق مع الصحابة ، وكان أنس - رضي الله عنه - يقول : ‹ خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين ما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ، ولا لشيء لم أفعله لم لم تفعله › .

(٢) ان حقيقة العقل يختلف بين الناس ، وقد قيل فيه :

‹ ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان ، كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة ، وما يجري هذا المجرى ، فلا ينبغي ان يطلب لجميع أقسامه حد واحد ، بل يفرد كل قسم بالكشف عنه ›[2443] .

(٣) فكرة الآخرة وتأثيرها في السلوك :

‹ ان شعور الانسان بأن عليه رقيبا يعلم السر وأخفى ، وانه مسؤول عن كل كبيرة وصغيرة ، وانه يحاسب ويعاقب ان أساء ، ويثاب ان أحسن ..إن هذا الشعور يبعثه - في الغالب - علي فعل الخير وترك الشر ›[2444] .

وعلى هذا الأساس ، فان صاحب العقل الكبير لا يلتزم بالاخلاق ، ما لم يكن يؤمن بعالم الآخرة ، وانه محاسب على عمله .. وما الحياة العملية في الماضي والحاضر في الأخلاق عنا ببعيدة ، وهي تشهد على الحقائق ، وتنفي كل ادعاء .

٢٤٤٢ تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ٢١٤

٢٤٤٣ شرف العقل وماهيته ، للحارث المحاسبي ، ولأبي حامد الغزالي

٢٤٤٤ الاسلام والعقل ، محمد جواد مغنية ، ص ١٣١

٩ - حصن المرء عقله الذي يحميه :

حديث ‹ لكل شيء دعامة ، ودعامة المؤمن عقله › فبقدر عقله تكون عبادة ربه ، اما تسمع قول الفاجر عند ندامته : « لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير »[٢٤٤٥] من حديث أبي سعيد الخدري .

فالحديث لا يقوى على الصمود امام النقد البناء والحجج المنطقية ، لان العقل قوته خفية ، ومستورة فلا يهاب الجهلاء واصحاب التسلط ، ولذلك كم من رجل عالم وعاقل لم يؤبه له بال ، وان عبادة المرء بقدر عقله ، لم يثبت ذلك عقلا ولا نقلا ، وانما العبادة تكون بتوفيق الله سواءا لصاحب العقل أو لغيره ، وبقدر ما يتقرب العبد الى الله سبحانه وتعالى بالعمل الصالح والاستقامة يوفقه الله سبحانه وتعالي علي التقوى .. قال الله سبحانه وتعالي : « فاذكروني اذكركم »[٢٤٤٦] ، وقال نبينا - عليه الصلاة والسلام - لابن عباس : (يا غلام ، احفظ الله يحفظك)[٢٤٤٧] .

فحماية الله وحفظه مرتبطة باستقامة العبد والتزامه بما أمره والانتهاء عما نهاه ، ان كان عالما أو جاهلا ، صغيرا أو كبيرا ، فالله سبحانه وتعالي يتقبل من المتقين .

١٠ - استماع النصيحة من العاقل وعدم مخالفته :

حديث ‹ استرشدوا العاقل ولا تعصوه ، فتندموا ›[٢٤٤٨] اخرجه من حديث ابي هريرة ، قلت : أخرجه الدار قطني في الغرائب بلفظ : استشيروا ذوي العقول ترشدوا ، ولا تعصوهم فتندموا ، وقال " حديث منكر ، والله تعالي أعلم .

ان الحديث منكر من ناحية السند ، وكذلك المتن يكون مردودا لأسباب منها :

(١) ان النصحية يؤخذ منها بقدر ما يراه صالحا ، ويرفض ما يراه غير صالح ، ‹ لأن كل كلام يؤخذ منه ويرد ، الا صاحب[٢٤٤٩] هذا القبر ›[٢٤٥٠] ، فالبشر من غير الأنبياء والرسل ، فنحن غير ملزمين بأخذ آزائهم ، وانما نتخير منه ما نريد .

٢٤٤٥ تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ٢١٥

٢٤٤٦ البقرة : ١٥٢

٢٤٤٧ رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة ، رقم ٢٥١٦ . واخرجه الامام احمد في مسنده : ٣٠٧/١

٢٤٤٨ تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ٢١٥

٢٤٤٩ يعني بصاحب القبر : الرسول - صلى الله عليه وسلم - فهو المعصوم الذي يؤخذ كل كلامه .

٢٤٥٠ هو قول الامام مالك - رحمه الله - وهو احد أئمة علماء الفقه .

(٢) ان العاقل الذي يكون من غير المسلمين ، فانه لا يخلص النصح للمسلم ، لا بل يكيد لهم بمناسبة النصح ، ويتحين الفرص بالنسبة لهذه المناسبات ، ولقد كاد المنافقون للمسلمين حيث قابلوهم بكل طيب وخير ، وأبطنوا لهم كل شر ، وقد نبه القرآن الكريم عن خبثهم وشرهم ، بقوله تعالى : « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله فأنى يؤفكون »[٢٤٥١] .

فالنصيحة مخير المسلم بالأخذ بها أو منها من الناصح الأمين ، فيكف يلزم المرء بالأخذ بها برمتها ، هذا كلام يرده المنطق ، وتأباه النفوس السليمة .

١١ - ينال المسلم منزلة عند الله في الجهاد بقدر عقله :

حديث ‹ لما رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غزوة أحد ، سمع الناس يقولون : كان فلان اشجع من فلان ، وكان فلان أجرأ من فلان ، وفلان أبلى بما لم يبل غيره ، ونحو هذا يطرونهم ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : أما هذا فلا علم لكم به ، قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ ، قال : انهم قاتلوا علي قدر ما قسم الله لهم من العقل ، فكان بصيرتهم ونيتهم على قدر عقولهم ، فاصيب منهم من أصيب على منازل شتى ، فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر حسن نياتهم ، وقدر عقولهم ›[٢٤٥٢] .

إن الوضع في العقل لم يترك جانبا من الجوانب الا وغزاها ، ونشر سمومها فيها ، في جميع النواحي النفسية والاجتماعية والاخلاقية والعلمية ، وجوانب السلم والحرب .

وهذا الوضع عن العقل في الجهاد ، لو انتشرت سمومه في الأمة لتعطلت فريضة الجهاد ، وترك المسلم القتال ، لان الحديث يبين ان المجاهد ينال من الأر على قدر عقله ، والجهاد أصله للشباب ولأصحاب الأجسام القوية قبل العلماء والمتبحرين في العلم .. لأن العلماء يحتاج اليهم المجتمع الاسلامي في موضع آخر ، وبهذه عندما يسمع الشباب أن الأجر يناله المسلم على قدر علمه ، فانهم سوف يتراجعون عن التضحية والقتال ، فتكون هذه نكبة للأمة ، بينما حقيقة الجهاد والثواب يكون على قدر

٢٤٥١ المنافقون : ٤

٢٤٥٢ تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ٢١٥

التضحية والثبات والتحمل والاخلاص ، كما ورد في الأحاديث الصحيحة المخالفة لهذا الحديث الموضوع . منها :

قال - صلى الله عليه وسلم - : (عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله) .

وقال - عليه الصلاة والسلام - : (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم في الجنة ، خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)[٢٤٥٣]

فالجهاد لا يتعلق بالعقل ، وانما يتعلق بالجهد والبذل وتحمل المشاق .

١٢- التقرب الى الله بالعقل لا بالبر :

أ - حديث < يا علي اذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها الى ربهم ، فاكتسب انت انواع العقل ، تسبقهم بالزلفى والقربى والدرجات في الدنيا والآخرة >[٢٤٥٤] أخرجه من حديث على بن أبي طالب - رضي الله عنه - .

ب - حديث < ما اكتسب العباد أزكى من العقل ، ولكل شيء من أبواب البر ثواب ، وأفضل الثواب العقل >[٢٤٥٥] من حديث ابي هريرة .

فالأحاديث الواردة في هذا الباب حول التقرب الى الله بالعقل لا يقبله أي فرد ، لان معنى الحديث ، يقول :

ان الثواب الجزيل على من لم يعمل ، وعليه ان يتقرب بالعقل ..

فهذه فلسفة من الوضاع خبيثة سافرة تعرت عن كل تستر ، ورفعت جلباب الحياء عنها . وهذه حركة تدعو لتعطيل الشريعة الاسلامية باسم العقل ، فعند ذلك يترك المسلم العمل والسعي والمثابرة ، فيقع في شباك اصحاب الكفر والضلال ، فيلجأ اليهم لسد جوعته ، وستر عورته ، فعند ذلك يساومونه على هدم دينه ، واذلال شخصيته ، وهو المخطط الذي يصبوا اليه أعداء الاسلام .

وقى الله المسلمين هذا الداء الخبيث من الوضع ، وبصرنا بديننا ووفقنا للعمل به والاخلاص .. انه على كل شيء قدير .

٢٤٥٣ للشيخين والترمذي < جمع الزوائد من جامع الأصول ، ج ٢ ص ٥ > .

٢٤٥٤ تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ٢٢٠

٢٤٥٥ المصدر السابق .

ملحق للبحث - العوامل المؤثرة على العقل :

فقد أراد المغرورون أو الذين في قلوبهم مرض ان يتوجوا العقل ، ويلبسوه ثوبا منسوجا من الذهب ، ويحكموه علي جميع المخلوقات .. وهذا تكليف له بما لا طاقة له ، ولا قدرة له بتحمل هذه الأعباء الجسام ، ومع ضعفه وعجزه ، فانه محاط بأسوار تحول بينه وبين كثير من الأحكام ، ومنها..

العوامل المؤثرة على العقـــل

توجد عوامل كثيرة تحول بين المرء وبين تخطيطه ، منها :

١ - عدم العصمة :

< فالضمير وحده ليس بمعصوم ، وكم من أفراد وجماعات رضيت ضمائرهم بقبائح الأعمال >[٢٤٥٦] .

٢ - تقييد العقل :

فالعقل لا يستطيع ان يتجاوز الظروف التي تحيط به ، من ناحية الوعي والثقافة والفقر والغنى ، والمرض ، والشباب ، والكهولة والشيخوخة ، والصداقة ، والعلاقات الاجتماعية .

٣ - التأثر بالأهواء والنزعات :

فالعقل يتأثر بالنزعات والاهواد من ناحية التعصب ، وحب الذات ، والأنانية ، والطمع ، والكبر ، وحب التسلط ، والانتقام ، والحقد ، والحسد ، والخوف[٢٤٥٧] .

٤ - عدم الاحاطة بكثير من الأمور والغيبيات :

فالعل لا يعرف ، ولا يدرك كثير من الامور ، ولا يستطيع ان يحكم عليها .. من ذلك : عالم الملائكة والجن والشياطين واليوم الآخر ، وأحوال يوم القيامة ، ما بعده من الحساب والثواب والعقاب ، كل ذلك لا يستطيع

٢٤٥٦ العبادة في الاسلام ، ص ١٢٥

٢٤٥٧ المصدر السابق ، بتصرف .

أن يدركه المرء بالعقل ، ولا الاحاطة بحقيقته بالخيال[٢٤٥٨] .

٥ - حدود حكم العقل بين الزمان والمكان :

ان العقل لا يستطيع ان يدرك شيئا حتى يحصره بين اثنين الزمان والمكان ، فما لم ينحصر بينهما ، لم يدركه العقل بنفسه ، فالعقل لا يحكم الا في حدود الزمان والمكان ، فما كان خارجا عنهما من مسائل الروح وأمور القدر ، وآلاء الله وصفاته ، فلا حكم للعقل عليه[٢٤٥٩] .

٦ - عدم ادراك العقل للا محدود :

ان العقل لا يستطيع ان يحكم على غير المحدود ، ولا يستطيع ان يحيط به مثل خلود المؤمنين في الجنة ، وخلود الكافرين في النار ، ان عقل المؤمن موقن بأنه حقيقة ، وقد جاءه هذا اليقين عن الخبر الصادق[٢٤٦٠] .

٧ - علم الانسان بفعله او بحواسه جزئي :

علم الانسان بفعله او بحواسه جزئي بكل معانيه ، لان العلم في الانسان ليس عين ذاته ، ولا من ذاته ، ولا لذاته .. يقول تعالى : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة »[٢٤٦١] .

* فعلم الانسان جزئي من جهات :

أ - جزئي زمنا : حادث لم يكن من قبل ، فان لا يدوم ولا يبقى بل يزول باضداده ، وبآفات مثل بطلان الحاسة وبالنسيان .

ب - جزئي في البعد والمسافة : لا يرى ولا يسمع الا من قريب ، ولا يرى الا المقابل .

ج - جزئي من حيث المتعلق : لا يعلم الانسان الا بالصورة والمثال ، فكل شيء لا توجد صورته ومثاله في ذهنه ، فالانسان لا يعلمه .. قال تعالى : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

٢٤٥٨ تعريف عام بدين الاسلام ، ج ١ ص ١٤٥ < علي الطنطاوي > .

٢٤٥٩ المصدر السابق .

٢٤٦٠ المصدر السابق .

٢٤٦١ النحل : ٧٨

اما علم الله جل جلاله وتقدست أسماؤه :
١) فكلي في جميع جهاتـــــه .
٢) مطلق لا يتوقف على شيء .
٣) فعلي يكون مبدأ لانكشاف الأشياء ولوجودها .
٤) كامل محيط من كل شيء حقيقته وجميع ما له من الأعراض والأوصاف .

٨ - يحتاج الانسان في علمه الى آلات وأسباب وشروط ، والى حصول صورة ما يعلمه في ذهنه[٢٤٦٢] .

٩ - عدم وجود وجهة النظر في التحسين والتقبيح بالعقل :
ان علماء المسلمين من سلف وخلف يرون ان في بعض الأشياء حسنا أو قبحا اذا تبين يستطيع العقل معرفتهما ابتداء ، فهو يدرك ما في العلم والعدل من حسن ، ويدرك ما في الجهل والجور من قبح .. ولكن ما أكثر وجوه الخلاف بين العقلاء ، وأوسع الشقة بين وجهات النظر في شتى الأمور[٢٤٦٣] .

١٠ - التحير والتردد في العقل :
علي الانسان ان يتذكر ما يعلمه من نفسه ، من شدة الجهل وقلة العلم ، وتردده في الأمور ، وحيرته في أشياء سهلة ، ورجوعه عما كان عليه مرارا[٢٤٦٤] ..

١١ - عدم معرفة العقل والحواس باستقلالهما معرفة النافع والضار ، ولم يجعل للعقول والحواس الاستقلال بمعرفة الاجسام النافعة والضارة وكذا جعل القضايا منها ما هي ممكنات لا طريق الى الجزم بأحد جانبيها ، ومنها ما هي واجبات أو ممتنعات لا تظهر للعقل الا بعد نظر دائم ، وبحث كامل ، بحيث لو اشتغل الانسان به لتعطل اكثر مصالحه ، فكان من فضل الله ورحمته ارسال الرسل لبيان ذلك[٢٤٦٥] .

٢٤٦٢ الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ، ص ٣ ، ١٢ (موسى جار الله)
٢٤٦٣ دفاع عن العقيدة والشريعة ، ص ١٦٩
٢٤٦٤ نير البرهان في توطيد عقائد الايمان ، محمد علي الشرفي ، الجزء الأول ، ص ١٦٨
٢٤٦٥ العقائد النسفية مع كتاب شرح العقائد النسفية ، ص ٩٤

١٢- ان الانسانية لم تصل الي مقياس عقلي تفرق به بين الهدى والضلال في عالم ما وراء الطبيعة[٢٤٦٦] .

١٣ - عدم ثبات الضمير على حالة واحدة ك

الضمير متأرجح ، متقلب ، لا يستقر له قرار ، لانه حتى لو مكث على حالة واحدة تجاه مسألة معينة ، فانه في هذه الحالة النادرة يتأرجح ايضا قوة وضعفا ، واتزانا واسرافا[٢٤٦٧] .

فبعد هذه الجولة السريعة في عالم العقل ، نحتاج الى وقفة قصيرة فيها تساؤلات تطرح نفسها . .

من ذلك ، قد يقول القائل : قد تشددت وغمطت العقل حقه !!

أقول : ان احترام العقل ليس بتأليهه واهلاكه ، وانما بنصحه وتوجيهه ، وان تقديره ان يكلف على قدر قدرته ، وهي منتهى الرحمة والشفقة والتقدير له ، ولم يكن دين من الاديان احترم العقل كاحترام الاسلام له ، بأن سلمه المسئولية ، وحاسبه عن النتائج حسب التعاليم التي ارتضاها رب العالمين للأمة الاسلامية من الكتاب والسنة ، فيكون مفهوم العقل في الاسلام يختلف عن المفاهيم الأخرى ، فتكون كما يأتي :

مفهوم العقل في الاســـــلام

فالعقل في الاسلام ، يتصف بالصفات التالية :

١ - الاعتبار بما خلق الله في هذا الكون ، والاستفادة منه بالعمل الصالح وطلب النجاة من النار ، وهي غاية اصحاب العقول الكبيرة .

ومما يوضح هذا المعنى في قوله تعالى : « إن في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك ، فقنا عذاب النار »[٢٤٦٨] .

٢٤٦٦ الاسلام والعقل ، ص ٦٩ ، د . عبدالحليم محمود .

٢٤٦٧ المصدر السابق ، ص ٧٥

٢٤٦٨ أل عمران : ١٩٠ ، ١٩١ .

٢ - أخذ الدروس من هذا الكون العظيم ، من تعاقب الليل والنهار ، وانزال المطر من السماء ، فأحيا الأرض ، وانبت فيها كل خير .. كما قال تعالى : « واختلاف الليل والنهار ، وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها ، وتصريف الرياح ، آيات لقوم يعقلون »[٢٤٦٩] .

٣ - ان يكون صاحب العقل ذات أخلاق عالية وأدب : كما في قوله تعالي : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون »[٢٤٧٠] .

٤ - صاحب العقل يستمع النصيحة ، يطبق ما يرشد اليه : كما في قوله تعالى : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب »[٢٤٧١] .

٥ - صاحب العقل يؤمن بما قدر الله ، ويؤمن أن الأمر لله ، وأن الله هو الذي يغني ويفقر ، كما في قوله تعالى : « أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون »[٢٤٧٢] .

٦ - على العاقل أن يؤمن بأن الآجال بيد الله ، وانه هو الذي يقدر الآجال ، كما في قوله تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى الى أجل مسمى ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[٢٤٧٣] .

٧ - على العاقل ان يأخذ العبرة من الأحداث والوقائع ، ويعتبر بذلك ، كما ورد في قوله تعالى : « ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون »[٢٤٧٤] .

٨ - على العاقل ان يستفيد من حواسه وعقله ، بأن يجعلها في طاعة الله والايمان بآيات الله ، فان الله الذي ملكه اياها سوف يطمس عليها ، كما

٢٤٦٩ الجاثية : ٥

٢٤٧٠ الحجرات : ٤

٢٤٧١ الزمر : ١٨

٢٤٧٢ الزمر : ٥٢

٢٤٧٣ الزمر : ٤٢

٢٤٧٤ العنكبوت : ٣٥

أصاب الذين كانوا مثله .. كما في قوله تعالى : « ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ، وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء ، اذ كانوا يجحدون بآيات الله ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن »[٢٤٧٥] .

٩ - على العاقل ان يتجنب طريق الأمم التي أهلكها الله ، بسبب انحرافها ، ويأخذ العبرة والعظة منهم ، ويتجنب موارد الهلاك والدمار الذي سلكوه ، كما في قوله تعالي : « أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون ، يمشون في مساكنهم ، إن في ذلك لآيات لأولي النهى »[٢٤٧٦] .

١٠- على العقال ان يتذكر ان الحق هو ما أنزل الله ، وأن من حاد عن هذا الاعتقاد والعمل ، فانه لا بصيرة له ولا احساس ، وذلك كما قال الله تعالى : « أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق ، كمن هو أعمى ، انما يتذكر أولو الألباب » .

هذه بعض التكاليف المطلوبة من العقلاء ، أصحاب الألباب ، المتبحرين في العلم ، ذكرنا بعضا منها من القرآن الكريم ..

وعندما ننظر نظرة تمحيص وعمق ، نرى ان التكاليف الصعبة والأعمال الشاقة تكون على كواهل هذه الطبقة ، فقيادتهم بشدة ، ويكونون على الخط الأول في الخطر لمجابهة من تسول له نفسه النقص أو التحريف من هذا الدين .. هذه هي صفة العقلاء كما يريدها الله سبحانه وتعالى .

وقد قال علماء المسلمين رأيهم عن العقلاء والمسؤوليات المناطة بهم ، ولم يتركوا الحبل على غاربهم ، أو يرموا العطور والزهور عليهم .. وانما حملوهم أثقل الاعباء ، وأشد التبعات .. وهذه هي مهنة وحرفة كل من يتقدم المعالى والسؤدد ، كما يدعيها صاحب العقل ، وقبلها المسلمون في كل زمان ومكان على شرط ان يدخل العالم العاقل المختبر الكبير ، لمحك العمل ، فانتاجه وثمرته تدل علي حقيقته ، وعلى هذا الأساس بين علماء المسلمين رأيهم بالعقل والعقلاء .

٢٤٧٥ الأحقاف : ٢٦

٢٤٧٦ طه : ١٢٨

رأي علماء المسلمين في العقل والعقلاء في الاسلام

١- يقول الفضيل بن عياض : ‹ أحق الناس بالرضا عن الله ، أهل المعرفة بالله عز وجل ›[٢٤٧٧] .

٢ - قال احمد بن عاصم الانطاكي في العقل : ‹ انفع العقل ما عرفك نعم الله تعالى عليك ، وأعانك على شكرها ، وقام بخلاف الهوى ›[٢٤٧٨] .

وقال أيضا : ‹ العاقل من عقل عن الله عز وجل مواعظه ، وعرف ما يضره مما ينفعه ›[٢٤٧٩] .

٣ - وسئل سرى السقطي[٢٤٨٠] عن العقل فقال : ‹ ما قامت به الحجة علي مأمور أو منهي › .

٤ - ويقول ابو حفص النيسابوري عندما سئل عن العقل ، بأنه ‹ المطالب نفسه بالاخلاص ›[٢٤٨١] .

٥ - يقول الحارث المحاسبي عن الذين يعقلون عن الله ، وهم كاملو العقل ، لانهم يرون في القرآن ماهية لعقولهم ، اما الذين لا يعقلون البيان ، ولا المبين عنه بالفهم له - أي الله سبحانه وتعالى - فهم طائفة كمشركي العرب « إن هم كالأنعام ، بل هم أضل » يعيشون على التقليد والكبر والاعجاب بالرأي من غير ان يتبينوا ما ينفعهم مما يضرهم[٢٤٨٢] .

٦ - وقال يوسف بن حسين الرازي : ‹ بأن أصل العقل الصمت ، وباطن العقل كتمان السر ، وظاهر العقل الاقتداء بالسنة ›[٢٤٨٣] .

٧ - وقالوا عن العقل : ‹ إذا لم يكن له نور من العلم مستفاد ، لم يجد بصيرته .. ولذلك قال الله تعالي : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

٢٤٧٧ العقل وفهم القرآن ، ص ١٣٢

٢٤٧٨ المصدر السابق .

٢٤٧٩ المصدر السابق .

٢٤٨٠ وهو امام البغداديين وشيخهم في وقته ‹ العقل وفهم القرآن ، ص ١٣٢ › .

٢٤٨١ طبقات الصوفية ، ص ١٣١

٢٤٨٢ العقل وفهم القرآن ، ص ١٦٨

٢٤٨٣ المصدر السابق .

إن مجمل ما قيل عن العقل في القرآن الكريم ، ورأي العلماء الأفاضل في الأمة الاسلامية ، مما استنبطوه من الكتاب والسنة ، ترد جميع ما قيل في الوضع عن العقل ، وتريد افساد العقل ، وحجره عن الحياة بتمريضه وتلويثه ، حتى يقعد مع القاعدين ، أو يزج في فسافس الأمور والتوافه ، ويتوج بتاج الكبرياء والغطرسة والاستعلاء ، وهي طقوس ينتشر رواجها في الأمم الفاقدة للضمير، المكسوحة عن الجد والعمل ، فتريد ان تقعد العقل عن مهامه بتخديره بتلك الصفات التي وصف بها في الأحاديث الموضوعة ..

ونسأل الله السداد في الأقوال والأعمال والتوفيق والاخلاص ..

الباب الرابـــع

أشهر الوضاعين في العهد الأموي والعباســـي

الفصل الأول : الزنادقـة ووضع الحديـــــث .

الفصل الثاني : الفرق المتطرفة وأثرها على نشر الموضوعات .

الفصل الثالث : القصـاص وخطرهـــــم .

الفصل الأول

الزنادقة ووضع الحديـــــث

نبذة عن الزنادقة[٢٤٨٤] :

الزنادقة : جمع زنديق ، والزنديق هو القائل ببقاء الدهر ..

* فارسي معرب :

وزندقته : انه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الله الخالق .

وليس في كلام العرب < زنديق > وانما تقول العرب دجل زندق وزندقي < اذا كان شديد البخل >[٢٤٨٥] .

وفي دائرة المعارف الإسلامية : الزندقة مطصلح في الجريمة عند فقهاء المسلمين ، يطلق على الملحد الذي يكون تغيره لنصوص الشرع خطرا على سلامة الدولة .

وكلمة زندقة قد عربت في العراق ، أخذا من المصطلحات الايرانية أمام حكم الساسانيين ، وهذه أول ما ظهرت في العراق سنة ١٢٥ هـ ، عند مقتل الجعد بن درهم .

وقال الفيروزأبادي : الزنديق من الثنوية[٢٤٨٦] القائل بالنور والظلمة ، أو من لا يؤمن بالآخرة والربوبية ، أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان ، أو

٢٤٨٤ تنزيه الشريعة ، لابن عراق : ١/١١

الموضوعات ، لابن الجوزي : ١/٣٧

النكت ، للحافظ : ٢/٦٢٦

المجروحين ، لابن حبان : ١/ ٦٢ – ٦٣

٢٤٨٥ لسان العرب المحيط ، لابن منظور : ٢/٥١ . مادة : زندقة

٢٤٨٦ هم أصحاب الاثنين الأزليين ، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فانهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه < الملل والنحل للشهرستاني : ٢/٤٩ > .

هو معرب < زن ديق > أي دين المرأة[٢٤٨٧] .

فالمسلمون استعملوا هذه اللفظة في الدلالة على القائلين بالأصلين النور والظلمة على مذهب المانوية[٢٤٨٨] وغيرهم من التنوية ، ثم اتسع معناه فشمل الدهريين والملحدين وسائر أصحاب المعتقدات الضالة ، بل أصلق على المتشككين ، وكل متحرر من أحكام الدين فكرا وعملا[٢٤٨٩] .

أهم هم الذين لا يتدينون دين الحق[٢٤٩٠] ، أو هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان[٢٤٩١] ، بمعنى المنافق[٢٤٩٢] .

سبب حقد هؤلاء الزنادقة على الاسلام والمسلمين :

فقد حمل هؤلاء الزنادقة على الاسلام والمسلمين ، بسبب ان دولة الاسلام اكتسحت عروشا وامارات وزعامات كانت قائمة على تضليل الشعوب في عقائدها واذلالها في كرامتها ، وتسخيرها للاهواء والمغانم الخسيسة ، ورأي الناس في ظلال الاسلام كرامة للفرد واحتراما للعقيدة ، وتحرير للعقل ، وقضاء على الأوهام والأضاليل والشعوذة ، فأقبلوا على الاسلام أفواجا أفواجا[٢٤٩٣] .

لقد كانت قوة الاسلام السياسية والعسكرية قاضية ، لم تبق لدى أولئك الزعماء والأمراء والقواد أي أمل في استعادة سلطانهم الزائل ومجدهم المنهار ، فل يجدوا امامهم مجالا للانتقام من الاسلام إلا إفساد عقائده ، وتشويه محاسنه .

< وكان التزيد - أي الوضع - في السنة أوسع مباديء الدس والافساد لديهم ، فجالوا فيه وصالوا .. وفي كل ذلك يتوخون ادخال الخلل

٢٤٨٧ القاموس المحيط : ٤٧/٢

٢٤٨٨ هم أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان < سابور> ، وذلك بعد < عيسى بن مريم > عليه السلام ، أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول بنبوة المسيح - عليه السلام - ، ولا يقول بنبوة عيسى عليه السلام < الملل والنحل للشهرستاني : ٤٩/٢ ، ولزيادة التفصيل عن ماني والمانوية ، انظر كتاب < ماني والمانوية لـ < حيووا ايد انفري > ص ٢٥٦

٢٤٨٩ الموسوعة العربية المسيرة : ص ٩٢٩

٢٤٩٠ فتح المغيث ، للسخاوي : ٢٣٩/١

٢٤٩١ دائرة معارف القرن الرابع عشر : ٦٠٨/٤

٢٤٩٢ فتح البر ، بشرح بلوغ الوطر : ص ٢٧

٢٤٩٣ دفاع عن الحديث النبوي : ص ٦٩

في بناء ذلك الصرح الشامخ الذي أقامه محمد - صلى الله عليه وسلم- ›[٢٤٩٤].

من هم الزنادقة ؟

‹ هم جماعة تدعو الى الالحاد والزندقة ، ونكران الشرائع السماوية وعلى رأسها الاسلام › .

قال الامام أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن ابن الجوزي في حوادث عام ‹ ٢٧٨ هـ › وفيها وردت الأخبار بحركة قوم يعرفون بالقرامطة ، وهم : الباطنية ، وهؤلاء قوم تبعوا طريق الملحدين ، وجحدوا الشرائع[٢٤٩٥] .

وقد سول لهؤلاء الزنادقة الشيطان أراء ومذاهب ، أخذو بعضها من المجوس وأخذوا بعضها من الفلاسفة[٢٤٩٦] .

وهؤلاء الزنادقة يلقبون بأسماء : الاسماعيلية[٢٤٩٧] ، والباطنية[٢٤٩٨] ،

٢٤٩٤ دفاع عن الحديث النبوي ، ص ٦٩

٢٤٩٥ القرامطة ، لابن الجوزي ، ص ٢٩

٢٤٩٦ المصدر السابق ، ص ٣٤

٢٤٩٧ سبب تسميتهم بالاسماعيلية لانتسابهم الى اسماعيل بن جعفر ‹ انظر كتاب القرامطة ، ص ٣٦ ›

٢٤٩٨ وسبب تسميتهم بالباطنية لانهم ادعوا ان لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري مجرى اللب من القشر ، وانها توهم الأغبياء صورا ، وتفهم الفطناء رموزا واشارات الى حقائق خفية ، ومن علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه ، وغرضهم من ذلك ابطال الشرائع ‹ انظر القرامطة ، ص ٣٦ ، ٣٧ ›

والقرامطة[٢٤٩٩] ، والخرمية[٢٥٠٠] ، والبابكية[٢٥٠١] ، والمحمرة[٢٥٠٢] ، والسبعية[٢٥٠٣] ، والتعليمية[٢٥٠٤] .

طريقة الزنادقة في الدعوة وغرضهم :

١ – الطعن في الأنبياء :
قالوا : قد ثبت عندنا ان جميع الأنبياء كذبوا ومخرفوا[٢٥٠٥] على أممهم .
< وأعظم كل بلية علينا محمد – صلى الله عليه وسلم – ، فانه نبع من

٢٤٩٩ فمن اسباب تسميتهم بالقرامطة :

أ – ان قرمطا كان غلاما لاسماعيل بن جعفر ، فنسبوا اليه ، لان أحدث لهم مقالاتهم < انظر القرامطة ، ص ٣٨ >

ب – انهم لقبوا بهذا نسبة الى رجل من دعاتهم يقال له (حمدان بن قرمط) < انظر كتاب القرامطة ، ص ٤٤ > .

٢٥٠٠ فان < خرم > لفظ أعجمي ينبيء عن الشيء المستلذ الذي يشتهيه الآدمي وكان هذا لقبا < للمزدكية > وهم أهل الاباحة من المجوس . والخرمية فرقة تفاقم وضعها زمن المعتصم ، وأهم مباديء هذه الفرقة تأليه البشر ، والقول بالرجعة ، والتناسخ والنور والظلمة واباحة النساء ، وكل ما يستلذ < تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٢ ص ١٠٨ > .

٢٥٠١ سميت بالبابكية ، فان طائفة منهم تبعوا < بابك الخرمي > وكان قد خرج في ناحية أذربيجان في أيام المعتصم ، فاستحل – أي المحرمات – ، فبعث اليه المعتصم الافشين ، فتخاذل عن قتاله ، واضمرموافقته في ضلاله ، فاشتدت وطأت البابكية على المسلمين الى أن أخذ بابك وقتل ،انظر البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٨٢ – ٢٨٦ ، القرامطة ، ص ٤٩ > .

٢٥٠٢ أما تسميتهم بالمحمرة ، فيذكر عنهم انهم صبغوا الثياب بالحمرة ، أيام بابك ، وكانت شعارهم < انظر كتاب القرامطة ، ص ٤٩ – ٥٠ >

٢٥٠٣ وسبب تسميتهم بالسبعية : فانهم قد زعموا ان الكواكب السيعة مدبرة للعالم السفلي ، وأورد الغزالي سببا آخر لهذه التسمية ، وهو اعتقادهم ان أدوار الاماة سبعة ، وان الانتهاء الى السابع هو آخر الدور وتعاقب الأفكار لا آخر لها قط < انظر كتاب القرامطة ، ص ٥٠

٢٥٠٤ سبب تسميتهم بالتعليمية : ان مبدأ مذاهبهم ابطال الرأي وافساد تصرف العقل ، ودعوة الخلق الى التعليم من الامام المعصوم ، وانه لا مدرك للعلم الا بالتعليم < انظر كتاب القرامطة ، ص ٥٠ >

٢٥٠٥ معنى مخرفوا : لبسوا ودلسوا < انظر القرامطة ، ص ٣١ >

العرب الطغام[٢٥٠٦] ، فخدعهم بناموسه[٢٥٠٧] ، فبذلوا أموالهم وأنفسهم ونصروه ، وأخذوا ممالكنا ، وقد طالت مدتهم >[٢٥٠٨] .

٢ - استغلال الفرص :

كانوا يستغلون الفرص من اشعال الفتن والانقضاض عند وجود منفذ على الأمة في وقت ضعفها ، ومن أقوالهم لاتباعهم : والآن قد تشاغل اتباعه - يعنون الامة الاسلامية - فمنهم مقبل على كسب الأموال ، ومنهم على تشييد البنيان ، ومنهم على الملاهي ، وعلماؤهم يتلاعبون ويكفر بعضهم بعضا ، وقد ضعفت بصائرهم ، ونحن نطمع في ابطال دينهم >[٢٥٠٩] .

٣ - النفاق في دعوتهم ، وارضاء كل فرد بما يناسبه :

وهم يستدرجون الخلق الى مذاهبهم بما يقدرون عليه ، فيميلون الى كل قوم بسبب يوافقهم ، ويميزون من يمكن ان يخدعوه ، وممن لا يمكن ، فإن كان يهوديا فادخل عليه من جهة انتظار المسيح ، وان المسيح هو محمد بن اسماعيل بن جعفر وهو المهدي ، والطعن في النصارى والمسلمين[٢٥١٠] . وان كان نصرانيا فأعكس ، وان كان صابئا ، فتعظيم الكواكب ، وان كان مجوسيا فتعظيم النار والنور ، وان وجدت فيلسوفا فأفهم اننا نتفق وهم على ابطال النواميس والانبياء ، وعلى قدم العالم وان كان مائلا الى المجون والخدعة فقرر عنده ان العبادة بلة والورع حماقة ، وانما الفطنة في اتباع اللذة [٢٥١١].

٤ - تجنب الطبقة الواعية :

وفي خطة عملهم ان يتجنبوا الطبقة الواعية ، ومن مذاهبهم انهم لا يتكلمون مع عالم بل مع الجهال[٢٥١٢] .

٢٥٠٦ الطغام : أوغاد الناس ، والواحد والجمع فيه سواء < القرامطة ص٣١>

٢٥٠٧ الناموس : ما ينمس به الرجل على الاحتيال ، وهو الشرك < القرامطة ، ص ٣١ - ٣٢ >

٢٥٠٨ القرامطة ، ص ٣١ - ٣٢

٢٥٠٩ المصدر السابق ، ص ٣٢

٢٥١٠ المصدر السابق ، ص ٥٢

٢٥١١ المصدر السابق ، ص ٥٣

٢٥١٢ المصدر السابق ، ص ٥٤

٥ - التشكيك في الدين :

والزنادقة يجتهدون في تزلزل العقائد بالقاء المتشابه وكل ما لا يظهر للعقول معناه ، فيقولون : ما معنى الاغتسال من المني دون البول !! ولم كانت أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة !! ولم كانت السموات سبعا "[٢٥١٣].

٦ - معتقدهم في القيامة والمعاد :

وكلهم أنكر القيامة ، وأولوا القيامة بأنها رمز الى خروج الامام ، ولم يثبتوا الحشر ولا النشر ولا الجنة ولا النار . ومعنى المعاد عندهم : عود كل شيء الى أصله"[٢٥١٤] .

٧ - اعتقادهم في التكاليف الشرعية : انهم يعتقدون استباحة المحظورات ، ورفع الحجر .. ولو ذكر لهم هذا لانكروه ، وقالوا : لا بد للانقياد للشرع على ما يفعله الامام ، فاذا احاطوا بحقائق الامور انحلت عنهم القيود والتكاليف العملية"[٢٥١٥] .

وورد في كتاب فضائح الباطنية للغزالي : < وانما تكليف الجوارح في حق من يجري بجهله مجرى الحمر التي لا يمكن رياضتها الا بالأعمال الشاقة >"[٢٥١٦] .

٨ - تأويلاتهم للظواهر :

قالوا : وكل ما ذكر من تكاليف فرموز الي باطن ، فمعنى الجنابة مبادرة المستجيب بافشاء سرا اليه قبل ان ينال رتبة الاستحقاق لذلك .. ومعني الغسل : تجديد العهد على من فعل ذلك .. والزنا : القاء من نطفة العلم الباطن الى نفس من لم يسبق معه عقد العهد .. والاحتلام : ان يسبق الانسان الى افشاء السر في غير محله .. والصيام : الامساك عن كشف السر .. والمحرمات : عبارة عن ذوي السر .. والبعث عندهم : الاهتداء الى مذاهبهم .. ويقولون في قوله تعالى : « للذكر مثل حظ الأنثيين »[٢٥١٧] الذكر الامام ، والحجة الأنثى ..

٢٥١٣ المصدر السابق ، ص ٥٧

٢٥١٤ المصدر السابق ، ص ٦١

٢٥١٥ المصدر السابق ، ص ٦٣

٢٥١٦ فضائح الباطنية ، ص ٤٧

٢٥١٧ النساء : ١١

وقــالـوا في تأويل : « يوم يأتي تأويله »[٢٠١٨] : أي يظهر محمد بن اسماعيل [٢٠١٩].

الزنادقة ووضع الحديث :

فالنظرة العابرة عند المرور الى حياة الزنادقة نجدهم كل حياتهم كيد وخبث وحقد على الاسلام والمسلمين .. وكانت نظمهم في الحياة كفر وفساد وتشكيك وطعن في الشريعة الاسلامية .

وهذه الحياة الملوثة بفقدان الضمير ارادوا ان يصوغوا لها نظاما يحميها ويقويها ، وتكون لها قدسية الاحترام والتأييد ، فأخذوا يفسرون القرآن الكريم تفسيراً رمزيا على حسب أهوائهم وملذاتهم ، ثم وضعوا الأحاديث التي تناسب نظامهم المسموم الخبيث الذي كله الحاد وفساد وتشكيك واستهزاء ، لذلك كان وضعهم الآتي :

١ - الاشراك بالله :

أ - كحديث ‹ لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه ›[٢٠٢٠] موضوع ، قال ابن القيم هذا من كلام عباد الأصنام الذين يحسنو ظنهم بالأحجار . وقال ابن حجر العسقلاني : لا أصل له ، فالاحجار جمادات لا تضر ولا تنفع ، فالمسلم يرتبط بالله مباشرة ، فهو السميع القادر ، فقد قال سبحانه وتعالى : « واذا سألك عبادي عني فإني قريب »[٢٠٢١] ، فالله سبحانه وتعالى لا يقبل عملا ما لم يكن خالصا لوجهه الكريم ، وقال عليه الصلاة والسلام : (من علق تميمة ، فقد أشرك)[٢٠٢٢] .

فالله سبحانه لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا لوجهه ، قال تعالى : « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين »[٢٠٢٣] .

٢٠١٨ الأعراف : ٥٣

٢٠١٩ القرامطة ، ص ٦٤

٢٠٢٠ الاسرار المرفوعة ، ص ٢٨٨ كشف الخفاء ، ج ٢ ، ص ١٥٢ ، المنار المنيف ، ص ١٣٩ ، المقاصد : ص ٣٤١ ، تذكرة الموضوعات للفتني ، ص ٢٨ ، اللؤلؤ المرصوع ، ص ٦٥

٢٠٢١ البقرة : ١٨٦

٢٠٢٢ أخرجه احمد في المسند . ١٥٦/٤ ، من حديث عقبة بن عامر .

٢٠٢٣ الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

ب - ومن ذلك حديث ‹ اتخذو الحمام المقاصيص ، فانها تلهي الجن عن صبيانكم ›[٢٥٢٤] .

ج - ومن ذلك حديث ‹ احضروا موائدكم البقل ، فانه مطردة للشيطان مع التسمية ›[٢٥٢٥] وفيه العلاء بن مسلمة[٢٥٢٦] .

د - ومن ذلك حديث ‹ من امتشط قائما ركبه الدين ›[٢٥٢٧] من حديث عائشة وفيه الجويباري[٢٥٢٨] وابو البحتري[٢٥٢٩] .

٢ - التشبيه والتجسيد :

أ - منها حديث ‹ ان الله تعالى اجرى الخيل ، فعرقت ، فخلق نفسه منها ›[٢٥٣٠] موضوع .

ب - وحديث ‹ ان الله تعالى خلق الملائكة من نور ذراعه ›[٢٥٣١] موضوع .

ج - وحديث ‹ رأيت ربي بمنى يوم النفر على جمل أورق عليه جبه صوف امام الناس ›[٢٥٣٢] موضوع .

وقد دس الزنادقة آلافا من الأحاديث كثير منها بالذات الالهية في التشبيه والتجسيد للتشكيك وابطال الشريعة الاسلامية ، وحتى يفسح لهم المجال بتطبيق مبادئهم الالحادية .

٢٥٢٤ سلسلة الأحاديث . ج ١ ص٢٦ ، اللآلىء المصنوعة ، ج ١ ص ٣٦

٢٥٢٥ تنزيه الشريعة ج٢ ص ٢٤٦ ، كشف الخفاء ج ١ ص ٤٤٣ . اللآلىء المصنوعة ج ٢ ص ٢٢١

٢٥٢٦ قال ابن حبان : علاء يضع ‹ اللآلىء ج ٢ ص ٢٢١ . كشف الحثيث ص ٢٩٠ . وقال ابن طاهر : كان يضع الحديث ، وذكره ابن الجوزي : قال لا أصل له ‹ انظر كشف الحثيث ص ٢٩٠ . ميزان الاعتدال ج٣ ص١٠٥ . العلاء بن مسلمة حدث ببغداد ‹ ميزان الاعتدال ج٣ ص١٠٥› قال الأزدي : لا تحل الرواية عنه كان لا يبالي ما روى ‹ ميزان الاعتدال ج٣ ص١٠٥ .

٢٥٢٧ تنزيه الشريعة ج ٢ ص ٢٦٩

٢٥٢٨ قال ابن عدي عن الجويباري : كان يضع الحديث . قال الذهبي : قلت : الجويباري ممن يضرب المثل بكذبه . نقل عن ابن حبان : انه يضع . قال السمعاني : الكذاب الخبيث الوضاع ‹ كشف الخفاء ص ٥٨

٢٥٢٩ ابوالبختري : هو وهب بن وهب ، سكن في بغداد ، وولاه هارون الرشيد القضاء بعسكر المهدي ، ثم عزله ، ثم ولاه مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - . قال يحيى بن معين : أبا البختري كذاب خبيث . قال عثمان بن أبي شيبة : ذاك الدجال ‹ تاريخ بغداد ج٣ ص ٤٥١ ›

٢٥٣٠ الاسرار المرفوعة ص ٢٠٤ . تذكرة الموضوعات للفتني ص١٣

٢٥٣١ المصدرين السابقين .

٢٥٣٢ المصدرين السابقين

< وقد أقر زنديق امام المهدي بانه وضع مائة حديث تجول بين الناس ، ولما قدم عبدالكريم بن أبي العوجاء للقتل اعترف بانه وضع أربعة آلاف حديث .. ومن أشهر هؤلاء الزنادقة الوضاعين : عبدالكريم بن أبي العوجاء قتله محمد بن سليمان أمير البصرة >[٢٥٣٣] .

د - وحديث < اذا أراد الله ان ينزل الى سماء الدنيا نزل عن عرشه بذاته >[٢٥٣٤] الحديث موضوع ، محدثه محمد بن عيسى الطرسوسي[٢٥٣٥] .

واجمع سلف الأمة وأئمتها على ان الرب تعالى بائن من مخلوقاته ، يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصف به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص ، ويعلم انه ليس كمثله شيء[٢٥٣٦] .

٣ - التشكيك في النبوة :

أ - منها حديث < لو عاش ابراهيم لكان نبيا >[٢٥٣٧] قال النووي في تهذيبه : هذا الحديث باطل ، وجسارة على الكلام بالمغيبات ، وفي سنده ابو شيبة[٢٥٣٨] .

٢٥٣٣ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، ص ٨٤ - ٨٥

٢٥٣٤ الاسرار المرفوعة ، ص ٨٨

٢٥٣٥ محمد بن عيسى : هذا المحدث الدجال هو محمد بن عيسى الطرسوسي ، قال فيه ابن عدي : هو في عداد من يسرق الحديث ، وقال غيره : هو محدث دجال < تنزيه الشريعة ج١ ص ١١٢ > . ويروي محمد هذا الحديث عن شيخه نعيم بن حماد ، وهو يأتي بالطامات < هامش الاسرار المرفوعة ص ٨٨ > . ومحمد بن عيسى الطرسوسي قدم بغداد سنز ٣٤٦ هـ < تاريخ بغداد ج ٢ ص ٤٠٥ .

٢٥٣٦ الفرقان والرسالة الخامسة عشرة ، ص ١١٠

٢٥٣٧ تمييز الطيب من الخبيث ، ص ١٣٠

٢٥٣٨ أبو شيبة (ابراهيم بن عثمان الواسطي) هالك < ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٥٢٧ . قال البخاري : سكتوا عنه . قال عبدالكريم بن احمد بن شعيب النسائي : متروك الحديث ، توفي ابو شيبة في خلافة هارون الرشيد سنة ٢٦٩ هـ < تاريخ بغداد ج ٦ ص ٨١٤ >

ب – حديث < انا خاتم النبيين ، ولا نبي بعدي ، الا ان يشاء الله > من حديث أنس ، وفيه محمد بن سعيد[٢٠٣٩] .

٤ – الظلم :

أ – كما في حديث < ولد الزنا لا يدخل الجنة >[٢٠٤٠] باطل[٢٠٤١] .

ب – وحديث < أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة على صورة القردة والخنازير >[٢٠٤٢] قال ابن الجوزي[٢٠٤٣] : موضوع لا أصل له .

لقد وضع الزنادقة كل أحاديث الخبث والشر بوقاحة وقلة أدب ، وعلى قمة هذا الخبث الأحاديث التي وضعوها على الذات الإلهية في التشبيه والتجسيم والظلم ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فالله جل ثناؤه له الأسماء الحسني ، والصفات العليا ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، فله الكمال المطلق ، والعدل المطلق .

فالله سبحانه وتعالى كما يقول في كتابه العزيز : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر »[٢٠٤٤] .

والله سبحانه وتعالى يقول : « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد »[٢٠٤٥] .

فهؤلاء الزنادقة يريدون ان ينكروا العدل الرباني بوضع مثل هذه الأحاديث والقصد منها اشاعة الفوضى ونشر الفتن والفساد ، ولا يفوتني في هذه المناسبة الا أن أذكر ما قاله العلماء عن العدل الرباني وهذا نصه :

٢٠٣٩ هو محمد بن سعيد المصلوب ، هو الأزرق كان أحد الزنادقة ، وكبار الوضاعين ، وضع الاستثناء في حديث خاتم الأنبياء ، صلب في الزندقة < قانون الموضوعات ، ص ٢٩٠ . عن احمد بن حنبل قال : عمدا كان يضع الحديث . وقال ابو احمد الحاكم : يضع الحديث . وقد غيروا اسمه سترا له وتدليسا لضعفه ، فقيل بن حسان نسب الى جده ، وقيل محمد بن أبي قيس ، وقيل محمد بن أبي حسان ، وقيل محمد بن أبي سهل ، وقيل محمد بن طبري حتى وصل الى مائة اسم وزيادة < انظر الكشف الحثيث ، ص ٣٧٢

٢٠٤٠ تمييز الطيب من الخبيث ، ص ١٨٣

٢٠٤١ قال القاضي مجد الدين الشيرازي في سفر السعادة : هو باطل < تمييز الطيب من الخبيث ، ص ١٨٣

٢٠٤٢ الموضوعات ٣/١٠٩ ، تنزيه الشريعة ١/٣١٠ ، سلسلة الأحاديث ج ٢ ، ص ٢٦٨

٢٠٤٣ المتهم فيه زيد بن عياض ، وعلي بن زيد ، وقد طعن أيوب السختياني بزيد ، وقال احمد ويحيى: عن < علي بن زيد > ليس بشيء .

٢٠٤٤ النحل : ٩٠

٢٠٤٥ فصلت : ٤٦

« عدل الله سبحانه وتعالى »

إن الله تعالي عدل حكيم ، لما تقرر عقلا وسمعا وحسا من ظهور آثار حكمته في كل جزء من مصنوعاته الذي أعطى كل شيء خلقه في العالم السفلي والعلوي ، والكلي والجزئي ، والدنيوي والأخروي ، فلا يكون في قوله خلف ولا كذب ، ولا في فعله ظلم ولا عبث ، بل هو الصادق في الأقوال ، الحكيم في جميع الأفعال ، سواء علمنا وجه حكمته في ذلك أم جهلنا .. ومن جهل حكمته ، وانها صفة من صفاته الثبوتية ضل وأضل ، واسمه تعالى الحكيم والعدل ثابتان في الأسماء الحسني « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها »[٢٥٤٦] ، « قل ادعو الله أو ادعو الرحمن ، أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى »[٢٥٤٧] ، « تمت كلمة ربك صدقا وعدلا »[٢٥٤٨] .

٥ - نشر الفساد :

أ - منها حديث ‹ النظر في الوجه الحسن يجلو البصر ›[٢٥٤٩] موضوع ، وهو من وضع الزنادقة[٢٥٥٠] .

ب - حديث ‹ النظر الى المرأة الحسناءوالخضرة يزيدان في البصر ›[٢٥٥١] خبر باطل[٢٥٥٢] .

ج - حديث ‹ النظر الى الوجه الجميل عبادة ›[٢٥٥٣] موضوع[٢٥٥٤] .

٢٥٤٦ الأعراف : ١٠٨

٢٥٤٧ الاسراء : ١١٠

٢٥٤٨ الأنعام : ١٦٥

٢٥٤٩ الاسرار المرفوعة ، ص ٤٣٦

٢٥٥٠ المصدر السابق

٢٥٥١ المصدر السابق

٢٥٥٢ من حديث جعفر ، تفرد به عنه ابن أبي فديك ، قال المناوي في فيض القدير ٦/٣٠٠ ، فقال : قال في الميزان : خبر باطل ‹ انظر الاسرار المرفوعة ص ٤٣٦ ›

٢٥٥٣ الأسرار المرفوعة ، ص ٤٣٦

٢٥٥٤ قال ابن القيم ، سأل عنه شيخنا - يعني ابن تيمية - فقال هذا كذب باطل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يروه أحد باسناد صحيح بل هو من الموضوعات ‹ الأسرار المرفوعة ، ص ٣٧٠ ›

د - حديث ‹ عليكم بالوجوه الملاح والحدق السود ، فان الله يستحي ان يعذب مليحا بالنار ›[٢٥٥٥] موضوع .

‹ وكل حديث فيه ذكر حسان الوجوه ، والثناء عليهم ، أو الأمر بالنظر اليهم ، والتماس الحوائج منهم ، وان النار لا تمسهم ، فكذب مختلق ، وافك مفترى ›[٢٥٥٦] .

لقد قام الزنادقة بدس ألاف الأحاديث في العقائد والأخلاق مكذوبة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولقد قاموا بالفعل بوضع احاديث حرموا فيها الحلال ، وأحلو الحرام ، منها ‹ النظر الى الوجه الجميل عبادة › ، متى كان النظر الى الوجه الجميل عبادة ، وهي فتنة قد توقع الانسان في الزنا والنظرة سهم من سهام ابليس .

ولقد ذكر القرآن الكريم فضيلة ‹ غض البصر › في سورة النور ، ضمن ما أمر الله تبارك وتعالى رسوله ان يبلغه الى عباده ، ويدعوهم اليه ، ويأمرهم به ، ولم يكف القرآن بأن يأمر الرجال بغض الابصار ، بل أمر به النساء أيضا ، لأن الفضيلة مطلوبة لهؤلاء وهؤلاء"[٢٥٥٧] .. فقال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ... »[٢٥٥٨] .

٦ - الاستهزاء والسخرية :

لقد وضع الزنادقة أحاديث للتهكم والاستهزاء لإبعاد الناس عن المسلمين وتحطيم معنوياتهم ، فوضعو أحاديث لا يقبلها عاقل ، ومن تلك الأحاديث :

٢٥٥٥ الأسرار المرفوعة ، ص ٤٣٦

٢٥٥٦ المصدر السابق

٢٥٥٧ موسوعة أخلاق القرآن للشرباصي ، ج ٢ ص ٢٥٩

٢٥٥٨ النور : ٣٠

أ - حديث < الباذنجان شفاء من كل داء ، ولا داء فيه >[٢٥٥٩] موضوع[٢٥٦٠]
ب - وحديث < ان نفرا من اليهود أتوا الرسل - صلى الله عليه وسلم - فقالوا من يحمل العرش ؟ فقال : تحمله الهوام بقرونها ، والمجرة التي في السماء من عرقهم . قالوا : نشهد انك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - >[٢٥٦١] موضوع[٢٥٦٢] .

هذا الحديث من وضع الزنادقة للاستهزاء في الدين ، لاجل اضعاف قدسية تعاليمه ، وابعاد الناس عنه ، ثم نقض الشريعة الصحيحة بالأحاديث الموضوعة ، فيتصدع صرح النظام الاسلامي ، وينهدم بمعاول هؤلاء الزنادقة ، فتضعف الأحكام ، ثم تغيب عن الميدان العملي ، فتحل بمكانها أنظمة الزنادقة من فساد والحاد وفتن وعداوة ، فتذهب ريح الأمة لا سامح الله ، وتختل الموازين والقيم ، وتنعكس الموازين ، فيكون الحرام حلالا ، ويكون الحلال حراما .

٢٥٥٩ الأسرار المرفوعة ، ص ١٤٤

٢٥٦٠ قال العسقلاني : لم أقف عليه . وقال بعض الحفاظ هذا من وضع الزنادقة ، رواه ابن الجوزي عن طريق احمد بن محمد بن خرب الملحمي ، وهو أفته ، وقال ابن عدي : كان يتعمد الكذب ، ويلقن فيتلقن ، وهو مشهور بالكذب ووضع الحديث ، وفي الفتاوى الحديثية له : ان هذا القائل مخطيء أشد الخطأ ، فان حديث الباذنجان كذب ، وباطل ، وموضوع باجماع أئمة الحديث ، نبه على ذلك ابن الجوزي في الموضوعات ، والذهبي في الميزان < الأسرار المرفوعة ، ص ١٤٤ > .

٢٥٦١ السنة قبل التدوين ، د . عجاج ، ص ٢٠٧

٢٥٦٢ قال ابو القاسم البلخي : < هذا والله تقول > وقد أجمع المسلمون على ان الذي يحملون العرش ملائكة .

الفصل الثاني

الفرق المتطرفة وآثرها على نشر الموضوعات

(السبئيون - الخطابية)

أ - السبيئيون :

السبيئة : (أصحاب عبدالله بن سبأ ، الذي قال لعلي - رضي الله عنه - أنت أنت . يعني أنت الإله .. فنفاه الى المدائن ، وزعموا انه كان يهوديا فأسلم)[٢٥٦٣] .

فقد روى الطبري عن سيف بن عمر أن ابن السوداء أسلم في السنة السابعة من خلافة عثمان - رضي الله عنه - بعد ان اتخذ رجال من قريش اموالا في الامصار وانقطع الناس اليهم[٢٥٦٤] .

ووقت ابن خلدون ظهور ابن سبأ بأيام الخليفة عثمان - رضي الله عنه - لما فشا التكبر والطعن في الافاق ، وحدد مكانه بالبصرة[٢٥٦٥] .

وقال سيف بن عمر ، وهم قتلة عثمان - رضي الله عنه - فتحوا باب الحرب الأهلية ، وأسسوا فرقة الخوارج النورية ، وتولد عنهم انهيار الاسلام[٢٥٦٦] .

وذكر السيوطي انه أظهر الرفض في أيام علي[٢٥٦٧] .

* ما ورد عن اخبار سبا في القرآن والكتب :

ورد ذكر (سبأ) في القرآن الكريم : « ... فمكث غير بعيد ، فقال حطت بما لم تحط به ، وجئتك من سبأ بنبأ يقين »[٢٥٦٨] .

وقوله تعالى : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ... »[٢٥٦٩] .

٢٥٦٣ الملل والنحل ، ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠

٢٥٦٤ الصلة بين التصوف والتشيع ، ص ٨٩

٢٥٦٥ العبر ٣/١٧٠ . الصلة بين التصوف والتشيع ص ٨٩

٢٥٦٦ الدولة العربية وسقوطها ، ص ٣٩٦

٢٥٦٧ الوسائل الى مسامرة الأوائل ، ص ١٣٥

٢٥٦٨ النمل : ٢٢

٢٥٦٩ سبأ : ١٥

وفي قلائد الجمان : ان يعرب بن قحطان ، ودل يشجب وولد ليشجب « سبأ » واسم سبأ هذا « عبد شمس » وقد ملك اليمن بعد أبيه ، واكثر الغزو والسبي ، فسمي « سبأ »[٢٥٧٠] .

على ان هناك من ينسب « ابن سبأ » الى « حمير » حتى قال ابن حزم : « والقسم الثاني من فرق الغالية ، يقولون بالالهية لغير الله عز وجل ، فأولهم قوم من أصحاب عبدالله بن سبأ الحميري .. »[٢٥٧١] .

وحمير كانت من القبائل المعروفة في العربية الجنوبية عند الميلاد ، ويذكر ان عامتهم كانت من « ظفار »[٢٥٧٢] .

أما البلاذري ، وابو خلف الأشعري فهما ينسبان « ابن سبأ » الى « همدان » ، فهو « عبدالله بن وهب الهمداني » عند البلاذري[٢٥٧٣] .

وعلى أية حال وسواء نسب « ابن سبأ » الى السبيئيين » أو الى « الحميريين » أو الى « الهمدانيين » فهي تؤكد الأصل « اليمني » لعبد الله ابن سبأ .

جاء في تاريخ الطبري: « كان عبدالله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء»[٢٥٧٤] .

فالبغدادي يرى ان ابن سبأ من أهل الحيرة[٢٥٧٥] : « وكان ابن السوداء في الأصل يهويا من أهل الحيرة »[٢٥٧٦] .

* **متى كان ظهور ابن سبأ :**

أول ذكر لابن سبأ عند ابن كثير يرد في سنة ٣٤ هـ ، وفيه الحديث ان ابن سبأ وانه كان سبب تأليب الأحزاب على عثمان[٢٥٧٧] .

٢٥٧٠ القلقشندي / قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، ص٣٩

٢٥٧١ الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ج ٤ / ١٨٦

٢٥٧٢ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد علي ، ج ٢ ص ٥١٠

٢٥٧٣ أنساب الاشراف ، ص ٣٧٢

٢٥٧٤ تاريخ الطبري ، ج ٤ / ٣٤٠

٢٥٧٥ الحيرة : بالكسر ثم السكون وراء : مدينة كانت على ثلاث أميال من الكوفة ، على موضع ، ويقال له النجف وقد نزل العرب العراق ، واتخذوا من الحيرة والانبار منزلا ، فصار فيها من جميع القبائل « معجم البلدان ج ٢/ ٣٢٨ » .

٢٥٧٦ الفرق بين الفرق .

٢٥٧٧ البداية والنهاية ، ج ٧ / ١٨٣

ثم أورده في أحداث سنة ٣٥ هـ مع الاحزاب الذين قدموا من مصر يدعون الى قتال عثمان ونصر الدين ، وانه اكبر الجهاد اليوم .

ولقد تنقل ابن سبأ في العالم الاسلامي ، فذهب الى الحجاز والبصرة والكوفة والشام ، وانه التقى بأبي ذر - رضي الله عنه - في الشام ، وكذلك ذهب الى مصر[٢٥٧٨] .

* خطة عبدالله بن سبأ في نشر فكرته :

١ - الطعن :

ذكر القمي ‹ ٣٠١ هـ › ان عبدالله بن سبأ أول من أظهر الطعن على ابي بكر وعمر وعثمان والصحابة - رضي الله عنهم جميعا - ، وتبرأ منهم ، وادعى ان عليا أمره بذلك ، وان التقية لا تجوز ، فأخبر علي ، فسأله عن ذلك فأقر به ، وامر بقتله ، فصاح الناس اليه ... ‹ يا أمير المؤمنين اتقتل رجلا يدعو الى حبكم أهل البيت ، والى ولايتك ، والبراءة من أعدائك › .. فسيره الى المدائن[٢٥٧٩] .

وينقل لنا الاستاذ احسان الهي ظهير ، اجماع المؤرخين - شيعة كانوا أو سنة - على ان الذي أضرم الفتنة ، وسعى بالفساد في أرض الخلافة ، واغرى الناس على عثمان - رضي الله عنه - هو عبدالله بن سبأ وشرذمته ›[٢٥٨٠] .

ويذكر الاستاذ أنور الجندي ‹ المعاول الهدامة › وذكر عن السبيئة كواحدة من هذه المعاول ، وجاءت اسارته الى عبدالله بن سبأ كأحد الرؤس المدبرة لهذا الضلال ، فعبد الله بن سبأ عنده واضع جذور الباطنية القديمة[٢٥٨١] .. ويرى ان المفاهيم الباطنية والشعوبية التي أخذت تتسرب الى الاسلام انما كانت بواسطة تلك الكلمات التي أذاعها عبدالله ابن سبأ[٢٥٨٢] .

ويقول الدكتور / نايف محمد معروف : ‹ بعد استعراضنا لآراء القدامى والمحدثين من الرواة والباحثين ، يمكننا القول أن عبدالله بن سبأ لم يكن وهما ولا اسطورة ، بل كان شخصية سياسية قوية ، وانه كان

٢٥٧٨ انظر لزيادة الشرح والتوضيح في كتاب ‹ عبدالله بن سبأ وأثره في احداث الفتنة في صدر الاسلام › ص ٤٦ - ٥٣

٢٥٧٩ المقالات والفرق ، ص ٢٠

٢٥٨٠ الشيعة والسنة ، احسان الهي ظهير ، ص ٢١

٢٥٨١ الاسلام والدعوات الهدامة ، انور الجندي ، ص ١٧

٢٥٨٢ المؤامرة على الاسلام ، انور الجندي ، ص ٩٠

يترأس جمعية سياسية تعمل في الخفاء وفي العلن ، ونسبت هذه الجمعية الى شهرة مؤسسها فعرفت بالسبئية ›[٢٥٨٣] .

ويقول السيوطي : ‹ فافتتن به بشر كثير من أهل مصر ، وكان ذلك مبدأ تألبهم على عثمان ›[٢٥٨٤] .

إن النصوص الكثيرة تؤكد قتل عثمان - رضي الله عنه - على يد جماعة اتفقوا على الشر ، يقول ابن سعد[٢٥٨٥] : ‹ وهم رؤوس شر ، وأهل جفاء› .

كما نعتهم الذهبي[٢٥٨٦] ووصفهم غيره بأنهم أراذل من أوباش القبائل[٢٥٨٧]

٢ - الطعن في القرآن الكريم :

ومن أفكارهم المسمومة الخبيثة طعنتهم بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ومن أوائل النصوص التي أبانت عن عقيدة السبئية رسالة الإرجاء[٢٥٨٨] ، تلك التي كتبها الحسن بن محمد بن الحنفية بين ‹ ٩٥ - ١٠٠ هـ › لكي تقرأ على الناس ، ومما جاء فيها :

‹ ومن خصومة هذه السبئية التي أدركنا ، اذ يقول هدينا لوحي ضل عنه الناس ، وعلم خفي ، ويزعمون أن نبي الله كتم تسعة أعشار القرآن ، ولو كان نبي الله كاتما شيئا مما أنزل الله لكتم شأن امرأة زيد « إذ تقول للذي أنعم الله عليه ... »[٢٥٨٩] ، وقوله : « لم تحرم ما أحل الله لك ... »[٢٥٩٠] ، وقوله : « لقد كدت تركن إليهم إلا شيئا قليلا »[٢٥٩١] .. ›[٢٥٩٢] .

٣ - تأليه الامام علي - رضي الله عنه - :

ومن ذلك قول الجوزجاني :

‹ ... ثم السبئية اذ غلت في الكفر ، فزعمت أن عليا إلهها ، حتى

٢٥٨٣ الخوارج في العصر الأموي ، نايف محمود معروف ، ص ٤٨

٢٥٨٤ حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٦٥

٢٥٨٥ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ج ٣ / ٧١

٢٥٨٦ دول الاسلام ، للامام الذهبي ، ج ١ /١٢

٢٥٨٧ شذرات الذهب ، لابن عماد الحنبلي ، ج ١ / ٤٠

٢٥٨٨ تهذيب التهذيب ، ج ٢ /٣٢١

٢٥٨٩ الأحزاب : ٣٧

٢٥٩٠ التحريم : ١

٢٥٩١ الاسراء : ٧٤

٢٥٩٢ تقريب التهذيب ، لابن حجر ج ٢١٨/٢ ، الاعلام ، الزركلي ، ج٨/٣

حرقهم بالنار أنكارا عليهم ›[٢٥٩٣] .

وهذه العقيدة عند السبئية تؤكدها أغلب المصادر الموجودة ، ومن أمثلة ذلك : ابن قتيبة[٢٥٩٤] ، وأبي الحسن الأشعري[٢٥٩٥] ، والأسفرييني[٢٥٩٦] ، والبغدادي[٢٥٩٧] ، والملطي[٢٥٩٨] ، والشهرستاني[٢٥٩٩] ، وابن عساكر[٢٦٠٠] ، وابن حجر[٢٦٠١] .

٤ - عقيدتا ‹‹ الوصية ›› و ‹‹ الرجعة ›› :

وان عقيدة الوصية والرجعة في مقدمة العقائد التي قال بها عبدالله بن سبأ ، وأصبحت بعد ذلك ضمن عقيدة السبئية .. ويوضحها ابن سبأ بقوله :

‹ لعجب ممن يزعم ان عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمدا يرجع ، وقد قال الله عز وجل : « إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد »[٢٦٠٢] ، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى .. قال ، فقبل ذلك عنه ، ووضع لهم الرجعة ، فتكلموا فيها ›[٢٦٠٣] .

أما ‹ الوصية › فقد وضعها ابن سبأ للسبئية ، حينما قال :

‹ انه كان الف نبي ، ولكل نبي وصي ، وكان علي وصي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ثم قال : محمد خاتم الأنبياء ، وعلي خاتم الأوصياء ، ثم قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووثب علي وصي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ›[٢٦٠٤] .

وينشأ عن القول بالوصية القول بفرض امامة الموصى له ، واذا كانت السبئية تقول بالوصية ، وان عليا هو خاتم الأوصياء ، فصاحب السبئية -

---

٢٥٩٣ الجوزجاني : الضعفاء (مخطوط) ورقة ٣ /ب

٢٥٩٤ تأويل مختلف الحديث . ص ٧٣ ، المعارف ، ص ٦٢١

٢٥٩٥ مقالات الاسلاميين ، ج ١ / ٨٦

٢٥٩٦ التبصر في الدين . ص ١٠٨

٢٥٩٧ الفرق بين الفرق ، ص ٢٢٣

٢٥٩٨ التنبيه والرد ، ص ١١٨

٢٥٩٩ الملل والنحل ، ج ١ /١٥٥

٢٦٠٠ تاريخ مدينة دمشق ، ق ١٢٥/أ

٢٦٠١ لسان الميزان ، ج ٣ / ٢٩٠

٢٦٠٢ القصص : ٨٥

٢٦٠٣ الطبري ، ج ٤ /٢٤٠

٢٦٠٤ المصدر السابق

ابن سبأ - هو أول من شهدبالقول بفرض امامةعلى كما يقول القمي >[٢٦٠٥] .

٥ - اشراك علي بالنبوة :

يقول الملطي : < والصنف الذي يقال لهم السبائية يزعمون أن عليا شريك النبي - صلى الله عليه وسلم - في النبوة ، وان النبي مقدم عليه اذا كان حيا ، فلما مات ورث النبوة ، فكان نبيا يوحى اليه ، ويأتيه جبريل - عليه السلام - بالرسالة >[٢٦٠٦] .

٦ - الحلول والتناسخ :

جاء في فرق البغدادي : < أما السبئية فإنما دخلت في جملة الحلولية ، لقولها بأن عليا صار الها بحلول روح الاله فيه >[٢٦٠٧] .

ولم قتل علي - رضي الله عنه - زعم عبدالله بن سبأ انه لم يمت ، وان فيه الجزء الالهي[٢٦٠٨] .

< واذا كانت عقيدة الحلول قال بها بعض السبئية ، فقد قال بالتناسخ عامة السبئية >[٢٦٠٩] .

فعند النظرة السريعة الى صفات وأعمال وعقائد السبئية ، فانهم من الزنادقة ، لا بل هم قادة الزنادقة وزعماؤها ، فقد أشركوا بالله ، وطعنوا بكتاب الله ، وبشخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وقالوا بالحلول والتناسخ ، وطعنوا بالصحابة الكرام ، وبالفتنة علي الخليفة عثمان - رضي الله عنه - ، وأوقدوا الفتن في العالم الاسلامي في جميع العصور ومنها العصر الأموي والعباسي ، فقد بذرت البذور في زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، وزاد أوارها ، واشتد عودها في زمن الدولة الأموية .

ثم اشتد ساعدها ، وبلغت أوجها ، وبلغ السيل منتهاه ، وطفح الكيل ، وضاقت الأرض برحبها من خبثهم وشرهم في زمن الدولة العباسية ، فقد اشعلوا نار الفتنة ، وأعلنوا الفساد ، وأباحوا كل شيء ، فشمر خلفاء

٢٦٠٥ المقالات والفرق ، ص ٢٠

٢٦٠٦ السيادة العربية ، فان فلوتن ، ص ٨٠

٢٦٠٧ الفرق بين الفرق ، ص ٢٤١

٢٦٠٨ الفرق الاسلامية ، ذيل كتاب شرح المواقف ، ص ٣٤

٢٦٠٩ البدء والتاريخ ، ابن طاهر المقدسي ، ج ٥ /١٢٩

الدولة العباسية سواعدهم لتأديبهم ، ضربا وقتلا وتشريدا ، فكان العقاب جزاءا وفاقا .

فالزنادقة ملة واحدة في الكفر ، يتلونون حسب الظروف ، ويلبسون لكل ظرف مبلوسه ، ولذلك ما يقال عن أي مجموعة من الزنادقة ، يقال عن بقية الزنادقة ، فهم منافقون ، وكذابون .. والسبئيون هم زنادقة ، ينطبق عليهم كل شيء وقع على الزنادقة في العصرين الأموي والعباسي ، وهم كذابون منافقون ..

يقول الامام الذهبي : عبدالله بن سبأمن غلاة الزنادقة، ضال مضل[٢٦١٠]

ويقول ابن حجر : عبدالله بن سبأ من غلاة الزنادقة[٢٦١١] . ويقول عن طائفته : وله اتباع يقال لهم السبئية ، معتدون الالهية في علي بن أبي طالب ، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته[٢٦١٢] .

بل إن أحد معاني الزندقة : الإدعاء بأن مع الله إلها آخر ..

نماذج من السبئية ووضعهم الحديث :

١ - رشيد الهجري :

فقد أبان عنه ، وكشف حقيقته علماء الجرح والتعديل ، فابن معين يروي عنه في رشيد قوله : < ليس يساوي حديثه شيئا >[٢٦١٣] .

ونقل العقيلي عن الشعبي قال : رشيد الهجري وحبة العرني والأصبغ بن نباته ، ليس يساوي هو كلهم شيئا[٢٦١٤] .

ويقول الجوزجاني في رشيد : كذاب غير ثقة[٢٦١٥] .

وكما نقل عن ابن معين أيضا : رشيد الهجري عن أبيه ليس برشيد ولا أبوه ، وكان يقول في رشيد : ليس بشيء[٢٦١٦] .

٢٦١٠ ميزان الاعتدال ، ج ٢ / ٤٢٦

٢٦١١ لسان الميزان ، ج ٣ / ٢٨٩

٢٦١٢ المصدر السابق

٢٦١٣ تعجيل المنفعة ، لابن حجر ، ص ١٣٠

٢٦١٤ الضعفاء للعقيلي < مخطوط > ص ١٢٦

٢٦١٥ ميزان الاعتدال ، الذهبي ، ج ٢ /٥١

٢٦١٦ المجروحين ، لابن حبان ، ج ١ / ٢٩٨

٢ - المغيرة بن سعيد ‹ ١١٩هـ › :

هو أبو عبدالله المغيرة بن سعيد البجلي ، كان يعتقد بألوهية على بن أبي صالب - رضي الله عنه - ، فقد سأله الأعمش : أكان على يحيي الموتى ؟ فقال : أي والذي نفسي بيده لو شاء أحيا عادا وثمود[٢٦١٧] .

ويروي ان المغيرة كان يقول بتأليه علي ، وتكفير أبي بكر وعمر ، وسائر الصحابة ، الا من ثبت مع علي[٢٦١٨] .

والى جانب هذه العقائد فقد إدعى ‹ المغيرة › النبوة ، وقتل على ادعائها ، وكان اشعل النيران بالكوفة على التمويه والشعوذة ، حتى اجابه خلق[٢٦١٩] .

وذكر الطبري في حوادث سنة ‹ ١١٩هـ › مقتل المغيرة على يد خالد ابن عبدالله القسري[٢٦٢٠] ، وفي ‹ المحبر › ان خالدا صلب المغيرة[٢٦٢١] ..

ومن الآثار السيئة التي خلفها ‹ المغيرة › انه كان يضع الحديث[٢٦٢٢] .

وانه - أي المغيرة - كان يقول في قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل : علي ، « والإحسان » : فاطمة ، « وإيتاء ذي القربى » : الحسن والحسين[٢٦٢٣] ..

قال فيه ابن عدي : لم يكن بالكوفة ألعن من المغيرة بن سعيد ، فيما يروى عنه من الزور عن علي ، وهو دائم الكذب على أهل البيت . ولا أعرف له حديثا مسندا[٢٦٢٤] .

٣ - جابر الجعفي ‹ ١٢٨هـ › :

هو ابن يزيد الحارث الجعفي الكوفي ، وهو خليفة ‹ المغيرة بن

٢٦١٧ ميزان الاعتدال ، للذهبي ، ج ٤ /١٦١

٢٦١٨ الاعلام ، ج ٨ / ١٩٩

٢٦١٩ ميزان الاعتدال ، ج ٤ / ١٦١

٢٦٢٠ تاريخ الطبري ، ج ٨ / ١٢٨

٢٦٢١ المحبر ، ص ٤٨٣

٢٦٢٢ المجروحين ، ابن حبان ج ٣/ ٧ ، وفي فصل خاص عقده ابن حبان في ذكر أنواع جرح الضعفاء ، قال : ‹ فأما النوع الأول من أنواع الجرح في الضعفاء ، فهم الزنادقة الذين كانوا يعتقدون الزندقة والكفر ، ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، كانوا يدخلون المدن ، ويتشبهون بأهل العلم ، ويضعون الحديث على العلماء › ثم ذكر المغيرة بن سعيد ضمن هذا النوع ‹ المجروحين ج ١ / ٦٢ - ٦٣ ›

٢٦٢٣ ميزان الاعتدال ، ص ٤٨٣

٢٦٢٤ الميزان ج ٤/ ١٦٢ ، لسان الميزان ج ٦/ ٧٧

سعيد > بعد أن أحرقه القسري على ما قيل[٢٦٢٥] .

وذكره ابن حبان في عداد السبئية ، حيث قال : كان جابر سبئيا من أصحاب عبدالله بن سبأ ، وكان يقول : ان عليا يرجع الى الدنيا[٢٦٢٦] .

وقال جرير بن عبدالحميد[٢٦٢٧] : لا استحل أن أحدث عن جابر الجعفي ، كان يؤمن بالرجعة[٢٦٢٨] .

أما عن مدى صحة ما ينقله من أخبار أو أحاديث ، فيقول الامام أبو حنيفة - رحمه الله - : ما لقيت فيمن لقيت أكذب من جابر الجعفي ، ما أتيته بشيء قط من رأي الا حادني فيه بحديث ، وزعم ان عنده كذا وكذا ألف حديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم ينطق بها[٢٦٢٩] .

كما وضعه ابن حبان ضمن أنواع المجروحين ، حينما عده من المبتدعة الذين يدعون الناس الى بدعتهم ، والتي يلزم الباحثين معرفتها ليعرفوا أصحابها[٢٦٣٠] .

ويقول ابن سعد : كان يدلس وكان ضعيفا في رأيه ورؤيته[٢٦٣١] ..
ولهذا كله قال النسائي وغيره : متروك لا يكتب حديثه ولا كرامة[٢٦٣٢]

.

والذي يبدو من هذا كله ان جابرا كان يروي الموضوعات والغرائب ، ويؤكد هذا ان < شعبة > حينما سأل عن الرواية عنه مع تركه لغيره ، قال : روى أشياء ، أشياء لم نصبر عنها[٢٦٣٣] .

كانت وفاة الجعفي سنة ١٢٨هـ على ما ذكره ابن حبان[٢٦٣٤] ، وذكر الذهبي انه مات سنة ١٦٧ هـ[٢٦٣٥] . أما ابن حجر فهو أقرب الى ما ذكره ابن

٢٦٢٥ الفصل / لابن حزم ، ج ١٨٤/٤

٢٦٢٦ المجروحين ، ج٢٠٨/١

٢٦٢٧ هو جرير بن عبدالحميد الضبي ، محدث الري في عصره ، وحل اليه المحدثون لسعة علمه ، كان ثقة صحيح الكتاب ، له مصنفات كثيرة ، مولده ووفاته بالري ، وهو كوفي الأصل ، مات سنة ١٨٨هـ < الكاشف ج ١٨٢/١ ، التقريب ج١٢٧/١ ، الاعلام ج ١١١/٢ > .

٢٦٢٨ ميزان الاعتدال

٢٦٢٩ المجروحين ، ج ١ / ٢٠٩

٢٦٣٠ المجروحين ، ج ١ / ٨١ - ٨٢

٢٦٣١ انظر < تهذيب التهذيب > لابن حجر ، ج ٢ / ٤٩

٢٦٣٢ ميزان الاعتدال ، ج ١ / ٣٨٠

٢٦٣٣ المجروحين ، ج ١ / ٢٠٩

٢٦٣٤ المجروحين ، ج ١ / ٢٠٨

٢٦٣٥ ميزان الاعتدال ، ج ١ / ٣٨٤

حبان ، حيث قال ، ان وفاته سنة ١٢٨هـ ، وقيل سنة ١٣٢هـ[٢٦٣٦] .

٤ - الكلبي ‹ ت : ١٤٦هـ › :

هو ابو النضر محمد بن السائب الكلبي ، صاحب التفسير ، والنسابة المشهور، من أهل الكوفة ، مولده ووفاته .. شاهد الكلبي وقعة ‹ دير الجماجم › مع ابن الأشعث ، توفى سنة ١٤٦ هـ[٢٦٣٧] .

جاء في المجروحين : ‹ وكان الكلبي سبئيا من أصحاب عبدالله بن سبأ ›[٢٦٣٨] .

وفي وفيات الأعيان : ‹ .. كان الكلبي المذكور من أصحاب عبدالله ابن سبأ ›[٢٦٣٩] .

ويقول يزيد بن زريع[٢٦٤٠] : ‹ رأيت الكلبي يضرب صدره ، ويقول : أنا سبائي ، أنا سبائي ›[٢٦٤١] .

وعن التبونكي ، سمعت هماما يقول : أنا سبائي[٢٦٤٢] .

قال معتمر بن سليمان عن أبيه : كان بالكوفة كذابان أحدهما : الكلبي[٢٦٤٣] .

ويقول ابن الجوزي : ‹ .. والكذابون والوضاعون خلق كثير .. كان من كبار الكذابين : وهب بن وهب القاضي[٢٦٤٤] ، ومحمد بن السائب الكلبي ›[٢٦٤٥] .

وقال الساجي : متروك الحديث ، وكان ضعيفا جدا لفرطه في التشيع

٢٦٣٦ تقريب التهذيب ، ج ١ / ١٢٣

٢٦٣٧ وفيات الاعيان ، ج ٤ / ٣٩٠ . الاعلام للزركلي ، ج ٧ / ٣

٢٦٣٨ المجروحين ، ج ٢ / ٢٥٣

٢٦٣٩ وفيات الأعيان ، ج ٤ / ٣١٠

٢٦٤٠ هو الحافظ يزيد بن زريع البصري ، أبو معاوية ، محدث البصرة في عصره ، قال عنه الامام احمد : اليه المنتهى في التثبت في البصرة . قال عنه صاحب التقريب : ثقة ، ثبت . توفى سنة ١٨٢ هـ ‹ الكاشف ج ٣/ ٢٧٧، تقريب التهذيب ج ٢ /٣٦٤ ، الاعلام ج٩/٢٣٥ ›

٢٦٤١ تهذيب التهذيب ، ج٩/١٧٩

٢٦٤٢ ميزان الاعتدال ، ج ٣/٥٥٨

٢٦٤٣ التهذيب ، ج ٩/١٧٨

٢٦٤٤ هو ابو البختري وهب بن وهب بن كبير بن عبدالله بن زمعة ، من قريش ، كان عالما بالأخبار والأنساب ، ولد ونشأ في المدينة ، ثم انتقل الى بغداد في خلافة هارون الرشيد ، متهم بوضع الحديث ، قال عنه الامام احمد : هو أكذب الناس ‹ الاعلام ، الزركلي ج ١/ ١٤٠ ›

٢٦٤٥ الموضوعات ، ج ٧ / ٤٧

، وقد اتفق ثقات أهل النقل على ذمه ، وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع[٢٦٤٦] .

ويقول الحاكم : انه روى عن أبي صالح أحاديث موضوعة [٢٦٤٧].

وذكره صاحب : ‹ تذكرة الموضوعات › في عداد الوضاعين الكذابين[٢٦٤٨] .

ويقول ابو حاتم عن الكلبي : مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج الى الاغراق في وضعه[٢٦٤٩] .

بل قد اعترف الكلبي على نفسه بالكذب ، روى البخاري - بسند صحيح - عن سفيان الثوري ، قال : قال لي الكلبي : ‹ كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب ›[٢٦٥٠] .

ولم تكن أكاذيب الكلبي وموضوعاته من القلة ، بحيث لا تحتاج الى مزيد من البيان ، وكما كان يضع في الحديث ، فقد كانت له أكاذيب في التفسير حتى ان أشهر المفسرين أبا جعفر الطبري تحاشى النقل عنه .. كما ذكر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية[٢٦٥١] ، وياقوت الحموي[٢٦٥٢] ..

ومن أشهر كتب التفسير في هذا المجال : كتابا الكلبي ومقاتل ، كما حكى ذلك الخطيب في جامعه[٢٦٥٣] .. ويؤيد هذا اجابة احمد حينما سئل : أيحل النظر في تفسير الكلبي ؟ قال : لا[٢٦٥٤] . كان يقول : تفسير الكلبي من أوله الى آخره كذب[٢٦٥٥] .

فقد كان الكلبي ممن عرف بنعوت وأسماء مختلفة يظن انها نعوت لاناس كثيرين .

٢٦٤٦ التهذيب : ج ٩/ ١٨٠ ، ١٨١

٢٦٤٧ المصدر السابق

٢٦٤٨ قانون الموضوعات والضعفاء ، لمحمد طاهر على الفتني الهندي ص٢٩

٢٦٤٩ المجروحين ، ج ٢/٢٥٥

٢٦٥٠ ميزان الاعتدال ، ج ٣ / ٥٥٧

٢٦٥١ الفتاوى ، ج ١٣ / ٣٨٥

٢٦٥٢ معجم الأدباء ، ج ١٨ / ٦٤

٢٦٥٣ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ، للملا على القاري ، ص ٣٩٩

٢٦٥٤ ميزان الاعتدال ، ج ٣ / ٥٥٨

٢٦٥٥ الأسرار المرفوعة ، ص ٤٠٠

هناك نصوص تؤكد وجود جماعة من الناس ، تأثرت بأبن سبأ ، وافتتنت به ، ففي البصرة وحينما طرح ابن سبأ بعض أفكاره ، ولم يصرح على نفر من أهلها قبلوا منه واستعظموه[٢٦٥٦] .

وفي الكوفة ومصر يقول ابن كثير : < ... وافتتن[٢٦٥٧] به بشر كثير من أهل مصر ، وكتبوا الى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة فتمالوؤا على ذلك >[٢٦٥٨] .

نبذة من الأحاديث التي وضعها السبئيون :

- الحديث الأول :

حدثنا أحمد بن عبدالجبار ، حدثنا بكر بن عياش عن الكلبي[٢٦٥٩] عن أبي صالح[٢٦٦٠] عن ابن عباس ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : < كل مسكر حرام ، فقال رجل ان هذا الشراب اذا أكثرنا منه اسكرنا ؟ فقال ليس كذاك ، اذا شرب تسعة فلم يسكرفلا بأس ، واذا شرب العاشر فسكر فذاك حرام >[٢٦٦١] موضوع .

فالحديث وضعه السبئيون لاحلال الحرام ، وضرب السنة الصحيحة ، وكذلك در نص القرآن الكريم الذي يحرم الخمر ، فيقول سبحانه وتعالى : « انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه » .

فالخمر محرمة بالكتاب والسنة ، وهي أم الخبائث ، لانها أساس كل شر وبلاء ، فهي التي تسبب الفتن والفساد والالحاد ، ولذلك نجد أن الزنادقة وضعوا أحاديث تناسب فكرتهم لتدعيمها .

- الحديث الثاني :

٢٦٥٦ تاريخ الطبري ، ج ٤ / ٣٢٦

٢٦٥٧ يعني : ابن سبأ

٢٦٥٨ البداية والنهاية ، ج ٧/ ١٨٣

٢٦٥٩ سبقت الترجمة عن الكلبي ، وانه كذاب ، وانه ينتمي الى السبئية

٢٦٦٠ ابو صالح : اسمه باذام ، ضعفه البخاري . وقال النسائي : باذام ليس بثقة . وقال ابن معين : ليس به بأس . وقال ابن عدي : عامة ما يرويه تفسير . وقال اسماعي بن خالد : كان ابوصالح يكذب ، فما سألته عن شيء الا فسره لي . قال ابن المديني : سمعت يحي بن سعيد يذكر عن سفيان قال : قال الكلبي : قال لي ابو صالح كل ما حدثتك كذب . وقال ابن معين : اذا روى عنه الكلبي فليس بشيء < ميزان الاعتدال ، ج ١ ص ٢٩٦ > .

٢٦٦١ ميزان الاعتدال ، ج ٣ ص ٥٥٧

عن أبي عوانة ، سمعت الكلبي يقول : « كان جبريل يملي الوحي على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فلما دخل النبي - صلى الله عليه وسلم - الخلاء ، جعل يملي على علي »[٢٦٦٢] موضوع .

في هذا الحديث الموضوع من قبل السبئية الزنادقة ، وهو اشراك علي في النبوة[٢٦٦٣] ، وهو خطر عظيم يدعو الى ابطال الشريعة ، وعدم حجية السنة ، وعند ذلك تسقط جميع العبادات والفروض ، وتحل محلها النحل والأهواء ، وكل ما يدلوا بدلوه بما تهوى به نفسه ، فتتفرق الأمة ويذهب ريحها ، عند ذلك تكون لقمة سائغة بيد الاعداء .

فبعد هدم النبوة يكون الأمر سهلا بتأليه البشر والاشراك بالله ، وكل شيء بعدهما يكون سهلا ، من الطعن في الصحابة والطعن في علماء المسلمين .

- الحديث الثالث :

قال اسماعيل بن عياش ، حدثنا الكلبي ، عن أبي صالح عن ابن عباس ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا تقوم الساعة حتى يلتقي الشيخان ، فيقول أحدهما لصاحبه : متى ولدت ! فيقول : يوم طلعت الشمس من المغرب »[٢٦٦٤] موضوع .

- الحديث الرابع :

عن أبي يوسف القاضي ، عن الكلبي ، عن ابي صالح ، عن أبي هريرة : « لان يمتليء جوف أحدكم قيحا ، خيرا له من ان يمتليء شعرا . فقالت عائشة : لم يحفظ الحديث ، انما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خير من ان يمتليء هُجيت به »[٢٦٦٥] .

٢٦٦٢ ميزان الاعتدال ، ج ٣ ص ٥٥٨

٢٦٦٣ يقول الملطي : « والصنف الذي يقال لهم السبائية يزعمون ان عليا شريك النبي - صلى الله عليه وسلم - في النبوة ، وان النبي مقدم عليه اذا كان حيا ، فلما مات ورث النبوة ، فكان نبيا يوحى اليه ، ويأتيه جبريل - عليه السلام - بالرسالة « والتنبيه والرد » .

ونقل البغدادي عن ابن سبأ زعمه ان عليا كان نبيا « الفرق بين الفرق ، ص ٢٣٣ .

ولعلنا من خلال ذلك نتبين ان الذين قالوا بجواز النبوة بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - هم السبئية ، وانهم هم الذين انتقلوا بعد ذلك الى القول بألوهية علي .. « الفصل في الملل والنحل ، ج ٤ / ١٨٣ » .

٢٦٦٤ ميزان الاعتدال ، ج ٣ ص ٥٥٧

٢٦٦٥ المصدر السابق ، ص ٥٥٨

فهذا موضوع لانه يخالف صريح القرآن الكريم ، فالله سبحانه وتعالى يقول : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، الم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... »[٢٦٦٦] .

فالآيات القرآنية الكريمة من سورة الشعراء ، تستثني المؤمنين ، والحديث الموضوع ينفي هذا الاستثناء ، اي نكران صريح القرآن الكريم ، وهو كفر يخرج المسلم من الملة .

ولقد ورد عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – انه كان يقول : (اهجوهم ، وجبريل معك)[٢٦٦٧] .

وكان للرسول – صلى الله عليه وسلم – شعراء يذودون عن الاسلام والمسلمين ، وكان يتصدون للكفر والكافرين ، وكان هؤلاء الشعراء يروحون عن المسلمين في أعمالهم ، وكان بحضرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولم ينكر على أحد منهم ، لا بل كان يشجعهم من هؤلاء الشعراء : حسان بن ثابت ، عبدالله بن رواحة .

وهذا الحديث الموضوع يهدف لهدم السنة الصحيحة بالأحاديث الموضوعة ، فيقع التعرض بين النص الصحيح والنص الموضوع ، فيجعل اضطراب واختلاف في الأمة الاسلامية يثير الجدل ويبطل العمل ، وينشأ عن ذلك اسقاط النصوص الصحيحة في الحكام .. مما يؤدي في النتيجة الى الكفر والخروج من الملة الاسلامية ، وهو الهدف الذي وضعه الزنادقة .

ويوجد هدف أخر من وضع هذا الحديث وهو وضع الحرج على الأمة الاسلامية والتضييق عليها ، وهو جانب ترفيهي مباح ، ربما يحتاجه العامل في عمله ، والمزارع في حقله ، والمسافر في سفره .

٢٦٦٦ الشعراء : ٢٢٤ – ٢٢٧

٢٦٦٧ الخطاب ، لحسان بن ثابت – رضي الله عنه – .

ب - الخطابيـــــة :

الخطابيـة أصحـاب أبي الخطاب محـمـد بن أبي زينب الأسـدي الذي تنتسب اليه هذه الفرقة ، ويكنى ايضا أبا اسماعيل ، وابا الطبيان ، وكان مولى لأبي أسد[٢٦٦٨] .

وأتباع أبي الخطاب افترقوا بعد صلبه خمس فرق[٢٦٦٩] ، كلهم يزعمون ان الأئمة آلهة ، وانهم يعلمون الغيب .

عقائد الخطابية وانظمتهم :

١ - اشراك الأئمة في النبوة والألوهية :

زعم أبو الخطاب < انه الأئمة أنبياء ثم آلهة ، وقال بإلهية جعفر بن محمد ، وإلهية آبائه ، وهم أبناء الله وأحباؤه .. وزعم ان كل مؤمن يوحى اليه[٢٦٧٠] .

٢ - انكارهم ليوم القيامة :

وقد انكر الخطابية يوم القيامة ، وكذلك يقولون بتناسخ الأرواح[٢٦٧١] .

٣ - تأويل بعض الآيات :

وتأولوا : « وإذ أوحـيـت إلى الحـواريين »[٢٦٧٢] وادعوا أنفسهم هم الحواريون .

٢٦٦٨ الملل والنحل ، ج ١ ص ١٧٩ - ١٨٠ . الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ٢٤٧

٢٦٦٩ الفرق الخمسة هي :

أ - المعمرية : وهم يقولون : إن الامام بعد أبي الخطاب رجل اسمه معمر ، وكانوا يعبدونه كما يعبدون أبا الخطاب ، وكان يزعمون ان الدنيا لا تفنى ، وان الجنة هي التي تصيب من خير ونعمة ..

ب - البزيغية : وهم اتباع بزيغ ، وكان يزعم ان جعفرا كان إلها ، ولم يكن جعفر ذلك الذي يراه ، بل كان يظهر للناس بتلك الصورة .

ج - العميرية : اتباع عمير بن بيان العجلي ، وقالوا بتكذيب الذين قالوا منهم انهم لا يموتون ، وقالوا انا نموت ، ولكن لا يزال خلف منا في الارض أئمة أنبياء ، وعبدوا جعفرا وسموه ربا .

د - المفضلية : لانتسابهم الى رجل كان يقال له مفضل الصيرفي ، قالو بإلهية جعفر دون نبويه . وتبرؤا من أبي الخطاب لبراءة جعفر منه .

هـ - الخطابية المطلقة : ثبت على موالاة أبي الخطاب في دعاويه كلها وانكرت امامة من بعده

< انظر لجميع هذه الفرق : (الفرق بين الفرق) للخطيب البغدادي ، ص ٢٥٠ > .

٢٦٧٠ الملل والنحل ، ج ١ ص ١٧٩ ، ١٨٠ . الفرق بين الفرق ، ص ٢٤٧

٢٦٧١ الفرق بين الفرق ، ص ٢٤٨

٢٦٧٢ المائدة : ١١١

وذكروا قول الله تعالى : « وأوحى ربك الى النحل »[٢٦٧٣] وقالوا : اذا جاز الوحي الى النحل ، فالوحي الينا أولى بالجوار [٢٦٧٤] .

٤ - زعم بعضهم انهم أفضل من الملائكة والأنبياء :

< وزعموا أن فيهم من هو أفضل من جبريل وميكائيل ومحمد - صلى الله عليه وسلم - >[٢٦٧٥] .

٥ - زعمهم بالخلود :

< زعموا أنهم لا يموتون ، وأن الواحد منهم اذا بلغ النهاية في دينه رفع الي الملكوت >[٢٦٧٦] .

٦ - استحلالهم للمحرمات :

وقد أباح الخطابية لأنفسهم ارتكاب المحرمات[٢٦٧٧] .

وقالوا : خفف الله عنا بأبي الخطاب ، ووضع عنها الأغلال والآصار .. يعنون : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج .. فمن عرف الرسول النبي الامام - ويعنون أبا الخطاب - فليصنع ما أجب[٢٦٧٨] .

٧ - تفويض العالم لهم < أي لعلي - رضي الله عنه - ولأولاده > :

ان الله خلق روح علي وأولاده ، وفوض العالم اليهم ، فخلفوهم الأراضين والسموات ، قالوا : ومن هنا قلنا في الركوع : سبحان ربي العظيم ، وفي السجود : سبحان ربي الأعلى ، لانه الإله الأعلى علي وأولاده ، واما الاله الأعظم ، فهو الذي فوض اليهم العالم[٢٦٧٩] .

٨ - جواز شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم[٢٦٨٠] .

٩ - الطعن في الصحابة :

قال عبدالقاهر : < ان الباطنية والمنصورية والجناحية والخطابية ، قد أكفروا أبابكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة - رضي الله عنهم - باخراجهم عليا من الامامة في عصرهم >[٢٦٨١] .

٢٦٧٣ النحل : ٦٨

٢٦٧٤ الفرق بين الفرق ، ص ٢٤٩

٢٦٧٥ المصدر السابق .

٢٦٧٦ المصدر السابق .

٢٦٧٧ المصدر السابق ، ص ٢٤٨

٢٦٧٨ الصلة بين التصوف والتشيع ، ص ١٣٩ .. فرق الشيعة ، ص ٤٢

٢٦٧٩ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٥٧ .. الصلة بين التصوف والتشيع ، ص ٣٧٢

٢٦٨٠ الفرق بين الفرق ، البغدادي ، ص ٢٤٧

٢٦٨١ المصدر السابق ، ص ٢٥

** نماذج من الأحاديث التي وضعها الخطابية :

- الحديث الأول :

(أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يصلي في الموضع الذي يبول فيه الحسن والحسين - رضي الله عنهما - ، فقالت عائشة - رضي الله عنها - ألا تخص لك موضعا من الحجرة أنظف من هذا ؟ فقال : يا حميراء ، أما علمت أن العبد اذا سجد لله سجدة طهر الله موضع سجوده الى سبع أرضين)[٢٦٨٢] . رواه ابن عدي عن عائشة مرفوعا ، وقد تفرد به بزيغ[٢٦٨٣] بن حسان ابو الخليل .. والحديث موضوع .

فالحديث موضوع من وضع الزنادقة ، ويقصد منه ابطال الصلاة عند عدم وجود شرط الطهارة ، وهم يريدون ان يضعوا أحاديث تناسب ملتهم حتى يقووها ويسندوها ، لان ملتهم تبيح المحرمات وترفع التكاليف[٢٦٨٤] من صلاة وزكاة وصيام وحج .

وكذلك يلاحظ المرء المسلم من هذا الوضع الاستهزاء في الدين لنزع قدسيته واحترامه من قلوب المسلمين ، وكذلك يقصدون من ذلك الاختلاف في الأمة الاسلامية وتفرقها ، فتضعف ويذهب ريحها .

- الحديث الثاني :

قال محمد بن صدران ، حدثنا بزيغ أبو الخليل ، حدثنا الأعمش ، عن

٢٦٨٢ الفوائد ، للشوكاني ، ص ٢٣

٢٦٨٣ هو : بزيغ صاحب الفرقة الثانية من فرق الخطابية ، وكلهم يزعمون ان الأئمة آلهة ، وانهم يعلمون الغيب ، وسميت تلك الفرقة (البزيغية) نسبة الى بزيغ ، وكان يزعم أن جعفرا كان إلها ، وزعموا ان كل مؤمن يوحى اليه واستدلوا بقوله : « وإذ أوحيت الى الحواريين » المائدة : ١١١ ، وادعو في أنفسهم انهم هم الحواريون ، وذكروا قول الله تعالي : « وأوحى ربك الى النحل » النحل : ٦٨ ، وقالوا اذا جاز الوحي الى النحل ، فالوحي الينا أولى بالجواز ، فهذه الفرقة ضالة ، وبزيغ متروك (الفرق بين الفرق ، للبغدادي ، ص ٢٤٩) .

٢٦٨٤ وقد أباح الخطابية لانفسهم ارتكاب المحرمات (الفرق بين الفرق ص ٢٤٨) . وقالوا : (خفف الله عنا بأبي الخطاب ، ووضع عنا الأغلال والآصار يعنون : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، فمن عرف الرسول (النبي الامام) (يعنون ابا الخطاب) فليصنع ما احب (الصلة بين التصوف والتشيع ، ص ١٣٩ . فرق الشيعة ، ص ٤٢) .

أبي وائل عن عبدالله مرفوعا : ‹ يأتي على الناس زمان يقعدون في المسجد حلقا حلقا ، وانما همتهم الدنيا ، فمن جالسهم فليس لله فيه حاجة ›[٢٦٨٥] موضوع .. والمتهم فيه بزيغ[٢٦٨٦] .

فالحديث موضوع ، وضعته الزنادقة ، وقصدهم من ذلك وضع الحرج على الناس والتضييق لأجل ان ينفروا المسلمين من دينهم ، وقد كان السلف يجلسون في المساجد ، وقد يتحدثون لبعض شئونهم التي تخص الدين والدنيا ، وقد كان أهل الصفة وهم فقراء المسلمين يجلسون في المسجد ويبيتون فيه ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - بينهم ، فلم ينكر عليهم ذلك .

والغرض الثاني من وضع هذا الحديث ان يفرقوا بين المسلمين ، ويثيروا بينهم العداوة والبغضاء ، والله سبحانه وتعالى يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »[٢٦٨٧] .

والغرض الآخر ان ينفروا المسلمين من الذهاب الى المساجد ، فتترك صلاة الجماعة بحجة ان الناس قد اشتغلوا في الدنيا ، فيقع المسلمون في النفاق بسبب ترك صلاة الجماعة[٢٦٨٨] ، ولم يرخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأحد بترك الصلاة جماعة .

- الحديث الثالث :

حديث ‹ من بلغه عن الله شيء فيه فضيلة ، فأخذ به ايمانا به ورجاء

٢٦٨٥ ميزان الاعتدال ، ج ١ ص ٣٠٦

٢٦٨٦ قال ابن عدي : له هكذا مناكير لا يتابع عليها ، ويعني بزيغ ‹ نفس المصدر ، وقد سبق ترجمة بزيغ ‹ الفرق بين الفرق ، للبغدادي ، ص ٢٤٩ ›

٢٦٨٧ آل عمران : ١٠٣

٢٦٨٨ وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ، ثم أخالف الى رجال ، فأحرق عليهم بيوتهم) متفق عليه ، البخاري رقم ٦٤٤ ، ومسلم رقم ٦٥١ .

ثوابه ، أعطاه الله ذلك ، وان لم يكن كذلك >[٢٦٨٩] الحديث موضوع[٢٦٩٠] .

هذا الحديث الموضوع يكشف نفسه بنفسه ، حيث يجوز تطبيق الأحاديث المكذوبة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ان كان في تطبيقها الخير والفضيلة .

وهذا الحديث مناقض للأحاديث الصحيحة الصريحة بعدم قبول العمل بالحديث الموضوع ، واكبر دليل على ذلك بعدم قبول الأحاديث الموضوعة في فضائل سور القرآن الكريم أو في فضل الصلاة أوالصيام أو الصدقة .

فعلى أي حال أن السنة النبوية الصحيحة فيها من أعمال البر والخير ما يكفي الأمة الاسلامية ..

وختاما : <u>ان الأحاديث الموضوعة لا يباح العمل بها في أي حال من الأحوال</u> .

٢٦٨٩ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ج ١ < الألباني > .

٢٦٩٠ لا يصح ابو رجاء كذاب < اللآلىء المصنوعة ، ج ١ ص ٢١٤ > وأقره السيوطي ، والطريق الثاني فيه اسماعيل كذاب < اللآلىء المصنوعة ، ج ١ ص ٢١٤ ، تنزيه الشريعة ، ج ١ ص ٢٦٥ .

ومن رواية ابن حبان عن طريق بزيغ ابي الخليل عن محمد بن واسع ، وثابت ابن ابان وكذا الأصل ، ولعله ابن اسلم ، فاني لا اعرف في الرواة ثابت بن ابان ، عن انس مرفوعا ، وقال ابن الجوزي < بزيغ متروك > قلت : قال الذهبي في ترجمته : < متهم > . قال ابن حبان : يأتي عن الثقات بأشياء موضوعات كأنه المتعمد لها . وقال في < الضعفاء > : متروك . وقال الدارقطني : كل شيء يرويه باطل . وقال الحاكم : يروى عن الثقات أحاديث موضوعة .. ثم ان السيوطي تعقب ابن الجوزي ، فساق لحديث أنس طريقا آخر فيه متهم أيضا < سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ج ١ ص ٤٥٥ > .

الفصل الثالث

القصاص وخطرهم

١ - معنى القص لغة واصطلاحا :

أ - القص (في اللغة) :

القطع والتتبع وايراد الخبر المقصوص .
وقص الشعر والصوف : قطعه .
والقص : أخذ الشعر بالمقص .
وأصل القص : القطع .
والقص : فعل القاص اذا قص القصص[٢٦٩١] .
ويقال : قصصت الشيء ، اذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء .. ومنه قوله تعالى : « وقالت لأخته قصيه »[٢٦٩٢] أي تتبعي أثره .
ويقال : قصصت الأثر اذا تتبعته[٢٦٩٣] .
وقد اقتصصت الحديث اذا رويته على وجهه .
وقص عليه الخبر قصا - بفتح القاف - اذا حدث به[٢٦٩٤] .. ومنه قوله تعالى : « فارتدا على آثارهما قصصا »[٢٦٩٥] .
ومنه < القصة > وهي الأحدوثة ..
والقصاص : الذي يقرأ القصص[٢٦٩٦] .
والقصص : الخبر المقصوص - بالفتح - وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه[٢٦٩٧] .

٢٦٩١ تاريخ القصاص < د . محمد لطفي > ص ١١

٢٦٩٢ القصص : ١١

٢٦٩٣ المصباح المنير ، للفيومي ، ٧٥/٢

٢٦٩٤ شرح مسلم ، الامام النووي ، ١٠٠/١

٢٦٩٥ الكهف : ٦٤

٢٦٩٦ دائرة معارف القرن الرابع عشر ، ٨٣٦/٦ ، مادة : قص

٢٦٩٧ تاريخ القصاص ، ص ١١

ب - **القص في الاصطلاح :**

« هو الذي يقرأ القصة على الناس »[٢٦٩٨]

أو هو فن مخاطبة العامة ووعظهم بالاعتماد على القصة[٢٦٩٩] ، والمقصد من القصص - في الأصل - مقصد ديني طيب ، اذ في ايراد القصة موعظة وعبرة ، ولذلك نرى القرآن الكريم يقص علينا اخبار الأمم السابقة .. قال تعالى : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب »[٢٧٠٠] ، وقال سبحانه : « ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر »[٢٧٠١] .

والقاص - كما قال ابن الجوزي - :

‹ هو الي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها ، وهو في الغالب مستعمل فيمن يروي أخبار الماضين ›[٢٧٠٢] .

** **بيان رفع الشبهة عن التذكرة والموعظة :**

قد يخلط الناس بين القصص والتذكير والوعظ ، ولكن يوجد فرق بين هذه الثلاثة ، مما يرفع في شأن الوعظ والتذكير .

- التذكير : بأنه تعريف الخلق نعم الله عز وجل عليهم ، وحثهم على شكره ، وتحذيرهم من مخالفته .

فالله سبحانه وتعالى قال مخاطبا نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - : « فذكربالقرآن من يخاف وعيد »[٢٧٠٣] ، وقال سبحانه وتعالى : فذكر ان نفعت الذكرى »[٢٧٠٤] .. وقال تعالى : « انما أنت مذكر ، لست عليهم بمصيطر »[٢٧٠٥] .

٢٦٩٨ شرح مسلم ، للنووي ، ١٠٠/١

٢٦٩٩ تاريخ القصاص ‹ د . الصباغ › ص ١١

٢٧٠٠ يوسف : ١١١

٢٧٠١ القمر : ٤

٢٧٠٢ كتاب القصاص والمذكرين ، ص ١٥٧

٢٧٠٣ ق : ٤٥

٢٧٠٤ الأعلى : ٩

٢٧٠٥ الغاشية : ٢١

- أما الوعظ : بأنه تخويف يرق له القلب[٢٧٠٦] ..

وجملة القول : ان التذكير والوعظ فيهما خير كثير ، وهو جانب تربوي للأمة الاسلامية ، وخير دعم وتأييد لذلك كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٢ - تاريخ القصص :-

يمكن تقسيم تاريخ القصص الي قسمين :

- **الفترة الأولى من القصص :**

وهي فترة الصفاء والنقاء والصدق والتأثر بقصص القرآن الكريم الذي فيه عبرة وعظة ، يقول الله سبحانه تعالى : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب »[٢٧٠٧] .

‹ فالقصة هي المدخل الطبيعي لأصحاب الرسالات والدعوات ، والهداة والقادة الى الناس ، الى عقولهم وقلوبهم ›[٢٧٠٨] .

‹ وامتاز قصص القرآن الكريم بسمو غاياته ، وشريف مقاصده ، وعلو مراميه ، اشتمل على فصول في الأخلاق مما يهذب النفوس ، ويجمل الطباع ، وينشر الحكمة والآداب ، وطرق في التربية والتهذيب شتى ، تساق احيانا مساق الحوار ، وطورا مسلك الحكمة والاعتبار ، وتارة مذهب التخويف والانذار ›[٢٧٠٩] .

‹ فهذه الفترة من القصص بدأت في زمن الخليفة العادل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقد جاء كل من تميم الداري والحارث بن معاوية الكندي يستأذنانه في القصص ، فأبى أن يأذن لهما وحذرهما ، ثم اشترط على تميم بعد الحاحه في الاستئذان ، ان يتكلم في موضوعات معينة ، وفي وقت محدد ›[٢٧١٠] .

٢٧٠٦ كتاب القصاص والمذكرين ، ص ١٥٧

٢٧٠٧ يوسف : ١١١

٢٧٠٨ القصص القرآني ، لعبد الكريم الخطيب › ص ٧ بتصرف

٢٧٠٩ قصص القرآن ‹ للمرحوم محمد احمد جاد الله › ص ٣

٢٧١٠ تحذير الخواص ، ص ٧

- **الفترة الثانية :**

وهي فترة الشهرة والانتشار ، وقعت في زمن الفتنة ، فقد ذكر انه ‹ ورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص ، وقالوا لم يكن ذلك في زمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا في زمن أبي بكر ولا عمر – رضي الله عنهما – حتى الفتنة ، وظهر القصاص ›[٢٧١١] .

فالقصاص ظهروا واشتهروا وصلب عودهم ، وقويت شوكتهم بعد الفتنة ، وفي بداية الدولة الأموية ، وقد نشروا الأحاديث المكذوبة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

والأدلة على ان القصص انتشرت واشتهرت في زمن الفتنة :

١) عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : ‹ لم يقص على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا على عهد أبي بكر وعمر وعثمان ، وانما القص حين وقعت الفتنة ›[٢٧١٢] .

٢) عن السائب[٢٧١٣] بن يزيد قال : ‹ انه لم يكن يقص على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا زمن أبي بكر ولا زمن عثمان – رضي الله عنهم – ›[٢٧١٤] .

فهذه الآثار تدل على أن انتشار[٢٧١٥] القصص وشهرتها كان في وقت الفتنة ، أو انهم يعنون بالقصص والقصاص الأخبار الغير موثوق بها ، لأن جميع الصحابة كانوا أصحاب صدق ، ولم يعرفوا الكذب ، ووقع الكذب حين وقوع الفتنة من غير الصحابة .

٢٧١١ احياء علوم الدين ، للغزالي ، ٣٤/١

٢٧١٢ أخرجه ابن ماجه في الأدب ، باب القصص ، رقم ٣٧٥٤ . وابن حبان في صحيحه في العلم ، باب ما جاء في القص ، ص ٥٨ ، وتاريخ اصبهان ، للأصبهاني ، ٣٦/١ ، تاريخ بغداد ‹ للبغدادي ، ١٠٢/٢ ›

٢٧١٣ هو : السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة الكندي ، ويعرف بابن اخت النمر ، صحابي صغير له أحاديث قليلة ، وحج به في حجة الوداع ، وهو ابن سبع سنيني ، مات في المدينة سنة ٩١هـ ، وهو آخر من مات بالمدينة ‹ انظر ترجمته في الاصابة ، ١٢/٢ . وتجريد اسماء الصحابة، ص ٢٠٧ . والتقريب ٢٨٣/١ ›

٢٧١٤ اخرجه في مجمع الزوائد ، ١٩٠/١ في العلم / باب القصص ، واخرجه احمد في الفتح الرباني ، ١٤٥/٢ .

٢٧١٥ ولقد ذكرت سابقا ان ظاهرة القصص بدأت في زمن الخليفة العادل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقد جاء كل من تميم الداري والحارث بن معاوية الكندي يستأذنانه في القصص ، فأبى ان يأذن لهما وحذرهما ، ثم اشترط على تميم بعد الحاحه في الاستئذان ان تيكلم في موضوعات معينة وفي وقت محدد ‹ تحذير الخواص ، ص ٧ › .

< فعندما ننظر الى تاريخ نشأة القصاص ، نجد أول من تحدث بالقصص هو تميم[٢٧١٦] الداري ، في زمن الخليفة العادل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - >[٢٧١٧] .

وان تميم الداري رجل صدق وثقة ، واكرم به أن الذي سمح له هو الفاروق ، الخليفة العادل ، وهو الذي يحاسب الصحابة على دقائق الأمـــور .

٣ - أول من أحدث بالقصص :

بعد النظرة السريعة عن نشأة القصص ، وانه مر بمرحلتين :

- المرحلة الأولـــي (هي المرحلة التمهيديـــة) .
- والمرحلة الثانية (هي مرحلة الشهرة والانتشار ، وهي زمن الفتنة)

ونريد أن نعرف أول من أحدث القصص ، اذا استثنينا المرحلة التمهيدية .. وللعلماء رأيان في ذلك :

الرأي الأول :

يرى صاحب هذا الرأي ان القص أحدثه معاوية - رضي الله عنه - وبذلك قال الامام نافع ، وغيره من أهل العلم ، وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن نافع وغيره من أهل العلم قولهم :

< لم يقص في زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا زمان أبي بكر ولا عمر - رضي الله عنهما - ، وانما القصص محدث ، أحدثه معاوية حين كانت الفتنة >[٢٧١٨] .

واذا صحت هذه الرواية ، فيكون ما قالوه في الموسوعة العربية صحيحا بالنسبة لمعاوية - رضي الله عنه - حيث قالوا :

٢٧١٦ هو تميم بن أوس بن حارثة - رضي الله عنه - ابن دراع أبو رقية الداري ، كان راهب أهل عصره ، توفي بالشام سنة ٤٠هـ < انظر ترجمته في الاصابة ، ١٨٣/١ . والاستيعاب ، ١٨٤/١ > .

٢٧١٧ تحذير الخواص ، ص ٧

٢٧١٨ ونص الحديث هو : < حدثنا معن سمع معاوية عن أزهر بن سعيد عن ذي الكلاع قال ك كان كعب يقص في امارة معاوية . فقال عوف بن مالك لذي الكلاع : يا أبا شرحبيل ! أرأيت ابن عمك ! أبأمر الأمير يقص ؟ فاني سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : (القصاص ثلاثة : أمير ، أو مأمور ، أو مختال) فمكث كعب سنة لا يقص ، حتى ارسل اليه معاوية ، فامره ان يقص ، وقد حكى أبو سليمان الخطابي عن ابن سريج انه كان يقول هذا في الخطبة < مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج ١ ص ١٩٠ . وكتاب القصاص والمذكرين ، لابن الجوزي ، ص ١٨٦ > .

< وبلغ من شأنهم - أي القصاص - ان استقدمهم معاوية بن أبي سفيان الى بلاطه[٢٧١٩] ، ودون قصصهم >[٢٧٢٠] .

الرأي الثاني :

يرى أصحاب هذا الرأي أن أول من أحدث هذا القصص هـــم : < الحارورية > وهم طائفة الخوارج ، وبذلك قال محمد بن سيرين[٢٧٢١] ، وقال جرير بن حازم[٢٧٢٢] :

< سأل رجل محمد بن سيرين عن القصص ، فقال << بدعة >> ، اذ أول ما أحدث القصص واكثر منه الحرورية >[٢٧٢٣] .

عند النظر الى الرأيين :

نجد أن الرأي الأول ضعيف ، وهو ان معاوية أول من أحدث القص ، وان هذا الرأي لا يقف ، أما الحجج لأسباب غدة :

١ - ان كعب الذي كان يقص في زمن معاوية - رضي الله عنه - عندما سئل[٢٧٢٤] أبأمر الأمير يقص ..
وقال السائل : اني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (القصاص ثلاثة : أمير أو مأمور أو مختال)[٢٧٢٥] .
فمكث كعب سنة لا يقص حتى أرسل اليه معاوية ، فأمره ان يقص ،

٢٧١٩ أي الى قصره ، البلاط : الدار المفروشة بالحجارة ، < انظر لسان العرب ، ٢٥٧/١

٢٧٢٠ الموسوعة الميسرة ، ص ١٣٨٣

٢٧٢١ هو : محمد بن سيرين الانصاري ابو بكر بن أبي عمره البصري ، مولى أنس بن مالك ، وكان ثقة فاضلا يعبر الرؤيا ، المتوفي سنة ١١٠ هـ ، بعد موت الحسن بماثة يوم < انظر ترجمته في طبقات الحفاظ ، ص ٣٢ - ٣٣

٢٧٢٢ هو : جرير بن حازم بن زيد بن عبدالله الازدي ابو النظر البصري

٢٧٢٣ تحذير الخواص ، ص ٢٢٢

٢٧٢٤ السائل هو عوف بن مالك الاسجعي القطفاني صحابي جليل ، كانت معه راية أشجع يوم الفتح ، توفى سنة ٧٣هـ < القصاص والمذكرين ، ص ١٨٦ >

وقد حكى أبو سليمان الخطابي[٢٧٢٦] عن ابن سريج[٢٧٢٧] انه كان يقول هذا في الخطبة .

فان اعتزال كعب عن القص دليل علي عدم تعيين معاوية - رضي الله عنه - له ، لأنه لو كان معينا من قبل معاوية لما اعتزل القص .

٢ - ان الحديث الذي ورد عن كعب لم يكن فيه أي دليل على أن معاوية - رضي الله عنه - قد عينه ، وانما كان قد تحدث في عصره ، وكان في عصره الحرورية وغيرهم من الملل .

٣ - ان معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - صحابي جليل ، وسياسي ألمعي من الطراز الأول ، يحمل عقلا واسعا في الحلم والأناة ، ويجمع حوله العلماء والفقهاء واصحاب الدهاء والقادة المحنكين واصحاب الخبرة الطويلة ، وهذه الصفات لا يحملها القصاص في زمانه ، لانهم جهلة واصحاب فكر ضيق ، وعندهم الأنانية والطمع والجشع ، وهذه صفات تخرب الملك ، وتذهب بريح الدولة .

٤ - ان معاوية خليفة المسلمين وبيده القوة الضاربة من السياسيين والعسكريين والعلماء والفقهاء واصحاب التجربة ، فلا حاجة له بمجموعة لا نفع فيها .

٥ - ان معاوية بن أبي سفيان كان يحارب القصاص ، ومما ورد في ذلك : ‹ وروى الحاكم في المستدرك › عن أبي عامر[٢٧٢٨] عبدالله بن لحي قال :

حججنا مع معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - ، فلما قدمنا مكة أخبر بقاص يقص على أهل مكة ، مولى لبني فروخ ، فأرسل اليه ، فقال : أمرت بهذا القصص ؟ قال : لا ، قال : فما حملك على أن تقص بغير إذن ؟ قال : ننشر علما علمناه الله عز وجل . قال معاوية : لو كنت تقدمت اليك لقطعت منك طائفة ، ثم قام[٢٧٢٩] ، فقال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (إن أهل الكتاب تفرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين فرقة[٢٧٣٠] ، وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين . كلها في النار الا واحدة ، وهي الجماعة ، ويخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما

٢٧٢٦ هو : حمد بن محمد الخطابي البستي الامام المشهور الفقيه الأديب صاحب ‹ معالم السنن › توفى سنة ٣٨٨هـ ، ‹ القصاص والمذكرين ، ص ١٨٦ ›

٢٧٢٧ هو الامام احمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي ، ناصر السنة، له نحو ٤٠٠ مصنف ، وله نظم حسن ، توفى سنة ٣٠٦ هـ ‹ انظر كتاب القصاص والمذكرين ، ص ١٨٦ › .

٢٧٢٨ وهو عبدالله بن لحي الحميري الهوزني ، ابو عامر الحمصي ، وثقه العجلي ‹ تحذر الخواص ، ص ٢٢٦ ›

٢٧٢٩ وفي المستدرك : ثم قام حين صلى الظهر بمكة ، فقال .... ‹ تحذير الخواص ، ص ٢٢٦ ›

٢٧٣٠ وفي : المستدرك ، و‹ الباعث › : ملة .

يتجارى الكلب بصاحبه ، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله)[٢٧٣١] .

٦ - ان العقوبات كانت تقع على أصحاب الملل والنحل من الخلفاء ، فقد قام الخلفاء بقتلهم وتشريدهم .

- أما الرأي الثاني - وهو ان الحرورية هي التي احدثت القص : فهو الرأي الراجح لأسباب منها :

١ - ان أهل الملل والنحل وضعوا جميع الأحاديث الموضوعة أو شجعوا لوضعها .

٢ - ان الحرورية وهم جماعة منحرفة عن الاسلام الصحيح ، وحاقدة على كل مسلم لم يكن من اتباعها ، فهي مستعدة ان تروج بأي فكر يسعفها .

٣ - ان أحد الخوارج عندما تاب قال : كنا اذا استحسنا أمرا وضعنا له حديثا لنروجه .

فكل هذه الأدلة تدل على ان الحرورية كان أول من أحدث القصص .. والله أعلـــم .

٤ - <u>سبب وضع الأحاديث عند القصاص :</u>

أ - الجهـل :

‹ من الأشياء التي تشجع على وضع الأحاديث ، وتنمو في أرضهـا تلك الغرسة الفاسدة ، هو ان يكون التعالم بين العامة سببا في وضع الأحاديث ، وذلك حين يظهر جاهل بزي العلماء ، ويحرص ان يظل في أعين العامة عالما يشار اليه بالبنان ، فلا يستر جهله الا كثرة وضعه للغرائب التي تخلب ألباب العامة في جميع الأجيال ›[٢٧٣٢] .

‹ والقصاص المتعالمون أصفق الناس وجها ، وأشدهم وقاحة ، وهم يتخذون لترويج أحاديثهم المختلفة أسانيد مشهورة ، يحفظونها كالببغاء ، ثم يضمونها الى كل حديث يفترونه ، كما فعل ذلك القاص الوقح مع احمد ابن حنبل ويحيى بن معين ›[٢٧٣٣] .

ب - عدم مخافة الله سبحانه وتعالى :

جميع الشرور والمحن والويلات تنتشر عندما يغيب خوف الله سبحانه وتعالى عن المسلم ، وسبب دخول الوضع عند القصاص لانه تولى

٢٧٣١ تحذير الخواص ، ص ٢٢٦

٢٧٣٢ علوم الحديث ومصطلحه ، د . صبحي ، ص ٢٦٨

٢٧٣٣ المصدر السابق ، ص ٢٦٩

مهمة الوعظ قصاص أكثرهم لا يخافون الله ، ولا يهمهم سوى أن يبكي الناس في مجالسهم ، وان يتواجدوا ، وان يعجبوا بما يقولون ، فكانوا يضعون القصص المكذوبة وينسبونها الى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وقال ابن قتيبة وهو يتكلم على الوجوه التي دخل منها الفساد على الحديث :

« والوجه الثاني القصاص ، فإنهم يميلون وجه العوام ، ويشيدون ما عندهم بالمناكير والأكاذيب »[٢٧٣٤] .

ج - الوقاحة وقلة الأدب :

ومن عجب أمر هؤلاء القصاص جرأتهم على الكذب ووقاحتهم :

« ومن المؤسف أن هؤلاء القصاص على جهلهم وجرأتهم في الكذب على الله ورسوله ، قد لقوا من العامة آذانا صاغية ، ولقي العلماء منهم عنتا كبيرا »[٢٧٣٥] .

ومن الأمثلة على وقاحتهم :

١ - فان ابن الجوزي في كتابه القصاص والمذكرين : يذكر ان الشعبي في أيام عبدالملك نزل تدمر ، فسمع شيخا عظيم اللحية يقول : « ان الله خلق صورين في كل صور نفختان ، نفخة الصعقة ونفخة القيامة . قال الشعبي : فرددت عليه ، وقلت : ان الله لم يخلق الا صورا واحدا ، وانما هي نفختان . فقال لي : يا فاجر انما يحدثني فلان عن فلان ، وترد عليّ ، ثم رفع نعله ، وضربني بها ، وتتابع القوم عليّ ضربا ، فما اقلعوا حتى قلت لهم : إن الله خلق ثلاثين صورا »[٢٧٣٦] .

٢ - وروى الخطيب البغدادي عن محمد بن يونس قال : كنت بالأهواز ، فسمعت شيخا يقص لما زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - عليا فاطمة أمر شجرة طوبى ان تنثر اللؤلؤ الرطب يتهاداه أهل الجنة بينهم في الأطباق ، فقلت : يا شيخ هذا كذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فقال لي : ويحك ، اسكت حدثنيه الناس ، قلت : من حدثك ؟ فروى لنا اسنادا عن ابن عباس »[٢٧٣٧] .

٢٧٣٤ السنة ومكانتها ، ص ٨٥

٢٧٣٥ المصدر السابق ، ص ٨٦

٢٧٣٦ القصاص والمذكرين لابن الجوزي ، ص ٩٧ . والأسرار المرفوعة ص ٥٧ ، الحديث والمحدثون ، ص ١١٧ - ١١٨ ، والاسرائيليات والموضوعات ، ص ١٢٨

٢٧٣٧ ضحى الاسلام ، ص ١٢٨

٣ - ومن شدة وقاحتهم وقلة أدبهم وبذاءة ألسنتهم ، قال الحسين الكرابيسي[٢٧٣٨] : ‹ كان ببغداد قاص يقال له ابو مرحوم الحجام ، يجمع الناس اليه ، فقال يوما لمن حضره ، سلوني عن التفسير ، وتفسير التفسير ، فقام رجل من وراء الدرابزين ، فقال : «‹ يا أبا مرحوم ›» أصلحك الله ، فقال القاضي : طعنتة يا أبن الفاعلة . قال له رجل : دعا لك ، ثم تقول له مثل هذه المقالة . قال : نعم ، ألم تسمع قول الله تعالى : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون »[٢٧٣٩] فقال له رجل : ماذا تقول في المزابنة والمحاقلة ؟ قال : المحاقلة : خلع الثياب عن السمسار . والمزابنة : ان تسمى أخاك المسلم زبونا ›[٢٧٤٠] .

٤ - ومن أقبح قباحهم انهم لا يراعون عالما ولا شيخا ولا محدثا ولا أي انسان مهما ارتفعت منزلته ، والقصة الآتية التي تروى على الامامين احمد بن حنبل ويحيى بن معين - رحمهما الله تعالى - في مسجد ‹ الرصافة ›[٢٧٤١] فقام بين أيديهما قاص ، فقال :

‹ حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، قالا : حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ‹ من قال : لا إله إلا الله ، خلق الله من كل كلمة منها طيرا ، منقاره من ذهب ، وريشه من مرجان - وأخذ في قصة نحوا من عشرين صفحة ، فجعل احمد بن حنبل ينظر الى يحيى ، ويحيى ينظر الي احمد ، فقال له : انت حدثته بهذا ؟ قال : والله ما سمعت بهذا الا الساعة ، فلما فرغ من قصصه وأخذ «‹ قطاعه ›»[٢٧٤٢] ثم قعد ينظر بقيتهما ، فقال له يحيى تعالى : فجاء متوهما نوالا ‹ فقال له › من حدثك بهذا الحديث ؟ قال : احمد بن حنبل ويحيى بن معين ..قال : أنا يحيى ابن معين ، وهذا احمد بن حنبل ما سمعنا بهذا قط ، في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فان كان لا بد والكذب فعلى غيرنا . فقال له : أنت يحيى بن معين ؟ قال : نعم ، قال : لم أزل اسمع ان يحيى بن معين أحمق ما علمته الا الساعة .. قال

٢٧٣٨ هو : الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي ، كبشة أبو علي ، المتوفى سنة ٢٤٥هـ ‹ له ترجمة في تاريخ بغداد ، ج ٨ /٦٤ ›

٢٧٣٩ الحجرات : ٤

٢٧٤٠ الأسرار المرفوعة .

٢٧٤١ هي منطقة من مناطق بغداد في الجانب الشرقي ‹ انظر معجم البلدان ، ٤٦/٣ › .

٢٧٤٢ هكذا في المجروحين ، ٨٥/١ ، وفي تحذير الخواص ، ص ١٤٣ . القطعيات ، وهي هكذا في الموضوعات لابن الجوزي ، ٤٦/١ ، فالقطاع - بكسر القاف - الدراهم - وتصغيره ‹ قطيع › والجمع : قطيعات .

له يحيى ، وكيف علمت انه أحمق ؟ قال : كأن ليس في الدنيا يحيى واحمد غيركما ، كتبت عن سبعة عشر احمد بن حنبل ويحيى بن معين ، فوضع احمد كمه على وجهه ، وقال : < دعه يقوم > فقام كالمستهزء .

وهذه القصة اسندها بن حبان في المجروحين[٢٧٤٣] ، قال : اخبرنا ابراهيم بن عبدالواحد .. قال : سمعت جعفر بن أبي عثمان الطيالسي يقول : صلى احمد بن حنبل ، ثم ساق القصة ، وأخرجها ابن الجوزي[٢٧٤٤] باسناده الذي يلتقي بشيخ ابن حبان < ابراهيم بن عبدالواحد المعضوب الطبري > .

والقصة باطلة سندا ومتنا ..

١) في سند ابن الجوزي وابن حبان ، شيخ ابن حبان < ابراهيم بن عبدالواحد البكري > قال فيه الذهبي[٢٧٤٥] : ابراهيم بن عبدالواحد البكري : لا أدري من هو ذا أتى بحكاية منكرة .. أخاف ان تكون من وضعه < ثم ساقها > .

٢) في سند ابن الجوزي < هناد بن ابراهيم ابو المظفر النسفي > قال فيه الذهبي : روى الكثير بعد الخمسين واربعمائة الا انه رواية للموضوعات والبلايا[٢٧٤٦] ، المتوفي سنة ٤٦٥هـ .

وترجم له الخطيب البغدادي[٢٧٤٧] واقام الدليل على كذبه ..

ويتبين من السند انها موضوعة لكذب بعض رواتها ..

اما عن متن القصة فظاهرة الوضع واضحة عليها بما فيها ، مما لا يناسب حال الامامين الجليلين ، والقصة واضحة من ناحية الوضع ، والذي حدث من الامامين من الحلم والسكوت وترك هذا القاص بدون عقوبة - هو والله أعلم - ان هذا القاص الكذاب له من القدرة على الكذب والوقاحة بأن يتهمهما بكل شيء ، فكان السكوت وتركه من باب سد الذرائع ، وخوف

٢٧٤٣ المجروحين ، لابن حبان ، ٨٥/١

٢٧٤٤ الموضوعات ، ٤٦/١

٢٧٤٥ الميزان : ٤٧/١

٢٧٤٦ الميزان ، ٢٥٩/٣

٢٧٤٧ تاريخ بغداد ، ٩٨/١٤

الفتنة ، ولقد ذكرت القصة في كثير من الكتب[٢٧٤٨] .

٥ - الطرق التي يستخدمها القصاص لاغراء الناس :

أ - استخدامهم الأساليب الأدبية المغرية :

إن أثرهم في الأدب جيد يستحق الدراسة ، والكلام عن بلاغتهم وبيانهم وخطاباتهم كلام مفعهم بالاعجاب بهم[٢٧٤٩] .

كان القصاص ذوي قدرة على التأثير والاقناع ، وكانوا يسخرون بيانهم وبلاغتهم وذكاءهم ليحققوا كثيرا مما يريدون .

وكانت لهم الدقة في اختيار اللفظ ، والاحساس المرهف بجمال السبك والصياغة ، وزادهم ذلك في بعض الأحيان الى استخدام السجع ، بل كان منهم من أكثر استخدامه مثل الضل بن عيسى الرقاشي[٢٧٥٠] .

ب - التحدث بالعجائب والخرافات :

فالأخبار الغريبة تسحر عقول الجهال ، وتسيطر على لبهم ..

‹ والعامة في كل عصر يولعون بالغريب ، ويعجبون بالخرافة ، ويستمتعون بالعجائب ، حتى أضحى القاص كالمغني الذي لا هم له الا اطراب السامعين ›[٢٧٥١] .

٦ - الأسلحة التي يستخدمها القصاص لحماية كذبهم :

أ - اكتساب عواطف العامة من الناس :

فالقصاص لهم وعي وادراك بعواطف العامة ، ولذلك يعاملونهم ويستخدمون الأساليب القصصية حسب المناسبات والظروف ، قال جعفر

٢٧٤٨ من هذه الكتب : الموضوعات ، لابن الجوزي ، ٤٦/١ . اللآلىء المصنوعة ، للسيوطي ، ٣٤٦/٢ . والمجروحين ، لابن حبان ، ٨٥/١ . والباعث الحثيث ، ص ٨٥ ، توضيح الأفكار ، للصنعاني ، ٧٦/٢ -٧٧ ، واللؤلؤ المرصوع ، ففغاونجي ، ص ٨٩ - ٩٠ ، الاسرائيليات ، د . ابو شهبة . والحديث والمحدثون ، د. ابو زهو ص ٣٤٢ ، والسنة ومكانتها ، د . مصطفى السباعي ، ص ١٠١ ، والاسرار المرفوعة للقاري ، ص ٥٣ -٥٥ ، شرح نخبة الفكر ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ، لمحات في اصول الحديث ، د . محمد اديب صالح ، ص ٣٨ . ادب الحديث النبوي ، د . بكري شيخ امين ، ص ٥١ -٥٢ ، بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، د . اكرم العمري ، ص ٣٦ ، السنة قبل التدوين ، ، د . عجاج الخطيب ، ص ٢١١ - ٢١٢ ، الوضع في الحديث ، د . عمر فلاته ، ص ٢٠٥ .

٢٧٤٩ تحذير الخواص ، ص ١٧

٢٧٥٠ تاريخ الادب العربي ، العصر العباسي الأول ، د . شوقي ضيف ، ص ٤٥٦

٢٧٥١ تحذر الخواص ، ص ١٣

ابن الحجاج الموصلي ، قدم علينا محمد بن عبد[٢٧٥٢] السمرقندي الموصل ، وحدث بأحاديث مناكير ، فاجتمع جماعة من الشيوخ وصرنا اليه لننكر عليه ، فاذا هو في خلق من العامة ، فلما بصر بنا من بعيد علم انا جئنا لننكر عليه ، فقال : حدثنا قتيبة[٢٧٥٣] عن ابن لهيعة[٢٧٥٤] عن ابي الزبير[٢٧٥٥] ، عن جابر انه عليه الصلاة والسلام قال : ‹ ان القرآن كلام الله غير مخلوق › ، فلم نجسر ان نقدم عليه خوفا من العامة ، ورجعنا .

ب - استخدام العنف والشدة لمن يعارضهم :

يروى ان قاصا جلس ببغداد ، فروى في تفسير قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا »[٢٧٥٦] انه يجلسه معه على عرشه ، فبلغ ذلك الامام محمد بن جرير الطبري[٢٧٥٧] ، فاحتد من ذلك ، وبالغ في انكاره ، وكتب على باب داره ، سبحان من ليس له أنيس ، وليس له في عرشه جليس .. فثارت عليه عوام بغداد ، ورجموا بيته بالحجارة حتى انسد بابه بالحجارة وعلت عليه[٢٧٥٨] .

فهذه الطرق الوحشية من قبل القصاص باستخدام العنف ، هي اشبه بالعصابات الارهابية مما تجعل اصحاب الحق يتوجسون خيفة من هذا الأذى ، يفعله القصاص والعصابات التي حولهم .

٢٧٥٢ كذا في احدى المخطوطتين و ‹ ميزان الاعتدال › وهو الصواب ، وفي الاصلين الآخرين : محمد بن عبدالله : وهو كذاب وضاع ، ترجم له الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ‹ ٢/٣٨٨ › مات في حدود سنة ٣٠٠هـ ، ‹ الأسرار المرفوعة ، ص ٥٦ ›

٢٧٥٣ هو : قتيبة بن سعيد الثقفي ولاء ، ابو رجاء احد أئمة الحديث ، روى عن مالك والليث ، ومن أقرانه احمد ، توفى سنة ٢٤٠ هـ ‹ تاريخ بغداد ، ٢/٣٨٩ › .

٢٧٥٥ هو : محمد بن مسلم الأسدي .. ابو الزبير المكي ، احد الأئمة، مات سنة ١٢٨هـ ‹ الاسرار المرفوعة ، ص ٥٦ ›

٢٧٥٦ الاسراء : ٧٩

٢٧٥٧ هو : محمد بن جرير بن يزيد الطبري ابو جعفر ، المؤرخ المفسر الامام في احكام الدين والقراءات والسنن ، ولد في اهل طبرستان ، واستوطن بغداد ، وتوفي بها سنة ٣١٠هـ ، وعرض عليه القضاء ، فأبى ، وقد جمع من العلوم ما لم يشاركه في احد من عصره ، كان اماما مجتهدا صاحب مذهب ، وقد ذكر ابن خلكان ان اصحابه يقال لهم الجريره ‹ الاسرار المروفوعة ، ص ٦١ › .

٢٧٥٨ الاسرار المرفوعة ، ص ٦١

٧ - الأثر السيء لهؤلاء القصاص :

أ - تشويه الاسلام :

لقد شوه القصاص الاسلام ، فبدلوا الحقائق وادخلوا كثيرا من البدع ظلما وزورا ، حتى ان كثيرا من الناس : < اعتقد البدعة سنة ، والسنة بدعة ، وأصبحت الأكاذيب عندهم شيئا رئيسيا في الدين >[٢٧٥٩] .

لقد أمتدت هذه التصرفات الاعداء بسلاح مؤلم وموجع للنيل من الاسلام ، بانه دين فيه الخرافات والاساطير والآراء المتنافرة التي تصدع البناء الاسلامي ..

ب - القضاء على العلم :

لقد أثر القصاص على العلم تأثيرا كبيرا ، حتى ان كثير من الناس تركوا حلقات العلم من تفسير وحديث وسائر العلوم الاسلامية الضرورية واتجهوا الى حلقات القصاص ، لا بل قد ازدحموا عليها واقفرت دور العلم النافعة ، فنشأت بسبب حلقات القصاص مجموعة جهلة مظهرها العلم وحقيقتها التخلف .

وقال أيوب السختياني :< ما أفسد على الناس حديثهم الا القصاص >[٢٧٦٠] . وقال أيضا : < ما أمات العلم الا القصاص >[٢٧٦١] .

ج - كذب القصاص ووضعهم للحديث :

ومن اكبر جرائم القصاص ، وضعهم الحديث ..

ومن استعراض الأحاديث الشائعة بين عامة الناس ، نجد ان معظم الأحاديث الباطلة انما سمعوها من القصاص : < ان عددا كبيرا من هؤلاء اتخذ القصص مهنة له ، يعيش من ورائها >[٢٧٦٢] .

- وقال ابن الجوزي : < معظم البلاء في وضع الحديث ، انما يجري من القصاص ، لانهم يريدون احاديث ترقق وتنفق ، والصحاح تقل في هذا >[٢٧٦٣] .

لقد شوهوا السنة المرفوعة الى النبي - صلى الله عليه وسلم - في أذهان الناس اذ أدخلوا فيها كثيرا من الخرافات والأباطيل ، مما يحيل العقل وقوعه ، ومما يتعارض مع أصول الشريعة المطهرة ، ومهما قلنا

٢٧٥٩ تحذير الخواص ، ص ١٠ ، بتصرف .

٢٧٦٠ الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ، ص ١٤٧

٢٧٦١ المصدر السابق .

٢٧٦٢ تحذير الخواص ، ص ١٤

٢٧٦٣ الموضوعات ٤٤/١

ويقال عن القصاص من الكذب في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلسنا مبالغين ، فالكذب الذي انتشر عنهم ملأ الآفاق ، وقسم كثير منها اعترف واضعوها .

يقول ابن الجوزي : › ولقد حكى لي فقيهان ثقتان عن بعض قصاص زماننا ، وكان يظهر النسك[٢٧٦٤] والتخشع[٢٧٦٥] ، انه حكى لهما ، قال : قلت يوم عاشوراء : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ‹ من فعل كذا ، فله كذا ، ومن فعل كذا فله كذا › الى آخر المجلس ، فقالا له : ومن أين حفظت هذه الأحاديث ؟ قال : والله ما حفظتها ،لا اعرفها ، بل في وقتي قلتها ›[٢٧٦٦]

هذا قاص قد اعترف بكذبه بوضع هذه الأحاديث ، وهذه قصة أخرى لكشف كذاب آخر لم يكن الكاشف لها هو الواضع ، وانما الذي كشفها المستمع .

- وتروى القصة انه ذات مرة دخل الأعمش البصرة ، فنظر الى قاص يقص في المساجد ، فقال : ‹ حدثنا الأعمش ، عن أبي اسحاق ، عن أبي وائل فتوسط الأعمش الحلقة ، وجعل ينتف شعر أبطه ، فقال القاص : يا شيخ ، ألا تستحي ؟ نحن في علم ، وانت تفعل مثل هذا ؟ فقال الأعمش : الذي انا فيه خير من الذي أنت فيه . قال : كيف ؟ قال : لاني في سنة وأنت في كذب ، وأنا الأعمش ، وما حدثتك مما تقول شيئا ›[٢٧٦٧] .

- وهنا نوع ثالث من طريقة كشف الواضع ، وهو ضيق صدر الواضع ، وعدم مقدرته على الاجابة لسوء خلقه ، ثم أدى كل ذلك الى الاباحة بكذبه ، والقصة هي :

‹ قال أبو حاتم (البستي)[٢٧٦٨] دخلت « تاجران »[٢٧٦٩] مدينة بين الرقة وحران ، فحضرت مسجد الجامع ، فلما فرغنا من الصلاة ، قام بين أيدينا

٢٧٦٤ النسك : العبادة ‹ مختار الصحاح ، ص ٦٥٧ › .

٢٧٦٥ الخشوع : الخضوع .. والتخشع : تكلف الخشوع ‹ مختار الصحاح ، ص ١٧٦ ›

٢٧٦٦ الموضوعات ، لابن الجوزي ، ٤٧/١ ، واللآليء ، للسيوطي ، ٤٧١/٢

٢٧٦٧ تحذير الخواص ، ص ١٤٥ . احياء علوم الدين ، ٣٤/١ . الحوادث والبدع ، ص ١٠٥ - ١٠٦

٢٧٦٨ هو : الحافظ العلامة ابو حاتم محمد بن حبان بن احد بن حبان التميمي البستي ، صاحب التصانيف ، ولي قضاء سمرقند ، وكان من فقهاء الدين ، وحفاظ الآثار ، عالما بالنجوم والطب وفنون العلم ، توفي سنة ٣٥٤ هـ ، وترجمته طبقات الحفاظ ، ص ٣٧٤ . وتذكرة الحفاظ ، ٩٢٠/٣ ، والبداية والنهاية ٢٥٩/١١ .

٢٧٦٩ وهي مدينة من نواحي باب الابواب قرب شروان ، عندها عن الحياة التي وجدها الخضر - عليه السلام - ‹ ياقوت الحموي في معجم البلدان ، ٢١٣/١ › .

شاب ، فقال : حدثنا أبو خليفة ، حدثنا ابو الوليد ، حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : < من قضى لمسلم حاجة ، فعل الله به كذا > فلما فرغ من كلامه ، دعوته ، فقلت : من أين أنت ؟ فقال : من أهل بردعة[٢٧٧٠] ، قلت[٢٧٧١] : دخلت البصرة ؟ قال : لا ، قلت : رأيت أبا خليفة ؟ قال : لا ، قلت فكيف تروي عنه وأنت لم تره ؟ فقال : < إن المناقشة معنا من قلة المروءة > انا احفظ هذا الاسناد الواحد ، فكلما سمعت حديثا ضممته الى هذا الأسناد ، فرميت وقمت وتركته >[٢٧٧٢] أ.هـ.

هذه هي أخلاق القصاص وجراءتهم على الله سبحانه وتعالى ، فقد ذهبت الخشية من قلوبهم ، ففقدوا الاحساس .

وعن سعيب بن عاصم قال : < كان قاص يجلس قريبا من محمد بن واسع ، فقال يوما ، وهو يوبخ جلساءه ، ما لي أرى القلوب لا تخشع ؟ ما لي أرى العيون لا تدمع ؟ ما لي أرى الجلود لا تقشعر ؟ فقال محمد بن واسع : يا عبدالله ! ما أرى القوم أتوا إلا مَن قبلك ، إن الذكر اذا خرج من القلب وقع على القلب >[٢٧٧٣] .

فحديث القصاص لم يكن خارجا من القلب ، فالقلب المملوء بالايمان لا يكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

٨ – أخلاق القصاص (الحقد والانحراف والتعصب) :

فالقصاص عاداتهم وأخلاقهم صعبة لأنهم لم يكونوا على الحق ، لذلك لم تسعفهم الحجة ، ولا يقويهم الدليل ، فأغلقوا جميع أبواب الحق أمام الذين يريد أن ينصحهم ، وشنوا على كل من يقابلهم سيف الظلم من حقد ووقاحة وتعصب ، فأصبحت هذه القاذفات مرعبة مخيفة امام الناس ، فتهيب كثير من أهل الخير ان يجابههم خشية شرهم ، ومن أمثلة ذلك :

< يحكى أن رجلا من القصاص أورد حديثا ، وهو : أن النبي – صلى

٢٧٧٠ هي بلدة في أقصى أذربيجان ، وهي مدينة كبيرة ونزهة خصبة كثيرة الزرع والثمار وليس ما بين العراق وخراسان بعد الري ، وأصبهان مدينة اكبر واخصب ، ولا احسن موضعا من مرافق بردعة < انظر معجم البلدان ، ٣٧٩/١ في برذعة ، بالذال المعجمة ، وفيها وجهان > .

٢٧٧١ القائل هو : الحافظ ابن حبان .

٢٧٧٢ تحذير الخواص ، ص ١٥٠ – ١٥١ . الموضوعات ، لابن الجوزي ، ٤٧/١ ، واللآليء ، للسيوطي ٤٧٣/٢

٢٧٧٣ تحذير الخواص ، ص ١٨٦ . الاسرار المرفوعة ، ص ٦٩

الله عليه وسلم – قال لجبريل حين نزل قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »[٢٧٧٤] هل أصابك شيء من هذه الرحمة ؟ فقال : نعم ، خلق الله قبلي ألوفا من الملائكة كلهم يسمى جبريل ، ويقول الله سبحانه وتعالى لكل منهم : من أنا ؟ فلا يعرف الجواب ، فيذوب ، فلما خلقني ، وقال لي : من أنا ؟ قال لي : نورك يا محمد ، قل : انت الله الذي لا إله إلا أنت .

واستفتي الامام السيوطي عن ذلك ، فأفتى بأن هذا لا أصل له ، وأنه باطل ، لا تحل روايته ولا ذكره ، وانه يجب على ذلك القاص ان يصحح الأحاديث التي يرويها في مجلسه على مشايخ الحديث .

فلما قالوا : إن له اصلا يرويه ، قالوا : إن لا أصل له لا يذكره .. فلما وصلت التفيا هذه الى ذلك القاص ، استشاط غضبا ، وقام وقعد ، وقال : مثلي يصحح[٢٧٧٥] الأحاديث على المشايخ ؟ أنا أعلم أهل الأرض ... بالحديث ، وغير ذلك من الفشارات[٢٧٧٦] > أ.هـ.

لقد أخذت هذا القاص العزة بالأثم والمكابرة ، ولم يقبل أن يعلو على أقرانه ، بل رفع نفسه على جميع من في الأرض ، وهذا يدل على منتهى الكبرياء والتعصب .

ولقد خاض ابن الجوزي مع هؤلاء القصاص حربا ضروس ، يصيب كل منهم الآخر ، فينقل لنا من تلك المناقشات .. فيقول :

< وما أكثر ما تعرض على أحاديث في مجلس الوعظ ، وقد ذكرها قصاص الزمان ، فأردها عليهم ، وأبين أنها محال ، فيحقدون عليّ ، حين أبين عيوب مسلكهم >[٢٧٧٧] .

وهكذا في كل زمان ومكان يلاقي صاحب الحق الحرب عليه ، والحقد ، وخاصة من أهل الباطل ، واصحاب الافتراء والكذب .

٢٧٧٤ سورة الانبياء : ١٧٩

٢٧٧٥ تحذير الخواص ، ص ٤ – ٦

٢٧٧٦ الفشارات : مفرده ، فشار : كغراب ، وهي كلمة تستعلمها العامة بمعنى الهذيان ، وليست من كلام العرب < انظر تاج العروس ، ٤٧٢/٣ > .

٢٧٧٧ اللآلىء ، للسيوطي ، ٤٧٢/٢ ، تحذير الخواص ، ص ١٥٦ . الموضوعات ، لابن الجوزي ، ٤٥/١

٩ - الجهود التي بذلها العلماء لمحاربة القصاص :

ا - فضح وكشف وتحذير العلماء عن اكاذيب القصاص :

لقد عاش القصاص كل حياتهم لا يخشون أحدا من الناس ، ولا يراقبون الله في قصصهم ولا حياء فيهم لعالم أو صالح ينصحهم ، كل ذلك أوقد الهمم في عدد من العلماء للتصدي لهم بشتى الأساليب .. قال عاصم[٢٧٧٨] : ‹ كنا نأتي أبا عبدالرحمن المسلمي[٢٧٧٩] ونحن غلمه[٢٧٨٠] أيفاع[٢٧٨١] ، فكان يقول لنا : لا تجالسوا القصاص غير أبي الأحوص[٢٧٨٢] ، واياكم وشقيقا[٢٧٨٣] – وكان يرى رأي الخوارج – وليس بأبي[٢٧٨٤] وائل ›[٢٧٨٥] .

وروى ابن الجوزي بسنده في كتابه ‹ القصاص والمذكرين › عن أبي الوليد الطيالسي[٢٧٨٦] قال : ‹ كنت مع – شعبة[٢٧٨٧] – فدنا منه شاب ، فسأله عن حديث . فقال : أقاص أنت ؟ قال : نعم ، قال : اذهب . فانا لا نحدث القصاص ، فقلت له : لم يا أبا بسطام ، قال : يأخذون الحديث منا شبرا ،

٢٧٧٨ وهو : ابن ابي النجود الاسدي ، مولاهم الكوفي ابوبكر المقري ، صدوق ، له أوهام ، المتفي سنة ١٢٨هـ ‹ انظر ترجمته في التقريب ، ٢٨٣/١ ›

٢٧٧٩ هو : ابو عبدالرحمن السلمي ، واسمه عبدالله بن حبيب بن ربيعة التابعي الكوفي المتوفي سنة ٧٠ هـ أو بعد بقليل ، وهو ثقة ثبت ، له ترجمة في تاريخ ابن معين ، ٣٠١/٢ . والتقريب . ٤٠٨/١ . وغيرهما . .

٢٧٨١ ايفاع : مفرد ‹ يافع › والفعل ‹ أيفع › يقال ايفع الغلام ، اي ارتفع ، والمراد بلغ ، وايفاع : اي شبيبة بالغون ‹ شرح مسلم ، للنووي ، ١٠٠/١ › .

٢٧٨٢ هو : عوف بن مالك بن نضلة – بفتح النون ، وسكون المعجمة – ابو الاحوص الكوفي ، مشهور بكنيته ، ثقة ‹ الكاشف ، ٣٥٧/٣ ، التقريب ٩٠/٢ › .

٢٧٨٥ صحيح مسلم ، ١٥/١

٢٧٨٦ هو : هشام بن عبدالملك الباهلي ، ابو الوليد الطيالسي ، من اهل البصرة ، الحافظ الامام الحجة ، توفي سنة ٢٢٧ هـ ، ‹ انظر ترجمته ، طبقات الحفاظ ، ص ١٦٤ . تذكرة الحفاظ ، ٣٨٢/١ › .

فيجعلونه ذراعا »[٢٧٨٨] .

فان الامتناع عن التحدث مع القصاص - يقصد القصاص الكذابين - وكأن كلمة القاص بعد الفتنة تعني الكذاب ، وهو الغالب ..

يقول أيوب[٢٧٨٩] السختياني : « ما أفسد على الناس حديثهم الا القصاص »[٢٧٩٠] .

وقال الامام احمد[٢٧٩١] : « اكذب الناس القصاص والسؤال »[٢٧٩٢] .

وقال أبو قلابة[٢٧٩٣] : « ما أمات العلم الا القصاص »[٢٧٩٤] .

وقال ابن الجوزي : « وفي القصاص من يسمع الأحاديث الموضوعة ، فيرويها ، ولا يعلم انها كذب ، فيؤذي بها الناس ، وقد صنف جماعة لا علم لهم بالنقل[٢٧٩٥] كتبا في الوعظ والتفسير ، ملوؤها بالأحاديث الباطلة »[٢٧٩٦] .

ب - مقاومة العلماء للقصاص :

بعد أن بلغ الأمر الى مستواه من ناحية وضع القصاص ، شمر العلماء عن سواعدهم ، وأخذوا يقاومونهم كل حسب اجتهاده ، وقدرته ، فمن تلك المقاومة :

- قال ابن حبان : سمعت جعفر بن أبان المصري[٢٧٩٧] يملي بمكة حديثا عن نافع عن ابن عمر مرفوعا : « من سر المؤمن فقد سرني ، ومن سرني فقد

٢٧٨٨ محاضرات في علوم الحديث ، ص ١٩٨ - ١٩٩ ، تحذير الخواص ص٢٩٩

٢٧٨٩ هو ايوب بن أبي تميمة كيسان السختياني ، ابو بكر البصري ، ثقة ، ثبت ، المتوفي سنة ١٣١ هـ « انظر ترجمته طبقات الحفاظ ، ص ٥٢ . التقريب ، ٨٩/١ » .

٢٧٩٠ تحذير الخواص ، ص ٢٢٩

٢٧٩١ هو : امام أهل السنة احمد بن حنبل بن هلال بن اسد الشيباني ابو عبدالله المروزي ثم البغدادي ، مناقبه كثيرة ، وفضائله جمة لا تحصى ، توفي في بغداد يوم الجمعة سنة ٢٤١ هـ « انظر ترجمته في تاريخ بغداد ، ٤١٢/٤ وما بعدها . وتذكرة الحفاظ ٤٣١/٢ ، وطبقات الحفاظ . ص ١٨٦ » .

٢٧٩٢ تحذير الخواص ، ص ٢١٥ ، والسؤال : صيغة مبالغة ومعناه : الذين يسألون غيرهم والمراد الشحاذون .

٢٧٩٣ هناك ابوقلابة اثنان ، وهما بصريان :

احدهما - عبدالله بن زيد ، مات بالشام سنة ٤ .. « التقريب ، ٤١٧/١ » .

وثانيهما - عبدالملك بن محمد الرقاشي البصري الضرير الحافظ ، صدوق يخطيء ، المتوفي سنة ٢٧٦ هـ « التقريب ، ٥٢٣/١ » .

٢٧٩٤ تحذير الخواص ، ص ١٨٦ . حلية الأولياء ، ٢٨٧/٢ . والاسرار المرفوعة ، ص ٦٩

٢٧٩٥ أي : بالرواية .

٢٧٩٦ تحذير الخواص ، ص ٢٢٩

٢٧٩٧ شيخ كذاب « انظر اللسان ١٠٦/٢ . الميزان ٣٩٩/١ »

سر الله › الحديث . وفيه ينادي مناد يوم القيامة أين بقضاء الله ؟ فيقوم سؤال المساجد .

فقلت : يا شيخ اتق الله ، ولا تكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ‹ لست مني في حل ، انتم تحسدونني لاسنادي ، فلم أزايله[٢٧٩٨] حتى حلف أن لا يحدث بمكة بعد أن خوفته بالسلطان ›[٢٧٩٩] .

- ويروى ان قاصا دخل فجلس قريبا من ابن عمر - رضي الله عنه - يقص ، فقال له ابن عمر : قم ، فأبى أن يقوم ، فأرسل اليه شرطيا ، فأقامه من المسجد[٢٨٠٠] .

- وقال ابن عون : دخلت على ابن سيرين ، فقال : ما كان اليوم من خبر ؟ فقلت : نهى الأمير القصاص ان يقصوا ، فقال : وفق للصواب[٢٨٠١] .

** <u>الكتب التي الفت عن اكاذيب القصاص :</u>

الكتب التي ألفت عن أكاذيب القصاص .. هي :

١ - أحاديث القصاص ، للامام ابن تيمية ، للرد على القصاص وكشف زيفهم[٢٨٠٢] .

٢ - كتاب القصاص والمذكرين ، للامام ابن الجوزي ، صاحب كتاب الموضوعات ، وذكر فيه مجموعة من قصص الكذابين[٢٨٠٣] .

٣ - تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ، تأليف الامام جلال الدين السيوطي ، المتوفي سنة ٩١١ هـ ، وهو كتاب نافع جامع[٢٨٠٤] .

٤ - كتاب الباعث على الخلاص من حوادث القصاص ، للحافظ العراقي ، المتوفي سنة ٨٠٦ هـ ، وقد أورد المؤلف في هذا الكتاب الأحاديث والآثار التي تؤيدها ما ذهب اليه من معارضة القصاص وذمهم[٢٨٠٥] .

٥ - اخبار القصاص ، لأبي بكر محمد بن الحسين المعروف بالنقاش

٢٧٩٨ المزايلة : المفارقة ، يقال : زايله مزايلة ، أي فارقه ‹ مختار الصحاح ، ص ٢٨٠ ››

٢٧٩٩ تذكرة الموضوعات ، ص ١٤ . الاسرار المرفوعة ، ص ٥٢ ، ٥٣ . الميزان للذهبي ، ، ٣٩٩/١ .

٢٨٠٠ تحذير الخواص ، للسيوطي ، ص ١٩٨ .

٢٨٠١ تاريخ القصاص ، د . محمد الصباح .

٢٨٠٢ طبعت بمطبعة المكتب الاسلامي ، بيرت ، سنة ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م تحقيق الدكتور / محمد الصباغ .

٢٨٠٣ تحقيق الدكتور / محمد الصباغ ، قام بطبعه المكتب الاسلامي ، بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ .

٢٨٠٤ حققه ، وقدم له ، وعلق عليه د . محمد الصباغ ، قام بنشره وطبعه المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

الموصلي ، المتوفي صنة ٣٥١ هـ[٢٨٠٦] .

٦ - كتاب تاريخ القصاص ، وأثرهم في الحديث النبوي ورأي العلماء فيهم ، للدكتور محمد لطفي الصباغ[٢٨٠٧] .

٧ - وقد قام عدد من المستشرقين بدراسات عن القصاص ، وهذه الدراسات لا يطمأن لها ، وهي خالية من القصد الحسن والتصور الصحيح[٢٨٠٨] .

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا

أن : **الحمد لله رب العالمين** ،،،

٢٨٠٦ ذكره حاجي خليفة في كتاب كشف الظنون ، ولم أقف عليه .

٢٨٠٧ طبع الكتاب الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، قام بطبعه المكتب الاسلامي ، بيروت .

٢٨٠٨ من البحوث التي نشرها المستشرقون في كتب لهم ليست مقصورة على القصاص ، منها : ما ذكره ‹ آدم منز › في كتابه (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع) .. ومنها ما كتبه ‹ جولد زيهر › في كتابه : ‹ دراسات اسلامية › .

...ـخاتمـــة البحـــث ـ ...

:: بســم اللـه الرحمـن الرحيـم ::

الخاتمـة

(وتشتمل على أعداء الاسلام ومكائدهم ونصيحة للمسلمين)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،لقد تم البحث الذي تحدثنا فيه عن خطر الوضع على الحديث النبوي الشريف ،فقد ركزت أقلام الأعداء للنيل من السنة لابطال مشروعيتها وهي وحي الهي واجبه الاتباع ومصدر أصيل بعد القرآن للأحكام الشرعية ،فنصوص القرآن الكثيرة تثبت وتؤكد على ذلك ،وكذلك انعقد اجماع العلماء على ذلك .

فنصوص القرآن الكريم كثيرة تبين هذا المعنى وتلزم المسلمين باتباع السنة ،وتصرح بأن الاقتداء بها هو طاعة الله سبحانه وتعالى وأن الخروج عليها دليل الانسلاخ من الايمان ،وأن الامر لله ولا خيار له فيما يقضي به الله في كتابه أو سنة رسوله ومن هذه النصوص القرآنية قول الله سبحانه وتعالى :-

أ - " ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول " .

ب - " ومن يطع الرسول فقد أطاع الله " .

ج - " " ماآتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " .

د - " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم " .

هـ - " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا بما قضيت ويسلموا تسليما ".

وقد اتفق المسلمون على حجية السنة ولم يختلف أحد منهم في القديم والحديث في حجيتها ووجوب اتباعها .

٢ - والأحكام التي وردت في السنة شامله متنوعه لجميع نواحي الحياة الدينية والدنيوية ،منها ما هو موافق لما في القرآن الكريم ومؤكد له مثل توحيد الله سبحانه وتعالى وبيان عقيدة التوحيد الخالصة ،ووجوب اداء الصلاة والزكاة والحج وكذلك حرمة أكل مال الغير بغير حق والنهي عن المحرمات مثل عقوق الوالدين وشهادة الزور والزنا والربا .

٣ - وكذلك جاءت أحكام في السنة تبين وتوضح وتفصل لمجمل القرآن الكريم ،كالسنه التي بينت عدد ركعات الصلاة وهيأتها ،حيث جاءت الصلاة في القرآن مجمله ،وكالسنة التي بينت مقادير الزكاة وشروطها وأصناف المال التي تجب فيه الزكاة .

٤ - وجاءت في السنة أحكام قيدت مطلق القرآن الكريم أو خصصت عامه ،كقطع اليد في السرقة جاء مطلقا في القرآن الكريم فقيدته السنة الي الرسغ ،ومثل تحريم الميتة جاء عاما في القرآن فخصصته السنة . بما عدا ميتة البحر والجراد .

٥ - وفي السنة ما هو أحكام جديدة لم يذكرها القرآن الكريم ، .. وانما جاءت بها السنة مثل الحكم بشاهد ويمين ،ووجوب الدية على العاقلة ونحو ذلك ،وهذا واجب الاتباع كباقي أنواع السنة الاخرى ،وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال :

" ألا واني أوتيت القرآن ومثله معه " اني أوتيت القرآن وأوتيت مثله - أي السنه - في وجوب اتباعها ، إن الأحاديث النبوية صريحه في دلالتها على أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد بين ما يحتاج اليه الناس في صلاح معاشهم ومعادهم ، وأن الحرام ما ورد نص بتحريمه ، أو دلت الشريعة على تحريمه باستعمال الادلة الشرعية بلا تعسف ولا تكلف ، فالسنة هي النظام الشامل الكامل بعد كتاب الله .

٦ - وكذلك جهز أعداء الاسلام كل طاقاتهم الفكرية والمادية لاطفاء نور الاسلام . بوضع نظام يخالف النظام الاسلامي الذي لم يأتي بالكتاب ولا السنة ويخالف نظامهما . فهذا النظام هو المرحلة الاولى لطمس معالم الاسلام وتشويه نصاعته وتضييق سعته ووضع الحرج لتنفير المسلمين وهي أول طعنة أصابت الأمة الاسلامية وهذه الضربة هي البدعة في الدين .

٧ - فالبدعه في الدين ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو اجماعا أو اثرا ، فهذه البدعه الضلالة ، أو كل مالم يأت في القرآن ، ولا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله - صلى الله عليه وسلم - فهو في حيز الذم والانكار .

وهو ما أحدث مما لا اصل له في الشريعة يدل عليه ،أما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعه شرعا ،وان كان بدعة لغة .

ولقد شوهت البدعة الدين الاسلامي وغيرت أحكامه أو أحلت احكاما لم ترد في كتاب ولا سنة ،ولقد غزت البدعه التفاسير فغيرت كثيرا من الحقائق وغيرت معاني القرآن الكريم ،بقصد أو بغير قصد ،فأدخلت الفتنه على الامة الاسلامية ودب الخلاف الذي اضعف شوكتها ومزق وحدتها .

٨ - والمرحلة الثانية هي مرحلة المجابهة الفعلية وبث الكيد العلني على الشريعة الاسلامية ،وهو وضع الحديث على النبي - صلى الله عليه وسلم - فكان هذا الفعل من اكبر الكبائر ولذلك تشدد صاحب السنة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال : (من كذب علي متعمدا فليبوأ مقعده من النار) فقد أعد الله سبحانه وتعالى لمن يكذب نارا ،فالكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الكبائر التي يعاقب الله سبحانه عليها بالنار " .

٩ - بدأ الوضع يظهر وينتشر خلال الفتنة التي نشبت بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما) وتنكر الناس بعضهم لبعض وتسلل ضعفاء الايمان ومن في قلبه مرض من المنافقين في ادخال الموضوعات للطعن في الاسلام ولترويج ما يحمله من فكر .

١٠ – تطور هذا الوضع وتفنن فيه الوضاعون للكيد من الاسلام والمسلمين حتى أخذ كثير من الناس يأخذ بالعمل بالاحاديث الموضوعة ضعفا أو وهما منه انها صحيحة فتنكر الناس بعضهم لبعض فحلت الفرقة مكان المودة وانتشرت العداوة مكان الاعتصام بحبل الله .

١١– في هذا البحر المتلاطم بأمواج الفتن برزت فرق كثيرة وجهت منها سهامها على السنه الصحيحه للنيل منها وأشد هذه الفرق الزنادقة التي وضعت آلاف الاحاديث التي تحرم الحلال وتحلل الحرام وسرت بين المسلمين ،ومن الفرق الاخرى السبئيه والخوارج والكرامية والخطابين والغرابية ... الخ هذه الفرق سرت أفكارها في الامة الاسلامية فلم تترك جانبا من جوانب الحياة الدينية أو الدنيوية الا وغزته .

١٢– ومن تلك الجوانب التي غزتها الموضوعات :

أ – الطعن بالتوحيد فأدخلت الاشراك بالله والتجسيم والتشبيه والحلول وجعل بعض الاشخاص آلهة .

ب – ألطعن بالنبوة بجعل بعض الاشخاص أنبياء وذلك بإبطال الشريعة ووضع شريعة اخرى .

ج – إفساد الاخلاق بوضع احاديث للنظر على المرأة والوجه الجميل عبادة والي غير ذلك مما يحارب الشريعة الاسلامية التي تدعو الي الاخلاق الفاضلة من الحياء والادب الفاضل والتعفف وغض النظر .

د ـ القضاء على الفروض من صلاة وصيام وحج وزكاة وتفسيرها تفسيرات باطنيه من فعل الزنادقة للقضاء على الامة الاسلامية ونشر الفرقة واضعاف الايمان ،ورفع التكاليف فيحل بمكانها الالحاد والفساد .

هـ ـ وضعت الفرق المتطرفة والزنادقة المناقب والمثالب كل يمدح جماعته ويرفع من شأنهم ويبين محاسنهم ويبرزهم بما يليق بهم كذبا وزورا ،وفي نفس الوقت كل يضع المثالب على من يرضى به أو يزعجه أو يحقد عليه بسبب من الاسباب سواء من التعصب أو الطمع والجشع .

و ـ وكذلك وضعت أحاديث لذم بعض الحرف والمهن والصناعات والمواد الغذائية وفي نفس الوقت وضعت احاديث لمدح بعض الحرف والمهن والمواد الغذائية فكل هذه الموضوعات وضعت على حسب الاهواء والرغبات والمصالح والحقد .

ز ـ وكذلك وضع القصاص احاديث كثيرة جذب كثيرا من العوام للاستماع والتأثر حتى كان أحدهم يقدم هؤلاء القصاص على العلماء ويأخذ بآرائهم لاستخدام هؤلاء القصاء للاساليب الادبية المغرية والاتيان بغرائب القصص تسحر الالباب .

١٢- ولا مناص ولا نجاة من هذه الويلات التي وقع بها العالم الاسلامي الا بالرجوع الي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قولا وعملا واخلاصا ،ولقد اجمع علماء المسلمين أن الاسلام قول وعمل. ومن واجب المسلمين التناصح والتعاون ومساعدة بعضهم بعضا في أمور الدين والدنيا .

١٣- ووصيتي لجميع المسلمين أن لا تأخذهم في الله لومة لائم لنصرة هذا الدين والوقوف صفا واحدا ضد الكفرة والزنادقة والمنحرفين وضد كل فساد مهما قل أو كثر للمحافظة على الشريعة الاسلامية ناصعة كاملة كما جاءت من عند الله ،وبقدر العمل بالاحكام الشرعية الصحيحة تكون قوة المسلمين فالله سبحانه وتعالى لا يخذل عباده وبقدر ما يتقربون اليه ينصرهم ويثبت أقدامهم ويجعل لهم العزة والكرامة . (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

١٤- ووصيتي الى احبتي من العلماء والصلحاء والمخلصين والغيورين، والذين تتحرق أكبادهم لنصرة هذا الدين الوقوف ضد الحملة الشعواء على الشريعة الاسلامية ممن يريدون أن يشوهوا الاسلام بالاحاديث الموضوعة وعلى الجميع ان يعملوا لهذا الدين على قدر عظمته وبذل الجهد على قدر الطمع في الجنة ،والاستمرار في الاستقامة على قدر استطاعته ،فالتوازن في العمل دليل على صحة الايمان فالمسلم يعمل للدنيا على قدر اقامته فيها ويعمل للاخرة على قدر بقائه فيها ،وتعظم في عين الكبير الكبائر وتصغر في عين الكبير الصغائر فالمسلم الذي يقيم الاشياء على قدر قيمتها فان الله سبحانه وتعالى يبارك له في عمله ويوفقه ويخذل أعداءه ،وينصر دينه ،وان الله لا يتخلى عن عباده الصالحين ،وينصر من نصره ،ويحفظ من حفظ دينه وهو القادر على كل شئ والصادق والمحب لعباده .

وكل ثغرة يفتحها الاعداء على المسلمين من الطعن والوضع في الاحاديث النبوية هو نقص بالمسلمين لا بالاسلام ،ونسأل الله ان يوفق المسلمين للعمل الصالح لما يحبه ويرضاه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهارس الكتاب

فهرست الايات

فهرست الايات

فهرست الايات

فهرست الايات

فهرست الايات

فهرست الايات

فهرست الايات

فهرست الايات

فهرست الايات

فهرست الايات

فهرست الايات

فهرست الاحاديث

فهرست الاحاديث

فهرست الاحاديث

فهرست الاحاديث

فهرست الاحاديث

فهرست الاحاديث

فهرست الاحاديث

فهرست الاحاديث

فهرست الاحاديث

فهرست الاحاديث

فهرست الاحاديث

فهرست الاحاديث

فهرست الاحاديث

فهرست الاحاديث

فهرست الاعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرست الاعلام

فهرست الاباـــات

فهرست الاعلام

فهرست الاعلام

فهرست الاعلام

فهرس المصادر

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
١	الابداع في مضار الإبتداع	علي محفوظ	بيروت	١٩٥٦/١٣٧٥
٢	ابو هريرة راوية الاسلام	الخطيب محمد عجاج	القاهرة	١٩٦٢
٣	ابو هريرة وأقلام الحاقدين	عبدالرحمن عبدالله الرازي	عمان الاردن	١٩٧٣/١٣٩٢
٤	الاتجاه الاخلاقي في الاسلام	مقداد يالجن	مصر	١٩٨٥/١٤٠٥
٥	اتفاق المباني وافتراق المعاني	لسليمان بن بنين الدقيقي النحوي	عمان الأردن	١٩٨٥/١٤٠٥
٦	أحسن الكلام	محمد بخيت المطيعي الحنفي	بيروت	١٩٨٨/١٤٠٨
٧	الأحكام السلطانية	القاضي ابويعلى الفراء	حلب	١٩٦٦/١٣٨٦
٨	الأحكام في أصول الاحكام	لابن حزم	بيروت	١٩٨٠/١٤٠٠
٩	الأموال	لأبي عبيد القاسم ابن سلام	بيروت	١٩٦٨/١٣٨٨
١٠	احياء علوم الدين	للامام ابوحامد الغزالي	بيروت دار المعرفة	١٤٠٤
١١	الأخلاق عند الغزالي	زكي مبارك	القاهرة	١٩٢٤
١٢	أخلاق القرآن	للشرباصي	بيروت	١٩٨٥/١٤٠٥
١٣	أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم	لأبي محمد عبدالله ابن محمد الاصفهاني	القاهرة	١٩٧٢
١٤	أخبار عمر	علي الطنطاوي	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
١٥	الأدب العربي	الزيات	مطبعة الرسالة	—
١٦	الأدب النبوي	د/ بكري الشيخ أمين	دار الشروق	١٩٧٣/١٣٩٢
١٧	الأذكار	للنووي	بيروت	١٩٧٩/١٣٩٩
١٨	الأذكار وأثرها في حياة المؤمن	د/عبدالرحمن بله علي	بيروت	١٩٨٠/١٤٠٠
١٩	أربعون حديثا	للشيخ ابن تيمية	دار احياء الكتب العربية	١٣٧٧
٢٠	الاربعين للنووي	بشرح الشيخ/عبدالمجيد الشرنوبي الازهري		
٢١	ارشاد الفحول	الشوكاني	بيروت	ط١ ١٩٣٧/١٣٥٦
٢٢	الاستقامة	لابن تيمية	جامعة محمد ابن سعود	١٩٨٣/١٤٠٤

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٢٣	الاستيعاب	لأبي عبدالبر ـ تحقيق علي محمد البجاوي	القاهرة	مكتبة النهضة
٢٤	أسد الغابة	لابن الأثير	دار العلم للملايين	١٣٧٩هـ
٢٥	الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة	للعلامة نورالدين علي القاري	بيروت	١٣٩١هـ ١٩٧١م
٢٦	الاسلام روح المدنية	للعلائي		
٢٧	الاسلام وتعدد الزوجات	ابراهيم النعمة	الدار السعودية للنشر والتوزيع	١٤٠٤هـ ١٩٨٣
٢٨	الاسلام والدعوات الهدامة	أنور الجندي	بيروت	١٩٧٤
٢٩	الاسلام والعقل	د/ عبدالحليم محمود	دار المعارف	١٩٨٠
٣٠	الاسلام والعقل	محمد جواد مغنية	بيروت	١٩٨٤
٣١	أسماء الله الحسنى	حسنين محمد مخلوف	دار المعارف	١٩٧٤/١٣٩٤
٣٢	أسماء الثقات لابن شاهين	تحقيق صبحي السامرائي	الكويت	١٩٨٤/١٤٠٤
٣٣	الاشباه والنظائر	عبدالملك بن محمد الثعالبي	دمشق	١٩٨٤/١٤٠٤
٣٤	الاصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر العسقلاني تحقيق/ علي محمد البجاوي	القاهرة	١٩٧٠
٣٥	اصلاح المساجد من البدع والعوائد	العلامة /محمد جمال الدين القاسمي	بيروت	١٣٩١
٣٦	اصلاح الوجوه والنظائر	ابو عبدالله الحسين الدامغاني		
٣٧	أصل الشيعة وأصولها	لمحمد الحسيني		
٣٨	الإحكام في أصول الأحكام	علي بن أبي سيف الدين الآمدي	دار الكتب	
٣٩	الأصول الاسلامية منهجها وأبعادها	د/ رفيق العجم	بيروت	١٩٨٣
٤٠	أصول الدعوة	عبدالكريم زيدان	بغداد	١٩٧٠/١٣٩٠

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٤١	أصول الرخسي	ابو بكر محمدبن أحمد الرخسي	استانبول	١٩٨٤
٤٢				
٤٣	أضواء على التاريخ	الاستاذ/ محب الدين الخطيب		
٤٤	أضواء على السنة المحمدية	لأبي رية		
٤٥	الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار	للحازمي	طبع حمص	
٤٦	الاعتصام	لأبي اسحاق ابراهيم ابن موسى الشاطبي	بيروت	١٤٠٤/ ١٩٨٢
٤٧	اعتقادات فرق المسلمين والمشركين	الامام / فخر الدين الرازي	بيروت	١٤٠٢ ١٩٨٢
٤٨	الاعتقاد			
٤٩	الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء	للكلاعي الأندلسي	القاهرة	١٣٨٧/١٩٦٨
٥٠	اعراب القرآن	للزجاج	مصر	١٣٨٣/١٩٦٤ ١٩٩٤
٥١	اللؤلؤ المرصوع	للقاوقجي	مصر	
٥٢	الامام البخاري محدثا وفقيها	د/ الحسيني عبدالمجيد هاشم	القاهرة	
٥٣				
٥٤	الاملاء والاستملاء	السمعاني	بيروت	١٤٠١ ١٩٨١
٥٥	الأم	محمد بن ادريس الشافعي	مكتبة الكليات الأزهرية	
٥٦	الأنساب	للامام أبي سعد السمعاني	بيروت	١٤٠٨ ١٩٨٨
٥٧	الانصاف في بيان الاختلاف	للدهلوي	لاهور	١٩٧١
٥٨	أنساب الأشراف	ابو الحسن أحمد البلاذري	بيروت	١٣٩٤ ١٩٧٤
٨٠	الأنوار الكاشفة	الشيخ/ محمد عبدالرحمن بن يحيى	بيروت	١٤٠٥

مسلسل	اسم الكتـــــاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٦٠				
٦١				
٦٢	الإبانة عن أصول الديانة	لأبي حسن الأشعرى	بيروت	١٩٨١/١٤٠١
٦٣	ايضاح المكنون	اسماعيل باشا	استانبول	١٩٤٥
٦٤	الايمان أركانه وحقيقته	د/ محمد نعيم ياسين	عمان/ الأردن	١٩٧٨/١٣٩٨
٦٥	الباطنيون والحركات الهدامه في تاريخ الاسلام	ابراهيم بن سليمان الجبهان		
٦٦	الباعث الحثيث	ابن كثيـــر	دار الفكر	بيروت
٦٧	البحر المحيط	لأبي حبان		
٦٨	بحوث في تاريخ السنة المشرفة	د/أكرم العمرى	بيروت	١٩٨١/١٣٩٥
٦٩	البداية والنهاية	لابن كثيـــر		١٩٦٦
٧٠	بدع التفاسيـــر	محمد صديق الغمارى	القاهرة	١٩٦٥/١٣٨٥
٧١	البدعـــة	عزت على عيد عطية	القاهرة	
٧٢	البدعة وأثرها السيء على الأمـــة	سليم الهلالى	عمان/ الأردن	١٤٠٤ ١٩٨٤
٧٣	البدع والنهى عنهـا	محمد بن وضاح الأندلسـي	بيروت	١٤٠٢ ١٩٨٢
٧٤	البلاغة العربية في ثوبها الجديد	د/ بكرى شيخ أمين	بيروت	١٩٨٤
٧٥	بغية الدعاة في طبقات اللغوييـــن والنحاة	لجلال الدين السيوطى	مصر	١٣٨٤
٧٦	البيان والتبيين	للجاحظ	القاهرة	١٩٤٩/١٣٦٨
٧٧	تاريخ ابن معين	د/أحمد محمد نور سيف	السعودية	١٩٧٩/١٣٩٩
٧٨	تاريخ أبي عساكر	لابن عساكر	مخطوط	
٧٩	تاريخ الاسلام	للذهبـي	القاهرة	١٣٦٧
٨٠	تاريخ بغـداد	للخطيب البغدادي	مكتبة مثنى	

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٨١	تاريخ التراث العربي	فؤاد سزكين	القاهرة	١٩٧٨
٨٢		نقله الى العربية د/ محمود فهمى حجازي ود/ فهمى ابو الفضل		
٨٢	تاريخ جرجان	السهمى	بيروت	١٤٠١
٨٣	تاريخ الخلفاء	للسيوطى	مصر	١٩٥٢/١٣٧١
٨٤	تاريخ دمشق	ابن عساكر		
٨٥	تاريخ الرواة	للامام يحى بن معين		
٨٦	التاريخ الصغير	للبخارى	بيروت	١٩٨٦/١٤٠٦
٨٧	تاريخ الطبرى	للطبرى	القاهرة	١٩٣٩
٨٨	التاريخ الكبير	للبخارى	بيروت	
٨٩	التاريخ لابن خياط	خليفة بن خياط تحقيق د/ اكرم ضياء العمرى	دمشق بيروت	١٩٧٧/١٣٩٧
٩٠	تأويل مشكل القرآن	لابن قتيبة	المكتبة العلمية	١٩٨١/١٤٠١
٩١	التبر المسبوك	لأبى حامد الغزالي	مصر	١٩٦٨/١٣٧٨
٩٢	التبصير فى الدين	للامام الاسفراييني	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
٩٣	التبصرة فى أصول الفقة	للامام أبى اسحاق بن علي بن يوسف الفيروزآبادى	دمشق	١٩٨٠/١٤٠٠
٩٤	التبيان فى أقسام القرآن	ابن قيم الجوزية	بيروت	
٩٥	تحفة الاشراف	لابن الحجاج المزى	هند بمبای الدار القيمة	
٩٦	تنوير الحوالك على موطأ مالك	للسيوطى		
٩٧	تحذير الخواص من اكاذيب القصاص	الامام جلال الدين السيوطى	بيروت	١٩٨٤/١٤٠٤
٩٨	تحفة الأحوذي/شرح جامع الترمذي	محمد عبدالرحيم كفورى	مصر	١٣٨٥
٩٩	التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار	لابي الفرج زين الدين عبدالرحمن البغدادى	بيروت	١٩٨٢/١٤٠٢

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
١٠٠	تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي	للسيوطي	بيروت	١٩٧٩/١٣٩٩
١٠١	تذكرة الحفاظ	للذهبي	بيروت	١٣٧٤
١٠٢	تذكرة الموضوعات	محمد طاهر علي الفتني	المكتبة الاسلامية	
١٠٣	الترغيب والترهيب	للمنذري	دمشق/ بيروت	١٩٨٦/١٤٠٦
١٠٤	تعجيل المنفعة	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	بيروت	
١٠٥	التشريع الجنائي	عبدالقادر عودة	القاهرة	١٩٦٤/١٣٨٤
١٠٦	التعريفات	ابو الحسن الجرجاني	الدار التونسية	١٩٧١
١٠٧	تفسير ابن جزي	محمد بن أحمد جزي	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
١٠٨	تفسير البيضاوي	ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي	بيروت	
١٠٩	تفسير الجلالين		بيروت	١٩٨٤/١٤٠٤
١١٠	تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)	للرازي	—	١٢٥٧
١١١	التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع	ابو الحسن محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الشافعي الملطي	مكتبة المثنى بغداد	١٣٨٨
١١٢	تفسير الزمخشري	أبي قاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري	بيروت	
١١٣	تفسير الطبري	لأبي يحي محمد بن حماد		
١١٤	تفسير القرطبي	للقرطبي	القاهرة	١٩٦٧
١١٥	تفسير المنار	محمد رشيد رضا		
١١٦	تقريب التهذيب	ابن حجر العسقلاني	بيروت	١٩٧٥/١٣٩٥
١١٧	تعريف عام بدين الاسلام	للطنطاوي	دار الرائد	١٩٧٥/١٣٩٥
١١٨	تقييد العلم	للخطيب البغدادي	دار الاحياء	١٩٧٤
١١٩	تلبيس ابليس	ابن الجوزي	بيروت	١٤٠٣
١٢٠	تذكرة الموضوعات	للمقدسي	مصر	١٣٥٤
١٢١	التمهيد في تخريج الفروع على الأصول	جمال الدين ابي محمد الأسنوي	بيروت	١٩٨١/١٤٠١
١٢٢	تمييز الطيب من الخبيث	للامام عبدالرحمن بن علي الشيباني	مصر	٩٦٤/١٣٨٢

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
١٢٣	تهذيب الأسماء واللغات	للامام النووي	مصر	
١٢٤	تهذيب التهذيب	لابن حجر العسقلاني	هند	١٣٢٥
١٢٥	تهذيب اللغة	محمد بن أحمد الأزهري	مطابع سجل العرب	
١٢٦	توضيح الأفكار	محمد بن اسماعيل الصنعاني	دار الاحياء	١٣٦٦
١٢٧	توجيه النظر الى أصول الأثر	الطاهر بن صالح ابن أحمد الجزائري الدمشقي	مصر	الطبعه ١
١٢٨	تيسير مصطلح الحديث	د/ محمود الطحان	مطبعة المدينة الرياض	١٣٩٦
١٢٩	الثقات لابن حبان			
١٣٠	جواهر الأصول	للهروي	المدينة المنورة	١٣٧٣
١٣١	حادي الأرواح الى بلاد الأفراح	للامام إبن قيم الجوزية	بيروت	١٤٠٨/١٩٨٨
١٣٢	حادي الأنام الى دار السلام	لأبي بكر بن محمد الحنفي	القاهرة	ب/ت
١٣٣	حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة	جلال الدين السيوطي	القاهرة	١٣٢١
١٣٤	حاشية محمد الشنواني	محمد الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة	مصر	١٣٢٧
١٣٥	حجة الله البالغة	للدهلوي	لاهور	
١٣٦	الحديث والمحدثون	محمد أبو زهو	مصر	١٣٧٨هـ
١٣٧	حسن الحديث "شرح تهذيب مصطلح الحديث"	عبدالرحمن عيد المحلاوي الحنفي	مصر	١٣٥٧
١٣٨	حقائق الاسلام	للعقاد		
١٣٩	الحكمة الخالدة	لأبن [illegible] مسكويه		
١٤٠	حلية الأولياء	لأبي نعيم	مصر	١٣٥١/١٩٣٢
١٤١	حياة محمد صلى الله عليه وسلم	محمد حسين هيكل	مصر	الطبعه ١٣
١٤٢	ثلاث رسائل في العقيدة الاسلامية	الشيخ/ محمد عبدالوهاب	مطابع الاصفهاني جدة	١٣٩٠/١٩٧٠
١٤٣	ثورة الاسلام وبطل الانبياء	محمد لطفي جمعة	القاهرة	١٩٥٨
١٤٤	جامع أحكام القرآن	للقرطبي		

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
١٤٥	الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع	الخطيب البغدادي	الرياض	١٩٨٣/١٤٠٣
١٤٦	جامع بيان العلم وفضله	ابن عبدالبر		١٩٦٨/١٣٨٨
١٤٧	الجد الحثيث في بيان ماليس حديث	للسنوسي		
١٤٨	الجرح والتعديل	لأبي محمد عبدالرحمن الرازي	حيدرآباد الهند	١٩٥٣/١٣٧٢
١٤٩	الجهاد في الاسلام	محمدشديد		
١٥٠	الجواب الكافي لمن سأل الدواء الشافي	لابن قيم الجوزية	مصر	١٩٦٨/١٣٨٨
١٥١	جوامع السيرة النبوية	لابن حزم	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
١٥٢	جمع الفوائد من جامع الأصول	للشيخين والترمذي		
١٥٣	الخراج	لأبي يوسف القاضي	بيروت	
١٥٤	خصائص الشريعة الاسلامية	د./ الأشقر	الكويت	١٩٨٢
١٥٥	خصائص المسند	ابو موسى المديني		
١٥٦	خطب أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب	د./محمدعاشور	دار الاعتصام	١٩٨٥/١٤٠٥ القاهرة
١٥٧	خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر	الشيخ/ أحمد عساف	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
١٥٨	خلاصة التهذيب "الكمال"	أحمد بن عبدالله الخزرجي		
١٥٩	الخلاصة في أصول الحديث	الحسين بن عبدالله الطيبي	بيروت	١٩٨٥/١٤٠٥
١٦٠	الخلفاء الراشدون	عبدالوهاب النجار	بيروت	١٩٧٩/١٣٩٩
١٦١	الخوارج في العصر الأموي	نايف محمد معروف	بيروت	١٩٧٧/١٣٩٧
١٦٢	دائرة معارف القرن العشرين	محمد فريد وجدي	بيروت	١٩٧١
١٦٣	دائرة المعارف الإسلامية	ترجمة أحمد الشنتناوي	القاهرة	١٩٣٦/١٣٥٥
١٦٤	الدر المختار	للتمرتاشي محمد على الحصكفي		
١٦٥	الدر المنثور في التفسير بالمأثور	للجلال السيوطي	طهران	ط ٧
١٦٦	دستور الأخلاق في القرآن	محمدعبدالله دراز	بيروت	١٩٨٢/١٤٠٢
١٦٧	دولة الاسلام	للذهبي		

مسلسل	اسم الكتـــاب	اسم المؤلـف	مكان الطبع	سنة الطبع
١٦٨	دعوة الرسل			
١٦٩	دفاع عن العقيدة والشريعة	محمد أحمد العدوى	مصـر	١٩٣٥/١٣٥٤
		محمد الغزالى	دار الكتب الحديثة	١٩٦٤/١٣٨٤
١٧٠	دفاع عن ا... هريرة	الاستاذ/عبدالمنعم صالـح	بيروت	١٩٨١
١٧١	دفاع عن الحديث			
١٧٢	دفاع عن السنة	محب الدين الخطيب	مصـر	
		د/ محمد بن محمد أبوشهبـة	بيروت	
١٧٣	دليل الخيرات وسبيل الجنـات	خير الدين وانلى	جدة	١٩٩٠/١٤١٠
١٧٤	دليل الفالحين	الصديقى الشافعى	بيروت	١٩٨٥/١٤٠٥
١٧٥	[illegible]			
١٧٦	الدررالكامنـة	للحافظ بن حجر	الطبعة	المصرية
١٧٧	ديوان جـرير	شرح محمد اسماعيل الصـاوى	القاهرة	١٣٥٣
١٧٨	ديوان المتروكين والضعفاء	للامام الذهبى تحقيق الشيخ /حماد الانصارى		١٩٦٧
١٧٩	ذم الهـوى	لابن الجـوزى		
١٨٠	الذريعة الى مكارم الشريعة	لابى القاسم الحسين الأصفهانى	القاهرة	١٩٦٤/١٣٨١
١٨١	الرائد معجم لغوى عصرى	جبران مسعـود	دارالعلم للملايين	١٩٨١
١٨٢	رجال العلامة الحلي	ابن المطهر الحلي	النجف	١٩٦١
١٨٣	رجال الطوسـي	حققه وعلق عليه محمد صادق آل بحر العلوم	النجـف	١٩٦١/١٣٨١
١٨٤	رجال الكشى	محمد بن عمر بن عبد العزيز	كربلاء	
١٨٥	الرحلة فى طلب الحديث	للبغدادى		
١٨٦	الرسالـة	محمد بن ادريس الشافعى	حلب	١٩٤٠/١٣٥٨
١٨٧	الرسالة المستطرفة	الكتانى	دمشق	١٣٨٣
١٨٨	رفع الملام عن الأئمة الأعلام	للشيخ ابن تيمية	بيروت	
١٨٩	روح المعانـى	للألوسـى	مصر/ بولاق	١٣٠١
١٩٠	الروض الباسم	لأبى عبدالله السيد محمود الوزير	القاهرة	١٣٨٥
١٩١	روضة الطالبين وعمدة السالكين	للامام الغزالـى		
١٩٢	روضة الناظر وجنة المناظر	للقدسي	بيروت	١٩٨١/١٤٠١

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
١٩٣	رياض الصالحين	للامام النووي	بيروت	١٤٠٥/١٩٨٥
١٩٤	الرياض النضرة	لابي جعفر احمد الطبري	بيروت	١٤٠٥/١٩٨٤
١٩٥	زاد المسير في علم التفسير	لابن الجوزي	بيروت	١٤٠٧/١٩٨٧
١٩٦	الزواجر من اقتراف الكبائر	لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي	بيروت	١٤٠٢/١٩٨٢
١٩٧	زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن	محمد محمود الصواف	دار الاعتصام	١٣٩٩/١٩٧٩
١٩٨	سبل السلام	محمد بن اسماعيل الصنعاني	بيروت	١٤٠٠/١٩٨٠
١٩٩	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة	محمد ناصر الدين الألباني	دمشق	١٣٩٩
٢٠٠	السمط الثمين	محب الدين أحمد الطبري	القاهرة	١٤٠٢/١٩٨٢
٢٠١	سنن أبي داود	لأبي داود سليمان أبي الأشعث السجستاني	دار الاحياء	
٢٠٢	سنن ابن ماجة	لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني	دار الفكر	
٢٠٣	سنن الترمذي	لأبي عيسى محمد بن عيسى		بيروت
٢٠٤	السيادة العربية	فان فلوتن علق عليه د/ حسن ابراهيم محمد زكي ابراهيم	مصر	١٩٦٥
٢٠٥	سنن الدارمي	ابو محمد عبدالله ابن عبدالرحمن الدارمي	بيروت	
٢٠٦	سنن الدارقطني	علي بن عمر الدارقطني	بيروت	١٤٠٣/١٩٨٠
٢٠٧	السنة	عباس حمادة		
٢٠٨	السنة قبل التدوين	د/ محمد عجاج	القاهرة	١٣٨٣/١٩٦٣
٢٠٩	السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي	د/ مصطفى السباعي	بيروت	١٩٧٦
٢١٠	سهام الاصابة في الدعوات المستجابة .	للسيوطي	المكتبة	السلفية
٢١١	سيرة سيد المرسلين	جماعة من كبار العلماء	بيروت	١٤٠٢/١٩٨٢
٢١٢	سيرة عمر	لابن الجوزي		
٢١٣	سير النبلاء	شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي	بيروت	١٤٠٢/١٩٨٢

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٢١٤	شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول	محمد على الصابونى		١٩٨٠/١٤٠٠
٢١٥	شذرات الذهب فى أخبار من ذهب	لابن العماد	دمشق	١٤٠٦
٢١٦	شرح الأربعين النووية	لابن دقيق العيد		
٢١٧	شرح أسماء الله الحسنى	للامام الرازي		
٢١٨	شرح الأشمونى	للشيخ محى الدين عبدالحميد		
٢١٩	شرح جمع الجوامع	للسبكي	القاهرة	١٢٥٦
٢٢٠	شرح جوهرة التوحيد	للباجوري		
٢٢١	شرح السنة	للامام البغوى		
٢٢٢	شرح العقيدة الطحاوية	ابن ابى العز الحنفى تحقيق جماعة من كبار العلماء	دمشق	١٤٠٠
٢٢٣	شرح مسلم الثبوت	محب الدين بن عبدالشكور	القاهرة	١٣٢٤
٢٢٤	شرح نخبة الفكر	للامام على القارى	مصر	١٣٩٨
٢٢٥	شرف أصحاب الحديث	الخطيب البغدادي	دار احياء	السنة النبوية
٢٢٦	شرف العقل وماهيته	للحارث بن أسد المحاسبى	بيروت	١٩٨٦/١٤٠٦
٢٢٧	شروط الأئمة الخمسة	للحازمي	القاهرة	١٣٥٧
٢٢٨	الشفاء فى تعريف حقوق المصطفى	للقاضى عياض	مصر	١٩٥٠/١٣٦٩
٢٢٩	الشمائل	للترمذي		
٢٣٠	شرح علل الترمذى	للحافظ ابن رجب الحنبلى	عمان الأردن	١٩٨٠/١٤٠٠
٢٣١	الشيعة والسنة	لاحسان الهى ظهير	لاهور	١٩٧٦/١٣٩٦
٢٣٢	صفة النفاق وذم المنافقين	لأبى بكر الفريابي	بيروت	١٩٨٥/١٤٠٥
٢٣٣	صفوة البيان لمعانى القرآن	حسنين محمد مخلوف	ابوظبى	١٩٨١/١٤٠١
٢٣٤	صفوة التفاسير	محمد على الصابونى	بيروت	١٩٨٠/١٤٠٠

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٢٣٥	صور من سماحة الاسلام	د/ علي ربيعة		
٢٣٦	الصلة بين التشيع والتصوف	كامل مصطفى الشيبي	دار المعارف	مصر
٢٣٧	صيد الخاطر	لابن الجوزي		
٢٣٨	صحيح البخاري	محمد بن اسماعيل البخاري	بيروت	درا الفكر
٢٣٩	صحيح مسلم	مسلم بن حجاج النيسابوري		بيروت الفكر
٢٤٠	ضحى الاسلام	أحمد أمين	القاهرة	١٩٧٨
٢٤١	الضعفاء والمتروكين	للنسائي تحقيق الشيخ محمود ابراهيم زايد	حلب	١٣٩٦
٢٤٢	الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي	لابن الجوزي		
٢٤٣	طبقات الشافعية الكبرى	للسبكي	عيسى الحلبي	١٩٦٤/١٣٨٣
٢٤٤	الضعفاء	للبخاري		١٣٢٣
٢٤٥	طبقات ابن سعد الكبرى	لابن سعد	بيروت	١٩٥٧
٢٤٦	طبقات المشاهير والأعلام	للذهبي	القاهرة	١٣٦٧
٢٤٧	الطب محراب الايمان	د/ خالص حلبي	موءسسة الرسالة	١٩٧١/١٣٩١
٢٤٨	طبقات المفسرين	شمس الدين محمد الداوودي	بيروت	١٩٧٢
٢٤٩	الطب النبوي	لابن قيم الجوزية	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
٢٥٠	طبقات الشافعية	لابي بكر بن هداية الله الحسيني	بيروت	١٩٨٢/١٤٠٢
٢٥١	الطب والأطباء في مختلف العهود الاسلامية	د/ محمود دياب	القاهرة	
٢٥٢	طبقات الصوفية	لابي عبدالرحمن	القاهرة	١٩٥٣/١٣٢٢
٢٥٣	الطراز	يحي بن حمزة بن علي ابن ابراهيم	مصر	١٩١٤/١٣٣٢
٢٥٤	طلب العلم وطبقات المتعلمين	محمد بن علي الشوكاني	بيروت	١٩٨٢/١٤٠٢
٢٥٥	العباب الزاخر واللباب الفاخر	الحسن بن محمد الحسن الصنعاني تحقيق/شيخ محمد حسن آل ياسين	بغداد	١٩٨٠

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٢٥٦	العبادة في الاسلام	يوسف القرضاوي	بيروت	١٩٧١/١٣٩١
٢٥٧	العبر في خبر من غبر	للذهبي	بيروت	١٩٨٥/١٤٠٥
٢٥٨	العدالة الاجتماعية	سيد قطب		١٩٦٧/١٣٨٦
٢٥٩	عصمة الأنبياء	فخر الدين الرازي	حمص سوريا	١٩٧٧/١٣٩٧
٢٦٠	العقل وفهم القرآن	الحارث بن أسد المحاسبي	دار الفكر	١٩٧١/١٣٩١
٢٦١	عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم	عطية الأبراشي		
٢٦٢	العقل وفضله واليقين	الحافظ ابي بكر بن ابي الدنيا	القاهرة	١٩٨٨
٢٦٣	العقد الفريد	ابن عبدربه	مصر	١٩٥٣/١٣٧٢
٢٦٤	عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح البخاري	ابن حجر العسقلاني	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
٢٦٥	العلل الصغير	للترمذي	مصر	١٣٨٥
٢٦٦	العلل في الحديث	د/ همام عبدالرحيم سعيد	عمان الأردن	١٩٨٠/١٤٠٠
٢٦٧	العلل المتناهية	ابن الجوزي	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
٢٦٨	علم أصول الفقه	عبدالوهاب خلاف	دار الفكر	١٩٧٢/١٣٩٢
٢٦٩	علوم الحديث	ابن الصلاح	بيروت	١٩٨١/١٣٩٩
٢٧٠	عمدة القاريء	للامام بدر الدين العيني	بيروت	ط ٩
٢٧١	العواصم من القواصم	القاضي ابي بكر بن العربي	بيروت	١٩٨٥/١٤٠٥
٢٧٢	عين اليقين في سيرة سيد المرسلين	محمد سيد الكيلاني	بيروت	١٩٨٧/١٣٩٨
٢٧٣	عيون الأخبار	ابن قتيبة	مصر	١٩٣٠/١٣٤٩
٢٧٤	عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير .	جلال الدين السيوطي	دار المعرفه	بيروت
٢٧٥	غزوات الرسول(ص) وسراياه	لابن سعد	بيروت	١٩٨١/١٤٠١
٢٧٦	الغماز على اللماز	نورالدين ابي الحسن السمهودي	بيروت	١٩٨٦/١٤٠٦

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٢٧٧	الفائق للزمخشري	للزمخشري	مصر	١٩٧١
٢٧٨	فتاوى ابن تيمية	لشيخ الاسلام الامام ابن تيمية	بيروت	١٩٦٦/١٣٨٦
٢٧٩	الفتاوى الحديثية	أحمد شهاب الدين ابن حجر الهيثمي المكي	بيروت	
٢٨٠	فتح الباري شرح صحيح البخاري	لابن حجر العسقلاني	القاهرة	١٣٧٩
٢٨١	الفرق بين الفرق	عبد القاهر بن طاهر البغدادي	بيروت	١٩٧٠
	فتح الغفار بشرح المنار	لزين الدين بن ابراهيم	مصر	١٩٣٦/١٣٥٥
٢٨٣	فتح القدير	للشوكاني	مصر	١٣٤٩
٢٨٤	فتح المغيث شرح ألفية الحديث	للسخاوي	مكتبة السلفية	بالمدينة
٢٨٥	فتح الملهم	شبير أحمد الديوبندي	الهند	—
٢٨٦	فجر الاسلام	أحمد أمين	القاهرة	١٩٨٧
٢٨٧	الفروق في اللغة	لأبي هلال العسكري	بيروت	١٩٨١/١٤٠١
٢٨٨	فضائح الباطنية	للغزالي / تحقيق عبد الرحمن بدوي	القاهرة	١٩٦٤
٢٨٩	فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد	للبخاري	الامارات	١٩٨١/١٤٠١
٢٩٠	فقه السنة	السيد سابق	بيروت	١٩٨٥/١٤٠٥
٢٩١	فقه السيرة	د/ محمد سعيد البوطي	دار الفكر	١٩٧٠/١٣٩٠
٢٩٢	الفصل في الملل والأهواء والنحل	لابن حزم	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
٢٩٣	الفكر الاسلامي والتطور	فتحي عثمان		
٢٩٤	الفوائد	لابن قيم الجوزية	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
٢٩٥	في أحكام الأحوال الشخصية	د/ محمد يوسف موسى		
٢٩٦	في ظلال القرآن	سيد قطب	بيروت	١٩٧١/١٣٩١
٢٩٧	في مكارم الأخلاق	فوزي سالم عفيفي		

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٢٩٨	القرامطة	لابن الجوزي	بيروت	
٢٩٩	قاموس الرجال	للتستري		
٣٠٠	القاموس المحيط	مجد الدين محمد بن يعقوب	بيروت	
٣٠١	قصة التفسير	د/ أحمد الشرباصي	بيروت	١٩٧٨
٣٠٢	قصة اليتيم الخالد	محمد شوكت التوني		
٣٠٣	قصص الأنبياء في القرآن الكريم	سميح عاطف	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
٣٠٤	قواعد التحديث	محمد جمال الدين القاسمي	بيروت	١٩٧٩/١٣٩٩
٣٠٥	قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان	أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي	القاهرة	١٩٦٣/١٣٨٣
٣٠٦	قولي في المرأة	مصطفى صبري	القاهرة	١٣٥٤
٣٠٧	الكاشف	للذهبي	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
٣٠٨	الكامل	لابن عدي تحقيق صبحي السامرائي	بغداد	
٣٠٩	الكنى والأسماء	للدولابي	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
٣١٠	كتاب الإجماع	للنيسابوري	الرياض	١٩٨٣/١٤٠٢
٣١١	كتاب أخبار أهل الرسوخ في الفقه والحديث بمقدار المنسوخ	لأبي فرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي	مصر	١٣٢٢
٣١٢	كتاب أصول الدين	للبغدادي		
٣١٣	كتاب الاسرائيليات	محمد أبو شهبة	القاهرة	١٩٧٣/١٣٩٣
٣١٤	كتاب الإيمان	د/ محمد نعيم ياسين		
٣١٥	كتاب الإيمان لمجموعة المؤلفين	للإمام ابن سلام	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
٣١٦	كتاب التوبة	للحارث بن أسد المحاسبي	دار النصر شبرا / مصر	١٩٧٧
٣١٧	كتاب السنة	للشيباني	بيروت	١٩٨٠/١٤٠٠
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٣١٨	كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول	للشيخ ابن تيمية	بيروت	١٩٧٥
كتاب	كتاب العسل	محمد نزار	دار الكتب	١٩٧٣/١٣٩٣
٣٢٠	كتاب العلل	لعلى بن المديني	حلب	١٩٨٠/١٤٠٠
٣٢١	كتاب العلل ومعرفة الرجال	أحمد بن حنبل	استانبول	١٩٨٧
٣٢٢	كتاب العلم	زهير بن حرب النسائي	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
٣٢٣	كتاب الكبائر	للذهبي	دمشق	١٩٨٤/١٤٠٤
٣٢٤	كتاب كفارات الخطايا وموجبات المغفرة	حامد ابراهيم أحمد ومحمد حسين العقبى	دار المعارف الرياض	١٩٨٦/١٤٠٠
٣٢٥	كتاب الكفار الملحدين في ضروريات الدين	الامام الشيخ محمد أبوشاه الكشميري	كراتشي	١٩٦٨/١٣٨٨
٣٢٦	كتاب معنى لا اله الا الله	بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي	القاهرة	١٩٨٣/١٤٠٢
٣٢٧				
٣٢٨	كتاب اصطلاحات الفنون	للتهانوي	طبع الهند	
٣٢٩	الكشاف	للزمخشري	بيروت	
٣٣٠	كشف الخفاء	للعجلوني	بيروت	١٣٥١
٣٣١	مختار الصحاح	للامام محمد بن ابي بكر الرازي	دمشق	١٩٧٤
٣٣٢	كشف الظنون	لحاجي خليفة	استانبول	١٩٤٣/١٣٦٢
٣٣٣	الكفاية في علم الرواية	الخطيب البغدادي	المكتبة	العلمية
٣٣٤	الكمال في أسماء الرجال	للمقدسي / مخطوط		
٣٣٥	كنز العمال	علاء الدين علي المتقي	بيروت	١٩٧٩/١٣٩٩
٣٣٦	الكواكب الدراري	للكرماني		
٣٣٧	اللآلئ المصنوعة	للسيوطي	مصر	
٣٣٨	لباب الآداب	الأمير اسامة بن منقذ	بيروت	١٩٨٠/١٤٠٠
٣٣٩	اللؤلؤ المرصوع	[illegible] للقاوقجي	مصر	المطبعة البارونية
٣٤٠	لماذا يلحدون	د/ سيد الجميلي	بيروت	١٩٨٤/١٤٠٤

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٣٤١	لسان الميزان	ابن حجر العسقلاني	بيروت	١٩٦٩/١٣٧٥
٣٤٢	لمحات في أصول الحديث والبلاغة	د/ محمد أديب صالح	دمشق	١٣٨٨
٣٤٣	لسان العرب	لابن منظور	بيروت	١٩٨٨/١٤٠٨
٣٤٤	ماذا عن المرأة	د/ نور الدين عتر	حلب	١٩٧١/١٣٩٠
٣٤٥	مباحث في علوم القرآن	د/ صبحي	دار العلم للملايين	١٩٨١
٣٤٦	الضعفاء والمتروكين	للنسائي	بيروت	١٩٨٥/١٤٠٥
٣٤٧	مباحث في علوم القرآن	مناع القطان	بيروت	١٩٨٠/١٤٠٠
٣٤٨	مبادئ في الأدب والدعوة	عبد الرحمن الميداني	دمشق	١٤٠٢/١٩٨٢
٣٤٩	المجروحين	لابن حبان	بيروت	
٣٥٠	مجاز القرآن	لأبي عبيدة معمر ابن المثنى التيمي	بيروت	١٩٨١/١٤٠١
٣٥١	المجتمع الإسلامي	د/ مصطفى عبد الواحد	بيروت	١٩٧٤/١٣٩٤
٣٥٢	مجمع الزوائد	نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي	بيروت	١٩٨٢/١٤٠٢
٣٥٣	محاضرات في علوم الحديث	د/ مصطفى أمين	مصر	
٣٥٤	المحدث الفاصل	للرامهرمزي	بيروت	١٩٧١/١٣٩١
٣٥٥	محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين	الإمام فخر الدين الرازي	بيروت	١٩٨٤/١٤٠٤
٣٥٦	المحصول في علم أصول الفقه	للرازي	جامعة الإمام ابن سعود	١٤٠٠
٣٥٧	محمد عند علماء الغرب	الشيخ خليل ياسين	بيروت	١٩٨٤
٣٥٨	محمد (ص) في طفولته وصباه	محمد شوكت التوني	بيروت	
٣٥٩	مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية	عبد العزيز محمد السلمان	الرياض	١٤٠٣/١٩٨٣
٣٦٠	موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية	للتهانوي		
٣٦١	مختصر تفسير ابن كثير	للشيخ محمد علي الصابوني	بيروت	١٩٨١/١٤٠٢
٣٦٢	مختصر زاد المعاد	لابن قيم الجوزية	بيروت	١٩٨١/١٤٠١

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٣٦٣	مختصر سيرة ابن كثير	لابن كثير اختصار وشرح/ محمدعلى القطب	بيروت	١٩٨٢/١٤٠٢
٣٦٤	مختصر سيرة ابن هشام	محمد الزهبى	بيروت	١٩٨١/١٤٠١
٣٦٥	مختار الصحاح	للامام محمد بن أبي بكر الرازي		
٣٦٦	مختصر سيرة رسول الله (ص)	محمد بن عبدالوهاب	القاهرة	١٩٥٦/١٣٧٥
٣٦٧	مختصر الطب النبوى	للسيوطي	القاهرة	١٩٨٣
٣٦٨	مختصر الوجيز فى علوم الحديث	د/ محمدعجاج الخطيب	بيروت	١٩٨٥/١٤٠٥
٣٦٩	مدارج السالكين	لابن القيم الجوزية		
٣٧٠	مدارك التنزيل وحقائق التأويل	للنسفى	المعرف لاهور	١٩٧٨/١٣٩٨
٣٧١	مدخل الى أصول الفقه المالكى	محمد عبدالغنى الباجقنى	بيروت	١٩٨٣/١٤٠٣
٣٧٢	مدخل الى السنة وعلومها	د/ محمد معروف الدواليبي	سوريا	١٩٥٦/١٣٧٥
٣٧٣	المرأة بين الفقه والقانون	للسباعي	بيروت	١٩٦٣/١٣٨٢
٣٧٤	المرأة فى القرآن	للعقاد	بيروت	
٣٧٥	ميزان الاعتدال	الامام الذهبي	بيروت	١٩٦٣/١٣٨٢
٣٧٦				
٣٧٧	المانى والمانوية	جيووايد نغرين نقله الى العربية د/ سهيل زكار	دارحسان	١٩٨٥/١٤٠٦
٣٧٨	المستدرك على الصحيحين	للحاكم	الهند	ط١
٣٧٩	المستصفى	للغزالى	بولاق/ مصر	
٣٨٠	مسند الامام أحمدبن حنبل	أحمد بن حنبل	دار الفكر	
٣٨١	مشاهد القيامة فى القرآن	سيد قطب	دار الشروق	
٣٨٢	مشكلات القران الكريم	محمد عبدة	بيروت	١٩٦٦
٣٨٣	المصباح فى أصول الحديث	للسيد قاسم الاندجاني	مصر	١٣٧٩
٣٨٤	المصباح المنير	أحمد بن محمد بن على المقري	بيروت	
٣٨٥	المصحف الميسر	عبدالجليل عيسى	دارالفكر	١٣٩١

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٣٨٦	المصنوع فى معرفة الحديث الموضوع	الشيخ / على القارى الهروى	حلب	١٩٦٩/١٣٨٩
٣٨٧	المعارف	لابن قتيبة	بيروت	١٩٧٠/١٣٩٠
٣٨٨	معالم أصول الدين	للرازى		
٣٨٩	معانى الآثار	للطحاوى/	كلكته الهند	١٣٧٥
٣٩٠	معجم البلدان	شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت الحموى	بيروت	١٣٦٧
٣٩١	المعجم الكبير	مجموعة من المؤلفين	مصر	١٩٨١/١٤٠١
٣٩٢	معجم مقاييس اللغة	لابن فارس	مصر	١٣٩٢
٣٩٣	المعجم الوسيط	د/ ابراهيم انيس	دار الفكر	
٣٩٤	معرفة علوم الحديث	ابى عبدالله محمد ابن عبدالله النيسابورى	بيروت	١٩٧٩
٣٩٥	المغنى فى الضعفاء	للذهبى		
٣٩٦	المغنى فى ضبط أسماء الرجال	الشيخ/ محمدطاهر ابن على الهندى	بيروت	١٩٧٩/١٣٩٩
٣٩٧	مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة	جلال الدين السيوطى	مكتبة الدار	١٤٠٢
٣٩٨	المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام	جواد على		
٣٩٩	مفتاح السنة	محمد عبدالعزيز الخولي	القاهرة	١٩٨٠/١٤٠٠
٤٠٠	مفحمات الأقران فى مبهمات القرآن	للسيوطى	دمشق	١٩٨٢/١٤٠٣
٤٠١	مفهوم العقل والقلب فى القرآن والسنة	د/ محمد على الجزو	بيروت	١٩٨٠
٤٠٢	مقدمة ابن الصلاح	الحافظ ابى عمرو عثمان بن عبدالرحمن	بمباى	١٣٥٧
٤٠٣	مقدمة فى أصول التفسير	لابن تيمية تحقيق د/ عدنان زرزور	كويت	١٣٩١
٤٠٤	المقاصد الحسنة	شمس الدين محمد السخاوي	مصر	١٩٥٦/١٣٧٥

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٤٠٥	مقدمة مسلم "شرح النووي	للنووي	مصر	١٣٤٧
٤٠٦	مقالات الاسلاميين	للأشعري	القاهرة	١٩٥٠
٤٠٧	مكانة السنة في الاسلام	د/ محمد أبو زهو	بيروت	١٩٨٤/١٤٠٤
٤٠٨	المؤامرة على الاسلام	أنور الجندي		
٤٠٩	مكفرات الذنوب وموجبات الجنة	لأبي ربيع الشيباني	القاهرة	١٩٧٦/١٣٩٦
٤١٠	الملل والنحل	للشهرستاني	بيروت	١٩٨٠/١٤٠٠
٤١١	المنار المنيف	ابن قيم الجوزية	حلب	١٩٧٠/١٣٩٠
٤١٢	مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب	لابن الجوزي	بيروت	١٩٨٢/١٤٠٢
٤١٣	مناقب الشافعي	احمد بن حسين البيهقي	مصر	١٩٧١/١٣٩١
٤١٤	مناهج الشريعة الاسلامية	أحمد محي الدين العجوز	بيروت	١٩٨١/١٤٠١
٤١٥	المنتقى	لأبي عبدالله بن علي الجارودي	القاهرة	١٩٦٣/١٣٨٢
٤١٦	منهاج السنة	ابن تيمية	القاهرة	١٣٢١
٤١٧	منهج النقد في علوم الحديث	د/ نور الدين عتر	دار الفكر	١٩٨١/١٤٠١
٤١٨	المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف	محمد علوي المالكي	مصر	
٤١٩	الموافقات	لأبي اسحاق الشاطبي	بيروت	
٤٢٠	موارد الظمآن لدروس الزمان	عبدالعزيز السلمان	السعودية	١٩٨٢/١٤٠٢
٤٢١	مورد الصفا في سيرة المصطفى	أحمد الحملاوي	مصر	١٩٣٩/١٣٥٨
٤٢٢	موسوعة عباس العقاد الاسلامية	عباس العقاد		
٤٢٣	الموضوعات	لابن الجوزي	مطبعة المجد	١٩٦٦/١٣٨٦
٤٢٤	الموضوعات في الآثار والأخبار	هاشم معروف الحسيني	بيروت	١٩٧٣
٤٢٥	موضوعات الصغاني	الحسن بن محمد الصغاني	دار نافع للطباعة	١٩٨٠/١٤٠١
٤٢٦	الموطأ	مالك بن أنس	دار احياء	الفكر العربي
٤٢٧	موسوعة أخلاق القرآن	د/ أحمد الشرباصي	بيروت	١٩٨١/١٤٠١
٤٢٨	موعظة المؤمنين	محمد جمال الدين القاسمي	بيروت	

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٤٢٩	موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين	مصطفى صبري	بيروت	١٤٠١/١٩٨١
٤٣٠	الناسخ والمنسوخ	عبدالله المقرى	بيروت	١٤٠٤/١٩٨٤
٤٣١	ناسخ الحديث ومنسوخه	لابن شاهين		
٤٣٢	النبوة والأنبياء	للصابوني	بيروت	١٣٩٠/ ١٩٧٠
٤٣٣	النخبة البهية	للعلامة محمد الأمير الكبير المالكي	بيروت	١٤٠٩/١٩٨٨
٤٣٤	نساء النبي	د/بنت الشاطىء	بيروت	١٤٠٣/١٩٨٣
٤٣٥	نزهة الأعين النواظر	ابن الجوزي	بيروت	١٤٠٤/١٩٨٤
٤٣٦	نزهة المتقين "شرح رياض الصالحين"	د/ مصطفى سعيد الخن	بيروت	١٤٠٠/١٩٨٠
٤٣٧	نزهة النظر " شرح نخبة الفكر	للحافظ بن حجر	المدينة المنورة	ط/ت
٤٣٨	النكت والعيون	للماوردي		
٤٣٩	النكت	للامام السرخسي	بيروت	١٤٠٦/١٩٨٦
٤٤٠	نيل الأوطار	للشوكاني	حلب	١٣٧١
٤٤١	نير البرهان في توطيد عقائد الايمان	محمد على الشرفي		
٤٤٢	هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى	لابن القيم الجوزية	بيروت	١٤٠٠/١٩٨٠
٤٤٣	هداية العارفين	اسماعيل باشا البغدادي	استانبول	١٩٥٥
٤٤٤	هدي الساري مقدمة فتح الباري	أحمد بن على بن حجر العسقلاني	بيروت	
٤٤٥	الوافي	عبدالله البستاني	بيروت	١٩٨٠
٤٤٦	الوجيز	محمد بن محمد الغزالي	بيروت	١٣٩٩/١٩٧٩
٤٤٧	الوجيز في أصول الفقه	عبدالكريم زيدان	بيروت	١٤٠٥/١٩٨٥
٤٤٨	الوسيط في علوم مصطلح الحديث	د/ محمد بن محمد أبو شهبة	جدة	١٤٠٣/١٩٨٣
٤٤٩	الوضع في الحديث النبوى	عمر بن حسن عثمان	بيروت	١٤٠١/١٩٨١

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع	سنة الطبع
٤٥٠	وفيات الأعيان	ابن خلكان	بيروت	١٩٧٠
٤٥١	الوشيعة في نقد عقائد الشيعة	موسى جار الله		
٤٥٢	يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار	صديق حسن خان	مطبعة الإمام مصر	

فهرس موضوعات البحث

لباب الأول :-

الفصل الثاني :- الأدلة النقلية على اثبات حجية السنة من الاحاديث النبويه الشريفه : المبحث الاول : اثبات حجية السنه بنصوص الاحاديث النبويه باساليب متنوعه :-

بعده / ٤

بعده ٦/

بعده / ٧

انتهى الباب الأول ويليه الباب الثاني

بعد/ه ٢

بعده / ٣

بعده/٥

انتهى الباب الثانى يليه الباب الثالث

الباب الثالث

بالصفحة التالية / ٣

الباب الرابع